ولا تفسدوا في الارض
٣٠

لو معقبات
٢٢٣

يا ايها النبي حسبك الله
ومن اتبعك من المؤمنين

قصة يوسف مفصلا وغيره
١٨١

حكاية بلعم بن باعورا
١٨١

والمؤمنون والمؤمنات الى قوله وبئس المصير
٩٣

وان جنحوا للسلم
٦٣

يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال
٦٤

قال تعالى لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم
٥٥

في الرؤيا
١٧١

في الصلوة
٧٠

قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا
٨٨

فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم
١١٤

واني فضلتكم
١٧٣

قاتلوا الذين لا يؤمنون الى قوله ولو كره المشركون
٧٧

يا ايها النبي حسبك الله
٦٤

ادع الى سبيل ربك
٣٠٠

ان الله يامر بالعدل والاحسان
٢٩٠

لقد تاب الله

الذين امنوا وهاجروا الى قوله اجر عظيم
٧٣

يا ايها الذين امنوا
٩٢

وكونوا مع الصادقين
١١١

اذ هما في الغار
٨٤

واذ يمكر بك الذين كفروا الى قوله والله خير الماكرين
٥٦

قال الملأ من قوم موسى الى قوله واستعينوا بالله
٢٤
٩٩

وادخل الذين امنوا وعملوا الصالحات الى قوله
٣٤٣

وقيل للذين اتقوا الى قوله بما كنتم تعملون
٢٧٤

انما قولنا لشيء اذا اردناه
٢٧٧

ان الله يامر بالعدل والاحسان
٢٩٠

رب اجعلني مقيم الصلوة

ان الذين كذبوا باياتنا الى قوله لولا ان هدانا الله
٩

ان الذين امنوا الى قوله وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين
١٢٦

التائبون العابدون
١٩٧
٣٤٧

اوراقه ٣٤٢ ٢١

ان الذين لا يرجون لقاءنا الآية
١١٦

سرعة حضرت رسول آلرمي اوكز سفرلري
دعوت الدينه سوبلدبلر ابو جهل

ولقد صرفنا للناس الى قوله انه كان بعباده خبيرا بصيرا انقدار كواعز
ما كبها الاوله سور
٣٢
ورحمتي وسعت كل

قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا
٣٣

فاصدع بما تؤمر واعرض الى قوله انا كفيناك المستهزئين
٢٦٥

وقد مكروا مكرهم الى قوله انتقام
٢٤٩

الا ان اولياء الله الآية
١٢٩

ان على الشهود
٨١

يريدون ان يطفئوا نور الله
يعني الكفار رسول الله
٧٩

الم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح الآية
٩٣

ولا يحزنك قولهم ان العزة لله
١٣٠

فاصبر ان العاقبة للمتقين
١٥٢

يوم ندعوا كل اناس بامامهم
٣٢٥

فاستقم كما امرت
١٦٦

وعظ يوسف
١٧٦

ان النفس لامارة بالسوء
١٩٧

ويرسل الصواعق
حكايه بيكتمه جريت
عليه السلام كلامي
٢٢٤

له دعوة الحق
٢٢٥

والذين امنوا وهاجروا وجاهدوا الآية
عا
٤٨

استراحتنه فنا وريته الرسول مع اصحابه
٦٥

وان جنحوا للسلم فاجنح لها الى الصلح
٦٣

جاهد الكفار والمنافقين
٩٤

T. C.
MİLLİ EĞİTİM BAKANLIĞI
RAGIP PAŞA KİTAPLIĞI
MÜDÜRLÜĞÜ
Sayı: 69/2

الجزء الثاني
من تفسير المهدوي

٩٢

حسبي الله وحده
من الكتب التي وقفها الفقير
الى الله ربه ذي المواهب
محمد المدعو بين الصدور براغب
١١٧٥ وقف عبد

~~١١٤~~

٩٢

سورة الاعراف ١	سورة الانفال ٤٦	سورة التوبة ٦٨
سورة يونس ١١٤	سورة هود ١٣٢	سورة يوسف ١٦٩
سورة الرعد ٢١٤	سورة ابراهيم ٢٣٦	سورة الحجر ٢٥١
سورة النحل ٢٦٦	سورة بني اسرائيل ٣٠١	

بسم الله الرحمن الرحيم سورة الاعراف مكية
غير ثمان ايات من قوله تعالى واسالهم عن القرية الى قوله واذ نتقنا الجبل
المص موضعه رفع بالابتدا وكتاب خبره كانه قال المص حروف
كتاب ويجوز ان يكون خبر محذوف اي هذا كتاب ابن عباس المص معناه
انا الله اعلم وافصل وتقدم القول في معنى الحروف التي في اوايل السور
انزل اليك صفة كتاب فلا يكن في صدرك حرج منه اي شك فان الشاك
حرج الصدر او ضيق قلبه من تبليغه مخافة ان يكذب فيه او يقصر في القيام
بحقه وتوجيه النهي اليه للمبالغة كقولهم لا ارينك ههنا والفا تحتمل
العطف والجواب وكانه قيل اذا انزل اليك لتنذر فلا يحرج صدرك والضمير
في منه للقران وقيل للانذار اي انزل اليك الكتاب لتنذر به فلا
يكن في صدرك حرج وقيل للتكذيب الذي تعطيه قوة الكلام اي
فلا يكن في صدرك حرج من تكذيب المكذبين وذكرى للمومنين يجوز
ان يكون في موضع رفع على اضمار مبتدا او عطفا على كتاب وان يكون
في موضع نصب على المصدر اي وذكر به ذكرى او عطفا على الهاء في انزلناه
وان يكون في موضع خفض عطفا على محل لتنذر والانذار للكافرين والذكرى
للمومنين لانهم المنتفعون بها قل لهم اتبعوا ما انزل اليكم من
ربكم يعم الكتاب والسنة قال تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه
وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى اي اتبعوا ملة الاسلام او
القران واحلوا حلاله وحرموا حرامه وامتثلوا امره واجتنبوا نهيه
ولا تتبعوا من دونه اي الله اي غيره اولياء يضلونكم من الجن والانس
وقيل الضمير في من دونه لما انزل اي ولا تتبعوا من دون دين الله اوليا

او

او لا تتخذوا من عدل عن دين الله وليا وكل من رضي مذهبا فاهل ذلك
المذهب اولياؤه قليلا ما تذكرون اي تذكرا او زمانا قليلا تذكرون
حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره وما مزيدة لتاكيد القلة وكم
خبرية مفعول من قرية اي وكثيرا من القرى اهلكناها اي اردنا اهلاكها
او اهلكناها بالخذلان فجاءها اي فجا اهلها باسنا اي عذابنا وقال الفرا
الفا بمعنى الواو فلا يلزم الترتيب والباس العذاب الاتي على النفس بياتا
اي بايتين كقوم لوط فهو مصدر وقع موقع الحال او هم قايلون عطف
عليه اي قايلين نصف النهار كقوم شعيب وانما حذفت واو الحال استثقالا
لاجتماع حرفي عطف فانها واو عطف استعيرت للوصل لا اكتفا بالضمير
فانه غير فصيح وفي التعبيرين مبالغة في غفلتهم وامنهم من
العذاب ولذلك خص الوقتين ولانهما وقت دعة واستراحة فيكون
مجي العذاب فيهما افظع وليست او للشك بل للتفصيل كقولك لاكرمنك
منصفا لي او ظالما فما كان دعواهم اي دعاوهم او استغاثتهم
او قولهم او ما كانوا يدعونه من دينهم اذ جاءهم باسنا الا ان
قالوا انا كنا ظالمين اي الا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا عليه وبطلانه
تحسرا عليه فلنسالن الذين ارسل اليهم اي الامم عن قبول الرسالة
واجابتهم الرسل ولنسالن المرسلين عما اجيبوا به وفيه دليل
على ان الكفار يحاسبون ويسالون وقاله في سورة القصص ولا يسال
عن ذنوبهم المجرمون يعني اذا استقروا في العذاب فالاخرة مواطن
موطن يسالون فيه وموطن لا يسالون فيه او المعنى يسالون سوال توبيخ
وافضاح وسوال الرسل سوال استشهاد بهم وافصاح وقال الحليمي

بيه نسخة ... منصوب ... سميناها ... بمعد ... تابع ... وان كان ... ما بعد ... للمتشابه ... صح

يحمل الاية الاولى على السؤال عن التوحيد وتصديق الرسل والثانية ما يستلزمه
الاقرار بالنبوات من شرايع الدين وفروعه وقيل فلنسالن الذين ارسل
اليهم يعني الانبيا ولنسالن المرسلين الملايكة الذين ارسلوا اليهم
فلنقصن عليهم اي على الرسل حين يقولون لا علم لنا انك انت علام
الغيوب او على الرسل والمرسل اليهم ما كانوا عليه **بعلم** اي عالمين بظواهرهم
وبواطنهم وفيه دليل على ان الله تعالى عالم بعلم كما هو قادر بقدرة
وما كنا غايبين عنهم فيخفى علينا شي من احوالهم **والوزن** اي
وزن الاعمال وهو مقابلتها بالجزا والجمهور على ان صحايف الاعمال
توزن بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلايق اظهارا للعدل
وقطعا للمعذرة كما يسالهم عن اعمالهم فتعترف بها السنتهم وتشهد
بها جوارحهم ويؤيده ما روي ان رجلا يؤتى به الى الميزان فينشر
عليه تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر فيخرج له بطاقة قدر
الانملة فيها كلمة الشهادة فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في
كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة وقيل توزن الاشخاص
لما في الحديث ليأتين العظيم السمين يوم القيمة لا يزن عند الله
جناح بعوضة قال ابن عمر توزن صحايف اعمال العباد وقال
مجاهد توزن الحسنات والسيات باعيانها قال ابن فورك وقد انكرت
المعتزلة الميزان بناء منهم على ان الاعراض يستحيل وزنها اذ لا تقوم
بانفسها ومن المتكلمين من يقول ان الله تعالى يقلب الاعراض اجساما
كاين **يومئذ** اي يوم السؤال وهو يوم القيمة وهو خبر لمبتدا
الذي هو الوزن **الحق** صفته او خبر محذوف ومعناه العدل السوي

فمن

فمن ثقلت موازينه اي حسناته او ما توزن به حسناته فهو جمع
موزون او ميزان وجمعه باعتبار اختلاف الموزونات وتعدد الوزن
قيل ويجوز ان يكون هناك موازين للعامل الواحد يوزن بكل
ميزان منها صنف من اعماله وان يكون ميزانا واحدا عبر عنه بلفظ الجمع
قال الغزالي ولا يكون الميزان في حق كل احد فالسبعون الفا يدخلون
الجنة بغير حساب لا يرفع لهم ميزان ولا ياخذون صحفا **فاوليك**
هم المفلحون اي الفايزون بالنجاة والثواب **ومن خفت موازينه**
بالسيات **فاوليك الذين خسروا انفسهم** بتضييع الفطرة السليمة التي
فطرت عليها واقتراف ما عرضها للعذاب **بما كانوا باياتنا يظلمون**
فيكذبون بدل التصديق **ولقد مكناكم** يا بني ادم **في الارض**
اي مكناكم من سكناها وزرعها والتصرف فيها **وجعلنا لكم فيها**
معايش اي هيانا لكم فيها اسباب المعيشة والمعايش جمع معيشة
وهي ما يتعيش به من المطعم والمشرب وما يكون به الحياة **قليلا ما تشكرون**
فيما صنع لكم **ولقد خلقناكم ثم صورناكم** اي خلقنا اباكم ادم طينا غير
مصور ثم صورناه نزل خلقه وتصويره منزلة خلق الكل وتصويره
او المعنى ابتدانا خلقكم ثم تصويركم بان خلقنا ادم ثم صورناه وقيل
ولقد خلقناكم نطفا ثم صورناكم **ثم** انا نخبركم انا **قلنا للملايكة**
اسجدوا لادم وقال الاخفش ثم بمعنى الواو وقال مجاهد ولقد خلقناكم
في ظهر ادم ثم صورناكم حين اخذنا عليكم الميثاق وتقدم معنى السجود
فسجدوا الا ابليس ابا الجن كان بين الملايكة **لم يكن من الساجدين**
اي ممن سجد لادم وهو استثنا من غير الجنس **قال** تعالى **ما منعك الا**

تسجد اذ امرتك اي ان تسجد ولا صلة مثلها في لئلا يعلم مؤكدة
معنى الفعل الذي دخلت عليه ومنبهة على ان الموبخ عليه ترك السجود
وقيل ليست زايدة فان المنع فيه طرف من القول والدعا فكانه قال
من قال لك ان لا تسجد او من دعاك الى ان لا تسجد وقيل في الكلام
حذف تقديره ما منعك من الطاعة واحوجك الى ان لا تسجد قال العلما
والذي احوجه الى ترك السجود هو الكبر والحسد وكان قد دخله امر
عظيم من قوله تعالى فقعوا له ساجدين فان في الوقع توضيع الواقع
وتشريفا لمن وقع له فاضمر في نفسه ان لا يسجد اذا امر فلما نفخ في ادم
الروح وقعت الملايكة سجدا وبقي هو قايما لم يسجد فاظهر تعاظمه
وترك السجود ما في ضميره وفي الاية دليل على ان الامر للوجوب
قال انا خير منه جواب من حيث المعنى استانف استبعادا لان يكون
مثله مامورا بالسجود لمثله كانه قال المانع اني خير منه ولا يحسن
للفاضل ان يسجد للمفضول فكيف يحسن ان يومر به فهو الذي سن
وقال بالحسن والقبيح العقليين اولا خلقتني من نار وخلقته من
طين تعليل لفضله عليه وقد غلط في ذلك بانه راى الفضل كله باعتبار
العنصر وغفل عما يكون باعتبار الفاعل كما اشار اليه بقوله ما منعك
ان تسجد لما خلقت بيدي اي بغير واسطة وباعتبار الصورة كما نبه
عليه بقوله ونفخت فيه من روحي وباعتبار الغاية لما بين لهم انه
اعلم منهم وان له خواص ليست لغيره ولذلك امر الملايكة بالسجود
له وفي الاية دليل على ان الشياطين اجسام كامنة قال ابن عباس
وغيره اول من قاس ابليس فاخطا القياس قال فاهبط منها اي من

السما

السما او من الجنة فما يكون لك اي فما يصح ان تتكبر فيها وتعصي فانها
مكان الخاشع المطيع وفيه تنبيه على ان التكبر لا يليق باهل الجنة وانه تعالى
انما طرده واهبطه لتكبره لا لمجرد عصيانه فاخرج منها انك من الصاغرين
اي ممن اهانه الله لتكبره لا لمجرد عصيانه قال عليه الصلاة والسلام
من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله وقيل فاهبط منها اي
من صورتك التي انت فيها لانه افتخر بانه من النار فشوهت صورته
بالاظلام وزوال اشراقه قال انظرني الى يوم يبعثون اي امهلني
الى يوم القيمة فلا تمتني ولا تعجل عقوبتي قال انك من المنظرين
تقتضي الاجابة الى ما ساله ظاهرا لكنه محمول على ما جا بعد بقوله
الى يوم الوقت المعلوم وهو النفخة الاولى او وقت يعلم الله
انتها اجله فيه سال النظرة والامهال الى يوم البعث والحساب
طلب ان لا يموت لان يوم البعث لا موت بعده فابى الله ذلك عليه
وقال الى يوم يبعثون ولم يتقدم ذكر من يبعث لان القصة في
ادم وذريته فدلت القرينة على انهم هم المبعوثون وفي اسعافه
الى الوقت المعلوم ابتلا العباد وتعريفهم ان الثواب في مخالفته
قال فبما اغويتني اي بعد ما امهلتني لاجتهدن في اغوايهم
باي طريق يمكنني بسبب اغوايك اياي وقيل معنى الكلام القسم
اي فباغوايك اياي وجوابه لاقعدن لهم اي لبني ادم صراطك
المستقيم اي على الطريق الموصلة اليك والمعنى لارصدنهم
كما يقعد القطاع للسابلة وكان ابليس اعظم قدرا اغوا الله اياه
لما فيه من التسلط على العباد فاقسم به اعظاما لقدره عنده

وقيل البا بمعنى اللام كانه قال فلاغوائك اياي وقيل بمعنى مع والمعنى
فمع اغوائك اياي وقيل الاغوا بمعنى الاهلاك اي فبما اهلكتني
بلعنتك اياي قال تعالى فسوف يلقون غيا اي هلاكا وقيل غير
ذلك والصراط المستقيم طريق الاسلام وقيل هو طريق الشكر ومعنى
الاية لاصدنهم عن الحق وازين لهم الباطل وارغبنهم في الدنيا
واشككهم في الاخرة ونصب الصراط على الظرف ثم لاتينهم من بين
ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم اي من جميع الجهات
الاربع مثل قصده اياهم بالتسويل والاضلال من اي وجهة تمكنه
باتيان العدو من الجهات الاربع ولذلك لم يقل من فوقهم ومن تحت
ارجلهم وقيل لم يقل من فوقهم لان الرحمة تنزل منه قال ابن عباس
رضي الله عنهما ولا يستطيع ان ياتي من فوقهم لئلا يحول بين العبد
وبين رحمة الله ولم يقل ومن تحتهم لان الاتيان منه يوحش وعن
ابن عباس من بين ايديهم من قبل الاخرة ومن خلفهم من قبل الدنيا
وعن ايمانهم وعن شمائلهم من جهة حسناتهم وسياتهم وانما
عدى الفعل الى الاولين بحرف الابتدا لانه منهما متوجه اليهم والى
الاخرين بحرف المجاوزة فان الاتي منهما كالمنحرف عنهم المار على
عرضهم ولا تجد اكثرهم شاكرين اي مطيعين وانما قاله ظنا
لقوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه قال اخرج منها
مذءوما بالهمز معيبا او ممقوتا مدحورا اي مبعدا مطرودا من
رحمة الله لمن تبعك منهم اللام فيه لتوطئة القسم وجوابه
لاملان جهنم منكم اجمعين وهو ساد مسد جواب الشرط ومعنى

منكم

منكم منك ومنهم فغلب المخاطب ويا ادم اي وقلنا يا ادم اسكن
انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة
بالاكل منها فتكونا من الظالمين اي فتصيرا من الذين ظلموا انفسهم
وتكونا يحتمل الجزم على العطف والنصب على الجواب فوسوس لهما
الشيطان ابليس اي فعل الوسوسة لاجلهما وهي في الاصل الصوت
الخفي كالهينمة والخشخشة والوسوسة ايضا حديث النفس قيل الوسوسة
داخل الجنة بادخال الحية اياه وقيل من خارج بالسلطنة التي جعلت له
ليبدي لهما اي ليظهر لهما واللام للعاقبة او بالعرض على انه اراد
ايضا بوسوسته ان يسوءهما بانكشاف عورتهما ولذلك عبر عنها بالسوءة
وفي ذلك دليل على ان كشف العورة في الخلوة وعند الزوج من غير
حاجة قبيح مستهجن في الطباع ما ووري عنهما من سوءاتهما اي ما
غطي عنهما من عوراتهما وكانا لا يريانهما من انفسهما ولا احدهما من الاخر
كان عليهما نور فزال النور وقيل كان عليهما ثوب فتهافت وقال ما نهاكما
ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا اي الا كراهة ان تكونا ملكين
وقري بكسر اللام او تكونا من الخالدين الذين لا يموتون او يخلدون في
الجنة اي ذلك لازم عن الاكل منها كما قال في اية اخرى هل ادلك على شجرة
الخلد واستدل به على تفضيل الملائكة على الانبيا وجوابه انه كان
من المعلوم ان الحقائق لا تنقلب وانما كانت رغبتهما في ان يحصل
لهما ذلك لا يدل على فضلهم مطلقا وقيل المعنى لئلا يكونا ملكين
يعلمان الخير والشر وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين في ذلك اي
اقسم لهما على ذلك واخرجه على زنة المفاعلة للمبالغة فهو من الواحد

كسافر وعاقب وهو رد على من قال ان المفاعلة لا تكون الا من اثنين وقيل
اقسما عليه بالله انه لمن الناصحين فاقسم لهما فجعل ذلك مقاسمة فدلاهما
اي فحطهما عن منزلهما الى الاكل من الشجرة ونبه به على انه اهبطهما بذلك
من درجة عالية الى رتبة سافلة فان التدلية والادلا ارسال الشي
من اعلا الى اسفل بغرور اي بما غرهما به من القسم فانهما ظنا انه لا
يحلف احد بالله كاذبا قاله ابن عباس وليس من الدلالة اذ هو واحد
فلما ذاقا الشجرة اي اكلا منها وتقدم القول في هذه الشجرة بدت
لهما سوآتهما اي فلما وجدا طعمها اخذين في الاكل منها اخذتهما العقوبة
وشوم المعصية فتهافت عنهما لباسهما وظهرت لهما عوراتهما اي ظهر
لكل واحد منهما قبله وقبل الاخر ودبره وسمي كلا منهما سوءة لان
انكشافه يسوء صاحبه واختلف في اللباس هل كان نورا او حلة
او ظفرا قيل اكلت حوا اولا فلم يصبها شي فلما اكل ادم حلت العقوبة
لان النهي ورد عليهما قال ابن عباس تقلص النور الذي كان لباسهما
فصار اظفارا في الايدي والارجل وطفقا يخصفان اي اخذا يرقعان
ويلزقان ورقة فوق ورقة عليهما من ورق الجنة قيل كان ورق
التين وروي ان ادم لما بدت سوءته وظهرت عورته طاف على اشجار
الجنة يسال منها ورقة يستتر بها فزجرته اشجار الجنة ورحمته
شجرة التين فكافا الله التين فان سوى ظاهره وباطنه في الحلاوة
والمنفعة واعطاه ثمرتين في عام واحد وناداهما ربهما الم انهكما
عن تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين بين العداوة
والاستفهام للتقرير وقيل عتاب على مخالفة النهي وتوبيخ على الاغترار

بقول

بقول العدو وفيه دليل على ان مطلق النهي للتحريم قالا ربنا ظلمنا انفسنا
اي ضررناها بالمعصية والتعرض للاخراج من الجنة قيل وفي ندا معنى
التعظيم وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين اعترفا
بالخطيئة وتابا منها قال اهبطوا الخطاب لادم وحوا وذريتهما او لهما
ولابليس بعضكم اي بعض الذرية لبعض عدو من ظلم بعضكم
بعضا وهو في موضع الحال اي متعادين ولكم في الارض مستقر اي
استقرار او موضع قرار ومتاع اي تمتع الى حين اي الى تقاضي
اجالكم قال فيها اي الارض تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون
بالبنا للفاعل والمفعول بالبعث للجزا يا بني ادم قد انزلنا عليكم
لباسا اي خلقناه لكم بتدبيرات سماوية واسباب نازلة ونظيره
وانزل لكم من الانعام وانزلنا الحديد وقيل انزلنا المطر لانه الذي
ينبت القطن والكتان ويقيم الحيوان الذي منها الاصواف والاوبار
والاشعار فهو مجاز من اطلاق المسبب على السبب ومثله لا يجدون
نكاحا اي مؤنته من مهر ونفقة وقيل هو انزال شي من اللباس
مع ادم وحوا ليكون مثالا لغيره يواري يستر سوآتكم التي
قصد الشيطان ابداها ويغنيكم عن خصف الورق قال الزمخشري
هذه الاية واردة على سبيل الاستطراد عقب ذكر بدو السوات
وخصف الورق اظهارا للمنة فيما خلق من اللباس ولما في العري
وكشف العورات من الخزيان والفضيحة واشعارا بان الستر
باب عظيم من ابواب التقوى وروي ان العرب كانوا يطوفون
بالبيت عراة ويقولون لا نطوف في ثياب عصينا الله تعالى فيها

فنزلت وريشا اي لباسا يتجملون به والريش الجمال وقيل المال ومنه تريش
الرجل اذا تمول ولباس التقوى قيل هو خشية الله وقيل الايمان وقيل
السمت الحسن وقيل لباس الحرب وعن معبد الجهني لباس التقوى الحيا
ابن عباس هو الحيا العمل الصالح ابن زيد هو ستر العورة وقيل اللباس
العلم والريش اليقين ورفعه بالابتدا وخبره ذلك خير او خبر
وذلك صفته وكانه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير وقرئ
ولباس بالنصب عطفا على وريشا ذلك اي انزال اللباس ذلك من ايات
الله الدالة على فضله ورحمته لعلهم يذكرون فيعرفون نعمته او
يتعظون فيتورعون عن القبايح وفيه التفات عن الخطاب يا بني
ادم لا يفتننكم الشيطان اي لا يمتحننكم ويضلنكم بان يمنعكم
دخول الجنة باغوايكم كما اخرج ابويكم من الجنة اي كما محن ابويكم
بان اخرجهما منها والنهي في اللفظ للشيطان والمعنى نهيهم عن اتباعه
والافتتان به ينزع عنهما لباسهما ليريهما سواتهما حال من ابويكم
او من فاعل اخرج واسناد النزع اليه للتسبب وهو فعل الله لان سببه
الاكل من الشجرة وسبب الاكل وسوسته ومقاسمته انه اي
الشيطان يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم للطافة اجسادهم
او عدم الوانهم وهو تعليل للنهي وتاكيد للتحذير من فتنته وقبيله
جنوده مجاهد يعني الجن والشياطين ابن زيد نسله قال بعض العلما
في هذا دليل على ان الجن لا يرون وقيل جاز ان يروا لان الله تعالى
اذا شا ان يروا كشف اجسامهم حتى ترى وقال النحاس في الاية ما
يدل على ان الجن لا يرون الا في وقت نبي ليكون ذلك دلالة على نبوته

لان

لان الله تعالى خلقهم لا يرون وانما يرون اذا نقلوا عن صورتهم وذلك
من المعجزات التي لا تكون الا في وقت الانبيا وقال القشيري اجرى الله
تعالى العادة ان بني ادم لا يرون الشياطين اليوم وفي الخبر ان
الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم وفي البخاري عن ابي هريرة قال
وكلني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة رمضان وفي اخره
انه اخذ الجني الذي كان ياخذ التمر وان النبي صلى الله عليه وسلم قال
له ما فعل اسيرك البارحة الخ فرؤيتهم لنا من حيث لا نراهم في الجملة
لا تقتضي امتناع رؤيتهم وتمثلهم لنا انا جعلنا الشياطين
اوليا اعوانا وقرنا للذين لا يومنون بما اوجدنا بينهم من التناسب او
بارسالهم عليهم وتمكينهم من خذلانهم زيادة في عقوبتهم وسوينا
بينهم في الذهاب عن الحق واذا فعلوا فاحشة اي فعلة متناهية
في القبح كعبادة الصنم وكشف العورة في الطواف قايلين لا نطوف
في ثياب عصينا الله فيها فنهوا عن ذلك قالوا وجدنا عليها اباءنا ۝
فاقتدينا بهم والله امرنا بها ايضا اعتذروا واحتجوا بامرين ۝
تقليد الابا والافترا على الله تعالى فاعرض عن الاول لظهور فساده
ورد الثاني بقوله قل ان الله لا يامر بالفحشا لان عادته
جرت على الامر بمحاسن الافعال والحث على مكارم الخصال ولا دلالة
فيه على ان قبح الفعل بمعنى ترتب الذم عليه اجلا عقلي فان المراد
بالفاحشة ما ينفر عنها الطبع السليم ويستنقصه العقل
المستقيم وقيل هما جوابا سوالين مترتبين كانه قيل لهم لما فعلوها
لم فعلتم فقالوا وجدنا عليها اباءنا فقيل ومن اين اخذ اباوكم

تعالى الله امرنا بها وعلى الوجهين تمنع التقليد اذا قام الدليل على
خلافه لا مطلقا اتقولون على الله ما لا تعلمون انه قال وهو
استفهام انكار يتضمن النهي عن الافترا على الله قل امر ربي بالقسط
اي بالعدل وهو الوسط من كل امر المتجافي عن طرفي الافراط والتفريط
وقال ابن عباس بالقسط لا اله الا الله وفي الكلام حذف اي فاطيعوه
واقيموا او معطوف على معنى بالقسط اي قال اقسطوا واقيموا وجوهكم
اي وتوجهوا الى عبادته مستقيمين غير عادلين الى غيرها او اقيموها
نحو القبلة عند كل مسجد اي في كل وقت سجود او مكانه وهو الصلاة
او في اي مسجد حضرتكم الصلاة وادعوه اي واعبدوه مخلصين
له الدين اي الطاعة فان اليه مصيركم كما بداكم اي كما انشاكم ابتدا
تعودون باعادته يوم القيمة فيجازيكم على اعمالكم وقيل كما بداكم
من التراب تعودون اليه او كما بداكم حفاة عراة عزلا تعودون
او كما بداكم مومنا وكافرا يعيدكم فريقا منكم هدى بان وفقهم
للايمان وفريقا حق عليهم الضلالة بمقتضى القضا السابق وانتصابه
بفعل يفسره ما بعده اي وخذل فريقا انهم اتخذوا الشياطين
اوليا من دون الله اي اطاعوهم وهو تعليل لخذلانهم ويحسبون
انهم مهتدون يدل على ان الكافر المخطي والمعاند سوا في استحقاق
الذم وللفارق ان يحمله على المقصر في النظر يا بني ادم خذوا
زينتكم اي ثيابكم لموارات عوراتكم عند كل مسجد لطواف
او صلاة وهو خطاب لجميع الناس وان كان المقصود بها من كان
يطوف بالبيت عريانا فان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب

وفي

وفي صحيح مسلم عن ابن عباس قال كانت المراة تطوف بالبيت عريانة
وتقول من يعيرني تطوافا تجعله على فرجها وتقول اليوم يبدو بعضه
او كله فما بدا منه فلا احله فنزلت هذه الاية خذوا زينتكم ومن
السنة ان ياخذ الرجل احسن هيئته للصلاة وفيه دليل على وجوب
ستر العورة في الصلاة والطواف وكلوا واشربوا ما طاب لكم روي
ان بني عامر في ايام حجهم كانوا لا ياكلون الطعام الا قوتا ولا
ياكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فهم المسلمون به فنزلت ولا
تسرفوا بتحريم الحلال او بالتعدي الى الحرام او بافراط الطعام
والشره عليه وعن ابن عباس كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطاتك
خصلتان سرف وقال علي بن الحسين جمع الله الطب
في نصف اية فقال كلوا واشربوا ولا تسرفوا في كثرة الاكل فعنه
تكون كثرة الشرب وذلك يثقل المعدة ويثبط الانسان عن خدمة
ربه والاخذ بحظه من نوافل الخير وقيل من السرف ان تاكل كل
ما اشتهيت وقيل هو الاكل بعد الشبع فان تعدى ذلك الى ما فوقه
مما يمنعه القيام بالواجب حرم وكان قد اسرف انه لا يحب
المسرفين اي لا يرتضي فعلهم قل لهم من حرم زينة الله من
الثياب وساير ما يتجمل به التي اخرج لعباده من النبات كالقطن
والكتان ومن الحيوان كالحرير والصوف ومن المعادن كالدروع روي
عن عمر رضي الله عنه قال اذا وسع الله عليكم فاوسعوا وعن علي
ابن الحسين بن علي كان يلبس كسا خز بخمسين دينارا في الشتا
فاذا كان الصيف تصدق به او باعه فتصدق بثمنه ويلبس في

المصنف ثوبين من متاع مصر ممشقين ويقول قل من حرم زينة الله
وقيل المعنى من اللباس في الطواف والطيبات من الرزق اي
المستلذات من الماكل والمشارب مما طاب كسبا وطعما ابن عباس الطيبات
ما حرم اهل الجاهلية من البحاير والسوايب وفي الاية دليل على ان
الاصل في المطاعم والملابس وانواع التجملات الاباحة لان الاستفهام
فيه للانكار قل هي للذين امنوا في الحياة الدنيا بالاصالة والكفرة
وان شاركوهم فيها فتبع خالصة خاصة بهم يوم القيمة لا يشاركهم
فيها غيرهم وانتصابها على الحال وقرى بالرفع على انها خبر بعد خبر
كذلك نفصل الايات لقوم يعلمون اي كتفصيلنا هذا الحكم
نفصل ساير الاحكام لهم وخصهم بالذكر لانهم المنتفعون قل
انما حرم ربي الفواحش ما تزايد قبحه وقيل ما يتعلق بالفروج
ما ظهر منها وما بطن جهرها وسرها والاثم اي وما يوجب الاثم
تعميم بعد تخصيص وقيل شرب الخمر والبغي الظلم وتجاوز الحد
فيه واخرج الاثم والبغي من الفواحش وهما منها لغلظهما وفحشهما
وكذا بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به اي باشراكه
سلطانا اي ما لم يدل عليه برهان وان تقولوا على الله ما لا تعلمون
بالالحاد في صفاته والافترا عليه كقولهم الله امرنا بها ولكل امة
اجل اي مدة او وقت لنزول العذاب بهم وهو وعيد لاهل مكة
فاذا جا اجلهم اي انقرضت مدتهم او حان وقتهم لا يستاخرون
عنه ساعة ولا يستقدمون عليه اي لا يتاخرون ولا يتقدمون
اقصر وقت او لا يطلبون التاخر والتقدم لشدة الهول وخصت

الساعة

الساعة بالذكر لانها اقل اسما الاوقات ودلت الاية على ان المقتول
مات باجله واجل الموت هو وقت الموت وانما قتل القاتل لتعديه
وتصرفه فيما ليس له ان يتصرف فيه لا لموته وخروج الروح اذ
ليس ذلك من فعله يا بني ادم اما فيه ادغام ان الشرطية في ما
المزيدة ياتينكم رسل منكم يقصون عليكم اياتي شرط ذكره
بحرف الشك للتنبيه على ان اتيان الرسل جايز غير واجب كما ظنه
اهل الاعتزال وضمت اليها ما لتاكيد معنى الشرط ولذلك اكد
فعلها بالنون وجوابه فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم
يحزنون في الاخرة والذين كذبوا باياتنا واستكبروا تكبروا
عنها اوليك اصحاب النار هم فيها خالدون والمعنى فمن اتقى
التكذيب واصلح عمله منكم والذين كذبوا باياتنا منكم وادخال
الفا في الخبر الاول دون الثاني للمبالغة في الوعد والمسامحة في
الوعيد فمن اي لا احد اظلم ممن افترى على الله كذبا بنسبة
الولد والشريك اليه او كذب باياته القران او من يقول على الله
ما لم يقل وكذب ما قاله اوليك ينالهم يصيبهم نصيبهم من
الكتاب اي حظهم مما كتب لهم من الارزاق والاجال وقيل الكتاب
اللوح المحفوظ اي مما اثبت لهم فيه ابن جبير من شقا وسعادة
وقيل من العذاب بقدر كفرهم حتى اذا جاتهم رسلنا الملايكة
يتوفونهم اي يتوفون ارواحهم وهو حال من الرسل وحتى ليست
غاية نيلهم بل هي التي يبتدا بعدها الكلام قالوا جواب اذا اينما
كنتم تدعون من دون الله اي اين الالهة التي كنتم تعبدونها

وهو سؤال توبيخ قالوا ضلوا عنا اي غابوا عنا وذهبوا فلم نرهم وشهدوا
على انفسهم عند الموت انهم كانوا كافرين اعترفوا بانهم كانوا ضالين
فيما كانوا عليه قال ادخلوا في امم اي قال الله لهم ذلك يوم القيمة
او احد من الملائكة قد خلت من قبلكم اي كائنين في جملة امم
مصاحبين لهم من الجن والانس يعني الامم الماضية من
النوعين في النار متعلق بادخلوا كلما دخلت امة النار لعنت اختها
التي ضلت بالاقتدا بها وهي اختها في الدين والملة حتى اذا اداركوا
فيها جميعا اي تداركوا وتلاحقوا في النار قالت اخراهم دخولا
او منزلة وهم الاتباع لاولاهم اي لاجل اولاهم اذ الخطاب مع
الله لا معهم ربنا هولاء اضلونا اي سولوا لنا الضلال فاقتدينا
بهم فاتهم عذابا ضعفا من النار لانهم ضلوا واضلوا قال
لكل منكم ومنهم ضعف اما القادة فبكفرهم وتضليلهم واما
الاتباع فبكفرهم وتقليدهم ولكن لا تعلمون بالتاء والياء ما لكم
او ما لكل فريق والضعف المثل الزائد على مثله مرة او مرات وعن
ابن مسعود ان الضعف هاهنا الافاعي والحيات وقالت اولاهم
لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل عطفوا كلامهم على جواب الله
لاخراهم ورتبوا عليه اي فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا وانا
واياكم متساوون في الضلال واستحقاق العذاب فذوقوا العذاب
بما كنتم تكسبون من قول القادة او من قول الفريقين
وقيل من قول الله تعالى ان الذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها
اي تكبروا عن الايمان بها لا تفتح لهم ابواب السما لادعيتهم

واعمالهم

واعمالهم او لارواحهم كما تفتح لاعمال المومنين وارواحهم لتتصل
بالملائكة وقد جاءت في ذلك اخبار صحاح منها حديث البراء بن عازب
وفيه في قبض روح الكافر قال ويخرج معها ريح كانتن جيفة
على وجه الارض فيصعدون بها فلا يمرون على ملا من الملائكة
الا قالوا ما هذه الريح الخبيثة فيقولون فلان بن فلان باقبح
اسمائه حتى ينتهوا بها الى السما فيستفتحون لها فلا يفتح لهم
ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفتح لهم ابواب السما
الاية بخلاف المومن فيفتح له وتصعد روحه الى السما السابعة
والتاء في تفتح لتانيث الابواب والتشديد لكثرتها وقرئ
بالتخفيف وبالياء لان التانيث غير حقيقي والفعل متقدم
ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط اي حتى يدخل
ما هو مثل الجمل في عظم الجرم وهو البعير فيما هو مثل سم الخياط
في ضيق المسلك وهو ثقبة الابرة وذلك مما لا يكون فكذا
ما توقف عليه وكذلك اي ومثل ذلك الجزا الفظيع نجزي المجرمين
بالكفر لهم من جهنم مهاد اي فراش ومن فوقهم غواش
اي اغطية والتنوين فيها بدل عن الاعلال عن اليا المحذوف عند
سيبويه والصرف عند غيره وكذلك نجزي الظالمين عبر
عنهم بالمجرمين تارة وبالظالمين اخرى اشعارا بانهم بتكذيبهم
الايات اتصفوا بهذه الاوصاف الذميمة وذكر الجرم مع الحرمان
من الجنة والظلم مع التعذيب بالنار تنبيها على انه اعظم الاجرام
والذين امنوا وعملوا الصالحات مبتدا وخبره اولئك لا نكلف

نفسا الا وسعها اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون على عادته سبحانه
في انه يشفع الوعد بالوعيد وقوله لا نكلف نفسا الا وسعها طاقتها من
العمل اعتراض بين المبتدا وخبره للترغيب في اكتساب النعيم المقيم مما
يسعه طاقتهم ويسهل عليهم ونزعنا ما في صدورهم من غل اي نخرج من
قلوبهم اسباب الغل او نطهرها منه حتى لا يكون بينهم الا التواد وعن
علي رضي الله عنه اني لارجوا ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم
والغل الحقد الكامن في الصدر اي اذهبنا في الجنة ما كان في قلوبهم
من الغل في الدنيا فلا يحسد بعضهم بعضا في تفاضل منازلهم وقيل
ان ذلك يكون عند شراب الجنة تجري من تحتهم الانهار اي من تحت
قصورهم زيادة في لذتهم وسرورهم وقالوا عند استقرارهم
في منازلهم الحمد لله الذي هدانا لهذا اي لعمل جزاوه هذا وما كنا
لنهتدي لولا ان هدانا الله اي لولا هداية الله وتوفيقه واللام
لتوكيد النفي وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله وقري ما كنا بغير واو
على انها مبينة للاولى لقد جات رسل ربنا بالحق فاهتدينا بارشادهم
يقولون ذلك اغتباطا وتبجحا بان ما علموه يقينا في الدنيا صار لهم عين
اليقين في الاخرة ونودوا ان تلكموا الجنة اذا راوها من بعيد او بعد
دخولها اي هذه تلكم التي وعدتم بها اورثتموها بما كنتم تعملون
اي اعطيتموها بسبب اعمالكم اي اورثتم منازلها بعملكم واما دخول
الجنة فبرحمة الله وفضله وبالجملة فالجنة ومنازلها لا تنال الا
برحمة الله فاذا دخلوها باعمالهم فقد ورثوها برحمته اذ اعمالهم
رحمة منه وتفضل عليهم وهو حال من الجنة والعامل فيها معنى ۝

الاشارة

الاشارة وان هي المخففة او المفسرة لان المناداة من القول ونادى
اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا من الثواب
حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم من العذاب حقا انما قالوه تبجحا
بحالهم وشماتة باصحاب النار وتحسرا لهم وانما لم يقل ما وعدكم كما قال
ما وعدنا لان ما ساءهم من الموعود لم يكن باسره مخصوصا وعدا بهم
كالبعث والحساب ونعيم اهل الجنة قالوا نعم وقري بكسر العين
وهما لغتان فاذن موذن نادى مناد قيل هو صاحب الصور بينهم
اي بين الفريقين اسمعهم ان لعنة الله على الظالمين وقري بتشديد
ان والنصب وبالتخفيف والرفع فيجوز ان تكون مخففة وان تكون
مفسرة لان التاذين من القول الذين يصدون الناس عن سبيل
الله دينه صفة للظالمين او مرفوع او منصوب على الذم ويبغونها
يطلبون السبيل عوجا اي زيغا وميلا عما هو عليه والعوج بالكسر في
المعاني والاعيان ما لم تكن منتصبة وبالفتح في المنتصبة كالحائط
والرمح وهم بالاخرة كافرون اي كانوا بها كافرين وبينهما حجاب
حاجز اي بين الفريقين كما قال تعالى فضرب بينهم بسور او بين
الجنة والنار وعلى الاعراف اي وعلى اعراف الحجاب اي اعاليه وهو
السور المضروب بينهما جمع عرف مستعار من عرف الفرس وقيل
العرف ما ارتفع من الشي فانه يكون بظهوره اعرف من غيره وقيل هو
سور الجنة رجال اي طايفة من الموحدين قصروا في العمل فيحبسون
بين الجنة والنار حتى يقضي الله فيهم ما يشا وقيل قوم علت درجاتهم
كالانبيا والشهدا او خيار المومنين وعلماوهم او ملايكة يرون

في صورة الرجال وقال ابن عباس هم قوم استوت حسناتهم وسياتهم
وبه قال ابن مسعود وحذيفة بن اليمان وابن جبير وغيرهم وقيل
هم فضلا المومنين والشهدا فرغوا من شغل انفسهم وتفرغوا
لمطالعة حال الناس فاذا راوا اصحاب النار تعوذوا بالله ان يردوا
الى النار فان في قدرة الله كل شي واذا راوا اهل الجنة وهم لم يدخلوها
بعد يرجون لهم دخولها وقيل هم المستشهدون في سبيل الله
الذين خرجوا عصاة لاباىهم وفيه حديث قد تعادل عقوقهم
واستشهادهم وذكر الثعلبي عن ابن عباس قال الاعراف موضع عال على
الصراط عليه العباس وحمزة وعلي بن ابي طالب وجعفر يعرفون
محبيهم ببياض الوجوه ومبغضيهم بسواد الوجوه وحكى الزهري
انهم عدول القيمة الذين يشهدون على الناس باعمالهم وهم
في كل امة واختار النحاس وقال هم على السور بين الجنة والنار
وقيل غير ذلك يعرفون كلا بسيماهم اي بعلامتهم وهي بياض
الوجوه وحسنها في اهل الجنة وسوادها وقبحها في اهل النار اذ موضعهم
عال وعن ابن عباس الاعراف شرف الصراط وقيل هو جبل احد يوضع
هناك وفيه حديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان احد
جبل يحبنا ونحبه وانه يوم القيمة يمثل بين الجنة والنار يحبس
عليه اقوام يعرفون كلا بسيماهم هم ان شا الله من اهل الجنة وفي
حديث اخر ان احدا ركن من اركان الجنة ونادوا اصحاب الجنة
اي نادى اصحاب الاعراف اصحاب الجنة ان سلام عليكم اي قالوا لهم
اذا راوهم سلام عليكم وقيل المعنى سلمتم من العقوبة قال

دس

الله تعالى لم يدخلوها وهم يطمعون في دخولها اي لم يدخل الجنة اصحاب
الاعرافبعد وهم يطمعون على هذا التاويل بمعنى وهم يعلمون
انهم يدخلونها وذلك معروف في اللغة ان يكون طمع بمعنى علم
وهذا قول ابن عباس وغيره ان المراد اصحاب الاعراف قال الحسن لم
يطمعهم الا الكرامة وقال ابو مجلز هم اهل الجنة قال لهم اصحاب
الاعراف سلام عليكم واهل الجنة لم يدخلوا الجنة بعد وهم يطمعون
في دخولها للمومنين المارين على اصحاب الاعراف طامعين في دخولها
فلا يوقف على لم يدخلوها واذا صرفت ابصارهم اي اصحاب الاعراف
تلقا اي جهة اللقا وهي جهة المقابلة اصحاب النار قالوا اي قال
اصحاب الاعراف نعوذ بالله ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين
سالوا الله ان لا يجعلهم معهم في النار ونادى اصحاب الاعراف
رجالا يعرفونهم بسيماهم اي من اهل النار روسا الكفر قالوا
ما اغنى عنكم من النار جمعكم اي للدنيا من المال او كثرتكم وما
كنتم تستكبرون اي واستكباركم عن الايمان اهولا الذين اشارة
الى قوم من المومنين الفقرا كبلال وسلمان وخباب وغيرهم اقسمتم
في الدنيا لا ينالهم الله برحمة في الاخرة يعني يوبخونهم
بذلك ويزيدوا غما وحسرة بان قالوا لهم ادخلوا الجنة دلت
الاية على ان اصحاب الاعراف ملايكة او انبيا فان قولهم ذلك
اخبار عن الله عز وجل ومن جعل اصحاب الاعراف المذنبين كان اخر
قولهم لاصحاب النار وما كنتم تستكبرون ويكون اهولا الذين
الى اخر الاية من قول الله تعالى لاهل النار توبيخا لهم على ما كان

من قولهم في الدنيا روي عن ابن عباس والاول عن الحسن وقيل هو من
كلام الملايكة الموكلين باصحاب الاعراف فان اهل النار يحلفون ان اصحاب
الاعراف يدخلون معهم النار فتقول الملايكة لاصحاب الاعراف ادخلوا
الجنة **لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون ونادى اصحاب النار اصحاب**
الجنة ان افيضوا علينا من الما اي صبوه وهو دليل على ان الجنة
فوق النار **او مما رزقكم الله** اي من الاشربة ليلايم الاضافة او
من الطعام كقوله علفتها تبنا وما باردا قيل اذا دخل اهل الاعراف
الجنة طمع اهل النار فقالوا يا ربنا ان لنا قرابات في الجنة فاذن لنا
حتى نراهم ونكلمهم واهل الجنة لا يعرفونهم لسواد وجوههم فيقولون
افيضوا علينا من الما او مما رزقكم الله **قالوا ان الله حرمهما على**
الكافرين اي منعهم طعام الجنة وشرابها وقيل الاضافة التوسعة
الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا الذين في موضع خفض نعت للكافرين
وقد يكون رفعا ونصبا باضمار اعني قيل هو من قول اهل الجنة **وغرتهم**
الحيوة الدنيا فاليوم ننساهم اي نتركهم في النار **كما نسوا لقاء**
يومهم هذا اي تركوا العمل له وكذا اتوا به وما مصدرية اي كنسيهم
وما كانوا باياتنا يجحدون عطف عليه اي وجحدهم **ولقد جيناهم**
اي اهل مكة **بكتاب** يعني القران **فصلناه** اي بيناه حتى يعرفه من
تدبره وقيل انزلناه متفرقا **على علم** منا به لم يقع فيه سهو ولا
غلط وقيل على علم بما يصلحكم **هدى ورحمة** اي هو هدى ورحمة
او حال من الها ويجوز بالخفض بدل من كتاب **لقوم يؤمنون** خصهم
بالذكر لانهم المنتفعون به **هل ينظرون الا تاويله** اي ما يوول اليه

والمعنى

والمعنى ما ينتظرون الا عاقبة ما وعدوا به في القران من العقاب
والحساب وقال مجاهد تاويله جزاؤه اي جزا تكذيبهم بالكتاب
يوم ياتي تاويله اي تبدو عاقبته يوم القيمة ويوم نصب
بيقول اي **يقول الذين نسوه** تركوه **من قبل** اي من قبل يوم ياتي
تاويله **قد جاءت رسل ربنا بالحق** اي تبين انهم جاوا بالحق
فهل لنا من شفعا استفهام فيه معنى التمني **فيشفعوا لنا** اليوم
ونصب لانه جواب الاستفهام **او نرد** الى الدنيا قال الفرا
او هل نرد **فنعمل غير الذي كنا نعمل** فنوحد الله ونترك الشرك
فيقال لهم لا وقال الزجاج نرد عطف على المعنى اي هل يشفع
لنا احد او نرد قال تعالى **قد خسروا انفسهم** اي لم ينتفعوا بها وكل
من لم ينتفع بنفسه فقد خسرها وقيل خسروا النعم وحظ انفسهم
منها **وضل عنهم** اي بطل **ما كانوا يفترون** اي يقولون ان مع الله
الها اخر **ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة**
ايام اصل ستة سدسة ابدل من احدى السينين تا وادغم في الدال
واليوم من طلوع الشمس الى غروبها فان لم يكن شمس فلا يوم قاله
القشيري قال ومعنى في ستة ايام اي من ايام الاخرة كل يوم الف
سنة وقيل من ايام الدنيا اي في قدرها لانه لم يكن شمس وقال
مجاهد وغيره اولها الاحد واخرها الجمعة وذكر هذه المدة ولو اراد
خلقها في لحظة لفعل اذ هو قادر ولكنه اراد ان يعلم عباده الرفق
والتثبت في الامور وليظهر قدرته للملايكة شيا بعد شي وهذا
عند من يقول خلق الملايكة قبل خلق السموات والارض وحكمة

اخرى خلقها في ستة ايام ليبين بهذا ترك معاجلة العصاة بالعقاب
لان لكل شئ عنده اجلا كما قال ولقد خلقنا السموات والارض
وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب فاصبر على ما يقولون
بعد قوله وكم اهلكنا قبلهم من قرن الاية **ثم استوى على العرش**
هذه مسئلة الاستوا وللعلما فيها اقوال والاكثر من المتقدمين
والمتاخرين انه سبحانه اذا اوجب تنزيهه عن التحيز فمن ضرورة
ذلك ولواحقه اللازمة عليه عند عامة العلما المتقدمين وقادتهم
من المتاخرين تنزيهه سبحانه وتعالى عن الجهة فليس بجهة فوق
عندهم لانه يلزم من ذلك عندهم متى اختص بجهة ان يكون في مكانه
او حيز ويلزم على المكان والحيز الحركة والسكون للمتحيز والتغير
والحدوث هذا قول المتكلمين وقد كان السلف لا يقولون شيئا
في الجهة ولا ينطقون بذلك بل نطقوا هم والكافة باثباتها لله تعالى
كما نطق كتابه واخبرت رسله ولم ينكر احد من السلف الصالح انه
استوى على عرشه حقيقة وخص العرش بذلك لانه اعظم مخلوقاته
وانما جهلوا كيفية الاستوا فانه لا تعلم حقيقته كما قال مالك
الاستوا معلوم يعني في اللغة والكيف مجهول والسوال عن هذا
بدعة وكذا قالت ام سلمة والاستوا في كلام العرب العلو والاستقرار
قال الجوهري واستوى من اعوجاج واستوى على ظهر دابته اي استقر
واستوى الى السما اي قصد واستوى استولى واستوى الرجل انتهى
شبابه واستوى الشئ اعتدل وحكى عمر بن عبد العزيز عن ابي عبيدة
في قوله تعالى الرحمن على العرش استوى قال علا فعلوا الله تعالى

وارتفاع

وارتفاعه عبارة عن علو مجده وصفاته وملكوته اي ليس فوقه فيما
يجب له من معاني الجلال احد ولا معه من يكون العلو مشتركا بينه
وبينه لكنه العلي بالاطلاق سبحانه والعرش جسم محيط بسائر
الاجسام سمي به لارتفاعه وهو لفظ مشترك فيطلق على سرير
الملك وفي التنزيل ولها عرش عظيم ورفع ابويه على العرش والعرش
سقف البيت وعرش السماك اربعة كواكب صغار اسفل من العوا
يقال انها عجز الاسد والعرش اسم الملك والعرش الملك والسلطان
وقد تاول العرش في الاية بمعنى الملك اي ما استوى الملك الا له قاله
الزمخشري في التورية لا ترى بابا في البيان ادق ولا الطف من
التورية ولا انفع ولا اعون على تعاطي تاويل المتشابهات في كلام
الله ورسوله قال ومن امثلتها هذه الاية فان الاستوا على معنيين
الاستقرار في المكان وهو المعنى القريب المورى به الذي هو غير مقصود
لتنزيهه تعالى عنه والثاني الاستيلا والملك وهو المعنى البعيد
المقصود الذي ورى عنه بالقريب المذكور انتهى ومن العلما من قال
ان الاستوا على العرش صفة لله تعالى بلا كيف **يغشي الليل النهار**
اي يجعله كالغشا اي يذهب نور النهار ليتم قوام الحياة في الدنيا
بمجي الليل فالليل للسكون والنهار للمعاش وقرئ يغشي بالتشديد
وفيه معنى التكرير والتغشية والاغشا الباس الشئ الشئ ولم
يذكر في هذه الاية دخول النهار على الليل فاكتفى باحدهما عن الاخر
مثل سرابيل تقيكم الحر يعني البرد **يطلبه حثيثا** اي يطلب كل
منهما الاخر طلبا من غير فتور ويغشي الليل النهار في موضع نصب

على الحال والتقدير استوى على العرش مغشيا الليل النهار وكذا يطلبه
حالا من الليل اي يغشى الليل النهار طالبا له ويحتمل ان تكون الجملة
مستانفة حثيثا بدل من طالب المقدر او نعت له او نعت لمصدر
محذوف اي يطلبه طلبا سريعا **والشمس والقمر والنجوم مسخرات** مذللات
بامره اي بقضايه قرئ برفعها ومسخرات خبر وقرئ بنصبها على تقدير
خلق وينصب مسخرات على الحال او باضمار جعل فيكون مسخرات مفعولا
به **الا له الخلق والامر** صدق الله في خبره فله الخلق وله الامر
خلقهم وامرهم بما احب وهذا الامر يقتضي النهي وعن ابن عيينة
فرق بين الخلق والامر فمن جمع بينهما فقد كفر فالخلق المخلوق والامر
كلامه الذي هو غير مخلوق وهو قوله كن والامر ليس من الارادة في
شيء بل يامر بما لا يريد وينهى عما يريد **تبارك الله** تبارك تفاعل
من البركة وهو الكثرة والاتساع وقال الزهري تعالى وتعاظم
وارتفع وهو فعل لا يستعمل الا بلفظ الماضي ولا يستعمل الا لله
رب مالك **العالمين ادعوا ربكم تضرعا** تذللا **وخفية**
قرن سبحانه وتعالى بالامر صفات تحسن معه وهي الخشوع والاستكانة
والتضرع ومعنى خفية اي سرا في النفس ليبعد عن الريا وفي
الحديث خير الذكر الخفي وخير الرزق ما يكفي **انه لا يحب المعتدين**
اي في الدعا وان كان اللفظ عاما والمعتدي هو المجاوز للحد ومرتكب
الحظر وفي الحديث سيكون قوم يعتدون في الدعا اخرجه ابن ماجه
والاعتدا في الدعا على وجوه منها الجهر الكثير والصياح ومنها ان
يدعو الانسان في ان يكون له منزلة نبي او يدعو في محال او يدعو

طالبا

طالبا معصية وغير ذلك ومنها ان يدعو بما ليس في الكتاب والسنة
فيتخير الفاظا مفقرة وكلمات مسجعة قد وجدها في كراريس
لا اصل لها ولا معول عليها فيجعلها شعاره ويترك ما دعا به رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكل هذا يمنع من استجابة الدعا **ولا تفسدوا**
في الارض بعد اصلاحها هو نهي عن كل فساد قل او كثر بعد صلاح
قل او كثر فهو على العموم وقال الضحاك معناه لا تغوروا الما المعين
ولا تقطعوا الشجر المثمر ضرارا وقد ورد ان قطع الدنانير من
الفساد وتجارة الحكام من الفساد في الارض وقال القشيري المعنى
ولا تشركوا فهو نهي عن الشرك وسفك الدما والهرج في الارض
وامر بلزوم الشرايع بعد اصلاحها بعد ان اصلحها الله ببعثة
الرسل وتقرير الشرايع ووضوح ملة محمد صلى الله عليه وسلم
وادعوه خوفا وطمعا امر بان يكون الانسان في حالة ترقب
وتخوف وتاميل لله عز وجل حتى يكون الرجا والخوف للانسان
كالجناحين للطاير يحملانه في طريق استقامته وان انفرد احدهما
هلك الانسان فيدعو الانسان خوفا من عقابه وطمعا في ثوابه
والخوف الانزعاج لما لا يومن من المضار والطمع توقع المحبوب قاله
القشيري قال بعض اهل العلم ينبغي ان يغلب الخوف الرجا طول
الحياة فاذا جا الموت غلب الرجا **ان رحمت الله قريب من المحسنين**
المطيعين ولم يقل قريبة لوجوه منها ان الرحمة والرحم واحد
وهي بمعنى العفو والغفران قاله الزجاج واختاره النحاس وقريب
منه قول النضر ان الرحمة مصدر وحق المصدر التذكير كقوله فمن

جاه موعظة اي وعظ وقيل المراد بالرحمة الاحسان لان ما لا يكون
تانيثه حقيقيا جاز تذكيره ذكره الجوهري وقيل ذكرها لاضافتها
الى الله تعالى وقيل الرحمة هنا المطر قاله الاخفش وقيل ذكر على
النسب كانه قال ان رحمة الله ذات قرب كما تقول امراة طالق
وحايض وقال الفرا اذا كان القريب في معنى المسافة يذكر ويونث
واذا كان في معنى النسب يونث بلا اختلاف تقول هذه المراة قريبتي
اي ذات قرابتي ذكره الجوهري وذكر غيره عن الفرا يقال في النسب
قريبة فلان وفي غير النسب يجوز التذكير والتانيث يقال
دارك منا قريب وفلانة منا قريب قال الله تعالى وما يدريك لعل
الساعة تكون قريبا وحقيقة الاحسان ان تعبد الله كانك
تراه فان لم تكن تراه فانه يراك كما فسره النبي صلى الله عليه وسلم
في حديث جبريل وهو الذي يرسل الرياح عطف على قوله يغشي
الليل النهار نشرا قرئ نشرا بضم النون والشين جمع ناشر على
معنى النسب اي ذات نشر ويجوز ان تكون جمع نشور كرسول ورسل
يقال ريح نشور اذا اتت من ها هنا وها هنا والنشور بمعنى
المنشور كالركوب بمعنى المركوب وقرئ نشرا بفتح النون واسكان
الشين على المصدر اعمل فيه معنى ما قبله كانه قال وهو الذي ينشر الرياح
نشرا فكانها كانت مطوية فتنشر عند الهبوب وقرئ بشرا بالباء
واسكان الشين جمع بشير اي الرياح تبشر بالمطر بين يدي
رحمته قدام المطر حتى اذا اقلت سحابا ثقالا السحاب يذكر
ويونث وكذا كل جمع بينه وبين واحده ها ويجوز نعته بواحد

فتقول

فتقول سحاب ثقيل وثقيلة والمعنى حملت الريح سحابا ثقالا بالماء
اي استقلت بحمله سقناه اي السحاب وفيه التفات عن الغيبة
لبلد ميت ليس فيه نبات اي لاحيائه يقال سقته لبلد كذا
والى بلد كذا وقيل لاجل بلد ميت والبلد والبلدة والبلد واحد البلاد
والبلدان فانزلنا به الما اي بالبلد وقيل انزلنا بالسحاب الما
لان السحاب آلة لانزال الما ويحتمل ان يكون المعنى فانزلنا منه
الما كقوله عينا يشرب بها عباد الله فانزلنا به الما اي بالبلد وقيل
انزلنا بالسحاب الما لان السحاب آلة فاخرجنا به بالما من كل الثمرات
من كل انواعها كذلك اي مثل ذلك الاخراج نخرج الموتى من
الاجداث ونحييها وقيل وجه التشبيه ان احياهم يكون بمطر
يبعثه الله على قبورهم فتنشق عنهم ثم تعود اليهم ارواحهم
لعلكم تذكرون فتومنون والبلد الطيب اي العذب التراب
يخرج نباته حسنا باذن ربه بمشيئته وتيسيره والذي
خبث ترابه قال الحسن الذي في تربته حجارة او شوك
لا يخرج الا نكدا عسرا بمشقة شبه الله تعالى السريع الفهم
بالبلد الطيب والبليد بالذي خبث وقيل هو مثل للقلوب
فقلب يقبل الوعظ وقلب ينبو عنه قتادة هذا مثل المومن
والمنافق مجاهد يعني في بني ادم الطيب والخبيث ونصب نكدا
على الحال كذلك اي كما صرفنا من الايات وهي الحجج والدلالات
في ابطال الشرك نصرف الايات في كل ما يحتاج اليه الناس
لقوم يشكرون الله فيومنون خصهم بالذكر لانهم المنتفعون

لقد جواب قسم محذوف ارسلنا نوحا الى قومه نوح اول رسول ﷺ
الى الارض بعد ادم وارسل بتحريم البنات والاخوات والعمات
والخالات ابن عباس بعث نوح ابن اربعين سنة وقال وهب ابن
خمسين وقيل ابن ثلثمائة وخمسين قاله الكلبي وهو بعد ادم
بثمانمائة سنة وبقي في قومه يدعوهم الف سنة الا خمسين
عاما وعاش بعد الطوفان ستين سنة حتى كثر الناس وفشوا الزهري
وان العرب وفارس والروم واهل الشام واليمن من ولد سام بن
نوح والهند والسند والزنج والحبشة والزط والنوبة وكل اسود
من ولد حام والترك والبربر والصين ويأجوج ومأجوج والصقالبة
من ولد يافث والخلق كلهم من ذرية نوح فقال يا قوم الفاء الدالة
على التعقيب اعبدوا الله وحده بالعبادة ما لكم من اله غيره
بالجر صفة لاله والرفع بدل من محله اني اخاف عليكم ان عبدتم
غيره عذاب يوم عظيم هو يوم القيامة قال الملأ الاشراف
والرؤساء من قومه انا لنراك في دعائك الى اله واحد في ضلال
عن الحق مبين بين قال يا قوم ليس بي ضلالة هي اعم من الضلال
فنفيها اعم من نفيه ولكني رسول من رب العالمين ابلغكم
بالتشديد من التبليغ والتخفيف من الابلاغ وهما قيل بمعنى واحد
رسالات ربي وانصح لكم اريد لكم الخير والنصح اخلاص النية
من شوائب الفساد في المعاملة بخلاف الغش يقال نصحته
ونصحت له وهو باللام افصح واعلم من الله ما لا تعلمون اي اعلم
انه يعفو لمن تاب ويعاقب من اصر او عجبتم فتحت الواو لانها

واو

واو عطف دخلت عليها الف الاستفهام للتقريع وسبيل الواوات تدخل
على حروف الاستفهام الا الالف لقوتها والمعنى اكذبتم وعجبتم
ان جاءكم ذكر اي وعظ او رسالة من ربكم على لسان رجل منكم
وقيل على بمعنى مع وقيل المعنى ان جاءكم ذكر من ربكم منزل على رجل
منكم تعرفون نسبه او من جنسكم فلو كان ملكا فربما كان في
اختلاف الجنس تنافر الطبع لينذركم العذاب ان لم تؤمنوا
ولتتقوا الله ولعلكم ترحمون بها فكذبوه فانجيناه والذين
امنوا معه من الغرق في الفلك السفينة واغرقنا الذين
كذبوا بآياتنا بالطوفان انهم كانوا قوما عمين قتادة عميت قلوبهم
عن الحق وقيل عن معرفة الله وقدرته والى عاد اي وارسلنا الى
عاد اخاهم هودا ابن عباس ابن ابيهم وقيل اخاهم في القبيلة
وقيل من بني ادم قال ابن اسحاق هو عاد بن عوص بن ارم بن شالخ
ابن ارفخشد بن سام بن نوح وهود بن عبد الله بن رباح بن
الجلود بن عاد بعثه الله الى عاد نبيا وكان من اوسطهم نسبا
وافضلهم حسبا ومن لم يصرف عادا جعله اسما للقبيلة ومن صرفه
جعله اسما للحي وهود اسم اعجمي صرف لخفته لانه على ثلاثة احرف
وانتصب على البدل وكان بينه وبين نوح سبعة ابا وكانت عاد
فيما روي ثلاثة عشر قبيلة ينزلون الرمال رمل عالج وكانوا اهل
بساتين وزرع وعمارة وكانت بلادهم اخصب البلاد فسخط الله
عليهم فجعلها مفاوز وكانوا يعبدون الاصنام ولحق هود ومن امن
معه بعد هلاك قومه بمكة واقاموا حتى ماتوا وعاد هي عاد الاولى

قال يا قوم اعبدوا الله وحده ما لكم من اله غيره افلا تتقون تخافونه فتؤمنون قال الملا الذين كفروا من قومه انا لنراك في سفاهة اي في حمق وخفة وعقل اوجهالة والروية هنا وفيما قبلها من روية البصر ويجوز ان يراد بها المراى الذي هو غلبة الظن وانا لنظنك من الكاذبين في رسالتك قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربي وانا لكم ناصح امين مامون على الرسالة وفي اجابة الانبيا الكفرة الحمقى بما اجابوا ۝ والاعراض عن مقابلتهم كمال النصح والشفقة وهضم النفس وحسن المجادلة وهكذا ينبغي لكل ناصح وفي قوله وانا لكم ناصح امين تنبيه على انهم عرفوه بالامرين اوعجبتم ان جاكم اي من ان جاكم ذكر من ربكم على لسان رجل منكم لينذركم واذكروا اذ جعلكم خلفا في الارض من بعد قوم نوح خلفا جمع خليفة وزادكم في الخلق بسطة قوة وطولا وعظما في الجسم ابن عباس كان طويلهم مايه ذراع وقصيرهم ستون وقال وهب كان راس احدهم مثل قبة عظيمة وكان عين الرجل ومناخيره يفرخ فيها السباع وعزا نبي موسى ان الرجل من قوم عاد ليتخذ المصراعين من حجارة لو اجتمع عليه خمسماية من هذه الامة لم يطيقوه وان احدهم ليغمز بقدمه الارض فيدخل فيها فاذكروا الا الله انعمه لعلكم تفلحون تفوزون قالوا اجيتنا لنعبد الله وحده ونذر نترك ما كان يعبد اباونا من عبادة الاصنام فاتنا بما تعدنا به من العذاب ان كنت من الصادقين في قولك قال لهم قد وقع اي وجب

عليكم من ربكم رجس عذاب وغضب وقيل الرجس الرين على القلب بزيادة الكفر اتجادلونني في اسما سميتموها اي سميتم بها انتم واباوكم اصناما تعبدونها وكان لها اسما مختلفة ما نزل الله بها اي بعبادتها من سلطان اي من حجة وبرهان والاسم هنا المسمى وهذه الاسما مثل العزى واللات فانتظروا العذاب اني معكم من المنتظرين ذلك بتكذيبهم لي فارسلت عليهم الريح العقيم فانجيناه والذين معه من المومنين برحمة منا وقطعنا دابر اي اخر الذين كذبوا باياتنا فلم يبق لهم بقية وما كانوا مومنين عطف على كذبوا والى ثمود اي وارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا وثمود هو ابن عاد بن ارم بن سام بن نوح وكانوا في سعة من معايشهم فعبدوا غير الله وافسدوا في الارض فبعث الله اليهم صالحا وهو صالح بن عبيد بن اسف بن عبيد بن حاذر بن ثمود وكان من اوسطهم نسبا وافضلهم حسبا فدعاهم الى الله حتى شمط ولم يتبعه منهم الا قليل مستضعفون وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام ولم يصرف ثمود لانه جعله اسما للقبيلة وسميت ثمود لقلة مايها قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاتكم بينة من ربكم اي معجزة على صدقي هذه ناقة الله لكم اية حال عاملها معنى الاشارة وكان قد اخرج لهم ناقة حين سالوه من حجر صلد وكان لها يوم تشرب فيه ما الوادي كله وتسقيهم مثله لبنا لم يشرب قط لبنا الذ منه وامتنعت الناقة

الى الله على جهة اضافة المخلوق الى الخالق وفيه معنى التشريف
والتخصيص فذروها تاكل في ارض الله العشب ليس عليكم
رزقها ومونتها ولا تمسوها بسوء بعقر او ضرب وهي عن المس
الذي هو مقدمة الاصابة فياخذكم عذاب اليم جواب النهي واذكروا
اذ جعلكم خلفا في الارض من بعد عاد وبواكم اسكنكم في الارض
فيه حذف اي بواكم منازل تتخذون من سهولها السهل ضد الحزن
قصورا تسكنونها في الصيف والقصر ما شيد وعلا وتنحتون
الجبال بيوتا تسكنونها في الشتا ونصبه على الحال المقدرة وانما
اتخذوا البيوت في الجبال لطول اعمارهم فان السقوف والبيوت
تفنى قبل فنا اعمارهم فاذكروا الا الله نعمه ولا تعثوا في الارض
مفسدين قال الملا الاشراف الذين استكبروا من قومه تكبروا
عن الايمان به للذين استضعفوا لمن امن منهم اي من قومه وهو
بدل مما قبله باعادة الجار اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه اليكم
الاستفهام للانكار قالوا نعم انا بما ارسل به مومنون وقيل
عدلوا عن الجواب بنعم تنبيها على ان ارساله اظهر من ان يشك فيه
عاقل ويخفى على ذي راي وانما الكلام فيمن امن به ومن كفر قال
الذين استكبروا انا بالذي امنتم به كافرون فعقروا الناقة
لما ملوا شربها لمايهم والعقر الجرح وقيل قطع عضو يوثر في النفس
قال القشيري العقر كشف عرقوب البعير وعاقر الناقة قدار
ابن سالف واضيف العقر اليهم لانه بامرهم ورضاهم وعتوا عن
امر ربهم اي استكبروا وقالوا يا صالح ايتنا بما تعدنا من

العذاب

العذاب على قتلها ان كنت من المرسلين فاخذتهم الرجفة اي الزلزلة
الشديدة او الصيحة الشديدة التي خلعت قلوبهم كما قال في قصتهم
في سورة هود فاخذتهم الصيحة واصل الرجفة حركة مع صوت
وقيل الرجفة من الارض والصيحة من السما فاصبحوا في دارهم
جاثمين باركين على الركب لاصقين بالارض ميتين فتولى صالح
اي اعرض عنهم عند الياس منهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم
رسالة ربي ونصحت لكم قيل انه قاله قبل موتهم وقيل بعده وقد
وقع مثله لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم في قتلى بدر من المشركين
والاول اظهر يدل عليه ولكن لا تحبون الناصحين اي لم تقبلوا
نصحي ولوطا منصوب اما بارسلنا فهو معطوف او باذكر ويبدل منه
اذ قال لقومه وهو اسم اعجمي مصروف لخفته بعثه الله الى امة تسمى
سدوم وكان ابن اخي ابراهيم اتاتون الفاحشة ادبار الرجال
ذكرها الله باسم الفاحشة لانها زنا كما قال تعالى ولا تقربوا الزنا
انه كان فاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين الانس والجن
ولم يكن اللواط في امة قبل قوم لوط وحكى النقاش ان ابليس كان
اصل عملهم بان دعاهم الى نفسه ثم كان ينكح بعضهم بعضا وقال الحسن
كانوا يفعلون ذلك بالغربا وقال ابن سيرين ليس شي في الدواب من
يعمل عمل قوم لوط الا الخنزير والحمار اانكم بتحقيق الهمزتين وتسهيل
الثانية وادخال الف بينهما على الوجهين وقرى بهمزة واحدة مكسورة
على الخبر تفسيرا للفاحشة فلم يحسن الاستفهام عليه لانه يقطع
ما بعده بما قبله لتاتون الرجال شهوة من دون النسا اي

تشتهونهم شهوة ويجوز ان يكون مصدرًا في موضع الحال بل انتم قوم مسرفون
متجاوزون الحلال الى الحرام ونظيره بل انتم قوم عادون في جمعكم
الى الشرك هذه الفاحشة فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم
من قريتكم اي لوطا واتباعه انهم اناس يتطهرون من ادبار الرجال
يقال تطهر اي تنزه عن الاثم قال قتادة والله عابوهم بغير عيب
فانجيناه واهله الا امراته كانت من الغابرين الباقين في العذاب
قال ابن عباس وغيره ويقال غبر الشيء اذا مضى وغبر اذا بقي فهو من
الاضداد الزجاج من الغابرين من الغائبين عن النجاة والاصل من
الغابرات فغلبت من المذكر بحكم التغليب وامطرنا عليهم مطرا اي نوعا
عجيبا من المطر وهو مبين بقوله فامطرنا عليهم حجارة من سجيل وفي القصة
ان لوطا سرى باهله كما وصف الله بقطع من الليل ثم امر الله تعالى
جبريل فادخل جناحه تحت مدائنهم فاقتلعها ورفعها حتى سمع اهل
السما صياح الديكة ونباح الكلاب ثم جعل عاليها سافلها وامطرت
عليهم حجارة من سجيل وكانت فيما ذكر اربع قرى وقيل خمس فيها
اربعمائة الف اهلكوا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين والى مدين
اي وارسلنا الى مدين اخاهم شعيبا مدين اسم بلد وقيل قبيلة
قيل وهم من ولد مدين بن ابراهيم الخليل ولم يصرف مدين لانه معرفة
اعجمي وكذلك ان كان اسما لقبيلة وشعيب بن ميكيل بن يشجر بن مدين
ابن ابراهيم قتادة هو شعيب بن ثويب وقيل ابن صفوان وقيل غير
ذلك ويقال انه خطيب الانبيا لحسن مراجعته قومه وكان قومه
اهل كفر بالله وبخس للمكيال والميزان قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم

من

من اله غيره قد جاتكم بينة من ربكم اي معجزة وبيان وهو مجي شعيب
بالرسالة ولم يذكر له معجزة في القران فاوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا
الناس اشياهم البخس النقص في السلعة بالتعييب والتزهيد فيها والمخادعة
في القيمة والتحيل في الزيادة في الكيل والنقصان منه وكل ذلك من اكل
المال بالباطل ولا تفسدوا في الارض بالكفر والمعاصي بعد اصلاحها
ببعثة الرسل وهو عطف على لا تبخسوا قال ابن عباس كانت الارض
قبل ان يبعث الله شعيبا يعمل فيها بالمعاصي وتستحل فيها المحارم وتسفك
فيها الدما وذلك فسادها ذلكم المذكور خير لكم ان كنتم مومنين
مريدي الايمان فبادروا اليه ولا تقعدوا بكل صراط طريق توعدون
اي تخوفون الناس وتصدون عن سبيل الله اي تصرفون عن دينه
من امن به بتوعدكم اياه بالقتل قال ابن عباس وغيره كانوا يقعدون
على الطرقات المفضية الى شعيب فيتوعدون من اراد المجي اليه ويصدونه
ويقولون انه كذاب كما كانت قريش تفعل مع النبي صلى الله عليه وسلم
وقال ابو هريرة هذا نهي عن قطع الطريق واخذ السلب وكان ذلك
من فعلهم السدي كانوا عشارين والضمير في به يحتمل ان يعود على
اسم الله وان يعود على شعيب في قول ابن بري ان القعود على الطريق
للصد وان يعود على السبيل وتبغونها اي تطلبون الطريق عوجا
معوجة الزجاج كسر العين في المعاني وفتحها في الاجرام واذكروا
اذ كنتم قليلا الاخفش اذ مفعول اي اذكروا قلتكم هذه والجمهور
يجعلونها المفعول محذوف فكثركم اي كثر عددكم او كثركم بالغنى بعد
الفقر وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين قبلكم بتكذيبهم

رسلهم اي اخوانهم من الهلاك وان كان طايفة منكم امنوا بالذي ارسلت
به وطايفة لم يومنوا به فاصبروا اي انتظروا حتى يحكم الله بيننا
وبينكم بانجا المحق واهلاك المبطل وهو خير الحاكمين اي اعدلهم فلا معقب
لحكمه ولا حيف فيه وليس هذا امرا بالمقام على الكفر ولكنه وعيد وتهديد
وقال وان كان طايفة فذكر على المعنى ولو راعى اللفظ قال كانت قال
الملا الذين استكبروا من قومه عن الايمان لنخرجنك يا شعيب والذين
امنوا معك من قريتنا او لتعودن ترجعن او تصيرن في ملتنا ديننا
وغلبوا في الخطاب الجمع على الواحد لان شعيبا لم يكن في ملتهم قط وعلى
نحوه اجاب قال انعود فيها ولو كنا كارهين لها او تجبروننا عليها او على
الخروج من الوطن والاستفهام للانكار الزجاج يجوز ان يكون العود
بمعنى الابتدا اعاد الي من فلان مكروه اي صار وان لم يكن سبقه مكروه
قبل ذلك قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا
الله منها اياس من العود الى ملتهم وما يكون ينبغي لنا ان نعود فيها
اي في الملة الا ان يشا الله ربنا ذلك فيخذلنا وهذا قول اهل السنة
اي وما يقع منا العود الا بمشية الله تعالى والاستثنا منقطع وقيل
هو على جهة التسليم لله تعالى وسع ربنا كل شي علما اي وسع علمه
كل شي ومنه حالي وحالكم وعلما نصب على التعظيم على الله توكلنا
اي اعتمدنا ربنا افتح اقض بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير
الفاتحين الحاكمين فاستجاب الله تعالى دعاه واهلكهم بالرجفة قال
قتادة بعث الله تعالى شعيبا الى امتين اهل مدين واصحاب الايكة
وقال ابن عباس كان شعيب كثير الصلاة فلما طال تماديهم وغيهم

ويأس

ويأس من صلاحهم دعا عليهم فقال رب افتح وقال الملا الذين كفروا
من قومه اي قال بعضهم لبعض لين لام قسم اتبعتم شعيبا انكم اذا
لخاسرون اي هالكون فاخذتهم الرجفة الزلزلة الشديدة فاصبحوا
في دارهم جاثمين باركين على الركب ميتين واصحاب الايكة اهلكوا
بالظلة كما سياتي الذين كذبوا شعيبا مبتدا خبره كان لم يغنوا فيها
اي في دارهم وقال الجرجاني هذا كلام مستانف اي الذين كذبوا شعيبا
كانهم لم يزالوا موتى ويغنوا يقيموا يقال غنا بالمكان اقام فيه وغنا
القوم في دارهم طال مقامهم فيها قال حاتم غنينا زمانا بالتصعلك
والغنا وكلا سقاناه بكاسيهما الدهر فما زادنا بغيا على ذي
قرابة غنانا ولا ازرى باحسابنا الفقر الذين كذبوا شعيبا كانوا
هم الخاسرين التاكيد باعادة الموصول وعني للرد عليهم في قولهم
السابق واعاده لتعظيم الامر وتفخيمه اي لما قالوا من اتبع شعيبا
خاسر قال الله تعالى الخاسرون هم الذين قالوا هذا القول فتولى
عنهم اي اعرض وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت
لكم فلم تومنوا قاله تاسفا لهم لشدة حزنه عليهم ثم انكر على نفسه
فقال فكيف اسى اي احزن على قوم كافرين اي ليسوا اهل حزن
والاستفهام بمعنى النفي وما ارسلنا في قرية من نبي فكذبوه الا
اخذنا عاقبنا اهلها بالباساء شدة الفقر والضرا شدة المرض
لعلهم يضرعون اي يتذللون فيومنون ثم بدلنا اعطيناهم
مكان السيئة الحسنة اي ابدلنا الجدب بالخصب وقيل مكان
العذاب الغنى والصحة حتى عفوا كثروا ابن زيد كثرت اموالهم واولادهم

وهو من الاضداد عفا كثر وعفا درس والمعنى اخذناهم بالشدة والرخا
فلم يزدجروا وقالوا كفرا للنعمة قد مس اباءنا الضرا والسرا فنحن
مثلهم اي هذا داب الدهر وليس بعقوبة من الله فكونوا على ما انتم عليه
قال الله تعالى فاخذناهم بالعذاب بغتة اي فجاة ليكون اكثر
حسرة وهم لا يشعرون بنزول العذاب ولو ان اهل القرى
المكذبين امنوا بالله ورسلهم واتقوا الكفر والمعاصي لفتحنا بالتخفيف
والتشديد عليهم بركات من السما بالمطر والارض بالنبات وهذا
في اقوام على الخصوص اذ قد يمتحن المومنين بضيق العيش ويكون تكفيرا
لذنوبهم الا ترى انه اخبر عن نوح اذ قال لقومه استغفروا ربكم
انه كان غفارا يرسل السما عليكم مدرارا وكذلك عن هود فوعدهم
الخصب والمطر على التخصيص يدل عليه ولكن كذبوا اي كذبوا الرسل
فاخذناهم عاقبناهم بما كانوا يكسبون من المعاصي افامن اهل
القرى المكذبون وقيل المراد بالقرى مكة وما حولها لانهم كذبوا محمدا
صلى الله عليه وسلم والاستفهام للانكار والفا للعطف ان ياتيهم
باسنا عذابنا بياتا اي ليلا وهم نايمون غافلون عنه اوامن اهل
القرى ان ياتيهم باسنا ضحى نهارا وهم يلعبون وقرى باسكان
الواو للعطف على معنى الاباحة والمعنى اوامنوا ضروبا من هذه العقوبات
فان امنوا ضربا منها لم يامنوا الاخر ويجوز ان يكون لاحد الشيين
وقرى بفتح الواو بجعلها واو العطف دخلت عليها الف الاستفهام
وهو هنا للنفي ومعنى يلعبون اي هم فيها لا يجدي عليهم بتال لكل
من كان فيما يضره ولا يجدي عليه لاعبا افامنوا مكر الله استدراجه

ايابهم

ايابهم بالنعم واخذهم بغتة وقيل عذابه وجزاؤه على مكرهم فلا
يامن مكر الله الا القوم الخاسرون الذين خسروا انفسهم بالكفر
وترك النظر والاعتبار افلم يهد اي يتبين للذين يرثون الارض
بالسكنى من بعد هلاك اهلها والمراد كفار مكة ومن حولهم ان
فاعل مخففة واسمها محذوف اي انه لو نشا اصبناهم بالعذاب بذنوبهم
بكفرهم وتكذيبهم كما اصبنا من قبلهم ونطبع اي ونحن نطبع فهو
مستانف وقيل معطوف على اصبنا اي نصيبهم ونطبع وفيه بعد
لانه في جواب لو لافضايه الى نفي الطبع عنهم والطبع الختم على قلوبهم
فهم لا يسمعون الموعظة سماع قبول تلك القرى التي مر ذكرها
نقص اي نتلوا عليك يا محمد من انبايها من اخبار اهلها ولقد جاتهم
رسلهم بالبينات بالمعجزات الظاهرة فما كانوا ليومنوا عند مجيهم بما
كذبوا كفروا به من قبل اي قبل مجيهم بل استمروا على الكفر وقيل فما
كانوا ليومنوا بعد هلاكهم لو احييناهم قاله مجاهد ومثله ولو ردوا
لعادوا ابن عباس كان في علم الله تعالى يوم اخذ عليهم الميثاق انهم لا
يومنون بالرسل وقوله بما كذبوا به من قبل يريد يوم الميثاق فامنوا كرها
لا طوعا وقيل لما سالوا المعجزات وراوها ما كانوا ليومنوا بما كذبوا به من
قبل روية المعجزات ومثله كما لم يومنوا به اول مرة كذلك اي مثل
طبعه على قلوب هولا المذكورين يطبع الله على قلوب الكافرين لمحمد
صلى الله عليه وسلم وما وجدنا لاكثرهم اي الناس من عهد من زايدة
وهي تدل على معنى الجنس ابن عباس يريد العهد الماخوذ وقت الذر
ومن نقض العهد قيل له انه لا عهد له اي كانه لم يعهد والمعنى

لاوفا العهد الحسن العهد الذي عهد اليهم مع الانبيا ان يعبدوه و لا
يشركوا به شيا وان مخففة وجدنا اكثرهم لفاسقين وقيل المعنى
وما وجدنا اكثرهم الا الفاسقين اي ان الكفار منقسمون فالاكثر
منهم لا امانة لهم و لا وفا ومنهم من له امانة مع كفره ثم بعثنا
من بعدهم اي الرسل المذكورين موسى بن عمران باياتنا التسع
او بمعجزاتنا الي فرعون وملايه قومه فظلموا كفروا بها فلم يصدقوا
بالايات والظلم وضع الشي في غير موضعه فانظر كيف كان عاقبة
اخر امر المفسدين بالكفر من اهلاكهم وقال موسى يا فرعون اني
رسول من رب العالمين اليك فكذبه فقال اني حقيق اي جدير
على ان لا اقول اي بان لا اقول على الله الا الحق وقري بتشديد اليا
فحقيق مبتدا خبره ان وما بعده اي واجب علي قول الحق وان لا اقول
علي الله غيره وقيل علي بمعنى البا اي حقيق بان لا اقول قد جيتكم ببينة
من ربكم فارسل معي بني اسرايل الي الشام او خلهم من الاستخدام
وكان يستعملهم في الاعمال الشاقة قال فرعون له ان كنت جيت
باية على دعواك فات بها ان كنت من الصادقين بها فالقى عصاه
فاذا هي ثعبان مبين حية عظيمة وهي اسم للذكر من الحيات ونزع
يده اخرجها من جيبه فاذا هي بيضا ذات شعاع للناظرين خلاف
ما كانت عليه من الادمة ابن عباس كان ليده نور ساطع يضي ما بين السما
والارض قال الملا من قوم فرعون ان هذا الساحر عليم فايق في علم
السحر وفي الشعرا انه من قول فرعون فكانهم قالوه معه على سبيل
التشاور يريد ان يخرجكم من ارضكم من بلدكم معاشر القبط بتقديم

بني

بني اسرايل عليكم فماذا تامرون اي قال فرعون بماذا تشيرون
وقيل هو من قول الملا لفرعون على جهة التعظيم كما يخاطب الجبارون
والرؤسا ويجوز ان يكون قالوا ذلك له ولاصحابه قالوا ارجيه واخاه
اي اخر امرهما وقيل المعنى اطمعه والغاه وعن قتادة ارجه احبسه وقري
بالهمز وتركه وهما لغتان وارسل في المداين حاشرين جامعين وهو نصب على
الحال ياتوك بالجزم جواب الامر بكل ساحر وقري سحار عليم يفضل موسى
في علم السحر فجمعوا وجا السحرة فرعون وحذف ذكر الارسال لعلم السامع
قال ابن عبد الحكم كانوا اثني عشر نقيبا مع كل نقيب عشرون عريفا
تحت يد كل عريف الف ساحر وكان اسم ريسهم سمعون من رجيح كانوا
تسعماية من العريش والفيوم واسكندرية ثلاثا وقيل غير هذا وكان
فيهم فيما روي حبال وعصي يحملها ثلثماية بعير قالوا اين لنا لاجرا ان
كنا نحن الغالبين اي بجايزة وما لا ولم يقل فقالوا بالفا لانه اراد
لما جاوا قالوا وقري ان لنا على الخبر الزموا فرعون ان يجعل لهم ما لا
ان غلبوا قال لهم فرعون نعم وانكم لمن المقربين اي لمن اهل
المنزلة والرفعة لدينا قطعوا ذلك لانفسهم ان غلبوا وقري على
الاستفهام على جهة الاستخبار هل يجعل لهم فرعون اجرا ان غلبوا
فلم يقطعوا واستخبروه هل يفعل او لا فقال لهم نعم لكم الاجر
والقرب ان غلبتم قالوا يا موسى اما ان تلقي عصاك واما ان نكون
نحن الملقين ما معنى وفي موضع ان والفعل وجهان الرفع اي
اما امرنا الالقا والنصب اي اما ان تفعل الالقا قيل تادبوا مع موسى
وكان سبب ايمانهم قال القوا في الكلام حذف اي انكم لن تغلبوا

ربكم ولن تبطلوا اياته وقيل هو تهديد اي ابتدوا بالالقا فسترون
ما يحل بكم من الافتضاح اذ لا يجوز على موسى ان يامرهم بالسحر وقيل
امرهم توسلا الى اظهار الحق وليبين كذبهم وتمويههم فلما القوا
حبالهم وعصيهم سحروا اعين الناس صرفوها عن حقيقة ادراكها
وقلبوها بما يتخيل من التمويه الذي جرى مجرى الشعوذة وخفة اليد
واسترهبوهم اي طلبوا ارهابهم اي خوفهم او طلبوا خوفهم وجاؤا
بسحر عظيم اي عندهم لانهم لانه كان كثيرا وليس بعظيم على الحقيقة
واوحينا الى موسى ان الق عصاك فالقاها فاذا هي تلقف بحذف
احدى التاءين اي تبتلع ما يافكون يقلبونه بتمويههم قال ابن زيد
كان الاجتماع باسكندرية فبلغ ذنب الحية ورا البحيرة وقال غيره
فتحت فاها فجعلت تلتقم ما القوا من الحبال والعصي قيل كانت حبالا
من ادم فيها زيبق فتحركت من حر الشمس فالتقمت الحية جميع ذلك
ابن عباس كانت اذا فتحت فاها صار شدقها ثمانين ذراعا واضعة فكها
الاسفل على الارض والاعلى على سور القصر وقصدت فرعون لتبتلعه
فوثب من على سريره واستغاث لموسى فاخذها فاذا هي عصا كما كانت قال
وهب مات من خوف العصا خمسة وعشرون الفا فوقع الحق اي ثبت
وظهر وبطل ما كانوا يعملون من السحر فغلبوا هنالك اي فرعون وقومه
وانقلبوا صاغرين اي صاروا ذليلين مقهورين مغلوبين اما
السحرة فانهم قد امنوا والقي السحرة ساجدين قالوا امنا برب
العالمين رب موسى وهرون لعلمهم بان ما شاهدوه من العصي
لا يتاتي بالسحر قال فرعون المنتهر به اي بموسى قبل ان اذن لكم

ان

ان هذا الذي صنعتموه لمكر مكرتموه في المدينة اي جرت بينكم وبينه
مواطات في هذا لتخرجوا منها اهلها وتستقروا على مصر اي كان ذلك
منكم في مدينة مصر قبل ان تبرزوا الى هذه الصحرا فسوف تعلمون
تهديد لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف اي يد كل واحد اليمنى ورجله
اليسرى ثم لاصلبنكم اجمعين تفضيحا لكم وتنكيلا لامثالكم قال
ابن عباس كان فرعون اول من صلب وقطع الايدي والارجل من خلاف
قالوا انا الى ربنا بعد موتنا باي وجه كان لمنقلبون راجعون
في الاخرة وما تنقم اي تنكر منا الا ان امنا بايات ربنا لما جاءتنا
اي لست تكره منا الا ايماننا بالله وهو الحق لما جاءتنا اياته وبيناته
ربنا افرغ اي صب علينا صبرا عند فعل ما توعدنا به من القطع
والصلب لئلا نرجع كفارا وتوفنا مسلمين قيل ان فرعون اخذ
السحرة وقطعهم على شاطي وانه امن بموسى عند ايمان السحرة
ست مائة الف وقال الملا من قوم فرعون له اتذر اتترك موسى
وقومه ليفسدوا في الارض (الاشراف والروسا) بالدعا الى مخالفتك ويذرك والهتك
وكان صنع لهم اصناما صغارا يعبدونها وقال انا ربكم وربها
ولذا قال انا ربكم الاعلى وقال سليمان التيمي بلغني ان فرعون كان
يعبد البقر قال سنقتل بالتشديد والتخفيف ابناءهم المولودين
ونستحيي نستبقي نساءهم كفعلنا بهم من قبل والمعنى لا تخافوا
نجابتهم وانا فوقهم قاهرون قادرون ولم يقل سنقتل موسى لعلمه انه
لا يقدر عليه وعن سعيد بن جبير قال كان فرعون قد ملي من موسى
رعبا وكان اذا راه يبول كما يبول الحمار ولما فعل بهم ما قال شكى

بنو اسرائيل قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا على اذاهم
ان الارض لله يورثها يعطيها من يشاء من عباده اطمعهم في ان الله
سيورثهم ارض مصر والعاقبة المحمودة للمتقين الله وهي الجنة وعاقبة
كل شي اخره ولكنها اذا اطلقت فهم في العرف منه الخير قالوا اوذينا
من قبل ان تاتينا اي في ابتدا ولادتك بقتل الابنا واسترقاق النساء
ومن بعد ما جيتنا اي والان اعيد علينا ذلك الحسن الاذى من قبل ومن
بعد واحد وهو اخذ الجزية وقيل غير ذلك قال عسى ربكم ان يهلك
عدوكم ويستخلفكم في الارض عسى من الله واجب جدد لهم الوعد وحققه
وقد استخلفوا في مصر في زمان داود وسليمان وفتحوا بيت المقدس
مع يوشع بن نون فينظر كيف تعملون فيها اي يرى ذلك العمل الذي
يكون به الجزا لان الله تعالى لا يجازيهم على ما يعلمه منهم انما يجازيهم
على ما يقع منهم ● ولقد اخذنا ال فرعون بالسنين يعني الجدب وهو
معروف في اللغة يقال اصابتهم سنة اي جدب وتقديره جدب سنة
ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون يتعظون فيؤمنون فاذا جاتهم
الحسنة اي الخصب والسعة قالوا لنا هذه اي نستحقها ولم يشكروا
عليها وان تصبهم سيئة جدب وبلا يطيروا بموسى ومن معه من
المومنين اي يتشاموا بهم والاصل في هذا من الطيرة وزجر الطير ثم
كثر استعماله حتى قيل لكل من تشام تطير وكانت العرب تتيامن بالسانح
وتتشام بالبارح وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك بقوله
اقروا الطاير على مكانها وذلك ان كثيرا من اهل الجاهلية كان
اذا اراد حاجة اتى الطير في وكرها فنفرها فان اخذت ذات اليمين

يمضي الى حاجته وهو السانح عندهم وان اخذت ذات الشمال رجع وهو البارح
عندهم الا انما طايرهم شومهم عند الله باتيهم به وهو ما قدر لهم
وعليهم ولكن اكثرهم لا يعلمون ان ما يصيبهم من عنده لا من عند موسى
وقومه وقالوا اي قال قوم فرعون لموسى مهما تاتنا به من اية لتسحرنا
بها قال الخليل اصل مهما ما ما الاولى للشرط والثانية زايدة توكيدا
للجزا مثل انما وحيثما فكرهوا حرفين بلفظ واحد فابدلوا من الف الاولى
ها فقالوا مهما وقال الكساي اصله مه اي اكفف ما تاتنا به من اية
وقيل هي كلمة مفردة يجازى بها لتجزم ما بعدها على تقدير ان والجواب
فما نحن لك بمومنين ومعنى لتسحرنا لتصرفنا عما نحن عليه فلبث موسى
في القبط بعد القا السحرة عشرين سنة يريهم الايات الى ان
اغرق الله فرعون ويقال ان موسى دعا عليهم فاستجاب الله تعالى
دعاه وذلك قوله فارسلنا عليهم الطوفان وهو المطر الشديد دخل
بيوتهم ووصل الى حلوقهم وعاموا فيه السدي ولم يصب بني
اسرائيل قطرة ما بل دخل بيوت القبط ودام عليهم سبعة ايام وقيل
اربعين يوما مجاهد وعطا الطوفان الموت النحاس الطوفان في اللغة
ما كان مهلكا من موت او سيل وهو مصدر وقيل جمع طوفانة فقالوا
ادع لنا ربك يكشف عنا فنومن لك فدعا ربه فرفع عنهم الطوفان
فلم يومنوا وانبت الله تعالى لهم في تلك السنة ما لم ينبته قبل
ذلك من الكلا والزرع فقالوا كان ذلك نعمة والجراد هو الحيوان المعروف
فاكل زرعهم وثمارهم حتى انها اكلت السقوف والابواب ولم يدخل
دور بني اسرائيل شي منها فعاهدوا موسى ان يومنوا ان كشف عنهم

الجراد فدعا فكشف وكان قد بقي من زرعهم شيء فقالوا يكفينا ما بقي ولم
يؤمنوا والقمل وهو صغار الدبا وهو الجراد قبل ان يطير ابن عباس
القمل السوس الذي في الحنطة ابن زيد البراغيث ابو عبيد الحمنان
وهو ضرب من القراد فاكلت دوابهم وزرعهم ولزمت جلودهم
كانها الجدري عليهم فمنعهم النوم والقرار وروي انه كان بعين
شمس كثيب من رمل فضربه موسى بعصاه فصار قملا وقيل القمل
المعروف قاله عطا فتضرعوا فلما كشف عنهم لم يؤمنوا والضفادع
فملات بيوتهم وطعامهم وشرابهم فكان الرجل يجلس الى ذقنه في
الضفادع واذا تكلم وثب الضفدع في فيه فشكوا الى موسى وقالوا
نتوب فلما كشف عنهم رجعوا الى كفرهم والدم وسال النيل عليهم
دما وكان الاسرائيلي يغترف منه الما والقبطي الدم ايات مفصلات
مبينات وعن مجاهد كان بين الاية والاية ثمانية ايام وقيل اربعين
يوما فاستكبروا عن الايمان بها وكانوا قوما مجرمين ولما وقع
عليهم الرجز اي العذاب ابن جبير كان طاعونا مات فيه من القبط
في يوم واحد سبعون الفا وقيل المراد من الرجز ما ذكر من الايات قالوا
يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك من كشف العذاب عنا ان امنا
وقيل بما استودعك من العلم او بما اختصك به فنباك لين لام قسم
كشفت عنا الرجز بدعايك لالهك لنؤمنن لك نصدقك بما جيت به
ولنرسلن معك بني اسرايل وكانوا يستخدمونهم فلما كشفنا عنهم
الرجز الى اجل هم بالغوه يعني اجلهم الذي ضرب لهم في التغريق
اذا هم ينكثون ينقضون عهدهم ويصرون على كفرهم فانتقمنا

منهم

منهم فاغرقناهم في اليم البحر الملح الذي لا يدرك قعره وقيل لجته بانهم
كذبوا اي اغرقناهم بسبب تكذيبهم باياتنا وكانوا عنها غافلين لا
يتدبرونها واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون بالاستعباد
وهم بنوا اسرايل مشارق الارض ومغاربها يعني ارض الشام ومصر
ومشارقها ومغاربها جهات الشرق والغرب التي باركنا فيها بالماء
والشجر صفة ارض الشام وتمت كلمة ربك الحسنى وهي قوله ونريد
ان نمن على الذين استضعفوا الى اخره على بني اسرايل بما صبروا على
اذى عدوهم ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه اي اهلكنا
ما كان من عماراتهم ومزارعهم وما كانوا يعرشون بضم الرا وكسرها
يرفعون من البنيان كالقصور الحسنة هو تعريش الكرم وجاوزنا ببني
اسرايل البحر البا هنا معدية كالهمزة اي اجزنا وجوزنا فاتوا مروا
على قوم يعكفون بضم الكاف وكسرها على اصنام لهم يقيمون
على عبادتها قتادة اوليك القوم من لخم وكانوا نزولا بالرقة قيل
وكانت اصنامهم على تمثال بقر ولهذا اخرج لهم السامري عجلا
قالوا يا موسى اجعل لنا الها اي صنما نعبده كما لهم الهة قال انكم
قوم تجهلون وصفهم بالجهل المطلق لبعد ما صدر منهم بعد ما راوا
من الايات الكبرى ان هولا متبر اي هالك ما هم فيه وباطل
ذاهب ومضمحل ما كانوا يعملون كان صلة قال اغير الله ابغيكم
اي اطلب لكم الها معبودا وهو فضلكم على العالمين اي على عالمي
زمانكم وفيه تنبيه على سوء مقابلتهم حيث قابلوا تفضيل الله تعالى
اياهم على امثالهم باشراكه اخس شيء من مخلوقاته واذ انجيناكم

وقرى انجاكم من آل فرعون يسومونكم يكلفونكم ويذيقونكم سوء العذاب
اشده وهو يقتلون ابناءكم ويستحيون يستبقون نساءكم وفي ذلكم
الانجا او العذاب بلاء انعام او ابتلاء من ربكم عظيم افلا تتعظون وتنتهون
عما فعلتم وقيل هو خطاب لليهود عصر النبي صلى الله عليه وسلم اي واذكروا اذ
انجينا اسلافكم وتقدم في البقرة وواعدنا بالف ودونها موسى ثلاثين
ليلة فيه حذف تقديره اتيان او تمام ثلاثين يكلمه عند انتهائها
بان يصومها وهي ذي القعدة واتممناها بعشر ابن عباس ومجاهد هي عشر
ذي الحجة امره الله ان يصوم الشهر وينفرد فيه بالعبادة فلما صامه انكر
خلوف فمه فاستاك قيل بعود خرنوب فقالت الملائكة كنا نستنشق من
فيك رائحة المسك فافسدته بالسواك فزيد عليه عشر ليال من ذي الحجة
وقيل اوحى الله اليه لما استاك لا اكلمك حتى يعود فوك الى ما كان
عليه قبل اما علمت ان رائحة فم الصائم احب الي من ريح المسك وامره
بصيام عشرة ايام وكان كلام الله لموسى غداة النحر حين فدى اسماعيل
من النحر وكمل الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم دينه وحذفت الهاء من
العشر لان العدد مونث فتم ميقات ربه وقت وعده بكلامه اياه
اربعين حال ليلة تمييز وفائدة قوله اربعين ليلة وقد علم ان
ثلاثين وعشرا اربعون لئلا يتوهم ان المراد اتممنا الثلاثين بعشر منها
او لرفع احتمال ان تكون تلك العشرة من غير مواعدة قيل وفائدة الوعد
ثلاثين اولا ثم بعشر ليتجدد له قرب انقضا المعاملة ويكون
فيها متاهبا مجمع الراي حاضر الذهن وقال موسى لاخيه هرون
عند ذهابه الى الجبل للمناجاة اخلفني اي كن خليفتي في قومي واصلح

امرهم

امورهم قال ابن جريج كان من الاصلاح ان يزجر السامري ويغير عليه وقيل
المعنى ارفق بهم وكن مصلحا ولا تتبع سبيل المفسدين اي لا تسلك
طريق العاصين ولا تكن عونا للظالمين والمعنى لا توافقهم ولما جاء موسى
لميقاتنا اي الوقت الذي وعدناه بالكلام فيه وكلمه ربه اي اسمعه
كلامه من غير واسطة واختلف بماذا عرف موسى كلام الله قيل انه
لما سمع كلاما ليس بحرف ولا صوت علم ان ذلك ليس بكلام بشر وانما هو كلام
رب العالمين وقيل لما سمع كلاما لا من جهة وكلام البشر يسمع من جهة
علم انه ليس بكلام بشر وقيل ان جسده كله صار مسامع وقيل ان
المعجزة دلت على ان ما سمعه كلام الله وذلك انه قيل له الق عصاك فالقاها
فصارت ثعبانا فعلم بذلك انه كلام الله وقيل غير ذلك قال رب
ارني نفسك انظر اليك ساله النظر واشتاق الى رؤيته لما اسمعه كلامه
قال لن تراني اي لا تقدر على رؤيتي والتعبير به دون لن ترى
ارى يفيد امكان رؤيته تعالى ولكن انظر الى الجبل فان استقر
ثبت مكانه فسوف تراني اي تثبت لرؤيتي والا فلا طاقة لك ضرب
له تعالى مثلا لما هو اقوى من بنيته واثبت اي كما ان الجبل لا يثبت
لرؤيتي لا تطيق انت ذلك وذكر القاضي عن ابي بكر بن الطيب ما معناه
ان موسى عليه السلام راى الله تعالى فلذلك خر صعقا وان الجبل راى
ربه فصار دكا بادراك خلقه الله له واستنبط ذلك من قوله ولكن
انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني ثم قال فلما تجلى ربه للجبل
جعله اي صيره دكا اي ظهر من نوره قدر نصف انملة الخنصر كما في
حديث صححه الحاكم ويقال تجلى الشي انكشف وقيل تجلى امره وقدرته

قاله قطرب وغيره وقال دكا لان الجبل مذكر وقرئ دكا بالمد اي جعله مثل
ارض دكا قال الكسائي الدك من الجبال العراض والدكا بالمد الربوة الناشزة
من الارض كالدكة اي جعله ارضا مستوية ومنه ناقة دكا للمستوية
السنام وهو بالقصر والتنوين مصدر وفي التفسير ساخ الجبل في الارض
فهو يذهب فيها يعني الان ابن عباس جعله ترابا عطية العوفي رملا
هايلا وخر موسى صعقا اي مغشيا عليه لهول ما راى عن ابن عباس وغيره
وقيل ميتا وقال قتادة خر موسى صعقا يوم الخميس يوم عرفة واعطي
التوراة يوم الجمعة يوم النحر فلما افاق قال سبحانك تنزيها لك تبت
اليك قال مجاهد عن مسئلة الروية في الدنيا وقيل سال من غير
استيذان فلذلك تاب وقيل قاله على جهة الانابة الى الله والخشوع
له عند ظهور الايات واجمعت الامة على ان هذه التوبة ما كانت
عن معصية وعند اهل السنة والجماعة الروية جايزة قال العلما
لو كان سوال موسى مستحيلا ما اقدم عليه مع معرفته بالله لان
طلب المستحيل من الانبيا محال وخصوصا ما يقتضي الجهل بالله ولذلك
رده بقوله لن تراني دون لن اراي وانا اول المومنين قيل من
قومي وقيل من بني اسرايل في هذا العصر وقيل غير ذلك وعن كعب قال
ان الله تعالى قسم كلامه ورويته بين محمد وموسى صلى الله عليهما
وسلم وكلمه موسى مرتين وراه محمد صلى الله عليه وسلم مرتين قال
تعالى له يا موسى اني اصطفيتك على الناس لاصطفا الاجتبا اي
فضلتك برسالاتي يعني اسفار التوراة وبكلامي اي وتكليمي اياك
ولم يقل على الخلق لان من هذا الاصطفا انه كلمه وقد كلم الملايكة

وارسله

وارسله وارسل غيره فالمراد الناس المرسل اليهم فخذ ما اتيتك اشارة الى
القناعة اي اقنع بما اعطيتك من الفضل وكن من الشاكرين اي من المظهرين
لاحساني اليك وفضلي عليك ويروى ان موسى عليه السلام مكث بعد ان
كلمه الله تعالى اربعين ليلة لا يراه احد الا مات من نور الله عز وجل
وكتبنا له في الالواح اي الواح التوراة وكانت سبعة او عشرة وروي
في الخبر انه قبض عليه جبريل بجناحه فمر به في العلا وادناه حتى سمع
صريف القلم حين كتب الله له الالواح ذكره الترمذي قال مجاهد
كانت الالواح من زمردة خضرا ومن ياقوتة حمرا وقيل من زبرجد
الحق من خشب نزلت من السما وقيل من سدر الجنة وقيل من صخرة
صما لينها الله لموسى فقطعها بيده ثم شقها باصابعه فاطاعته
كالحديد لداود قال الربيع بن انس نزلت التوراة وهي وقر سبعين
بعيرا واضاف الكتابة الى نفسه على جهة التشريف اذ هي مكتوبة
بامره كتبها جبريل بالقلم الذي كتب به الذكر واستمد من نهر
النور واصل اللوح اللمع فكان اللوح تلوح فيه المعاني وروي
انها لوحان وجا بالجمع لان الاثنين جمع ابن عباس وتكسرت الالواح
حين القاها فرفعت الا سدسها فكان في الذي رفع تفصيل كل
شيء وفي الذي بقي الهدى والرحمة ومعنى من كل شي مما يحتاج اليه
في دينه من الاحكام وتبيين الحلال والحرام وقيل هو لفظ يذكر تفخيما
ولا يراد به التعميم تقول دخلت السوق فاشتريت كل شيء وتدمر
كل شيء واوتيت من كل شيء موعظة وتفصيلا تبيينا لكل شي امروا
به من الاحكام فانه لم يكن عندهم اجتهاد وانما خص بذلك امة محمد

صلى الله عليه وسلم فخذها قبله قلنا مقدرا بقوة اي بجد ونشاط نظيره
خذوا ما اتيناكم بقوة وامر قومك ياخذوا باحسنها اي يعملوا بالاوامر
ويتركوا النواهي ويتدبروا الامثال والمواعظ نظيره واتبعوا احسن
ما انزل اليكم من ربكم وكلها حسن وبعضها احسن من بعض فالعفو احسن
من القصاص والصبر احسن من الانتصار وقيل احسنها الفرايض والنوافل
وادونها المباح ساريكم دار الفاسقين قال الكلبي دار الفاسقين
ما مروا عليه اذا سافروا من منازل عاد وثمود والقرون الذين اهلكوا
وقيل جهنم عن الحسن ومجاهد اي فلتكن منكم على ذكر فاحذروا
ان تكونوا منها وقيل اراد به مصر اي ساريكم ديار القبط ومساكن
فرعون خالية عنهم عن ابن جبير قتادة المعنى ساريكم منازل الكفار
التي سكنوها قبلكم من الجبابرة والعمالقة لتعتبروا بها يعني الشام
وقيل معنى دار هلاك وجمعه ادوار وذلك ان الله تعالى لما اغرق
فرعون اوحى الى البحر ان اقذف اجسادهم الى الساحل ففعل فنظر
اليهم بنو اسرايل فاراهم هلاك الفاسقين ساصرف عن اياتي
الذين يتكبرون في الارض قال قتادة سامنعهم فهم كتابي وقيل
ساصرفهم عن الايمان او ساصرفهم عن نفعها وذلك مجازاة على
تكبرهم والايات على هذا المعجزات او الكتب المنزلة وقيل دلايل
المصنوعات من خلق السموات والارض وغيرهما اي اصرفهم عن
الاعتبار بها ويتكبرون يرون انهم افضل الخلق وهذا ظن باطل
فلهذا قال بغير الحق فلا يتبعون نبيا ولا يصغون اليه لتكبرهم
وان يروا كل اية لا يومنوا بها وان يروا يعني هولا المتكبرين

سبيل

سبيل الرشد الهدى الذي جا من عند الله لا يتخذوه سبيلا وان يروا
سبيل الغي يتخذوه سبيلا اخبر عنهم انهم يتركون طريق الرشاد
ويتبعون سبيل الغي والضلال اي الكفر يتخذوه دينا ثم علل فقال ذلك
بانهم كذبوا باياتنا اي ذلك الفعل الذي فعلته بهم بتكذيبهم وكانوا
عنها غافلين اي كانوا في تركهم تدبر الحق كالغافلين ويحتمل ان يكونوا
غافلين عما يجازون به كما يقال ما اغفل فلان عما يراد به والذين
كذبوا باياتنا ولقا الاخرة البعث وغيره حبطت بطلت اعمالهم هل
يجزون الا الجزا ما كانوا يعملون من التكذيب والمعاصي واتخذ قوم موسى
من بعده اي من بعد خروجه الى الطور للمناجاة من حليهم عجلا مفعول
جسدا نعت او بدل له خوار رفع بالابتدا يقال خار يخور خوارا
اذا صاح وخور يخور خورا اذا جبن وضعف والخوار صوت البقرة وروي
في قصص العجل ان السامري واسمه موسى بن ظفر ينسب الى قرية
تدعى سامرة ولد عام قتل الابنا واخفته امه في كهف جبل فغذاه
جبريل فعرفه لذلك فاخذ حين عبر جبريل البحر على فرس ودي
ليتقدم فرعون في البحر فقبض قبضة من اثر حافر الفرس فذلك
قوله فقبضت قبضة من اثر الرسول وكان موسى وعد قومه ثلاثين
يوما فلما ابطا في العشر الزايد ومضت ثلاثون ليلة قال لبني اسرايل
وكان مطاعا فيهم ان معكم حليا من حلي ال فرعون وكان لهم عيد
يتزينون فيه ويستعيرون من القبط الحلي فقال لهم السامري
انه حرام عليكم فهاتوا ما عندكم فنحرقه فاخذها السامري وكان
سمع قولهم اجعل لنا الها كما لهم الهة وكانت تلك الالهة على

مثال البقر فصاغ لهم عجلا جسدا اي مصمتا غير انهم كانوا يسمعون منه
خوارا وقيل قلبه الله لحما ودما وقيل انه لما القي تلك القبضة من
التراب في النار على الحلي صار عجلا له خوار فخار خورة واحدة ثم قال
للقوم هذا الهكم واله موسى فنسي يقول نسيه ههنا وذهب يطلبه
فضل عنه فتعالوا نعبد هذا العجل فقال الله لموسى وهو يناجيه انا
قد فتنا قومك من بعدك واضلهم السامري فقال موسى يا رب هذا
السامري اخرج لهم عجلا من حليهم فمن جعل له جسدا يريد اللحم والدم
ومن جعل له خوارا فقال الله تعالى انا فقال وعزتك وجلالك ما اضلهم
غيرك قال صدقت يا حكيم الحكماء وهو معنى قوله ان هي الا فتنتك وانما
نسب الاتخاذ اليهم وهو فعل السامري لانهم رضوا به او لاتخاذهم اياه
الها الم يروا انه لا يكلمهم بين ان المعبود يجب انه يتصف
بالكلام ولا يهديهم سبيلا اي طريقا الى حجة فكيف اتخذوه الها وكانوا
ظالمين لانفسهم فيما فعلوا من اتخاذه وقيل المعنى وصاروا ظالمين
اي مشركين لجعلهم العجل الها ولما سقط في ايديهم ندموا على عبادته
اي بعد عود موسى من الميقات والجار والمجرور قائم مقام نايب
الفاعل والمعنى سقط الندم في ايديهم يقال للنادم المتحير قد
سقط في يده وراوا علموا انهم قد ضلوا اي ابتلوا بمعصية الله
قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا اخذوا في الاقرار بالعبودية
والاستغفار وقري بالغيب ربنا بالرفع وقري ان لم ترحمنا وتغفر
لنا بالتاء على الخطاب وفيه معنى الاستغاثة والتضرع والابتهال
في السوال والدعا وربنا بالنصب على حذف يا الندا لنكونن

من

من الخاسرين ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا غضبان لم ينصرف
لان مونثه غضبى وهو نصب على الحال واسفا شديد الغضب قال
ابو الدردا الاسف منزلة وراء الغضب اشد من ذلك والاسف ايضا
الحزين ابن عباس والسدي رجع حزينا من صنيع قومه قال الطبري
اخبره الله تعالى قبل رجوعه انهم قد فتنوا بالعجل فلذلك رجع
وهو غضبان قال ابن العربي وكان موسى صلى الله عليه وسلم من اعظم
الناس غضبا لكنه كان سريع الفيئة فتلك بتلك قال ابن القاسم
سمعت مالكا يقول كان موسى اذا غضب طلع الدخان من قلنسوته
ورفع شعر بدنه جبته قال بئسما اي بئس خلافة خلفتموني
من بعدي ذم منه لهم اي بئس العمل عملتم بعدي حيث اشركتم
اعجلتم امر ربكم اي سبقتموه والعجلة التقدم بالشيء قبل وقته
وهي مذمومة والسرعة عمل الشيء في اول اوقاته وهي محمودة ومعنى
امر ربكم اي ميعاد ربكم اي وعد اربعين ليلة وقيل تعجلتم سخط
ربكم او عجلتم بعبادة العجل قبل ان ياتيكم امر ربكم والقى الالواح
اي مما اعتراه من الغضب والاسف حين اشرف على قومه وهم عاكفون
على عبادة العجل وعلى اخيه في اهمال امرهم وتقدم عن ابن عباس
ان الالواح تكسرت وانه رفع منها التفصيل وبقي فيها الهدى والرحمة
واخذ براس اخيه يجره اليه اي بلحيته وذوابته وكان هرون
اكبر من موسى بثلاث سنين وكان محمولا لينا ولذلك كان احب الى
بني اسرائيل من موسى لانه كان لين الغضب وفي اخذ موسى براس
اخيه تاويلات احدها ان ذلك كان غضبا لربه وقيل كان ذلك

متعارفا عندهم كما كانت العرب تفعله من قبض الرجل على لحيته اخيه وصاحبه اكراما وتعظيما فلم يكن ذلك على طريق الاذلال وقيل انه فعل ذلك ليبشره اليه نزول الالواح عليه لانها نزلت عليه في هذه المناجاة واراد ان يخفيها عن بني اسرايل قبل التوراة فقال له هرون لا تاخذ بلحيتي ولا براسي لئلا يشتبه سرار على بني اسرايل باذلاله قال الحسن عبد كلهم العجل غير هرون اذ لو كان ثم مومن غير موسى وهرون لما اقتصر على قوله اغفر لي ولاخي ولدعا لذلك المومن ايضا قال ابن ام وكان ابن امه وابيه ولكنها كلمة لين وعطف وهذا يسمى خطاب التعجب ومثله يا ابت لم تعبد يا بني انها وقيل كان اخاه لامه لا لابيه وقرى بفتح الميم وكسرها فمن فتح جعل ابن ام اسما واحدا كخمسة عشر ومن كسر جعله مضافا الى ضمير المتكلم ثم حذف يا المضافة لان مبنى الندا على الحذف وابقى الكسرة في الميم لتدل على الاضافة ان القوم يعني عبدة العجل استضعفوني استذلوني وعدوني ضعيفا وكادوا قاربوا يقتلونني فلا تشمت بي الاعدا اي لا تسرهم باهانتك اياي والشماتة السرور بما يصيب اخاك من المصايب في الدين والدنيا وهي محرمة منهي عنها ولا تجعلني مع القوم الظالمين معدودا في عدادهم بالمواخذة مجاهد يعني الذين عبدوا العجل قال رب اغفر لي ما صنعت باخي ولاخي انه فرط في كفهم وادخلنا في رحمتك بمزيد الانعام وانت ارحم الراحمين اي ارحم بنا منا ان الذين اتخذوا العجل الها سينالهم غضب الغضب من الله العقوبة من ربهم وذلة في الحياة الدنيا لانهم امروا بقتل بعضهم بعضا وقيل الذلة الجزية وفيه بعد لان

الجزية

الجزية لم يوخذ منهم وانما اخذت من ذرياتهم ثم قيل هذا من كلام الله تعالى وقيل من كلام موسى اخبر به الله تعالى عنه وتم الكلام ثم قال عز وجل وكذلك نجزي المفترين اي مثل ما فعلنا بهولا نفعل بالمفترين على الله بالاشراك وغيره قال مالك ما من مبتدع الا ويجد فوق راسه ذلة ثم قرا وكذلك نجزي المفترين اي المبتدعين والذين عملوا السيات اي الكفر والمعاصي ثم تابوا من بعدها اي من بعد فعلها وامنوا بالله ان ربك من بعدها اي من بعد التوبة لغفور لهم رحيم بهم ولما سكت عن موسى الغضب اي سكن وقال عكرمة المعنى سكت موسى عن الغضب فهو من المقلوب اخذ الالواح التي القاها وفي نسختها هدى من الضلالة ورحمة من العذاب والنسخ نقل ما في كتاب الى كتاب اخر قيل لما تكسرت الالواح صام موسى اربعين يوما فردت عليه واعيدت اليه تلك الالواح في لوحين ولم يفقد منها شيا ذكره ابن عباس قال القشيري فعلى هذا وفي نسختها اي وفيما نسخ من الالواح المتكسرة ونقل الى الالواح الجديدة هدى ورحمة وقال عطا وفيما بقي منها وذلك انه لم يبق منها الا سبعها وذهبت ستة اسباعها ولم يكن يذهب من الحدود والاحكام شي وقيل المعنى وفي نسختها اي وفيما نسخ له منها من اللوح المحفوظ او فيما كتب له فيها هدى ورحمة فلا يحتاج اي اصل ينقل عنه للذين هم لربهم يرهبون اي يخافون قال الكوفيون واللام زايدة وقيل هي لام اجل والمعنى والذين هم من اجل ربهم يرهبون لا رياء ولا سمعة وقيل لما تقدم المفعول حسن دخول اللام كقوله ان كنتم للرويا تعبرون فلما تقدم المفعول ضعف عمل الفعل

فصار بمنزلة ما لا يتعدى واختار موسى قومه سبعين رجلا ممن لم يعبد
العجل بامر ربه واختار يتعدى لمفعولين احدهما بحرف الجر وقد حذف
ههنا والتقدير من قومه لميقاتنا اي الوقت الذي وعدنا باتيانهم
فيه ليعتذروا الى الله تعالى من عبادة العجل واستماعهم كلامه من
امر ونهي ليخبروا قومهم بما يسمعونه فلما وصلوا قالوا لن نؤمن لك
حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الرجفة فلما اخذتهم الرجفة اي ماتوا
والرجفة في اللغة الزلزلة الشديدة ويروى انهم زلزلوا حتى
ماتوا قال موسى رب لو شئت اهلكتهم من قبل اي اماتهم واياي
عطف والمعنى لو شئت اهتنا من قبل ان نخرج الى الميقات بمحضر بني
اسرائيل حتى لا يتهموني وعن علي رضي الله عنه قال انطلق موسى ٥
وهرون وشبر وشبير فانتهوا الى جبل فيه سرير فنام عليه هرون
فقبض وحده فرجع موسى الى قومه قالوا انت قتلته حسدتنا على
لينه فقال كيف اقتله ومعي ابناه قال فاختاروا من شئتم فاختاروا
من كل سبط عشرة فذلك قوله واختار موسى قومه سبعين رجلا
فانتهوا اليه فقالوا من قتلك يا هرون فقال ما قتلني احد ولكن الله
تعالى توفاني وقال ابن عباس انما اخذتهم الرجفة لانهم لم ينهوا من
عبد العجل ولم يرضوا عبادته وتقدم انهم ماتوا يوما وليلة وقيل
غير هذا او مقصود الاستفهام في قوله اتهلكنا بما فعل السفها
منا الجحد اي ما تهلك من لم يذنب وقيل معناه الدعا والطلب اي
لا تهلكنا وهو كالنهي لانه من الادنى للاعلى وقيل استفهام استعطاف
اي لا تعذبنا بذنب غيرنا واضافه الى نفسه والمراد القوم الذين

ماتوا وقيل المراد بالسفها السبعون والمعنى اتهلك بني اسرائيل بما فعل
هؤلا السفها في قولهم ارنا الله جهرة ان هي الا فتنتك اي ما هذا الا
اختبارك وامتحانك واضاف الفتنة الى الله ولم يضفها الى نفسه
لانه استفاد ذلك من قوله انا قد فتنا قومك من بعدك تضل بها
اي بالفتنة من تشا اضلاله وتهدي من تشا هدايته انت ولينا
اي ناصرنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين تغفر السيئة
وتبدلها بالحسنة واكتب اوجب لنا في هذه الدنيا حسنة اي
وفقنا للاعمال الصالحة التي يكتب لنا بها الحسنات وفي الاخرة اي
جزاءها انا هدنا اليك المشهور ضم الها وهو من هاد يهود اذا
تاب اي تبنا قاله مجاهد وغيره والهود التوبة قال الله عذابي اصيب
به من اشا تعذيبه اي المستحقين له اي مثل الرجفة والصاعقة عذاب
مني اصيب به من اشا وقيل المعنى من اشا اي من اشا ان اضله وقري
من اسا بالمهملة وفتح الهمزة فعل ماض اي اعاقب المسي ورحمتي
وسعت كل شي فلا نهاية لها اي من دخل فيها لم تعجز عنه وقيل
وسعت كل شي من الخلق حتى ان البهيمة لها رحمة وعطف على ولدها
فساكتبها في الاخرة للذين يتقون الكفر والمعاصي ويؤتون الزكاة
خصها بالذكر لانا فيها ولانها كانت اشق عليهم والذين هم باياتنا
يؤمنون فلا يكفرون بها قال بعض المفسرين طمع في هذه الاية كل شي
حتى ابليس لعنه الله وقال انا شي فقال الله تعالى فساكتبها للذين
يتقون فقالت اليهود والنصارى نحن متقون فقال الله تعالى الذين
يتبعون الرسول النبي الامي فخرجت الاية عن العموم وعن ابن عباس

قال كتبها الله عز وجل لهذه الامة الذين يتبعون الرسول النبي الامي
يعني محمداً في شرعه ودينه وما جاء به والرسول والنبي اسمان لمعنيين
فان الرسول اخص من النبي وقدم الرسول اهتماما لمعنى الرسالة
والا فمعنى النبوة هو المتقدم فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا
لان الرسول والنبي قد اشتركا في امر عام وهو النبا وافترقا في امر هي
الرسالة والامي منسوب الى الامة الامية التي هي على اصل ولادتها
لم تتعلم الكتابة وقال ابن عباس كان نبيكم لا يكتب ولا يقرا ولا
يحسب وقيل نسب صلى الله عليه وسلم الى مكة ام القرى ذكره النحاس
الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل اسما وصفة
وفي البخاري عن عطا بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص
فقلت اخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اجل
والله انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القران يا ايها النبي
انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين انت عبدي
ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق
ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى
يقيم به الملة العوجا بان يقولوا لا اله الا الله ويفتح بها اعينا عميا
واذانا صما وقلوبا زاد كعب في صفة النبي صلى الله عليه وسلم قال مولده
بمكة وهجرته بطابة وملكه بالشام وامته الحامدون يحمدون الله على
كل حال وفي كل منزلة يوضون اطرافهم ويأتزرون الى انصاف سوقهم
رعاة الشمس يصلون الصلوات حيث ادركتهم الخ يامرهم بالمعروف
قال عطا بخلع الانداد ومكارم الاخلاق وصلة الارحام وينهاهم

عن

عن المنكر عبادة الاصنام وقطع الارحام ويحل لهم الطيبات ويحرم
عليهم الخبائث مذهب مالك ان الطيبات هي المحللات فكانها وصفها
بالطيب اذ هي لفظة تتضمن مدحا وتشريفا وبحسب هذا يقول في الخبائث
انها المحرمات وكذلك قال ابن عباس الخبائث هي لحم الخنزير والربا
وغيره ولهذا احل مالك المستقذرات كالحيات والخنافس والعقارب
ونحوها ومذهب الشافعي ان الطيبات هي من جهة المطعم الا ان
اللفظة عنده ليست على عمومها بل يراها مختصة فيما حلله الشرع
ويرى الخبائث لفظا عاما في المحرمات بالشرع وفي المستقذرات فيحرم
الخنافس والعقارب والوزغ وما جرى هذا المجرى ومنها ما يتقوى
بنابه او بمخلبه من السباع والطير لانه ياكل الجيف ولا تستطيبه
العرب وللنهي عن الاول في خبر الصحيحين وخبر مسلم في الثاني فائدة
في الاية مقابلة ثلاثة بثلاثة الامر والنهي والمعروف والمنكر
والباء وعن وكذا ويحل لهم الطيبات الاية الحل والتحريم والطيبات
والخبائث ولهم وعليهم ويضع عنهم اصرهم الاصر الثقل قاله
مجاهد وقتادة وغيرهما والاصر ايضا العهد قاله ابن عباس والحسن
وغيرهما وقد جمعت الاية المعنيين فان بني اسرائيل قد كان اخذ
عليهم عهد ان يقوموا باعمال ثقال فوضع عنهم محمد صلى الله عليه
وسلم ذلك العهد وثقل تلك الاعمال كغسل البول وتحليل الغنائم
ومجالسة الحائض ومؤاكلتها فانهم كانوا اذا اصاب ثوب احدهم
بول قرضه وروي جلد احدهم ويقطعون الاعضا الخاطئة واذا
جمعوا الغنائم نزلت نار من السما فاكلته واذا حاضت المراة

لم يقربوها وغير ذلك والاغلال الشدايد التي كانت عليهم وهي عبارة
مستعارة لثقل الاثقال ومن الاثقال ترك الاشتغال يوم
السبت فانه روي ان موسى عليه السلام راي يوم السبت رجلا
يحمل قصبا فضرب عنقه ولم يكن فيهم الدية وانما كان القصاص
وامروا بقتل انفسهم علامة لتوبتهم الى غير ذلك فشبه ذلك بالاغلال
فالذين امنوا به منهم وعزروه اي وقروه ونصروه واتبعوا
النور الذي انزل معه اي القران ومعنى معه عليه اوليك هم المفلحون
الفلاح الظفر بالمطلوب قل خطاب للنبي يايها الناس اني رسول الله
اليكم جميعا الخطاب عام وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مبعوثا
الى كافة الثقلين وساير الرسل الى اقوامهم وجميعا حال من اليكم
الذي له ملك السموت والارض لا اله الا هو يحيي ويميت ولما ذكر
ان موسى بشر به وان عيسى بشر به امره ان يقول بنفسه اني رسول الله
فامنوا بالله ورسوله لم يقل امنوا بالله وبي ليتمكن من اجرا الصفات
التي ذكرها بقوله بعد بقوله النبي الامي الذي يومن بالله وكلماته
ليعلم ان الذي وجب الايمان به والاتباع له هو من وصفه بهذه
الصفات ولو اتى بالضمير لم يمكن ذلك لانه لا يوصف ومعنى
وكلماته كلمات الله وهي كتبه من التوراة والانجيل والقران واتبعوه
لعلكم تهتدون ترشدون ومن قوم موسى امة يهدون بالحق
اي يدعون الناس الى الهداية وبه يعدلون اي في الحكم وفي التفسير
ان هولا القوم من ورا الصين من وراء نهر الرمل يعبدون الله بالحق
امنوا بمحمد وتركوا السبت يستقبلون قبلتنا لا يصل الينا منهم

احد

احد ولا منا اليهم احد فروي انه لما وقع الاختلاف بعد موسى كانت
منهم امة يهدون بالحق ولم يقدروا ان يكونوا بين ظهراني بني
اسرايل حتى اخرجهم الله الى ناحية من ارضه في عزلة من الخلق فصار
لهم سرب في الارض فمشوا فيه سنة ونصف سنة حتى خرجوا
ورا الصين فهم على الحق الى الان وبين الناس وبينهم بحر لا يوصل
اليهم ذهب جبريل بالنبي صلى الله عليه وسلم اليهم ليلة المعراج
فامنوا به وعلمهم سورا من القران وقال لهم هل لكم مكيال
او ميزان قالوا لا قال فمن اين معاشكم قالوا نخرج الى البرية فنزرع
فاذا حصدنا وضعناه هناك فاذا احتاج احدنا اليه ياخذ حاجته قال
واين نساكم قالوا في ناحية منا فاذا احتاج احدنا الى زوجته
صار اليها قال افيكذب احدكم قالوا لو فعل ذلك احدنا اخذته
لظى قال فما بال بيوتكم مستوية قالوا لئلا يعلو بعضنا على بعض قال
فما بال قبوركم على ابوابكم قالوا لئلا نغفل عن ذكر الموت ثم لما رجع
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الدنيا من ليلة الاسرا انزل عليه
وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون يعني يعلم محمدا
صلى الله عليه وسلم ان الذي اعطيت موسى في قومه اعطيتك في
امتك وقيل هم الذين امنوا بنبينا عليه الصلاة والسلام من اهل
الكتاب وقيل هم قوم من بني اسرايل تمسكوا بشرع موسى قبل نسخه
ولم يبدلوا ولم يقتلوا الانبيا وقطعناهم اي صيرناهم
وقيل فرقناهم والمراد قوم موسى اثنتي عشرة اسباطا امما
انث والسبط مذكر لان ما بعده امما فذهب التانيث الى الامم

وقيل اراد بالاسباط القبايل والفرق فلذلك انث العدد الزجاج المعنى قطعناهم اثنتي عشرة فرقة اسباطا بدلا من اثنتي عشرة وانما نعت الاسباط والاسباط في ولد اسحق بمنزلة القبايل في ولد اسماعيل واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه في التيه ان اضرب بعصاك الحجر فضربه فانبجست ومعنى انبجست انفجرت وقيل الانبجاس اولا ثم الانفجار منه اثنتا عشرة عينا بعدد الاسباط قد علم كل اناس سبط مشربهم وظللنا عليهم الغمام في التيه من حر الشمس وانزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم الايات وتقدم واسالهم عن القرية اي اسال يا محمد عن اهل القرية اي اسئل يا محمد اليهود الذين هم جيرانك عن اخبار اسلافهم وما مسخ الله منهم قردة وخنازير وهذا سوال تقرير وتوبيخ وكان ذلك علامة لصدق النبي صلى الله عليه وسلم اذ اطلعه الله على تلك الامور من غير تعلم وكانوا يقولون نحن ابنا الله واحباوه فقال لنبيه سلهم يا محمد عن القرية اما عذبهم بذنوبهم وذلك بتغيير فرع من فروع الشريعة واختلف في القرية فقال ابن عباس وغيره هي ايله وقيل مدين بين ايله والطور الزهري طبرية قتادة وغيره هي ساحل من سواحل الشام وكان اليهود يكتمون هذه القصة لما فيها من السبة عليهم التي كانت حاضرة البحر اي بقرب بحر القلزم اذ يعدون يظلمون في السبت اي يصيدون الحيتان وقد نهوا عنه وهو اليوم المعروف وهو من الراحة والقطع وكانوا يهيئون الالة يوم الجمعة لاخذها اذ ظرف ليعدون

تاتيهم

تاتيهم حيتانهم يوم سبتهم اي يوم تعظيمهم السبت يقال سبتت اليهود اذا عظمت سبتها بالتجرد للعبادة وقيل اسم اليوم والاضافة لاختصاصهم باحكام فيه شرعا اي شوارع ظاهرة على الما كثيرة وقيل ان حيتان البحر كانت ترد يوم السبت عنقا من البحر تزاحم ايلة الهمها الله تعالى انها لا تصاد يوم السبت لنهيه اليهود عن صيدها وقيل انها كانت تشرع على ابوابهم كالكباش البيض رافعة رؤسها فتعدوا فاخذوها في السبت قاله الحسن وقيل يوم الاحد وهو الاصح ويوم لا يسبتون اي لا يعظمون السبت اي ساير الايام لا تاتيهم حيتانهم ابتلا من الله تعالى كذلك نبلوهم اي نشدد عليهم في العبادة ونختبرهم بما كانوا يفسقون اي بفسقهم روي انها كانت في زمن داود وان ابليس اوحى اليهم فقال انما نهيتم عن اخذها يوم السبت فاتخذوا الحياض فكانوا يسوقون الحيتان اليها يوم الجمعة فتبقى فيها فلا يمكنها الخروج منها لقلة الما فياخذونها يوم الاحد وروى ان الرجل كان ياخذ ويعقد ويلقيها في ذنب الحوت وفي الطرف الاخر من الخيط وتد ويتركه كذلك الى الاحد ثم تطرق الناس حين راوا من صنع هذا لا يبتلي حتى كثر صيد الحوت ومشى به في الاسواق فقامت فرقة منهم ونهت وجاهرت بالنهي واعتزلت وقسموا القرية بجدار فاصبح الناهون ذات يوم ولم يخرج من المعتدين احد فعلوا على الجدار ونظروا فاذا هم قردة ففتحوا الباب ودخلوا عليهم فعرفت القردة انسابها فجعلت القردة تاتي

يشبهها من الانس فتشم ثيابه وتبكي فيقول الم ننهكم فتقول براسها
نعم قال قتادة فصارت الشبان قردة والشيوخ خنازير فما نجا الا
الذين نهوا وهلك سايرهم فعلى هذا القول ان بني اسرايل انقسمة
فرقتين والجمهور ان بني اسرايل افترقت ثلاث فرق وهو الظاهر
فرقة عصت وصادت وكانوا نحوا من سبعين الفا وفرقة نهت
واعتزلت وكانوا اثني عشر الفا وفرقة اعتزلت ولم تنه وان
هذه الطايفة قالت للناهية **لم تعظون قوما** تريد العاصية
الله مهلكهم او معذبهم على غلبة الظن فقالت الناهية لمن لم تنه
معذرة الى ربكم لئلا ننسب الى تقصير في ترك النهي **ولعلهم يتقون**
الصيد ولو كانوا فرقتين لقالت الناهية للعاصية ومعذرة
بالرفع اي موعظتنا معذرة وبالنصب على المفعول له اي وعظنا
للمعذرة وقيل مصدر اي نعتذر معذرة ومعنى يتقون ينتهون
قال ابن عباس ان الطايفة التي لم تعص ولم تنه هلكت
مع العاصية عقوبة على ترك النهي وعنه ايضا لا ادري ما فعل
بهم **فلما نسوا ما ذكروا به** اي تركوه عن قصد ومنه نسوا الله فنسيهم
انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بالاعتدا ومخالفة
امر الله **بعذاب بئيس** على وزن بيس نعت للعذاب اي شديد
وقيل مصدر مثل النذير والتقدير بعذاب ذي باس اي ذي شدة
وقرئ بيس بوزن عيس بلا همز وقرئ بالهمز على وزن ميسر وقرئ
بيئس على وزن حيدر وضيغم **بما كانوا يفسقون** بسبب فسقهم
فلما عتوا عما نهوا عنه اي فلما تجاوزوا في معصية الله **قلنا لهم**

كونوا

كونوا قردة خاسئين يقال خسا ته خسا اي باعدته وطردته قيل
انه قال لهم ذلك بكلام يسمع فكانوا كذلك وقيل المعنى كوناهم
قردة **واذ تاذن ربك ليبعثن عليهم** اي اعلم اسلافهم انهم
ان غيروا ولم يؤمنوا بالنبي الامي بعث الله عليهم **الى يوم القيمة**
من يسومهم اي يذيقهم **سوء العذاب** قيل المراد بخت نصر قتلهم
وسباهم وضرب عليهم الجزية فكانوا يؤدونها الى المجوس وقيل
العرب وقيل امة محمد صلى الله عليه وسلم وهو الظاهر فانهم الباقون
الى يوم القيمة وقال ابن عباس سوء العذاب هنا الجزية فان قيل انهم
مسخوا فكيف تؤخذ منهم الجزية فالجواب انها تؤخذ من ابنايهم
واولادهم وهم اذل قوم وهم يهود وقال ابن جبير هو الخراج
ولم يجب نبي قط الخراج الا موسى هو اول من وضع الخراج فجبى
ثلاث عشرة سنة ثم امسك ونبينا صلى الله عليه وسلم **ان ربك**
لسريع العقاب لمن عصاه **وانه لغفور رحيم** لمن اطاعه **وقطعناهم**
في الارض امما مفعول ثان او حال اي فرقناهم في البلاد المراد
به تشتت امرهم فلم تجتمع لهم كلمة **منهم الصالحون** المراد
من امن بمحمد صلى الله عليه وسلم ومن لم يبدل منهم ومات قبل
نسخ شرع موسى او هم الذين وراء الصين كما تقدم **ومنهم ناس**
دون ذلك والمراد الكفار والفاسقون منهم **وبلوناهم** اي
اختبرناهم **بالحسنات** اي بالخصب والعافية **والسيات** اي بالجدب
والشدايد **لعلهم يرجعون** اي ليرجعوا عن كفرهم **فخلف من بعدهم**
خلف يعني اولاد الذين فرقهم في الارض اي الاعراب الخلف

بالفتح المصالح والخلف بالسكون الصالح وهو المستعمل وقد يوضع كل منهما
موضع الاخر ومقصودا لاية الذم ورثوا الكتاب اي التوراة ورثوا
كتاب الله يقراوه وعلموه وخالفوا حكمه واتوا محارمه مع دراستهم فكان
هذا توبيخا لهم وتقريعا ياخذون عرض هذا الادنى اخبر عنهم انهم
ياخذون ما يعرض لهم من متاع الدنيا الدنى حلالا كان او حراما
لشدة حرصهم ويقولون سيغفر لنا ما فعلناه وهم لا يتوبون ودل
على انهم لا يتوبون قوله وان ياتهم عرض مثله ياخذوه والعرض
متاع الدنيا بفتح الراء واسكانها ما كان من المال سوى الدراهم
والدنانير والاشارة في الاية الى الرشا والمكاسب الخبيثة ثم
ذمهم باغترارهم وقولهم سيغفر لنا وانهم بحال اذا امكنتهم
ثانية ارتكبوها فقطعوا باغترارهم بالمغفرة وهم مصرون
وليس في التوراة وعد المغفرة مع الاصرار وانما يقول سيغفر
لنا من اقلع وندم الم يوخذ عليهم ميثاق الكتاب يريد التوراة
وهذا تشديد في لزوم قول الحق في الشرع والاحكام وان لا يميل
الحكام بالرشا الى الباطل والاستفهام للتقرير والاضافة بمعنى
في ودرسوا ما فيه اي قراوه وهم قريبوا عهد به قال ابن زيد
كانوا اذا جاءهم المحق برشوة اخذوا اخرجوا له كتاب الله فيحكمون
له به فاذا جا المبطل اخذوا منه الرشوة واخرجوا له كتابهم الذي
كتبوه بايديهم وحكموا قال ابن عباس ان لا يقولوا على الله الا الحق
وقد قالوا الباطل في غفران ذنوبهم الذي يوجبونه ويقطعون به
وقال بعض العلما ودرسوا ما فيه محوه بترك العمل به والفهم

لم

له من قولك درست الريح الاثار اذا محتها والدار الاخرة خير
للذين يتقون الحرام افلا تعقلون باليا والتا انها خير فيوثرونها
على الدنيا والذين يمسكون بالكتاب بالتوراة اي بالعمل بها واقاموا
الصلاة اقامة الصلاة من جملة التمسك بالكتاب لكن خصت بالذكر
اظهارا لرتبتها لكونها عماد الدين انا لا نضيع اجر المصلحين اي
منهم ووضع الظاهر موضع المضمر واذكر اذ نتقنا الجبل فوقهم
اي قلعناه ورفعناه كانه ظلة اي كانه لارتفاعه سحابة تظل
وهو جبل نزلوا في اصله فرفع فوقهم لتومنن او ليقعن عليكم وظنوا
اي تيقنوا انه واقع بهم اي ساقط عليهم وقيل لهم خذوا ما اتيناكم
بقوة اي بجد وعزم واذكروا ما فيه بالعمل به لعلكم تتقون واذ
اخذ ربك من بني ادم اي واذكر لهم ما سبق من تذكير المواثيق
ما اخذته من الميثاق من العباد يوم الذر من ظهورهم ذرياتهم
روى عن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اخذوا
من ظهره كما يوخذ بالمشط من الراس وجعل الله لهم عقولا كنملة
سليمان واشهدهم على انفسهم اي اخذ عليهم العهد بانه ربهم
وان لا اله غيره فاقروا بذلك والتزموه واعلمهم بانه سيبعث
اليهم الرسل فشهد بعضهم على بعض قال ابي بن كعب واشهد
عليهم السموات السبع ابن عباس اخذ عليهم العهد ببطن نعمان واد
الى جنب عرفة وقيل برهبا ارض بالهند الذي هبط به ادم قال
ابن جريج خرجت كل نفس مخلوقة للجنة بيضا وكل نفس مخلوقة
للنار سودا قال ابن العربي ان قيل كيف يعذب الله الخلق

وهم لم يذنبوا او يعاقبهم على ما اراده منهم وكتبه عليهم قلنا من اين
يمتنع اعقلا ام شرعا فان قيل فان الرحيم الحليم منا لا يجوز ان يفعل
ذلك قلنا لان فوقه امرا امره وناهيا نهاه وربنا لا يسئل عما يفعل
وهم يسئلون ولا يجوز ان يقاس الخلق بالخالق وهذا الذي يجد
الادمي انما يبعثه عليه رقة الجبلية وشفقة الجنسية والباري
متقدس عن ذلك وقوله من ظهورهم بدل اشتمال من قوله بني ادم
والفاظ الاية تقتضي ان الاخذ انما كان من بني ادم وليس لادم في
الاية ذكر بحسب اللفظ ووجه النظم على هذا واذ اخذ ربك من
ظهور بني ادم ذريتهم وانما لم يذكر ظهر ادم لان المعلوم ان كلهم
بنوه وانهم اخرجوا يوم الميثاق من ظهره فاستغنى عن ذكره الست
بربكم قالوا بلى شهدنا قال ابن عباس وغيره لو قالوا نعم كفروا
ووجهه ان نعم تصديق المخبر بنفي او ايجاب فكانهم قالوا لست
ربنا بخلاف بلى فانها لابطال النفي فالتقدير انت ربنا فان
قيل فما فينا من يذكر ذلك اليوم فالجواب ان الله تعالى اخبر بما
جرى على لسان الصادق فقام مقام الذكر فصح الاحتجاج ان تقولوا
يوم القيمة انا كنا عن هذا التوحيد غافلين او تقولوا انما
اشرك آباؤنا من قبل قرئ بالياء فيهما ردا على لفظ الغيبة المذكور
قبله وقرئ بالتاء على لفظ الخطاب المتقدم في قوله الست بربكم
قالوا بلى ويكون شهدنا من قول الملائكة لما قالوا بلى قالت
الملائكة شهدنا ان تقولوا اي لئلا تقولوا وقيل معنى ذلك انهم
لما قالوا بلى فاقروا له بالربوبية قال الله للملائكة اشهدوا

قالوا

قالوا شهدنا باقراركم لئلا تقولوا او يقولوا وهذا قول مجاهد وغيره
وقال ابن عباس وابي بن كعب قوله شهدنا هو من قول بني ادم
والمعنى شهدنا انك ربنا والهنا وقال ابن عباس اشهد بعضهم
على بعض فالمعنى على هذا قالوا بلى شهد بعضنا على بعض وكنا ذرية
من بعدهم اي اقتدينا بهم افتهلكنا بما فعل المبطلون يعني
اباهم والمعنى لست تفعل هذا ولا عذر للمقلد في التوحيد لان
التقليد عند قيام الدليل والتمكن من العلم به لا يصلح عذرا وكذلك
نفصل الآيات نبينها مثل ما بينا الميثاق ليتدبروها ولعلهم يرجعون
عن كفرهم واتل عليهم نبا خبر الذي آتيناه آياتنا ذكرها اهل الكتاب
قصة عرفوها في التوراة قال ابن مسعود وابن عباس هو بلعم بن
باعوراء من بني اسرائيل في زمن موسى وكان بحيث اذا نظر يرى
العرش وكان في مجلسه اثنى عشر الف محبرة للمتعلمين الذين يكتبون
عنه ثم صار بحيث انه صنف كتابا ان ليس للعالم صانع وقال
مالك بن دينار بعث بلعم بن باعوراء الى ملك مدين ليدعوه
الى الايمان فاعطاه واقطعه فاتبع دينه وترك دين موسى
ففيه نزلت هذه الآيات وروي انه سئل ان يدعو على موسى
واهدي اليه شيء فدعا فانقلب عليه واندلع لسانه على صدره
وقيل غير هذا فانسلخ منها اي من معرفة الله تعالى اي نزع منه
العلم الذي كان يعلمه وفي الحديث العلم علمان علم في القلب
فذلك العلم النافع وعلم على اللسان فذلك حجة الله على ابن
ادم فهذا امثل علم بلعام واشباهه والانسلاخ الخروج يقاله

قصة بلعم بن باعور

انسلخت الحية من جلدها وقيل هو المقلوب اي انسلخت الايات منه
فاتبعه الشيطان اي لحق به فصار قرينه فكان من الغاوين
اي الضالين وقيل نزلت في اليهود والنصارى انتظروا خروج
محمد صلى الله عليه وسلم وكفروا به وقيل امية بن ابي الصلت
كان قد قرا الكتب وعلم ان الله يرسل رسولا في ذلك الزمان ورجا
ان يكون هو فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم حسده ولو شئنا
لرفعناه بها اي لو شئنا لامتناه قبل ان يعصي فرفعناه الى الجنة
بالعمل بها وقيل لو شئنا لرفعناه الى منازل الابرار من العلما بسبب
تلك الايات وملازمتها بان نوفقه للعمل ولكنه اخلد الى
الارض اي ركن اليها وعن مجاهد سكن اليها اي الى لذاتها واصل
الاخلاد اللزوم فكان المعنى لزم لذات الدنيا فعبر عنها بالارض
لان متاع الدنيا على وجه الارض وقيل المعنى مال الى السفالة
واتبع هواه اي ما زين له الشيطان فوضعناه وقيل كان هواه
مع الكفار وقيل اتبع رضا زوجته وكانت رغبت في اموال حتى
حملته على الدعا على موسى فمثله اي صفته كمثل الكلب ابدا وخبر
ان تحمل عليه يلهث يدلع لسانه شرط وجوابه وهو في موضع الحال
اي فمثله كمثل الكلب لاهثا والمعنى انه على شيء واحد لا يرعوي
عن المعصية كمثل الكلب الذي هذه حاله فالمعنى انه لاهث على
كل حاله طردته او لم تطرده وقال الترمذي انما شبهه بالكلب
من بين السباع لان الكلب ميت الفواد وقيل من اخلاق الكلب
الوقوع بمن لم يخفه على جهة الابتدا بالجفا ثم تهدا طايشته

بنيل

بنيل كل عرض خسيس ضربه الله مثلا للذي قبل الرشوة في الدين
حتى انسلخ من ايات ربه ذلك مثل القوم الذين كذبوا باياتنا
اي هو مثل جميع الكفار فاقصص القصص على اليهود لعلهم
يتفكرون يتدبرون فيها فيؤمنون ساء مثلا القوم الذين
كذبوا باياتنا اي قبح مثلهم وتقديره ساء مثلا مثل القوم
فحذف المضاف ونصب مثلا على التمييز وانفسهم كانوا يظلمون
بالتكذيب من يهدي الله فهو المهتدي ومن يضلل فاولئك هم
الخاسرون تقدم ولقد ذرانا خلقنا لجهنم كثيرا من الجن والانس
اي خلق للنار اهلا بعدله ثم وصفهم فقال لهم قلوب لا يفقهون
بها الحق وعبر بالقلوب عن العقل وهو من باب تسمية المحل باسم
الحال كما عبر بالافواه عن الالسن في قوله يقولون بافواههم ما
ليس في قلوبهم وبالقرية عن ساكنيها في قوله واسئل القرية اي
هم بمنزلة من لا يفقه لانهم لا ينتفعون بها فلا يرجون
ثوابا ولا يخافون عقابا ولهم اعين لا يبصرون بها الهدى
بصر اعتبار ولهم اذان لا يسمعون بها المواعظ سماع تدبر
وليس الغرض نفي الادراكات عن حواسهم جملة اولئك كالانعام
بل هم اضل لانهم لا يهتدون الى ثواب فهم كالانعام اي
همتهم الاكل والشرب وهم اضل لان الانعام تبصر منافعها
ومضارها وتتبع مالكها وهم بخلاف ذلك وقال عطا الانعام
تعرف الله والكافر لا يعرفه اولئك هم الغافلون اي الذين
تركوا التدبر واعرضوا عن الجنة والنار ولله الاسما الحسنى

فادعوه بها قال مقاتل وغيره نزلت في رجل من المسلمين كان يقول
في صلاته يا رحمن يا رحيم فقال رجل من مشركي مكة اليس يزعم
محمد واصحابه انهم يعبدون ربا واحدا فما بال هو لا يدعون
ربين اثنين فانزل الله ولله الاسما الحسنى وفي الحديث ان لله
تسعة وتسعين اسما مائة الا واحدا من احصاها دخل الجنة
ومعنى احصاها عدها وحفظها وقيل غير هذا قال ابن الحصار وفي
هذه الاية وقوع الاسم على المسمى ووقوعه على التسمية فقوله
ولله واقع على المسمى وقوله الاسما وهو جمع اسم واقع على التسميات
يدل على صحة ما قلناه قوله فادعوه بها فالها في قوله فادعوه
تعود على المسمى سبحانه فهو المدعو والها في قوله بها تعود على
الاسما وهي التسميات التي يدعوه بها لا بغيرها والذي يذهب اليه
اهل الحق ان الاسم هو المسمى وصفة له تتعلق به وانه غير التسمية
وقال القاضي ابو بكر في تاويل قول النبي صلى الله عليه وسلم لله تسعة
وتسعون اسما من احصاها دخل الجنة اي ان له تسعة وتسعين
تسمية بلا خلاف وهي عبارات عن كون الله تعالى على اوصاف شتى
منها ما يستحقه لنفسه ومنها ما يستحقه لصفة تتعلق به
واسماؤه العايدة الى نفسه هي هو وما تعلق بصفة له فهي اسما
له ومنها صفات لذاته ومنها صفات افعال وهذا هو تاويل
قوله تعالى ولله الاسما الحسنى فادعوه بها اي التسميات الحسنى
والحسنى تانيث الاحسن ومعنى فادعوه بها اي سموه بها وقيل
اطلبوا منه باسمائه فيطلب بكل اسم ما يليق به بقوله يا رحيم

ارحمني

ارحمني يا رازق ارزقني يا هادي اهدني يا تواب تب علي فان دعوت
باسم عام قلت يا مالك ارحمني يا لطيف ارزقني وان دعوت بالاسم
الاعظم قلت يا الله فهو متضمن لكل اسم وذروا الذين يلحدون
في اسمائه الالحاد الميل وترك القصد ومنه اللحد في القبر
لانه في ناحيته والالحاد يكون بثلاثة اوجه احدها بالتغيير
فيها كما فعله المشركون وذلك انهم عدلوا بها عما هي عليه فسموا
بها اوثانهم فاشتقوا اللات من الله والعزى من العزيز ومناة
من المنان قاله ابن عباس وقتادة الثاني بالزيادة فيها الثالث
بالنقصان ومعنى الزيادة في الاسما التشبيه والنقصان
التعطيل فان المشبهة وصفوه بما لم ياذن فيه والمعطلة سلبوه
ما اتصف به سبيل الشيخ ابو الحسن البوشنجي عن التوحيد فقال
اثبات ذات غير مشبهة بالذوات ولا معطلة من الصفات وقد
قيل في قوله تعالى وذروا الذين يلحدون معناه اتركوهم
ولا تعرضوا لهم فالاية على هذا منسوخة بالقتال قاله ابن
زيد وقيل معناه الوعيد كقوله ذرهم ياكلوا ويتمتعوا وهو
الظاهر من الاية لقوله سيجزون في الاخرة جزاء ما كانوا يعملون
وممن خلقنا امة يهدون بالحق اي يعملون به وبالعمل به يعدلون
وفي الخبر انهم هذه الامة وروي انه صلى الله عليه وسلم
قال هذه لكم وقد اعطى الله قوم موسى مثلها ودلت الاية على
ان الله عز وجل لا يخلي الدنيا في وقت من الاوقات من داع
يدعو الى الحق والذين كذبوا باياتنا القران سنستدرجهم

اي ياتيهم من حيث لا يعلمون ابن عباس هم اهل مكة والاستدراج
هو الاخذ بالتدريج منزلة بعد منزلة فالاستدراج ان يحط درجة
بعد درجة الى المقصود قال الضحاك كلما جددوا معصية جددنا
لهم نعمة وقيل لذي النون ما اقصى ما يخدع به العبد قال بالالطاف
والكرامات يسبغ عليهم النعم وينسيهم الشكر واملي لهم
اي اطيل لهم المدة وامهلهم واوخر عقوبتهم ان كيدي اي مكري
متين اي شديد قوي لا يطاق قيل نزلت في المستهزئين من قريش
قتلهم الله في ليلة واحدة اولم يتفكروا اي فيما جاءهم به محمد
صلى الله عليه وسلم والوقف على يتفكروا احسن ويكون ما بصاحبهم
من جنة ردا لقولهم يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون وقيل ما
استفهام اي اولم يتفكروا اي شي بصاحبهم من الجنون مع انتظام
اقواله وافعاله وقيل هي بمعنى الذي اي اولم يتفكروا اي شي بصاحبهم
في الذي بصاحبهم وعلى هذا يكون الكلام خرج على زعمهم قيل نزلت
بسبب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام ليلة على الصفا يدعو
قريشا فخذا فخذا فيقول يا بني فلان يحذرهم باس الله وعقابه فقال
قايلهم ان صاحبكم هذا لمجنون بات يصوت حتى الصباح ان هو
الا نذير مبين اي موضح انذاره بحيث لا يخفى على ناظر اولم ينظروا
في ملكوت السموت والارض النظر لغة يقال لمعان منها الاعتبار
والروية وهو عند الاصوليين فكر يودي الى علم او اعتقاد او ظن
وما خلق الله من شي اي مما يقع عليه الشي من الاجناس التي لا
يمكن حصرها ليدلهم على كمال قدرة صانعه وقد عجب من اعراضهم

عن النظر

عن النظر في اياته والملكوت من ابنية المبالغة ومعناه الملك العظيم
وما خلق الله من شي معطوف على ما قبله اي وفيما خلق الله من شي وان
انه عسى ان يكون قد اقترب اجلهم اي وفي اجلهم الذي عسى انه
يكون قريبا فهو في موضع خفض معطوف على ما قبله وقال ابن
عباس اراد باقتراب الاجل يوم بدر فباي حديث بعده يومنون
اي باي قران غير ما جا به محمد صلى الله عليه وسلم يصدقون وقيل
الها للاجل على معنى باي حديث بعد الاجل يومنون حين لا ينفعهم
الايمان لان الاخرة ليست بدار تكليف من يضلل الله فلا هادي له
ويذرهم في طغيانهم قري بالرفع على الاستيناف وبالجزم حملا
على موضع الفا وما بعدها يعمهون يتحيرون وقيل يترددون
يسالونك عن الساعة ايان مرسها ايان سوال عن الزمان مثل
متى وكانت اليهود تقول للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت نبيا
فاخبرنا عن الساعة متى تقوم وروي ان المشركين قالوا ذلك لفرط
الانكار والمراد بالساعة القيمة وهي من الاسما الغالبة واطلاقها
عليها اما لوقوعها بغتة او لسرعة حسابها او لانها على طولها كساعة
ومرسها في موضع رفع بالابتدا عند سيبويه والخبر ايان وهو
ظرف مبني على الفتح بني لان فيه معنى الاستفهام ومرسها بضم
الميم من ارساها الله تعالى اي اثبتها اي متى مثبتها اي متى وقوعها
ومرسها بفتح الميم من رست اي ثبتت قل انما علمها متى تكون عند
ربي اي لم يبين بينها لاحد حتى يكون العبد ابدا على حذر لا يجليها
اي لا يظهرها لوقتها اي في وقتها الا هو والتجلية اظهار الشي ثقلت

في السموات والارض اي خفي علمها على اهل السموات والارض وكلما خفي
علمه فهو ثقيل على الفواد وقيل كبر مجيئها على اهل السموات والارض
وقال قتادة وغيره المعنى لا تطيقها السموات والارض لعظمها
لان السموات تنشق والنجوم تتناثر وقيل عظم وصفها على اهل
السموات والارض قاله الحسن وغيره وقيل ثقلت المسئلة عنها
لا تاتيكم الا بغتة اي فجاة مصدر في موضع الحال يسالونك
كانك حفي عنها اي عالم بها كثير السوال عنها قال ابن فارس الحفي
العالم بالشي والحفي المستقصي في السوال وقال ابن عباس وغيره
هو على التقديم والتاخير والمعنى يسالونك عنها كانك حفي بهم اي
حفي ببرهم وفرح بسوالهم وذلك لانهم قالوا بيننا وبينك قرابة
فاسر الينا بوقت الساعة قل انما علمها عند الله ليس هذا تكريرا
ولكن احد العلمين لوقوعها والاخر لكنهها وقيل تاكيد ولكن اكثر
الناس لا يعلمون ان علمها عنده تعالى قل لا املك لنفسي نفعا ولا
ضرا اي لا املك ان اجلب الى نفسي خيرا ولا ادفع عنها شرا فكيف
املك علم الساعة وقيل لا املك لنفسي الهدى والضلال الا ما شا
الله في موضع نصب بالاستثنا والمعنى الا ما شا الله ان يملكني
ويمكنني ولو كنت اعلم الغيب ما غاب عني لاستكثرت من الخير
اي لو كنت اعلم ما يريد الله تعالى مني من قبل ان يعرفنيه لفعلته
او لو كنت اعلم متى يكون لي النصر في الحرب لقاتلت فلم اغلب وقال
ابن عباس لو كنت اعلم سنة الجدب لهيات لها في زمن الخصب ما يكفيني
وقيل لو كنت اعلم متى اموت لاستكثرت من العمل الصالح عن

الحسن

الحسن وغيره وقيل المعنى لو كنت اعلم الغيب لاجبت عن كل ما اسيل
عنه وكله مراد والله اعلم وما مسني السو استيناف كلام اي ليس
بي جنون لانهم نسبوه الى الجنون وقيل هو متصل والمعنى لو علمت
الغيب لما مسني السو من فقر وغيره وللحذرت ان انا الا نذير
وبشير لقوم يومنون هو الذي خلقكم من نفس واحدة يعني
ادم وجعل خلق منها زوجها يعني حوا ليسكن اليها اي ليانس بها
ويطمين وكل هذا كان في الجنة ثم ابتدا بحالة اخرى هي في الدنيا
بعد هبوطهما فقال فلما تغشاها كناية عن الوقاع حملت حملا
خفيفا كل ما كان في بطن او على راس شجرة فهو حمل بالفتح واذا
كان على ظهر او على راس فهو حمل بالكسر وقال ابو سعيد السيرافي
يقال في حمل النخلة حمل وحمل يشبه مرة لاستبطانه بحمل
المراة ومرة لبروزه وظهوره بحمل الدابة فمرت به يعني المني
اي استمرت بذلك الحمل الخفيف يقول تقوم وتقعد وتقلب
ولا تكترث لحمله الى ان ثقل عن الحسن ومجاهد وغيرهما وقيل
المعنى فاستمر بها الحمل فهو من المقلوب فلما اثقلت بكبر الولد اي
صارت ذات ثقل كما تقول اثمر النخل وقيل دخلت في الثقل كما
تقول اصبح وامسى دعوا الله ربهما اي ادم وحوا لين اتيتنا
صالحا يعني ولدا صالحا سويا لنكونن من الشاكرين لك فلما
اتاهما صالحا جعلا له شركا قرى شركا جمع شريك على وزن
كرما وشركا على تقدير ذا شرك فيما اتاهما روي ان ابليس اتى
حوا فقال لعل حملك خنزيرا او كلبا ارايت ان دعوت الله فجعله

انسانا مثلك ومثل ادم انسميته باسمي قالت نعم فحينئذ دعوا
الله ربهما فلما ولدت جاها فقال اين ما وعدتني قالت ما اسمك
قال الحارث فسمته عبد الحارث قال المفسرون كان شركا في
التسمية والصفة لا في العبادة والربوبية وقيل ان هذا
راجع الى جنس الادميين والتبيين عن حال المشركين من ذرية
ادم وهو الذي يعول عليه فقوله جعلا له يعني الذكر والانثى
الكافرين ويعني به الجنسان ودل على هذا فتعالى الله عما
يشركون ولم يقل يشركان وهذا قول حسن وقيل المعنى خلقكم من يقل
نفس واحدة من هيئة واحدة وشكل واحد وجعل منها زوجها
اي من جنسها فلما تغشاها يعني الجنسين وعلى هذا لا يكون لادم
وحوا ذكر في الاية فاذا اتاهما الولد صالحا سليما سويا كما ارادا
صرفاه عن الفطرة الى الشرك فهذا فعل المشركين وقال عكرمة
لم يخص بها ادم ولكن جعلها عامة لجميع الخلق بعد ادم ايشركون
به ما لا يخلق شيئا اي يعبدون ما لا يقدر على خلق شي وهم
يخلقون اي ان الاصنام مخلوقة وقال يخلقون بالواو والنون
لانهم اعتقدوا ان الاصنام تضر وتنفع فاجريت مجرى الناس
ولا يستطيعون لهم نصرا اي لعابديهم ولا انفسهم ينصرون
يمنعها ممن اراد بهم سوء من كسر او غيره فهي لا تنصر ولا تنتصر
والاستفهام للتوبيخ وان تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم
قال الاخفش اي وان تدعوا الاصنام الى الهدى لا يتبعوكم
وقيل المشركون فعلى الاول وتراهم ينظرون اليك اي

الاصنام

الاصنام لان لهم اعينا مصنوعة وعلى الثاني ينظر المشركون باعينهم
ولا يبصرون بقلوبهم على ما باتي وقيل المراد من سبق في علم
الله انه لا يومن سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون
قال احمد بن يحيى لانه راس اية يريد انه قال ام انتم صامتون
ولم يقل ام صمتم وقرى لا يتبعوكم مخففا ومشددا لغتان
لمعنى وقال بعض اهل اللغة اتبعه مخففا اذا مضى خلفه
ولم يدركه واتبعه مشددا اذا مضى خلفه فادركه ان الذين
تدعون اي ان الذين تعبدون وقيل تدعونها الهة من دون
الله اي من غير الله عباد امثالكم سميت الاصنام والاوثان
عبادا لانها مملوكة لله مسخرة وقيل مخلوقة امثالكم فادعوهم
اي فاطلبوا منهم النفع والضر فليستجيبوا لكم دعاكم ان كنتم
صادقين ان عبادة الاصنام تنفع ثم وبخهم وسفه عقولهم
وبين فضل عابديها عليهم فقال الهم ارجل يمشون بها الاية
اي انتم الكل منهم فكيف تعبدونهم والاستفهام للانكار والغرض
بيان جهلهم لان المعبود يتصف بالجوارح ولام فليستجيبوا الاصل
ان تكون مكسورة حذفت الكسرة لثقلها ثم قيل في الكلام
حذف والمعنى فادعوهم الى ان يتبعوكم فليستجيبوا لكم ان
كنتم صادقين انهم الهة قل لهم يا محمد ادعوا شركاكم اي
الاصنام ثم كيدون انتم وهي فلا تنظرون اي فلا تؤخرون
فاني لا ابالي بكم والكيد الحرب ان وليي الله الذي نزل الكتاب
اي الذي يتولى نصري وحفظي الله وولي النبي الذي يحفظه ويمنع

منه والكتاب القران وهو يتولى الصالحين اي يحفظهم والذين
تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون
فكيف اباليهم وكرره ليبين ان ما يعبدونه لا ينفع ولا يضر
وان تدعوهم الى الهدى شرط والجواب لا يسمعوا وتراهم
مستانف ينظرون اليك في موضع الحال يعني الاصنام ومعنى
النظر فتح العينين الى المنظور اليه اي وتراهم كالناظر اليك
وخبر عنهم بالواو وهي جماد لا تبصر لان الخبر جرى على فعل
من يعقل وقيل كانت لهم اعين من جواهر مصنوعة وقد احتج
المعتزلة بهذه الاية على نفي الروية وان النظر في قوله تعالى الى
ربها ناظرة يوم القيمة لا يستلزم الابصار ورد بان المعنى
انها تنظر اليه باقبالها عليه وليست تبصر شيا وقيل المراد بذلك
المشركون اخبر عنهم بانهم لا يبصرون حيث لم ينتفعوا بابصارهم
خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين هذه الاية
من ثلاث تضمنت قواعد الشريعة في المامورات والمنهيات فقوله خذ
العفو دخل فيه صلة القاطعين والعفو عن المذنبين والرفق بالمومنين
وغير ذلك من اخلاق المطيعين ودخل في قوله وامر بالعرف صلة
الارحام وتقوى الله في الحلال والحرام وغض الابصار والاستعداد
لدار القرار وفي قوله واعرض عن الجاهلين الحض على التعلق بالعلم
والاعراض عن اهل الظلم والتنزه عن منازعة السفها ومساواة
الجهلة الاغبيا وغير ذلك من الاخلاق الحميدة والافعال الرشيدة
قال ابن الزبير ما انزل الله هذه الاية الا في اخلاق الناس وقال

جعفر

جعفر الصادق امر الله نبيه بمكارم الاخلاق من هذه الاية وليس
في القران اية اجمع لمكارم الاخلاق من هذه الاية وفي الحديث
بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وقال سهل بن عبد الله كلم الله موسى
بطور سينا قيل له باي شي اوصاك قال بتسعة اشيا الخشية في
السر والعلانية وكلمة الحق في الرضا والغضب والقصد في الفقر
والغنا وامرني ان اصل من قطعني واعطي من حرمني واعفو عمن
ظلمني وان يكون صمتي تفكرا وقولي ذكرا ونظري عبرة وروي عن
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم انه قال امرني ربي بتسع الاخلاص
في السر والعلانية والعدل في الرضا والغضب وذكر نحوه وقيل
المراد بالعفو الزكاة لانها يسير من كثير وفيه بعد وقوله وامر
بالعرف اي بالمعروف والعرف والمعروف والعارفة كل خصلة حسنة
ترتضيها العقول وتطمئن اليها النفوس وقال عطا وامر بالعرف
يعني بلا اله الا الله واعرض عن الجاهلين اي اذا اقمت عليهم الحجة
وامرتهم بالمعروف فجهلوا عليك فاعرض عنهم صيانة له عنهم
ورفعا لقدره عن مجاوبتهم وهذا وان كان خطابا لنبيه فهو
تاديب لجميع خلقه وقال ابن زيد وعطا منسوخة باية السيف
وقال مجاهد وقتادة هي محكمة وهو الصحيح واما ينزغنك من
الشيطان نزغ فيه ادغام ان الشرطية في ما المزيدة لما نزل قوله
تعالى خذ العفو قال عليه الصلاة والسلام كيف يا رب والغضب
فنزلت واما ينزغنك من الشيطان نزغ ونزغ الشيطان وساوسه
قال الزجاج النزغ ادنى حركة تكون ومن الشيطان ادنى وسوسة

ومعنى ينزغنك يصيبنك ويعرض لك عند الغضب وسوسة بما
لا يحل فاستعذ بالله اي اطلب النجاة من ذلك بالله جواب الشرط
وجواب الامر محذوف اي يدفعه عنك حكي عن بعض السلف انه
قال لتلميذه ما تصنع بالشيطان اذا سول لك الخطايا قال اجاهده
قال فان عاد قال اجاهده قال هذا يطول ارايت لو مررت بغنم فنبحك
كلبها ومنعك من العبور ما تصنع قال اكابده واردده جهدي
قال هذا يطول عليك ولكن استغث بصاحب الغنم يكفه عنك
والنخز والنزغ والهمز والوسوسة سوا واصل النزغ الفساد ومنه
نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي اي افسد وقيل النزغ الاغرا والاغوا
وهو قريب انه سميع للقول عليم بالفعل ان الذين اتقوا اذا
مسهم طيف من الشيطان قال النحاس معنى طيف في اللغة ما
يتخيل في القلب او يرى في النوم وكذا معنى طايف والمعنى
ان الذين اتقوا المعاصي اذا لحقهم شي تفكروا في قدرة الله تعالى
وفي انعامه عليهم فتركوا المعصية وقيل الطيف التخيل والطايف
الشيطان نفسه واما قوله تعالى فطاف عليها طايف من ربك قيل
هو جبريل وقال مجاهد الطيف الغضب ويسمى الجنون والغضب
والوسوسة طيفا لانه لمة من الشيطان يشبه بلمة الخيال
تذكروا اي ذكروا الله عند الاهتمام بالذنب وقيل معنى تذكروا
رجعوا الى نور العلم فاذا هم مبصرون اي منتهون وقيل
فاذا هم على بصيرة واخوانهم يمدونهم في الغي اي اخوان الشياطين
وهم الفجار من ضلال الانس يمدهم الشياطين في الغي وقيل
للفجار

للفجار اخوان الشياطين لانهم يقبلون منهم وهذا قول قتادة
والحسن والضحاك ثم هم لا يقصرون اي يكفون عنه بالتبصر
وقيل لا يتوبون ولا يرجعون وهذا احسن ما قيل وقال الزجاج
في الكلام تقديم وتاخير والمعنى والذين تدعون من دونه
لا يستطيعون لكم نصرا ولا انفسهم ينصرون واخوانهم يمدونهم
في الغي لان الكفار اخوان الشياطين ومعنى الاية ان المومن
اذا مسه طيف من الشيطان تنبه عن قرب فاما المشركون
فيمدهم الشيطان وقوله لا يقصرون قيل يرجع الى الكفار
على القولين جميعا وقيل يرجع الى الشياطين قال قتادة المعنى
لا يقصرون عنهم ولا يرحمونهم والاقصار الانتها عن الشي
اي لا تقصر الشياطين في مدهم الكفار بالغي وقوله في الغي يجوز
ان يكون متصلا بقوله يمدونهم ويجوز ان يكون متصلا بالاخوان
والغي الجهل واذا لم تاتهم اي اهل مكة باية اي تقراها عليهم
او مما اقترحوا قالوا لولا هلا اجتبيتها اي اختلقتها من نفسك
فاعلمهم ان الايات من قبل الله وانه لا يقرا عليهم الا ما نزل عليه
قل انما اتبع ما يوحى الي من ربي اي من عند الله لا من عند
نفسي هذا القران بصاير من ربكم اي طرق وحجج وهدى اي
رشد وبيان ورحمة اي نعمة لقوم يومنون خصهم لانهم
المنتفعون واذا قرى القران فاستمعوا له يجوز ان تكون
اللام بمعنى به اي لاجله ويجوز ان تكون زايدة اي فاستمعوه
ويجوز ان تكون بمعنى الى وانصتوا قيل ان هذا نزل في الصلاة

روى عن ابن مسعود وابي هريرة وغيرهما وقال سعيد كان المشركون
ياتون رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى فيقول بعضهم
لبعض لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه فانزل الله تعالى جوابا
لهم واذا قرى القران فاستمعوا له وقيل نزلت في الخطبة
قاله ابن جبير ومجاهد وعطا وغيرهم وهذا ضعيف لان
القران فيها قليل والانصات يجب في جميعها قاله ابن العربي
النقاش والاية مكية ولم يكن بمكة خطبة ولا جمعة وذكر
الطبري عن ابن جبير ان هذا في الانصات يوم الاضحى ويوم الفطر
ويوم الجمعة وفيما يجهر به الامام فهو عام قال النحاس وفي
اللغة يجب ان يكون في كل شي الا ان يدل دليل على اختصاص
شي وعامة العلما على استحباب الانصات خارج الصلاة وقال
الزجاج يجوز ان يكون فاستمعوا له وانصتوا اعملوا بما فيه ولا
تجاوزوه والانصات السكوت للاستماع والاصغا والمراعاة
وقال محمد بن كعب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرا في
الصلاة اجابه من وراه مثل قوله حتى تنقضي الفاتحة والسورة
فلبث بذلك ما شا الله ان يلبث فنزل واذا قري القران الاية
واحتج بها من لا يرى القراة على الماموم واذكر ربك في نفسك
قال النحاس لم يختلف في معنى اذكر ربك في نفسك انه في الدعا
القرطبي قد روى عن ابن عباس انه يعني بالذكر القراة في
الصلاة وقيل المعنى اقرا القران بتامل وتدبر تضرعا مصدر
وقد يكون في موضع الحال والتضرع الخشوع وخفية معطوف

عليه

عليه قال الجوهري والخيفة الخوف والجمع خيف واصله الواو
والخيفة الحذر من العقاب ودون الجهر اي فوق السر ودون
الرفع من القول اي اسمع نفسك بالغدو والاصال قال ابن زيد
الاصال العشيات والغدو جمع غدوة والاصال جمع اصل مثل
طنب والواحد اصيل وقيل اصال جمع اصيل مثل يمين وايمان
الجوهري والاصيل الوقت بعد العصر الى المغرب ولا تكن من
الغافلين عن ذكر الله ان الذين عند ربك يعني الملائكة ن
باجماع ومعنى عند ربك اي قريبون من رحمته وكل قريب
من رحمته فهو عنده او لانهم في مكان لا ينفذ فيه الا حكم
الله وقيل لانهم رسله وهذا على جهة التشريف لهم وانهم
بالمكان المكرم فهو عبارة عن قربهم في الكرامة لا في المسافة
لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه اي يعظمونه وينزهونه
عن كل ما لا يليق به تعالى وله يسجدون قيل يصلون وقيل
يذلون وهذا موضع سجود للقاري واختلف في عدد سجود
القاري فاقصى ما قيل خمس عشرة اولها خاتمة الاعراف واخرها
خاتمة العلق وزاد بعضهم سجدة الحجر وقيل اربع عشرة واسقط
ثانية الحج وقيل احدى عشرة واسقط اخرة الحج وثلاث المفصل
وسجدة التلاوة ليست واجبة وبه قال مالك والشافعي
واوجبها ابو حنيفة ويحتاج سجود التلاوة الى ما تحتاج اليه
الصلاة من طهارة حدث وخبث ونية واستقبال الا ما ذكره
البخاري عن ابن عمر انه كان يسجد على غير طهارة ه ه ه ه

سورة الانفال مدنية الا سبع ايات من قوله واذ يمكر
بك الذين كفروا الى اخر السبع قاله ابن عباس بسم الله الرحمن الرحيم
يسالونك عن الانفال الاية روي عبادة بن الصامت قال
خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بدر فلقوا العدو فلما
هزمهم الله اتبعتهم طايفة من المسلمين يقتلونهم واحدقت
طايفة برسول الله صلى الله عليه وسلم واستولت طايفة على
العسكر والنهب فلما نفى الله العدو ورجع الذين طلبوهم قالوا
لنا النفل نحن طلبنا العدو وبنا نفاهم الله وهزمهم وقال الذين
احدقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم ما انتم احق به منا بل هو لنا
نحن احدقنا برسول الله صلى الله عليه وسلم لئلا يناله العدو منه
غرة وقال الذين استولوا على العسكر والنهب ما انتم باحق به
منا نحن حويناه واستولينا عليه فانزل الله تعالى يسالونك عن الانفال
الاية فقسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن فواق بينهم قال
ابو عمر استولوا طافوا واحاطوا وقوله عن فواق يعني عن سرعة
قالوا والفواق ما بين حلبتي الناقة وهي بالفتح والضم وكان
هذا قبل ان ينزل واعلموا انما غنمتم من شيء الاية وروى الصحيح
عن سعد بن ابي وقاص قال اصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
غنيمة عظيمة فاذا فيها سيف فاخذته فاتيت به رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقلت نفلني هذا السيف فانا من قد علمت
حاله فقال رده من حيث اخذته فانطلقت حتى اردت ان
القيه في القبض لامتني نفسي فرجعت اليه وقلت اعطنيه

فقال

فقال رده من حيث اخذته فانزل الله تعالى يسالونك عن الانفال
والانفال واحدها نفل بتحريك الفاء وهي الغنايم وانما يعني
حكمها وانما سميت الغنيمة نفلا لانها عطية من الله تعالى وفضل
والنفل الزيادة على الواجب وولد الولد نافلة قل الانفال لله
والرسول اي امرها مختص بهما يقسمها الرسول على ما يامره الله به
واختلف في محل الانفال على اربعة اقوال الاول محلها فيما شذ عن
الكافرين الى المسلمين واخذ بغير حرب والثاني محلها الخمس والثالث
خمس الخمس والرابع راس الغنيمة حسب ما يراه الامام وحكمه
مبين في الفروع فاتقوا الله في الخلاف والمشاجرة واصلحوا
ذات بينكم حقيقة ما بينكم امر بالتقوى والاصلاح وان
يكونوا مجتمعين على امر الله في الدعا وذات البين الحال التي يقع
بها الاجتماع واطيعوا الله ورسوله في الغنايم وغيرها ان
كنتم مومنين حقا اي سبيل المومنين ان يمتثلوا ما ذكرنا وقيل
ان المعنى اذ انما المومنون الكاملون الايمان الذين اذا ذكر
الله وجلت قلوبهم الوجل الخوف روى سفيان عن السدي قال
اذا اراد ان يظلم مظلمة قيل له اتق الله كف ووجل قلبه وقد
وصف الله سبحانه المومنين في هذه الاية بالخوف والوجل عند
ذكره وذلك لقوة ايمانهم ومراعاتهم لربهم وكانهم بين يديه
وقال في اية اخرى وتطمين قلوبهم بذكر الله وهذا يرجع الى
كمال المعرفة وثقة القلب والوجل الفزع من عذاب الله فلا
تناقض وقد جمع الله تعالى بين المعنيين في قوله الله نزل

احسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم
ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله اي تسكن نفوسهم من حيث
اليقين الى الله وان كانوا يخافون الله فهذه حالة العارفين بالله واذا
تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا اي تصديقا فان ايمانه بهذه الساعة
زيادة ايمان على امس فمن صدق ثانيا وثالثا فهو زيادة تصديق
بالنسبة الى ما تقدم وقيل هو زيادة انشراح الصدر بكثرة
الايات والادلة ونسب الزيادة الى الايات وهي فعل الله تعالى
لكون الايات سببا لها وهو مجاز عقلي وعلى ربهم يتوكلون اي يفوضون
اليه امورهم وتقدم الذين يقيمون الصلاة باتيانها بحقوقها ومما
رزقناهم اعطيناهم ينفقون في طاعة الله اولئك الموصوفون بما
بما ذكرهم المومنون حقا اي الذين استوى في الايمان ظاهرهم وباطنهم
سال رجل الحسن فقال يا ابا سعيد امومن انت فقال له الايمان ايمانان
فان كنت تسالني عن الايمان بالله وملايكته وكتبه ورسله واليوم الاخر
فانا به مومن وان كنت تسالني عن قوله تعالى انما المومنون الذين اذا
ذكر الله وجلت قلوبهم الاية فوالله ما ادري انا منهم او لا وقال
ابو بكر الواسطي من قال انا مومن بالله حقا قيل له الحقيقة تشير الى
اشراف واطلاع واحاطة فمن فقده بطل دعواه فيها يريد بذلك
ما قاله اهل السنة ان المومن الحقيقي من كان محكوما له بالجنة فمن
لم يعلم ذلك من سر حكمة الله تعالى فدعواه بانه مومن حقا غير
صحيح ودلت الاية على ان لكل حق حقيقة وقد قال عليه الصلاة
والسلام لحارثة ان لكل حق حقيقة فما حقيقة ايمانك الى

اخره

اخره اولئك لهم درجات عند ربهم اي كرامات وعلو منزلة ومغفرة
لما فرط من ذنوبهم ورزق كريم الجنة كما اخرجك ربك من بيتك
بالحق قال الزجاج الكاف في موضع نصب اي الانفال ثابتة لك
ثبوتا كما اخرجك ربك اي مثل اخراجك والمعنى امض لامرك في الغنايم
ونفل من شيت وان كرهوا لان بعض الصحابة قال لرسول الله صلى الله
عليه وسلم حين جعل لكل من اتى باسير شيا قال يبقى اكثر الناس
بغير شي وقال ابو عبيدة هو قسم اي والذي اخرجك والكاف بمعنى
الواو وما بمعنى الذي ويبعد هذا القول بامور منها ان الكاف
لم يجي بمعنى واو القسم واطلاق ما الموصولة على الله تعالى وربط
الرسول بالظاهر وهو فاعل اخرجك وباب ذلك الشعر واقرب
ما قيل في الاية انها مع مجرورها خبر محذوف اي هذه الحالة من
تنفيلك الغزاة على ما رايت في كراهتهم لها كحال اخراجك للحرب
في كراهتهم له وقد كان خيرا لهم فكذلك ايضا وقيل المعنى لهم
درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم اي هذا الوعد
للمومنين حق في الاخرة كما اخرجك ربك من بيتك بالحق الواجب
له فانجز لك وعدك واظفرك بعدوك فكما انجز هذا الوعد في الدنيا
كذا ينجز ما وعدكم به في الاخرة وقيل الكاف في كما كاف التشبيه
ومخرجه على سبيل المجاز كقول القايل لعبده كما احسنت اليك
فاشكر لي عليه والمعنى كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وغشاكم
النعاس امنة منه وانزل من السما ما ليطهركم به وانزل عليكم
ملايكة مردفين فاضربوا فوق الاعناق وان فريقا من المومنين

لكارهون ترك مكة وترك اموالهم وديارهم يجادلونك في الحق
بعد ما تبين مجادلتهم قولهم لما ندبهم الى العير وقد فات العير وامرهم
بالقتال ولم يكن معهم كثير اهبة شق عليهم ذلك وقالوا لو اخبرتنا
بالقتال لاخذنا العدة ومعنى في الحق اي في القتال بعد ما تبين لهم
انك لا تأمرهم بشيء الا باذن الله وقيل بعد ما تبين لهم ان الله وعدهم
اما الظفر بالعير او باهل مكة فمعنى الكلام الانكار لمجادلتهم كانما
يساقون الى الموت كراهة للقاء القوم وهم ينظرون اي يعلمون ان
ذلك واقع بهم وكان ذلك لقلة عددهم وعدم تاهبهم اذ روي انهم
كانوا رجالة وما كان فيهم الا فارسان واذكر اذ يعدكم الله احدى
الطائفتين انها لكم احدى في موضع نصب مفعول ثان انها لكم بدل
من احدى واحدى الطائفتين ابو سفيان وما معه من المال وابو جهل
ومن معه من قريش وتودون اي تحبون ان غير ذات الشوكة تكون
لكم الشوكة السلاح ومنه رجل شاكي السلاح اي حديد السلاح وهو
مقلوب شائك اي تودون ان تظفروا بالطائفة التي ليس معها
سلاح ولا فيها حرب وهي العير ويريد الله ان يحق الحق بكلماته اي ان
يظهر الاسلام والحق حق ابدا ولكن اظهاره تحقيق له من حيث انه اذا
لم يظهر اشبه الباطل وقوله بكلماته اي بوعده فانه وعد بنصره ذلك
في سورة الدخان فقال يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون اي
من ابي جهل واصحابه وقيل ليظهره على الدين كله وقيل بكلماته بامره
اياكم ان تجاهدوهم ويقطع دابر الكافرين اي يستاصلهم بالهلاك
ليحق الحق اي فعل ذلك ليظهر دين الاسلام ويعزه فهذا مسبب

مذكور

مذكور حذف سببه ويبطل الباطل اي الكفر وابطاله اعدامه ولو
كره المجرمون اي المشركون ذلك اذ تستغيثون ربكم الاستغاثة
طلب الغوث والنصر روى مسلم عن ابن عمر قال لما كان يوم بدر نظر
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين وهم الف واصحابه ثلثمائة
واربعة عشر رجلا فاستقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم القبلة ثم
مد يديه فجعل يهتف بربه اللهم ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه
العصابة من اهل الاسلام لا تعبد في الارض فما زال يهتف بربه مادا
يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه فاتاه ابو بكر فاخذ
رداءه فالقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال يا نبي الله
كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك فانزل الله تعالى
اذ تستغيثون ربكم واذ يجوز ان يكون بدلا من اذ الاولى وان
يكون التقدير اذكر فاستجاب لكم اني اي باني ممدكم معينكم بالف
من الملائكة مردفين فامدهم الله بالف من الملائكة اولا ثم صارت
ثلاثة الاف ثم خمسة كما في ال عمران ومردفين قرئ بكسر الدال
اسم فاعل اي متتابعين تاتي فرقة بعد فرقة وذلك اهيب في العيون
وبفتح الدال على لم يسم فاعله لان الناس الذين قاتلوا يوم بدر
اردفوا بالف من الملائكة اي انزلوا اليهم لمعونتهم على الكفار فهو
نعت لالف وقيل حال من الضمير المنصوب في ممدكم اي ممدكم في حال
ارادفكم بالف من الملائكة وهذا مذهب مجاهد وما جعله الله الا
بشرى اي الامداد ويجوز ان يكون الارداف ولتطمئن به قلوبكم
اي لتسكن وما النصر الا من عند الله لا من الملائكة ان الله عزيز

حكيم اي لولا نصره لما انتفع بكثرة العدد بالملايكة والنصر من عند الله
يكون بالسيف ويكون بالحجة وتقدم اذ يغشاكم النعاس باضافة
الفعل الي النعاس وقري يغشيكم بفتح الغين وتشديد الشين
النعاس بالنصب باضافة الفعل الى الله واذ يغشاكم مثل اذ تستغيثون
ويجوز ان يكون ظرفا لما دل عليه عزيز حكيم امنة منه الهاء في منه لله
فهو الذي يغشيهم النعاس وقيل امنة من العدو وامنة مفعول من اجله
او مصدر والنعاس حالة الامن الذي لا يخاف وكان هذا النوم في الليلة
التي كان القتال من غدها وكان النوم عجيبا مع ما كان بين ايديهم من الامر
المهم ولكن الله ربط جاشهم وعن علي قال ما كان فينا فارس يوم بدر
غير المقداد على فرس ابلق ولقد رايتنا وما فينا الا نايم الا رسول الله
صلى الله عليه وسلم تحت سمرة يصلي ويبكي حتى اصبح وفي امتنان الله
تعالى عليهم بالنوم في هذه الليلة وجهان احدهما ان قواهم بالاستراحة
على القتال من الغد الثاني ان امنهم بزوال الرعب من قلوبهم كما يقال
الامن منيم والخوف مسهر وقيل غشاهم في حال التقا الصفين وقد
مضى مثل هذا في يوم احد في آل عمران وينزل عليكم من السما ما ليطهركم
به من الاحداث والجنابات ويذهب عنكم رجز الشيطان الاية
ظاهر القران يدل على ان النعاس كان قبل المطر وقيل بعده وحكى
الزجاج ان الكفار يوم بدر سبقوا المومنين الي ما بدر فنزلوا عليه
وبقي المومنون لا ما لهم فوجست نفوسهم وعطشوا فقال بعضهم
في نفوسهم بالقا الشيطان اليهم تزعمون انا اوليا الله وفينا رسوله
وحالنا هذه والمشركون على الما وذلك رجز الشيطان ووسواسه

فانزل الله المطر ليلة بدر السابعة عشر من رمضان حتى سالت الاودية
فشربوا وتطهروا وسقوا الظهر وتلبدت السبخة التي كانت بينهم
وبين المشركين حتى ثبتت فيها اقدام المسلمين وقت القتال وقد قيل
ان هذه الاحوال قبل وصولهم الى بدر وهو اصح قال ابن عباس لما
اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بابي سفيان انه مقبل من الشام
ندب المسلمين اليهم وقال هذه عير قريش فيها الاموال فاخرجوا اليهم
لعل الله ان ينفلكموها فانبعث معه من خف وثقل قوم وكرهوا الخروج
واسرع رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يلوي على من تعذر ولا ينتظر
من غاب ظهره فسار في ثلاث مائة وثلاثة عشر من اصحابه من مهاجري
وانصاري قال ابو ايوب فخرجنا الى بدر فلما سرنا يوما او يومين
امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نتعادّ ففعلنا فاذا نحن
ثلاث مائة وثلاثة عشر رجلا فاخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم
بعدتنا فسر بذلك وحمد الله تعالى وقال عدة اصحاب طالوت
قال ابن اسحاق وقد ظن الناس باجمعهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يلقى حربا فلم يكثر استعدادهم وكان ابو سفيان حين دنا من الحجاز
يتجسس الاخبار ويسال من لقي من الركبان تخوفا على اموال الناس
حتى اصاب خبرا من بعض الركبان ان محمدا قد استنفر لكم الناس
فارسل الي اهل مكة يستنفرهم الي اموالهم ولما بلغ الخبر اهل مكة
نادى ابو جهل فوق الكعبة يا اهل مكة النجا النجا على كل صعب وذلول
عيركم اموالكم ان اصابها محمد لن تفلحوا بعدها ابدا فخرج اهل
مكة في الف رجل او نحو ذلك وخرج النبي صلى الله عليه وسلم

في اصحابه واتاه الخبر عن قريش بخروجهم ليمنعوا عيرهم فاستشار النبي
صلى الله عليه وسلم الناس فقام ابو بكر فقال فاحسن وقام عمر فقال
فاحسن ثم قام المقداد فقال يا رسول الله امض لما امرك الله فنحن
معك والله لا نقول كما قالت بنوا اسرايل اذهب انت وربك فقاتلا
انا معكم مقاتلون هاهنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا
انا معكم مقاتلون والذي بعثك بالحق لو سرت الى برك الغماد يعني
مدينة الحبشة لجالدنا معك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اشيروا علي ايها الناس يريد الانصار فقال سعد بن معاذ وقيل
سعد بن عبادة ويمكن انهما تكلما جميعا في ذلك اليوم يا رسول الله
كانك تريدنا معشر الانصار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اجل فقال انا قد امنا بك واتبعناك فامض لما امرك الله فوالذي
بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك فقال
عليه الصلاة والسلام امضوا على بركة الله فكاني انظر الى مصارع القوم
فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسبق قريشا الى ماء بدر ومنع
قريشا من السبق اليه مطر عظيم انزله الله عليهم ولم يصب منه المسلمين
الا ما شد لهم دهس الوادي واعانهم على السير والدهس الرمل تسوخ
فيه الرجل فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ادنى ماء من مياه
بدر الى المدينة فاشار عليه الحباب بن المنذر بغير ذلك وقال يا رسول
الله ارايت هذا المنزل امنزل انزلكه الله فليس لنا ان نتقدمه او نتاخر
عنه ام هو الحرب والراي والمكيدة فقال صلى الله عليه وسلم بل هو
الراي والحرب والمكيدة فقال يا رسول الله ان هذا ليس بمنزل لك

فانهض

فانهض بنا الى ادنى ماء من القوم فننزله ونغور ما وراه من القلب ثم نبني
عليه حوضا مملوة فنشرب ولا يشربون فاستحسن رسول الله صلى الله عليه
وسلم ذلك من رايه وفعله ثم التقوا فنصر الله تعالى نبيه والمسلمين وقتل
من المشركين سبعون واسر منهم سبعون وفي ذلك يقول حسان شعره
المشهور الذي اوله • عرفت ديار زينب بالكثيب • كخط الوحي في الورق
القشيب • الى ان قال • فغادرنا ابا جهل صريعا • وعتبة قد تركنا بالجبوب
وشيبة قد تركنا في رجال • ذوي نسب اذا نسبوا حسيب • يناديهم رسول الله
لما • قذفناهم كباكب في القليب • الم تجدوا كلامي كان حقا • وامر الله ياخذ
بالقلوب • فما نطقوا ولو نطقوا لقالوا • اصبت وكنت ذا راي مصيب •
وروى مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك قتلى بدر ثلاثا ثم
قال عليهم فناداهم يا ابا جهل بن هشام يا امية بن خلف يا عتبة بن ربيعة
يا شيبة بن ربيعة اليس قد وجدتم ما وعد ربكم حقا فاني قد وجدت
ما وعدني ربي حقا فقال عمر يا رسول الله كيف يسمعون واني يجيبون
وقد جيفوا فقال والذي نفسي بيده ما انتم باسمع بما اقول منهم
ولكن لا يقدرون ان يجيبوا ثم امر بهم فسحبوا فالقوا في القليب
قليب بدر وليربط على قلوبكم اي يشد عليها بالصبر واليقين ويثبت
به الاقدام اي بالماء الذي شد دهس الوادي لئلا تسوخ في الرمل وقيل
هو عائد الى ربط القلوب فيكون تثبيت الاقدام عبارة عن النصر
والمعونة في موطن الحرب اذ يوحي ربك العامل في اذ يثبت اي يثبت
به الاقدام ذلك الوقت وقيل العامل وليربط وقد يكون التقدير
اذكر اذ يوحي ربك الى الملايكة الذين امد بهم المسلمين اني معكم

انه في موضع نصب اي باني معكم يعني بالنصر والمعونة ومعكم بفتح
العين ظرف ومن اسكنها فهي عنده حرف فثبتوا الذين امنوا اي
بشروهم بالنصر او القتال معهم او الحضور معهم من غير قتال فكان
الملك يسير امام الصف في صورة الرجل ويقول سيروا فان الله
ناصركم فيظن المسلمون انه منهم وتقدم ان الملائكة قاتلت ذلك
اليوم فكانوا يرون رؤسا تندر عن الاعناق من غير ضارب يرونه
سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب اي الخوف فاضربوا فوق
الاعناق هذا امر للملائكة وقيل للمومنين اي اضربوا الاعناق
وفوق زايدة قاله الاخفش وغيره وقال ابن يزيد هذا خطا لان
فوق تفيد معنى فلا يجوز زيادتها ولكن المعنى انهم ابيح لهم
ضرب الوجوه وما قرب منها وقال ابن عباس كل هام وجمجمة عكرمة
ما فوق الاعناق الراس والضرب على الراس ابلغ واضربوا منهم كل
بنان قال الزجاج البنان الاصابع وغيرها من الاعضا وقيل المراد
اطراف اصابع اليدين قال عنترة • ونعم فوارس الهيجا قومي • اذا
علقوا الاعنة بالبنان • وقيل اصابع اليدين والرجلين فاذا ضربت
البنان تعطل من المضروب القتال بخلاف سائر الاعضا الضحاك
البنان كل مفصل ذلك بانهم شاقوا خالفوا الله ورسوله ذلك في
موضع رفع والتقدير ذلك الامر او ذلك العذاب او الامر ذلك
وقيل شاقوا اولياه والشقاق ان يصير كل واحد في شق ومن
يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب له ذلكم فذوقوه
الزجاج ذلكم في موضع رفع اي العذاب ذلكم ويجوز ان يكون في

موضع

موضع نصب بذوقوا كقولك زيدا فاضربه والاحسن ان يكون التقدير
باشروا ذلكم فذوقوه لتكون الفا عاطفة اي فذوقوا العذاب
في الدنيا ومعنى الكلام التوبيخ للكافرين وان هي في موضع رفع
عطف على ذلكم قال الفرا ويجوز ان تكون في موضع نصب بمعنى وبان
للكافرين عذاب النار في الاخرة يايها الذين امنوا اذا لقيتم
الذين كفروا زحفا مصدر في موضع الحال والزحف الدنو قليلا
قليلا واصله الاندفاع على الالية ثم سمي كل ماش في الحرب
الى اخر زاحفا فلا تولوهم الادبار يقول اذا تدانيتم فلا تفروا
عنهم ولا تعطوهم ادباركم حرم الله ذلك على المومنين حين
فرض عليهم الجهاد قال ابن عطية والادبار جمع دبر والعبارة
بالدبر في هذه الاية متمكنة الفصاحة لانها بشيعة على الفار
ذامة له وهذا الامر مقيد بالشروط المنصوصة في مثلي المومنين
فمن فر من اثنين فهو فار من الزحف ومن فر من ثلاثة فليس
بفار ولا يتوجه عليه الوعيد والفرار كبيرة موبقة فان فر فليستغفر
الله تعالى ومن يولهم يوميذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا
الى فية متحرفا ومتحيزا حالان من ضمير الفاعل في تولوهم والتحرف
الزوال عن جهة الاستوا فالمتحرف من جانب الى جانب لمكايد الحرب
كمن ينصرف ليتمكن في موضع ويهجم او ينصرف في مضيق
ليتسع غير منهزم وكذلك المتحيز اذا نوى التحيز الى فية من
المسلمين ليستعين بهم فيرجع الى القتال ولو بعيدة غير منهزم
فقد باء بغضب من الله اي استحق الغضب ومعنى باء رجع وماواه

اي مقامه جهنم وبئس المصير المرجع هي فلم تقتلوهم ولكن الله
قتلهم اي يوم بدر روي ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما صدروا عن بدر ذكر كل واحد منهم ما فعل قتلت كذا فعلت كذا
فجا من ذلك تفاخر ونحو ذلك فنزلت الاية اعلاما بان الله هو المميت
والمقدر لجميع الاشيا وان العبد انما يشارك بتكسبه وقصده
وما رميت يا محمد اعين القوم لان كفا من الحصا لا يملا عيون
الجيش الكثير برمية بشر اذ رميت بالحصا ولكن الله رمى بايصال
ذلك اليهم قيل هذا الرمي كان في حصب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم حنين رواه ابن وهب عن مالك قال مالك ولم يبق في ذلك
اليوم احد الا وقد اصابه ذلك وقيل كان يوم احد حين رمى ابي
ابن خلف بالحربة في عنقه فكر منهزما فقال له المشركون والله
ما بك من باس فقال والله لو بصق علي لقتلني اليس قد قال بل انا
اقتله وقيل المراد السهم الذي رمى به رسول الله صلى الله عليه وسلم
في حصن خيبر فسار في الهوى حتى اصاب ابن ابي الحقيق وهو على
فراشه وقيل انها كانت يوم بدر وهو الاصح لان السورة بدرية
وذلك ان جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم خذ قبضة من
التراب فاخذ قبضة فرمى بها وجوههم فما من المشركين من احد الا
واصاب عينيه ومنخريه وفمه ترابا من تلك القبضة قاله
ابن عباس وقال ثعلب المعنى وما رميت الفزع والرعب في
قلوبهم اذ رميت بالحصا فانهزموا ولكن الله رمى اي اعانك واظفرك
وقال محمد بن يزيد وما رميت بقوتك اذ رميت ولكنك بقوة الله

رميت ولا يشكل هذا على قولهم لا يصح نفي الحقيقة وانما يصح نفي المجاز
لان المراد هنا بالرمي المترتب عليه وهو وصوله الى الكفار فالوارد
عليه هنا المجاز لا الحقيقة والتقدير وما رميت خلقا اذ رميت
كسبا وما رميت ابتدا اذ رميت انتها وليبلي المومنين منه بلاء
حسنا البلا هنا النعمة او الغنيمة واللام تتعلق بمحذوف اي وليبلي
المومنين ان الله سميع لاقوالكم عليم بافعالكم ذلكم اي الامر ذلكم
او ذلكم الامر او الابلا حق وان الله موهن كيد الكافرين اي
يلقي في قلوبهم الرعب حتى يتشتتوا ويتفرق جمعهم فيضعفوا والكيد
المكر وان الله قرئ بالكسر على الاستيناف وبفتحها على تقدير ولان
ان تستفتحوا فقد جاكم الفتح شرط وجوابه قيل هو خطاب للكفار
لانهم استفتحوا فقالوا اللهم اقطعنا للرحم واظلمنا لصاحبه
فانصره عليه قاله الحسن ومجاهد وغيرهما وكان هذا القول منهم
وقت خروجهم لنصرة العير وقيل قال ابو جهل وقت القتال اللهم
انصر اينا احب اليك فنزلت وقال النضر اللهم ان كان هذا هو
الحق من عندك الاية وهو ممن قتل ببدر والاستفتاح طلب النصر
اي قد جاكم الفتح ولكنه كان للمسلمين عليكم وان تنتهوا اي عن
الكفر والحرب فهو خير لكم وان تعودوا اي الى هذا القول وقتال محمد
نعد الى نصر المومنين ولن تغني تدفع عنكم فئتكم شيا يعني
جماعاتكم ولو كثرت اي في العدد وقيل الخطاب للمومنين اي ان تستنصروا
فقد جاكم النصر وان تنتهوا اي عن مثل ما فعلتموه من اخذ الغنايم
والاسرى قبل الاذن فهو خير لكم وان تعودوا الى مثل ذلك نعد

الى نوبيخكم وقيل ان تستفتحوا فقد جاكم الفتح خطابا للمومنين وما بعده
للكفار اي وان تعودوا الى القتال نعد الى مثل وقعة بدر القشيري
والصحيح انه خطاب للكفار فانهم لما نفروا الى نصرة العير تعلقوا
باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اهدى الطايفتين وافضل
الدينين القرطبي ولا تنافر من الاحتمال ان يكونوا فعلوا الحالتين
وان الله مع المومنين بكسر الهمزة على الاستيناف وبفتحها عطفا
على قوله تعالى وان الله موهن او على قوله تعالى اني معكم والمعنى
ولان الله اي من كان الله في نصره لم تغلبه فية وان كثرت يا ايها
الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله الخطاب للمومنين وافردهم دون
المنافقين اجلالا لهم ولا تولوا عنه التولي الاعراض وقال عنه
ولم يقل عنهما لان طاعة الرسول طاعة الله وانتم تسمعون جملة
في موضع الحال والمعنى وانتم تسمعون ما يتلى عليكم من الحجج والبراهين
في القران ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا اي كاليهود او المنافقين
او المشركين وهو من سماع الاذن وهم لا يسمعون اي لا يتدبرون
ما سمعوا ولا يعقلون فيه فهم بمنزلة من لم يسمع ان شر الدواب
عند الله الصم اخبر ان الكفار شر ما دب على الارض وجمع الصم
وهو خبر شر لان شر مراد به هنا الكثرة فجمع الخبر على المعنى ولو
قال الاصم لكان الافراد على اللفظ والمعنى على الجمع وفي البخاري
عن ابن عباس ان شر الدواب الاية قال هم نفر من بني عبد الدار
وقيل نزلت الاية في المنافقين اي الصم عن سماع الحق البكم عن
النطق به الذين لا يعقلون واصل شر اشر حذفت الهمزة لكثرة

الاستعمال

الاستعمال وكذا خير الاصل اخير ولو علم الله فيهم خيرا صلاحا
لاسمعهم قيل الحجج والبراهين اسماع تفهم ولكن سبق علمه بشقاوتهم
ولو اسمعهم فرضا اي لو افهمهم لما امنوا بعد علمه الازلي بكفرهم
وقيل المعنى لاسمعهم كلام الموتى الذين طلبوا احياءهم لانهم
طلبوا احيا قصي بن كلاب وغيره ليشهدوا بنبوة محمد صلى الله عليه
وسلم الزجاج لاسمعهم كل ما سالوا عنه لتولوا عنه وهم معرضون
عن قبوله عنادا او جحودا اذ سبق في علمه انهم لا يومنون يا ايها
الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول بالطاعة اذا دعاكم هذا
الخطاب للمومنين المصدقين بلا خلاف والاستجابة الاجابة قال
ابو عبيدة معنى استجيبوا اجيبوا ولكن عرف الكلام ان يتعدى
استجاب باللام ويتعدى اجاب دون لام وقد يتعدى
استجاب بغير لام ومنه قوله فلم يستجبه عند ذاك مجيب
لما يحييكم اللام متعلقة بقوله استجيبوا وقيل اللام بمعنى
الى اي الى ما يحييكم اي يحيي به قلوبكم فتوحدوه وقال الجمهور
المعنى استجيبوا للطاعة وما تضمنه القران من اوامر ونواهي ففيه
الحياة الابدية والنعمة السرمدية وقيل المراد بقوله لما يحييكم الجهاد
فانه سبب الحياة في الظاهر لان العدو اذا لم يغز غزا وفي غزوه
الموت وفي جهاده الحياة الابدية وفي البخاري عن ابي سعيد بن
المعلى قال كنت اصلي في المسجد فدعاني رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلم اجبه ثم اتيته فقلت يا رسول الله اني كنت اصلي
فقال الم يقل الله تعالى استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم الخ

تهم

واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه قال السدي لا يستطيع ان يومن الا باذنه ولا يكفر ايضا الا باذنه اي بارادته والقلب موضع الفكر وهو بيد الله يمنعه متى شاء حال بين العبد وبينه بمرض او افة كيلا يعقل فبادروا الى الاستجابة قبل ان لا يتمكنوا منها بزوال العقل وقال مجاهد المعنى يحول بين المرء وعقله حتى لا يدري ما يصنع وقيل يحول بينه وبينه بالموت فلا يمكنه استدراك ما فات وقيل غير هذا مما هو قريب منه وانه اليه تحشرون فيجازيكم باعمالكم وهو عطف واتقوا فتنة ان اصابتكم لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة قال ابن عباس امر الله المومنين ان لا يقروا المنكر بين اظهرهم فيعمهم العذاب وقال السدي والحسن وغيرهما نزلت في اهل بدر خاصة واصابتهم الفتنة يوم الجمل فاقتتلوا وفي صحيح مسلم عن زينب بنت جحش انها سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت انهلك وفينا الصالحون قال نعم اذا كثر الخبث وفي صحيح الترمذي ان الناس اذا راوا الظالم ولم ياخذوا على يديه اوشك ان يعمهم الله بعقاب من عنده فعلى هذا تعذب العامة بذنوب الخاصة وفيه استحقاق العقوبة بترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وروى البخاري عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انزل الله بقوم عذابا اصاب العذاب من كان فيهم ثم بعثوا على اعمالهم فهذا يدل على ان الهلاك العام منه ما يكون طهرة للمومنين ومنه ما يكون نقمة للفاسقين ومقصود الاية اتقوا فتنة تتعدى الظالم فتصيب الصالح والطالح

والمختلف

واختلف في دخول النون في لا تصيبن فقال الفرا هو بمنزلة قولك انزل عن الدابة لا تطرحنك فهو جواب الامر بلفظ النهي اي ان تنزل عنها لا تطرحنك ومثله قوله ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم فدخلت النون لما فيه من معنى الجزا وقيل لانه خرج مخرج القسم والنون لا تدخل الا على فعل النهي او جواب القسم وقال المبرد انه نهي بعد امر والمعنى في النهي للظالمين اي لا تقربن الظلم وحكى سيبويه لا ارينك هاهنا اي لا تكن هاهنا فانه من كان هاهنا رايته وقال الجرجاني المعنى اتقوا فتنة تصيب الذين ظلموا خاصة فقوله لا يصيبن نهي في موضع وصف النكرة وتاويله الاخبار باصابتها الذين ظلموا واعلموا ان الله شديد العقاب لمن خالفه واذكروا اذ انتم قليل قال الكلبي نزلت في المهاجرين يعني وصف حالهم قبل الهجرة وفي ابتدا الاسلام مستضعفون نعت في الارض اي ارض مكة تخافون نعت ويجوز ان يكون حالا من الضمير في مستضعفون ان يتخطفكم في موضع نصب والخطف الاخذ بسرعة الناس رفع على الفاعلية قتادة وعكرمة هم مشركو قريش وهب بن منبه فارس والروم فاواكم قال ابن عباس الى الانصار السدي الى المدينة يقال اوى اليه بالمد ضم اليه واوى اليه بالقصر انضم اليه وايدكم قواكم بنصره بقوته وقيل بالانصار وقيل بالملائكة يوم بدر ورزقكم من الطيبات اي الغنائم لعلكم تشكرون نعمه يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول روي انها نزلت في ابي لبابة بن عبد المنذر حين اشار الى بني

قريظة بالذبح وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حاصر
بني قريظة سالوه ان يصالحهم على ما صالح عليه بني النضير
فابى الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فقالوا ارسل الينا ابا
لبابة وكان اهله وولده عندهم فبعثه فاستشاروه في
النزول على حكم سعد فاشار الى حلقه انه الذبح فاطاعوه فكانت
تلك خيانة منه قال ابو لبابة والله ما زالت قدماي حتى علمت
اني قد خنت الله ورسوله فنزلت هذه الاية فلما نزلت شد نفسه
على سارية من سواري المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا
شرابا حتى اموت او يتوب الله علي وقيل نزلت في غلول الغنائم
والخيانة الغدر واخفا الشي ومنه يعلم خائنة الاعين وتخونوا
اماناتكم في موضع جزم نسقا على الاول وقد يكون على الجواب
كما يقال لا تاكل السمك وتشرب اللبن والامانات الاعمال التي ايتمن
الله عليها العباد من الدين وغيره وانتم تعلمون ما في الخيانة
من القبح والعار وقيل تعلمون انها امانة واعلموا انما اموالكم
واولادكم فتنة لكم صادة عن امور الاخرة وكان لابي لبابة
اموال واولاد في بني قريظة كما تقدم وهو الذي حمله على ملاينتهم
فهذه اشارة الى ذلك ومعنى فتنة اختبارا امتحنهم بها وان
الله عنده اجر عظيم فاثروا حقه على حقكم يا ايها الذين امنوا
ان تتقوا الله بالامانة وغيرها يجعل لكم فرقانا بينكم وبين ما
تخافون وكان الله عالما بانهم يتقون ام لا يتقون وذكر بلفظ
الشرط لانه خاطب العباد بما يخاطب بعضهم بعضا فاذا اتقى

العبد

العبد ربه وذلك باتباع اوامره واجتناب نواهيه وترك الشبهات
مخافة الوقوع في المحرمات وشحن قلبه بالنية الخالصة وجوارحه
بالاعمال الصالحة وتحفظ من شوائب الشرك الخفي والظاهر مراعاة
غير الله في الاعمال والركون الى الدنيا بالغفلة عن المال جعل له
بين الحق والباطل فرقانا ورزقه فيما يريد من الخير امكانا وعن
مالك ان تتقوا الله يجعل لكم قال مخرجا وقال ابن اسحق فصلا بين
الحق والباطل السدي نجاة الفرا فتحا ونصرا وقيل في الاخرة فيدخلكم
الجنة ويدخل الكفار النار ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم ذنوبكم
والله ذو الفضل العظيم قيل نزلت في توبة ابي لبابة واذ يمكر
بك الذين كفروا الاية هو معطوف على واذكروا اذ انتم وهذا
اخبار بما اجتمع عليه المشركون من المكر بالنبي صلى الله عليه وسلم
بمكة في دار فاجتمع رايهم على قتله فبيتوه ورصدوه على باب
منزله طول ليلتهم ليقتلوه اذا خرج فامر النبي صلى الله عليه وسلم
علي بن ابي طالب ان ينام على فراشه ودعا الله عز وجل ان يعمي عليهم
اثره فطمس الله تعالى على ابصارهم فخرج وقد غشيهم النوم فوضع
على رؤسهم ترابا فلما اصبحوا خرج عليهم علي واخبرهم ان ليس
على الدار احد فعلموا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فات ونجا
والخبر مشهور في السيرة وغيرها ومعنى ليثبتوك ليحبسوك وقال
قتادة ليثبتوك وثاقا وقيل ليثخنوك بالجراحات والضرب الشديد
او يقتلوك قتلة رجل واحد او يخرجوك من مكة عطف ويمكرون
بك مستانف والمكر التدبير في الامر في خفية ويمكر الله بهم

بتدبير امرك بان اوحى اليك ما دبروه والله خير الماكرين ابتدا وخبر
اي اعلمهم به والمكر من الله جزاوهم بالعذاب على مكرهم من حيث لا
يشعرون واذا تتلى عليهم اياتنا القران قالوا قد سمعنا لو نشا لقلنا
مثل هذا نزلت في النضر بن الحارث كان خرج الى الحيرة في التجارة فاشترى
احاديث كليلة ودمنة وكسرى وقيصر فلما قص رسول الله صلى الله عليه
وسلم اخبار من مضى قال النضر لو شئت لقلت مثل هذا او كان هذا
وكان هذا او قاحة وكذبا وقيل انهم توهموا انهم ياتون بمثله كما توهمت
سحرة موسى ثم راموا ذلك فعجزوا عنه وقالوا عنادا ان ما هذا
الذي يقرؤه محمد الا اساطير الاولين اكاذيبهم واذ قالوا اللهم ان
كان هذا اي ما يقرؤه محمد هو الحق المنزل من عندك نصب الحق على
خبر كان ودخلت هو للفصل قال مجاهد وابن جبير قايل هذا النضر
انس بن مالك قايله ابو جهل رواه البخاري ومسلم ثم يجوز ان يقال
قالوه لشبهة كانت في صدورهم او على وجه العناد والايهام على
الناس انهم على بصيرة وجزم ببطلانه ثم حل بهم يوم بدر ما سالوا
فامطر علينا حجارة من السما يقال امطر في العذاب ومطر في الرحمة
او ايتنا بعذاب اليم مولم قال تعالى وما كان الله ليعذبهم بما سالوه
واللام لتوكيد نفي الخبر الداخلة عليه المنصوب فيه المضارع بان مضمرة
وانت فيهم لما قال ابو جهل اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الاية
نزل وما كان الله ليعذبهم كذا في صحيح مسلم وقال ابن عباس لم
يعذب الله اهل قرية حتى يخرج النبي منها والمومنون ويلحقوا بحيث
امروا وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال ابن عباس

كانوا

كانوا يقولون في الطواف غفرانك والاستغفار وان وقع من الفجار
يدفع به ضرب من الشرور والاضرار وقيل ان الاستغفار راجع
الى المسلمين الذين بين اظهرهم من المستضعفين اي وما كان الله
معذبهم وفيهم من يستغفر من المسلمين فلما خرجوا عذبهم الله يوم
بدر وغيره قاله الضحاك وغيره وقيل الاستغفار هنا الاسلام
اي وما كان الله معذبهم وهم يسلمون قاله مجاهد وعكرمة وقيل
المعنى وفي اصلابهم من يستغفر الله وقيل هو استدعا لهم الى
الاستغفار قاله قتادة وابن زيد وعن بعض العلما قال كان
رجل من العرب في زمن النبي صلى الله عليه وسلم مسرفا على نفسه
لم يكن يتحرج فلما توفي النبي صلى الله عليه وسلم لبس الصوف ورجع
عما كان عليه واظهر الدين والنسك فقيل له لو فعلت هذا والنبي
صلى الله عليه وسلم حي لفرح بك قال كان لي امانان فمضى واحد وبقي
الاخر وما لهم ان لا يعذبهم الله بالسيف بعد خروجك وهم يصدون
اي يمنعون النبي والمومنين عن المسجد الحرام ان يطوفوا وما كانوا
اولياه كما زعموا ان اولياوه الا المتقون والمعنى وما يمنعهم
من ان يعذبوا اي انهم مستحقون للعذاب لما ارتكبوا من القبايح
والاسباب ولكن لكل اجل كتاب ولكن اكثرهم لا يعلمون اي ان
المتقين اولياوه وما كان صلاتهم عند البيت الا مكا وتصدية
قال ابن عباس كانت قريش تطوف بالبيت عراة يصفرون ويصفقون
فكان ذلك عبادة في ظنهم فالمكا الصفير والتصدية التصفيق
قاله مجاهد والسدي وابن عمر وقال السدي المكا الصفير

على نحو طاير ابيض بالحجاز يقال له المكا سعيد بن جبير وابن زيد معنى
التصدية صدهم عن البيت والاصل على هذا تصدده فابدل من
احدى الدالين يا وعلى الاول هي اصل من الصدا وهو الصوت فذوقوا
العذاب ببدر بما كنتم تكفرون ان الذين كفروا ينفقون
اموالهم ليصدوا عن سبيل الله نزلت في المطعمين ببدر وكانوا
اثني عشر من قريش كل واحد منهم كل يوم عشر جزرا وفي ابي
سفيان استاجر المغيث رجال يوم احد وانفق عليهم اربعين اوقية
وقيل غير ذلك فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ندما وغما
لفواتها عليهم من غير مقصود ثم يغلبون في الدنيا والذين كفروا
منهم الى جهنم في الاخرة يحشرون يساقون ليميز الله متعلق
بتكون الخبيث الكافر من الطيب المومن ويجعل الخبيث بعضه
على بعض فيركمه جميعا اي يجمعه متراكبا بعضه على بعض فيجعله
في جهنم اولئك هم الخاسرون وقيل هو عام في كل شي من الاعمال
والنفقات وغير ذلك قل للذين كفروا ان ينتهوا اي عن الكفر وقتال
النبي يغفر لهم ما قد سلف من اعمالهم وان يعودوا اي
الى القتال لان لفظة عاد اذا جاءت مطلقة فانما تتضمن الرجوع
الى حالة كان الانسان عليها ثم انتقل عنها قال ابن عطية ولسنا
نجد في هذه الاية لهولا الكفار حالا يشبه ما ذكرناه الا القتال
ولا يجوز ان يتاول الكفر لانهم لم ينفصلوا عنه فقد مضت سنة
الاولين في نصر اوليايه وتعذيب اعدايه وهي عبارة تجمع الوعيد
والتهديد والتمثيل بمن هلك من الامم في سالف الدهر بعذاب

الله وجواب وان يعودوا محذوف دل عليه فقد مضت والتقدير وان
يعودوا يصبهم مثل ما اصابهم وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة
اي شرك ويكون الدين كله لله وحده فان انتهوا عن الكفر فان الله
بما يعملون بصير فيجازيهم به وان تولوا عن الايمان فاعلموا ان الله
مولاكم نعم المولى ناصركم ومتولي اموركم نعم المولى هو ونعم النصير
واعلموا انما غنمتم من شي فان لله خمسه وللرسول الاية الغنيمة
في اللغة ما يناله الرجل او الجماعة بسعي والمراد بها مال الكفار اذا
ظفر به المسلمون على وجه الغلبة والقهر وهذا عرف الشرع بخلاف
الفيء فانه مال دخل على المسلمين من غير حرب ولا ايجاف كخراج الارض
وجزية الجماجم وقيل غير هذا وهذه الاية ناسخة لاول السورة
عند الجمهور وقد ادعى ابن عبد البر الاجماع على ان هذه الاية نزلت
بعد قوله يسالونك عن الانفال وما في قوله ما غنمتم بمعنى الذي والها
محذوفة الذي غنمتموه او مصدرية ودخلت الفا لان في الكلام
معنى المجازاة واختلف في كيفية قسم الخمس فقيل يقسم على خمسة
وسهم الله وسهم رسوله واحد وانه يصرف في مصالح المسلمين
وانما قال لله خمسه لانه هو المتصرف فيه وقيل للتبرك والاربعة
الاخماس على الاربعة الاصناف المذكورين في الاية وهو قول الشافعي
وقيل يقسم على ثلاثة لليتامى والمساكين وابن السبيل وارتفع
حكم قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم بموته كما ارتفع حكم سهمه
قاله ابو حنيفة قالوا ويبدا من الخمس باصلاح القناطر وبناء
المساجد وارزاق القضاة وقيل هو موكول الى نظر الامام واجتهاده

فياخذ منه من غير تقدير ويعطي منه القرابة باجتهاده ويصرف الباقي
في مصالح المسلمين وبه قال مالك وقيل غير هذا **ولذي القربى** قيل
ليست اللام لبيان الاستحقاق والملك وانما هي لبيان المصرف وذووا
القربى قيل قريش كلها وقيل بنوا هاشم وبنوا المطلب قاله الشافعي واحمد
وابو ثور ومجاهد وقتادة وغيرهم وقيل بنوا هاشم خاصة وهو قول
مالك والثوري والاوزاعي وغيرهم **واليتامى والمساكين وابن السبيل**
وتقدم ولما بين الله حكم الخمس وسكت عن الاربعة الاخماس دل ذلك
على انها ملك للغانمين **ان كنتم امنتم بالله** قال الزجاج عن بعضهم
المعنى فاعلموا ان الله مولاكم ان كنتم وقال فرقة ان متعلقة بقوله
واعلموا انما غنمتم ابن عطية وهذا هو الصحيح اي ان كنتم امنتم بالله
فانقادوا واسلموا لامر الله تعالى فيما علمكم به من حال قسمة الغنيمة
وما انزلنا على عبدنا محمد **يوم الفرقان** ما في موضع خفض عطف
على اسم الله ويوم الفرقان هو اليوم الذي فرق فيه بين الحق والباطل
يوم بدر والذي انزل عليه يومئذ يسالونك عن الانفال حين اختلفوا
فيها **يوم التقى الجمعان** حزب الله تعالى وحزب الشيطان **والله على كل
شيء قدير** ومنه نصركم مع قلتكم وكثرتهم **اذ انتم** كائنون **بالعدوة
القصوى** اي انزلنا اذ انتم على هذه الصفة او يكون المعنى واذكروا
اذ انتم والعدوة جانب الوادي قرئ بكسر العين وضمها وهما لغتان
والدنيا تانيث الادنى والقصوى تانيث الاقصى فالدنيا كانت
مما يلي المدينة والقصوى مما يلي مكة اي اذ انتم نزول بشفير
الوادي بالجانب الادنى الى المدينة وعدوكم بالجانب الاقصى **والركب**

كائن

كائن **اسفل منكم** يعني ركب ابي سفيان وغيره كانوا في موضع اسفل
منهم الى ساحل البحر فيه الامتعة وقيل هي الابل التي كانت تحمل
امتعتهم وكانت في موضع يامنون عليها توفيقا من الله تعالى
لهم فذكرهم نعمته عليهم والركب ابتدا اسفل منكم ظرف في موضع
الخبر اي مكانا اسفل اي اشد تسفلا والجملة حال من الظرف الذي
قبله والركب جمع راكب ولا يكون الا للجماعة الراكبين الابل **ولو
تواعدتم لاختلفتم في الميعاد** اي لم يكن يقع الاتفاق لكثرتهم
وقلتكم ولكن جمعكم بغير ميعاد فانكم لو عرفتم كثرتهم لتاخرتم
فوفق الله تعالى لكم **ولكن ليقضي الله امرا كان مفعولا** من نصر المومنين
واظهار الدين واللام في ليقضي متعلقة بمحذوف المعنى جمعهم
ليقضي ثم كررها فقال **ليهلك من هلك عن بينة** اي جمعهم
هنالك ليقضي امرا ليهلك والبينة اقامة الحجة والبرهان اي
ليموت من يموت عن بينة راها وهي نصر المومنين مع قلتهم على الجيش
الكثير **ويحيى من حي عن بينة** وكذلك حياة من يحيى وقال ابن
اسحاق ليكفر من كفر بعد حجة قامت عليه وقطعت عذره ويومن
من امن على ذلك **وان الله لسميع عليم اذ يريكهم الله** اي اذكر اذ
يريكهم الله ويجوز ان يكون ظرفا لعليم المذكور قبله **في منامك
قليلا** قال مجاهد راهم النبي صلى الله عليه وسلم في منامه قليلا
فقص ذلك على اصحابه فثبتهم الله بذلك وقيل عني بالمنام محل
النوم وهو العين اي في موضع منامك فحذف عن الحسن وهو من
اطلاق اسم الحال على المحل **ولو اراكهم كثيرا لفشلتم** اي لجبنتم

عن الحرب ولتنازعتم في الامر اي اختلفتم في امر القتال ولكن الله سلّم
اي سلمكم من الفشل والتنازع واتم امر المسلمين بالظفر انه عليم بذات
الصدور بما في القلوب واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا
هذا في اليقظة ويجوز حمل الاولى على اليقظة ايضا اذ اقبل المنام
موضع النوم وهو العين فتكون الاولى على هذا خاصة بالنبي صلى الله
عليه وسلم وهذه للجميع قال ابن مسعود قلت لانسان كان الى جنبي
يوم بدر اتراهم سبعين قال هم نحو المائة فاسرنا رجلا فقلنا كم كنتم
قال الفا ويقللكم في اعينهم كان هذا في ابتداء القتال حتى قال
ابو جهل ذلك اليوم انما هم اكلة جزور خذوهم اخذا واربطوهم
بالحبال فلما اخذوا في القتال عظم المسلمون في اعينهم حتى راوهم
مثليهم كما في آل عمران ليقضي الله امرا كان مفعولا تكرر هذا لان
المعنى في الاول من اللقاء وفي الثاني من قتل المشركين واعزاز الدين
واتمام النعمة على المسلمين والى الله ترجع الامور اي مصيرها ومردها
اليه يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة اي جماعة من الكفار
ولم يصفهم لان المؤمنين ما كانوا يلقون الا الكفار واللقا مما
غلب في القتال فاثبتوا نهي عن الفرار واذكروا الله كثيرا قيل اذكروا
الله عند جزع قلوبكم فان ذكره يعين على الثبات في الشدائد وقيل اثبتوا
بقلوبكم واذكروا الله بالسنتكم وقيل ما قاله اصحاب طالوت ربنا افرغ
علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين وقيل غير
هذا لعلكم تفلحون تفوزون واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا
باختلاف الارا كما فعلتم ببدر واحد فتفشلوا نصب في جواب النهي

وتذهب

وتذهب ريحكم اي قوتكم ونصركم وقال قتادة وابن زيد انه لم يكن
نصر قط الا بريح تهب فتضرب وجوه الكفار ومنه قوله صلى الله عليه
وسلم نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور واصبروا ان الله مع الصابرين
بالنصر والعون والصبر محمود في كل المواطن وخاصة مواطن الحرب
ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون
عن سبيل الله يعني ابا جهل واصحابه الخارجين يوم بدر لنصرة العير
خرجوا بالقيان والمغنيات والمعازف فلما بلغوا الجحفة بعث خفاف
الكناني لابي جهل هدايا وكان صديقا له مع ابن له وقال له ان
شئت امددتك بالرجال وان شئت امددتك بنفسي مع من خف
من قومي فقال ابو جهل ان كنا نقاتل الله تعالى كما يزعم محمد فوالله
ما لنا بالله طاقة وان كنا نقاتل الناس فوالله ان بنا على الناس لقوة
والله لا نرجع عن قتال محمد حتى نرد بدرا فنشرب فيها الخمور وتعزف
علينا القيان فان بدرا موسم من مواسم العرب وسوق من اسواقهم
حتى تسمع العرب بمخرجنا فتهابنا اخر الابد ولكن نوردوا بدرا ولكن جرى
ما جرى من هلاكهم والبطر في اللغة التقوية بنعم الله تعالى وما
البسه من العافية على المعاصي وهو مصدر في موضع الحال اي خرجوا
بطرين مرائين صادين وصدهم اضلال الناس فوافوا بدرا وسقوا
كاس المنايا وناحت عليهم النوائح فنهى المؤمنون ان يكونوا امثالهم
بطرين اذ النهي عن الشيء امر بضده والله بما يعملون بالياء والتاء محيط
عالم فيجازيهم به واذ ذكر زين لهم الشيطان اعمالهم في معاداة
الرسول صلى الله عليه وسلم وغيرها بان وسوس اليهم وشجعهم

على لقا المسلمين روى ان الشيطان تمثل لهم في صورة سراقة بن مالك
ابن جعشم وهو من بني بكر بن كنانة وكانت قريش تخاف من بني بكر ان
ياتوهم من ورايهم لانهم قتلوا رجلا منهم فلما تمثل لهم قال ما اخبر الله
به عنه وقال الضحاك جاءهم ابليس يوم بدر برايته وجنوده والقى في
قلوبهم انهم لن يهزموا وهم يقاتلون عن دين ابايهم وعن ابن عباس
قال امد الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم والمومنين بالف من الملايكة
فكان جبريل عليه السلام في خمسماية من الملايكة مجنبة وميكاييل في
خمسماية من الملايكة مجنبة وجا ابليس ومعه جند من الشياطين معه
راية في صورة رجال من بني مدلج والشيطان في صورة سراقة بن مالك
وقال الشيطان للمشركين لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم
مقالة نفسانية والمعنى انه القى في روعهم وخيل اليهم انهم لا يغلبون
ولا يطاقون لكثرة عددهم فلما تراءت الفئتان اي اصطف القوم قال
ابو جهل اللهم اولانا بالحق فانصره ورفع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يديه وقال يا رب انك ان تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الارض
ابدا فقال له جبريل خذ قبضة من التراب فاخذ قبضة فرمى بها وجوههم
فما من المشركين من احد الا اصاب عينيه ومنخريه وفمه فولوا مدبرين
واقبل جبريل الى ابليس فلما راه كانت يده في يد رجل من المشركين يعني
الحارث بن هشام نكص انتزع ابليس يده ونكص على عقبيه وولى مدبرا
فقال له الرجل يا سراقة الم تزعم انك لنا جار اتخذ لنا على هذه الحالة
وقال اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون من الملايكة ومعنى نكص على
عقبيه رجع القهقرى اي بطل كيده اني اخاف الله قيل خاف ابليس ان

يكون

يكون يوم بدر اليوم الذي انظر اليه وقيل كذب ابليس في قوله اني اخاف
الله ولكن علم انه لا قوة له والله شديد العقاب اذ يقول المنافقون
من اهل المدينة قيل هم الذين اظهروا الايمان وابطنوا الكفر والذين في قلوبهم
مرض الشاكون وهم دون المنافقين لانهم حديثوا عهد بالاسلام وفيهم
بعد ضعف نية قالوا عند الخروج الى القتال وعند التقا الصفين غر
هؤلا اي المسلمين دينهم وقيل هما واحد ومن يتوكل على الله فان الله عزيز
حكيم غالب لا يذل من استجار به يفعل بحكمته البالغة ما يستبعده العقل
ويعجز عن ادراكه الفهم ولو ترى اي رايت فان لو تجعل المضارع ماضيا
عكس ان اذ يتوفى الذين كفروا الملايكة قرئ بالتذكير والتانيث واذ
ظرف ترى والمفعول محذوف اي ولو ترى الكفرة او حالهم والمراد من
بقي ولم يقتل يوم بدر وقيل هي فيمن قتل ببدر وجواب لو محذوف اي
لرايت امرا عظيما يضربون في موضع الحال وجوههم وادبارهم اي
استاههم كنى عنها بالادبار قاله مجاهد وغيره الحسن ظهورهم وقال ان
رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله اني رايت بظهر
ابي جهل مثل الشراك قال ذاك ضرب الملايكة ولعل المراد تعميم الضرب
اي يضربون ما اقبل منهم وما ادبر وهذا الضرب يكون عند الموت وقيل
يكون يوم القيمة حتى يصيروا بهم الى النار وذوقوا عذاب الحريق
الفرا المعنى ويقولون ذوقوا عذاب الحريق الحسن هذا يوم القيمة تقول
لهم خزنة جهنم ذلك وروي انه كان مع الملايكة مقامع من حديد
كلما ضربوا التهبت النار في الجراحات فذلك قوله وذوقوا عذاب الحريق
والذوق يكون محسوسا ومعنى واصله من الذوق بالفم ذلك في

موضع رفع اي الامر ذلك او ذلك جزاؤكم بما قدمت ايديكم اي اكتسبتم
من الاثام وان الله ليس بظلام للعبيد اذ قد اوضح السبل وبعث الرسل
فلم تظلمتم وان في موضع خفض عطف على ما وان شئت نصبت بمعنى
وبان الله وقيل غير هذا او ظلام للتكثير لاجل العبيد او المعنى بذي
ظلم كداب ال فرعون الداب العادة اي العادة في تعذيبهم عند
قبض الارواح وفي القبور كعادة ال فرعون وقيل المعنى جوزي هؤلا
بالقتل والسبي كما جوزي ال فرعون بالغرق والذين من قبلهم من قبل
ال فرعون كفروا بايات الله فاخذهم الله بذنوبهم كما اخذ هؤلا بالعذاب
ان الله قوي شديد العقاب ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة
انعمها على قوم مبدلا لها بالنقمة حتى يغيروا ما بانفسهم هو تعليل
اي هذا العقاب لانهم غيروا وبدلوا ونعمة الله على قريش الخصب
والسعة والامن والعافية وقال السدي نعمة الله تعالى عليهم محمد
صلى الله عليه وسلم فكفروا به فنقل الى المدينة وحل بالمشركين العقاب
وان الله سميع عليم كداب ال فرعون ليس هذا بتكرير لان الاول للعادة
في التكذيب والثاني للعادة في التغيير وباقي الاية بين ان شر
الدواب اي من يدب على وجه الارض عند الله في علم الله وحكمه الذين
كفروا اي اصروا على الكفر ورسخوا فيه فهم لا يومنون اي فلا يتوقع
منهم ايمان ولعله اخبار عن قوم مطبوعين على الكفر الذين عاهدت
منهم بدل من الذين كفروا ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا
يتقون اي لا يخافون الانتقام ومن في قوله منهم للتبعيض لان
العهد انما كان يجري مع اشرافهم ثم ينقضونه والمعنى بهم قريظة

والنضير

والنضير في قول مجاهد وغيره نقضوا العهد فاعانوا مشركي مكة بالسلاح
ثم اعتذروا وقالوا نسينا فعاهدهم صلى الله عليه وسلم ثانية فنقضوا
يوم الخندق فاما تثقفنهم في الحرب شرط وجوابه فشرد ودخلت
النون توكيدا لما دخلت ما ومعنى تثقفنهم تاسرنهم وتحصلهم في
ثقاف او تلقاهم بحال ضعف تقدر عليهم فيها وتغلبهم وهذا لازم
من اللفظ لقوله في الحرب وقيل المعنى تصادفنهم وتلقاهم فشرد
بهم من خلفهم قال سعيد بن جبير المعنى انذر بهم من خلفهم ابو عبيدة
لغة قريش شرد بهم سمع بهم الضحاك نكل بهم الزجاج يعني افعل بهم
فعلا من القتل تفرق به من خلفهم والتشريد في اللغة التبديد
والتفريق ومنه شرد البعير اذا فارق صاحبه ومن المعنى الذي قاله الكسائي
لعلهم يذكرون اي يتذكرون بوعدك اياهم وقيل هذا يرجع الى من
خلفهم لان من قتل لا يتذكر اي شرد بهم من خلفهم من عمل بمثل عملهم
لعلهم يتعظون بهم واما تخافن فيه ادغام ان الشرطية في ما الزايدة
كالتي قبلها من قوم معاهدين خيانة اي غشا ونقضا للعهد فانبذ
اليهم على سوا اي اطرح اليهم عهدهم على عدل وهذه الاية نزلت
في بني قريظة حكاه الطبري عن مجاهد قال ابن عطية والذي يظهر
من الفاظ القران ان امر بني قريظة انقضى عند قوله فشرد بهم
من خلفهم ثم ابتدا تعالى في هذه الاية بامره فيما يصنعه في
المستقبل مع من يخاف منه خيانة قال ابن العربي فان قيل كيف يجوز
نقض العهد مع خوف الخيانة والخوف ظن وكيف يسقط يقين العهد
مع ظن الخيانة فالجواب من وجهين احدهما ان الخوف قد ياتي بمعنى اليقين

كما قد ياتي الرجا بمعنى العلم قال تعالى لا ترجون لله وقارا والثاني اذا
ظهرت اثار الخيانة وثبتت دلايلها وجب نبذ العهد لئلا يوقع التمادي
عليه في الهلكة وجاز اسقاط اليقين هنا ضرورة واما اذا علم اليقين
فيستغنى عن نبذ العهد اليهم وقد سار النبي صلى الله عليه وسلم
الى اهل مكة عام الفتح لما اشتهر منهم نقض العهد من غير ان ينبذ اليهم
عهدهم والنبذ الرمي والرفض قال النحاس هذا من معجز ما جا في القران
مما لا يوجد في الكلام مثله على اختصاره وكثرة معانيه والمعنى واما
تخافن من قوم بينك وبينهم عهد خيانة فانبذ اليهم العهد اي قل
لهم قد نبذت اليكم عهدكم وانا مقاتلكم ليعلموا ذلك فيكونوا
معك في العلم سوا ولا تقاتلهم وبينك وبينهم عهد وهم يثقون بك
فيكون ذلك خيانة وغدرا ثم بين هذا بقوله **ان الله لا يحب الخائنين**
ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا قري بتا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
وبيا الغيب لقوله انهم لا يعجزون اي لا يحسبن انفسهم اي من افلت
من وقعة بدر سبقوا الى الحياة او سبقوا الله اي فاتوه **انهم لا يعجزون**
اي في الدنيا حتى يظفرك الله بهم وقيل يعني في الاخرة وهو قول الحسن
وقري بكسر انهم على الاستيناف وبالفتح على تقدير لانهم **واعدوا**
لهم اي لناقضي العهد او للكفرة لقتالهم **ما استطعتم من قوة** قال ابن
عباس القوة هنا السلاح والقسي وفي صحيح مسلم عن عقبة بن عامر
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول واعدوا
لهم ما استطعتم من قوة الا ان القوة الرمي الا ان القوة الرمي ولعله
صلى الله عليه وسلم خصه بالذكر لانه اقواه **ومن رباط الخيل**

اي

اي ارتباطها بازا العدو وعطفها على القوة كعطف جبريل وميكايل على
الملايكة ورباط الخيل فضل عظيم ومنزلة شريفة وكان لعروة البارقي
سبعون فرسا معدة للجهاد والمستحب منها الاناث قاله عكرمة وغيره
والانثى بطنها كنز وظهرها عز وفرس جبريل كان انثى وفي الحديث الخيل
ثلاثة لرجل اجر ولرجل ستر ولرجل وزر الخ ولم يخص ذكرا من انثى
وفي الحديث عليكم بكل كميت اغر محجل او اشقر اغر محجل او ادهم اغر محجل
وفي الترمذي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال خير الخيل الادهم الاقرح
الارثم طلق اليمين فان لم يكن ادهم فكميت على هذه الشية وفي مسلم
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره الشكال من الخيل والشكال
ان يكون الفرس في رجله اليمنى بياض وفي يده اليسرى او في يده اليمنى
ورجله اليسرى ويقال ان الذي قتل عليه الحسين بن علي كان اشكل
ترهبون به اي بما استطعتم او بالاعداد **عدو الله وعدوكم** يعني تخيفون
به عدو الله وعدوكم من اليهود وقريش وكفار العرب **واخرين من دونهم**
اي من غيرهم يعني فارس والروم قاله السدي او المنافقون او اليهود
وقيل الجن وهو اختيار الطبري **لا تعلمونهم** اي لا تعرفونهم باعيانهم
الله يعلمهم وقيل المراد بذلك كل من لا تعرف عداوته قال السهيلي
ولا ينبغي ان يقال فيهم شي لان الله تعالى قال واخرين من دونهم
لا تعلمونهم الله يعلمهم فكيف يدعي احد علما بهم الا ان يصح حديث
جا في ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله في هذه الاية
هم الجن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان لا يخبل
احدا في دار فيها فرس عتيق اي قد تخلص من الهجانة وروي ان الجن

لا تقرب دارا فيها فرس وانها تنفر من صهيل الخيل وما تنفقوا من شيء
اي تتصدقوا وقيل تنفقوه على انفسكم او خيلكم في سبيل الله يوف
اليكم في الاخرة الحسنة بعشر امثالها الى سبعمائة الى اضعاف كثيرة
وانتم لا تظلمون بتضييع العمل او نقص الثواب وان جنحوا للسلم
اي مالوا الى الصلح فاجنح لها اي مل اليها والسلم مؤنثة ويجوز ان
يكون التانيث للفعلة يقول ان مالوا يعني الذين نبذوا العهد الى
المسالمة والصلح فمل اليها قال قتادة وعكرمة هذا الاية منسوخة بقوله
اقتلوا المشركين ابن عباس الناسخ لها فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وقيل
ليست منسوخة بل اراد قبول الجزية من اهل الجزية وقال ابن زيد
والسدي معنى الاية ان دعوك الى الصلح فاجبهم ولا نسخ فيها ابن
العربي وبهذا يختلف الجواب عنه فاذا كان المسلمون على عزة وقوة ومنعة
وجماعة عديدة وشدة شديدة فلا صلح كما قال • فلا صلح حتى تطعن الخيل
بالقنا • وتضرب بالبيض الى قاق الجماجم • وان كان بالمسلمين مصلحة
في الصلح لنفع يجتلبونه او ضرر يدفعونه فلا باس ان يبتدئ
المسلمون به اذا احتاجوا اليه وتوكل على الله ثق به ولا تخف من ابطانهم
خداعا بخافيه فان الله يعصمك من مكرهم ويحيقه بهم انه هو السميع
لاقوالهم العليم بنياتهم وان يريدوا ان يخدعوك اي بان يظهروا
لك السلم ويبطنوا الغدر والخيانة فاجنح وما عليك من نياتهم
الفاسدة فان حسبك الله اي كافيك الله يتولى كفايتك وحياطتك
هو الذي ايدك اي قواك بنصره يوم بدر وبالمؤمنين قال
النعمان بن بشير نزلت في الانصار والف بين قلوبهم اي جمع بين

قلوب الاوس والخزرج وكان تالف القلوب مع العصبية الشديدة
في العرب من ايات النبي صلى الله عليه وسلم ومعجزاته لو انفقت ما في
الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم اي تناهت عداوتهم الى حد لو انفق
منفق في اصلاح ذات بينهم ما في الارض من الاموال لم يقدر على
الالفة والاصلاح ولكن الله الف بينهم بقدرته البالغة فانه المالك
للقلوب انه عزيز تام القدرة حكيم يعلم كيف ينبغي ان يفعل يا ايها
النبي حسبك الله ليس هذا تكرارا فانه قال فيما سبق وان يريدوا ان
يخدعوك فان حسبك الله وهذه كفاية خاصة وفي قوله يا ايها
النبي حسبك الله اراد التعميم اي حسبك الله في كل حال وقال ابن
عباس نزلت في اسلام عمر فان النبي صلى الله عليه وسلم كان اسلم
معه ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة فاسلم عمر وصاروا
اربعين والاية مكية كتبت بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم
في سورة مدنية ذكره العنبري وقال الكلبي نزلت بالبيداء في غزوة
بدر قبل القتال وقيل غير هذا ومن اتبعك من المؤمنين قيل المعنى
حسبك الله وحسبك المهاجرون والانصار قاله الحسن وقيل المعنى
كافيك وكافي من يتبعك قاله الشعبي وابن زيد يا ايها النبي حرض
المؤمنين على القتال اي حثهم وحضهم ان يكن منكم عشرون صابرون
يغلبوا مائتين منهم وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين
كفروا بانهم لا يفقهون ويكن يجوز ان تكون تامة فيكون الفاعل
عشرون ومنكم حال منها او متعلقة بيكن ويجوز ان تكون الناقصة
فيكون عشرون اسمها والخبر منكم وهو لفظ خبر ضمنه وعد بشرط

لان معناه ان يصبر منكم عشرون ان قيل لم كسر اول عشرين وفتح
اول ثلاثين وما بعده الى الستين والتسعين فالجواب عند سيبويه
ان عشرين من عشرة بمنزلة اثنين من واحد فكسر اول عشرين كما كسر
اثنان وكذا ستون وتسعون كما قيل ستة وتسعة عن ابن عباس قال نزلت
ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مايتين فشق ذلك على المسلمين
حين فرض الله عليهم ان لا يفر واحد من عشرة ثم انه جا التخفيف
فقال الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم
مايه صابرة يغلبوا مايتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين
باذن الله والله مع الصابرين بعوته قرا ابو ثوبه ان يكن منكم
عشرون الى قوله مايه صابرة يغلبوا مايتين قال لما خفف الله تعالى
عنهم من العدد نقص من الصبر بقدر ما خفف عنهم والاية خبر بمعنى
الامر اي ليقتصر ما يه لمايتين وعليها يحمل قوله تعالى اذا لقيتم فيه
فاثبتوا ما كان لنبي ان تكون له اسرى اسرى جمع اسير مثل قتيل
وقتلى ويقال في جمع اسير ايضا اسارى بضم الهمزة وفتحها وكانوا
يشدون الاسير بالقد وهو الاسر فسمي كل واحد وان لم يوسر
اسيرا وقال ابو عمرو بن العلا الاسرى هم غير الموثقين عند ما يوخذون
والاسارى هم الموثقون ربطا حتى يثخن في الارض بكثرة القتل تريدون
عرض الدنيا اي حطامها باخذكم الفدا والله يريد الاخرة اي يريد
لكم ثوابها او سبب نيل الاخرة من اعزاز دينه وقمع اعدايه والله
عزيز لا يغلب حكيم فيما يفعل وهذا منسوخ بقوله فاما منا بعد واما
فدا وهذه الاية نزلت يوم بدر عتابا من الله تعالى لاصحاب نبيه

صلى

صلى الله عليه وسلم والمعنى ما كان ينبغي لكم ان تفعلوا هذا الفعل الذي
اوجب ان يكون للنبي صلى الله عليه وسلم اسرى قبل الاثخان والنبي
صلى الله عليه وسلم لم يامر باستبقا الرجال وقت الحرب ولا اراد
قط عرض الدنيا وانما فعله جمهور مباشري الحرب فالتوبيخ والعتاب
انما يكون متوجها بسبب من اشار على النبي صلى الله عليه وسلم باخذ
الفدية وجا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في الاية حين لم ينه
عنه حين راه من العريش وانكره سعد بن معاذ وعمر بن الخطاب وعبد الله
ابن رواحة ولكنه عليه الصلاة والسلام شغله بغت الامر وظهور
النصر فترك النهي عن الاستبقا ولهذا بكى هو وابو بكر لما نزلت الاية
وعن ابن عباس قال لما اسروا الاسارى قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لابي بكر وعمر ما ترون في هولا الاسارى فقال ابو بكر يا
رسول الله بنو العم والعشيرة ارى ان تاخذ منهم فدية فتكون
لنا قوة على الكفار فعسى الله ان يهديهم للاسلام فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما ترى يا ابن الخطاب قال لا والله يا رسول الله
ما ارى الذي راى ابو بكر ارى ان تمكننا منهم فنضرب اعناقهم
فان هولا ايمة الكفر وصناديدها فهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما قال ابو بكر فلما كان من الغد جا عمر فراى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وابا بكر يبكيان فقال ما يبكيكما فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ابكي للذي عرض على اصحابك من اخذهم الفدية لقد
عرض على عذابهم ادنى من هذه الشجرة شجرة قريبة كانت من
نبي الله صلى الله عليه وسلم وانزل الله عز وجل ما كان لنبي ان تكون

احوال اسرا

لداسوى الي اخر الاية وروى انه صلى الله عليه وسلم قال لو نزل عذاب
ما افلت الاعمر وروى ان سعد بن معاذ قال يا رسول الله انها اول
وقعة لنا مع المشركين فكان الاثخان احب الينا والاثخان كثرة القتل
عن مجاهد وغيره اي يبالغ في قتل المشركين وقد قيل انما عوتبوا
لان قضية بدر كانت عظيمة الموقع والتصريف في صناديد
قريش وسادا تهم واموالهم بالقتل والاسترقاق والتملك ذلك
كله عظيم الموقع فكان حقهم ان ينتظروا الوحي ولا يستعجلوا فلما
استعجلوا ولم ينتظروا توجه عليهم ما توجه قال ابو عمرو بن العلا
ان القتلى كانوا سبعين والاسرى كذلك لولا كتاب من الله سبق
اي لولا كتاب من الله في انه لا يعذب قوما حتى يبين لهم ما يتقون
وقيل كتاب الله السابق احلال الغنايم وهو الاصح وانها كانت محرمة
علي من قبلنا وقيل الكتاب السابق هو مغفرة الله لاهل بدر ما تقدم
او تاخر وقيل الكتاب السابق ان لا يعذبهم وفيهم محمد صلى الله عليه
وسلم لمسكم اي لنالكم فيما اخذتم من الغدا عذاب عظيم فكلوا مما
غنمتم من الغدا حلالا طيبا من المغنوم او صفة للمصدر اي اكلا حلالا
وفايدته ازاحة ما وقع في نفوسهم منه بسبب تلك المعاتبة والفا
في فكلوا للسبب والمسبب محذوف تقديره ابحت لكم فكلوا واتقوا
الله في مخالفته ان الله غفور غفر لكم ذنوبكم رحيم اباح لكم ما اخذتم
يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسارى قيل الخطاب للنبي صلى الله عليه
وسلم وحده وقيل له ولاصحابه قال ابن عباس الاسرى هنا عباس
واصحابه قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم امنا بما جيت به ونشهد

انك

انك رسول الله لننصحن لك علي قومك وهذا ضعفه مالك واحتج علي
ابطاله بما ذكر من رجوعهم وزيادة عليه انهم غزوه في احد واختلف
في وقت اسلام العباس فقيل اسلم قبل بدر ولذلك قال النبي صلى الله
عليه وسلم من لقي العباس فلا يقتله فانما اخرج كرها وقيل اسلم حين
اسر يوم بدر وقيل اسلم عام خيبر وكان يكتب لرسول الله صلى الله
عليه وسلم باخبار المشركين وكان يحب ان يهاجر فكتب اليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم امكث بمكة فمقامك بها انفع لنا وقال ابن
اسحاق بعثت قريش الي رسول الله صلى الله عليه وسلم في فدا اسرايهم
ففدا كل قوم اسيرهم بما رضوا وقال العباس يا رسول الله اني
قد كنت مسلما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اعلم
باسلامك فان تكن كما تقول فالله يجزيك بذلك فاما ظاهر امرك
فكان علينا فافد نفسك وابني اخيك نوفل بن الحارث بن عبد
المطلب وعقيل بن ابي طالب وحليفك عتبة بن عمرو فقال ما
ذاك عندي يا رسول الله قال فاين المال الذي دفنته انت وام
الفضل فقلت لها ان اصبت في سفري هذا فهذا المال لبني الفضل
وعبد الله وقثم فقال والله يا رسول الله اني لاعلم انك رسول الله
ان هذا الشي ما علمه غيري وغير ام الفضل فاحسب لي يا رسول الله ما
اصبتم مني عشرين اوقية من مال كان معي فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا ذاك شي اعطانا الله منك ففدى نفسه وابني اخيه
وحليفه وانزل الله فيه يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسارى
الاية قال ابن عباس وكان اكثر الاسارى فدا العباس لانه

كان رجلا موسرا فافتدى نفسه بماية اوقية من ذهب وقيل غير هذا
ان يعلم الله في قلوبكم خيرا اي ايمانا واخلاصا يوتكم خيرا مما اخذ
منكم اي من الفدية قيل في الدنيا وقيل في الاخرة ويغفر لكم ذنوبكم
والله غفور رحيم في صحيح مسلم انه لما قدم على النبي صلى الله عليه وسلم
مال من البحرين قال له العباس اني فاديت نفسي وفاديت عقيلا فقال
له رسول الله صلى الله عليه وسلم خذ فبسط ثوبه واخذ ما استطاع
ان يحمله فقال العباس هذا خير مما اخذ مني وانا بعد ارجو ان يغفر الله
لي قال العباس واعطاني زمزم وما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة
وعن عايشة قالت لما بعث اهل مكة في فدا اسرايهم بعثت زينب في فدا
ابي العاصي بمال وبعثت بقلادة لها كانت عند خديجة ادخلتها بها
على ابي العاصي قالت فلما راها رسول الله صلى الله عليه وسلم رق لها
وقال ان رايتم ان تطلقوا لها اسيرها وتردوا عليها الذي لها فقالوا
نعم وكان النبي صلى الله عليه وسلم اخذ عليه ان يخلي سبيل زينب
وان يريدوا خيانتك اي ان كان هذا القول منهم خيانة ومكرا فقد
خانوا الله ورسوله من قبل اي من قبل يوم بدر بكفرهم ومكرهم بك
وقتالهم لك فامكن منهم والله عليم حكيم فان اعادوا الخيانة فيمكنك
منهم كما فعل يوم بدر ان الذين امنوا وهاجروا اوطانهم وجاهدوا
باموالهم وانفسهم في سبيل الله تقدم معنى الايمان والهجرة وهم
المهاجرون والذين اووا ونصروا معطوف عليه وهم الانصار
الذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم اوليك رفع بالابتدا بعضهم
ابتدا ثان اوليا بعض خبره والجميع خبر ان قال ابن عباس

اوليا

اوليا بعض في الميراث وكانوا يتوارثون بالهجرة فنسخ الله ذلك بقوله
واولوا الارحام الاية وصار الميراث لذوي الارحام من المومنين
ولا يتوارث اهل ملتين شيا وقيل ليس هذا بنسخ وانما معناه في
النصرة والمعونة والذين امنوا ولم يهاجروا ابتدا والخبر ما لكم من
ولايتهم من شي قري بفتح الواو وكسرها وهما لغتان وقيل بالكسر من
وليت الشي وبالفتح من الولاية وهي النصرة والنسب حتى يهاجروا
وهذا منسوخ باخر السورة وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر
اي ان طلب هولا المومنون الذين لم يهاجروا من ارض الحرب عونكم
بنفير او مال لاستنقاذهم فاعينوهم فذلك فرض عليكم فلا تخذلوهم
الا على قوم اي الا ان يستنصروكم على قوم كفار بينكم وبينهم
ميثاق فلا تنصروهم عليهم ولا تنقضوا العهد حتى تتم مدته وقال
ابن العربي الا ان يكونوا مستضعفين فان الولاية معهم قايمة
والنصرة لهم واجبة حتى لا تبقى منا عين تطرف حتى نخرج الى
استنقاذهم ان كان عددنا يحتمل ذلك او نبذل جميع اموالنا في استخراجهم
حتى لا يبقى لاحد درهم كذلك قال مالك وجميع العلما فانا لله وانا
اليه راجعون على ما حل بالخلق في تركهم اخوانهم في اسر العدو وبايديهم
خزاين الاموال وفضول الاحوال والقدرة والعدد والقوة والجلد
والله بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم اوليا بعض في النصرة
والارث الا تفعلوه الضمير عايد على الموارثة والتزامها المعنى الا
تتركوهم يتوارثون كما كانوا يتوارثون قاله ابن زيد وقيل هي
عايدة على التناصر والموازرة والمعاونة ابن جريج وغيره وهذا

ان لم يفعل تقع الفتنة عنه فهو اكد من الاول وقيل يعود على نقض العهد
والميثاق الذي تضمنه قوله الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق ومعناه ان
لم يفعل فهو الفتنة نفسها وقيل يعود على النصر للمسلمين في الدين
قال ابن اسحق جعل الله المهاجرين والانصار اهل ولايته في الدين
دون من سواهم وجعل الكافرين بعضهم اوليا بعض ثم قال الا
تفعلوه وهو ان يتولى المومن الكافر دون المومنين تكن فتنة في
الارض وفساد كبير اي محنة بالارض بالحرب وما انجر معها من الغارات
والجلا والاسر والفساد الكبير ظهور الشرك وقيل قوة الكفر وضعف
الاسلام والذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين
اووا ونصروا اوليك هم المومنون حقا لهم مغفرة ورزق
كريم الجنة والذين امنوا من بعد اي من بعد الحديبية وبيعة
الرضوان وهاجروا وجاهدوا معكم فاوليك منكم وذلك ان
الهجرة من بعد ذلك كانت اقل رتبة من الهجرة الاولى والهجرة الثانية
هي التي وقع فيها الصلح ووضعت الحرب اوزارها نحو عامين ثم
كان فتح مكة فبين ان من امن وهاجر من بعد ملتحق بهم ومعنى
منكم اي مثلكم في النصر والموالاة واولوا الارحام ذووا القرابات
بعضهم اولى ببعض الرحم مونثة والمراد هنا العصبات واختلف
في توريث ذوي الارحام وهو من لا سهم له في كتاب الله من قرابة
الميت وليس بعصبة كاولاد البنات والجد ابي الام والاخوال
والخالات والعمات وغيرهم على ما هو مبين في الفروع في كتاب الله
اي في حكمه وقيل في اللوح المحفوظ وقيل في القران ان الله بكل

بشي

بشي عليم ومنه حكمة الميراث سورة براة مدنية
باتفاق واخر سورة نزلت قال القشيري نزلت في غزوة تبوك وفي اولها
نبذ عهود الكفار اليهم وفي السورة كشف اسرار المنافقين وتسمى
الفاضحة والبحوث لانها تبحث عن اسرار المنافقين واختلف في سقوط
البسملة من اولها قيل كان من شان العرب في زمانها في الجاهلية
اذا كان بينهم وبين قوم عهد فاذا ارادوا نقضه كتبوا اليهم كتابا
ولم يكتبوا فيه بسملة فلما نزلت سورة براة بنقض العهد الذي كان
بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين المشركين بعث بها علي بن ابي طالب
يقراها عليهم في الموسم ولم يبسمل على ما جرت به عادتهم في نقض العهد
وقيل انه لما سقط اولها سقط بسم الله الرحمن الرحيم معه فقد روي
عن ابن عجلان ان سورة براة كانت تعدل البقرة او قربها وقيل
اختلف في براة والانفال هل هما سورة واحدة او سورتان فتركت
بينهما فرجة لقول من قال هما سورتان وتركت بسم الله الرحمن الرحيم
لقول من قال هما سورة واحدة وقيل لان بسم الله الرحمن الرحيم امان
وبراة نزلت بالسيف ليس فيها امان قاله علي بن ابي طالب رضي الله
عنه وفي الصحيح ان التسمية لم تكتب لان جبريل ما نزل بها
في هذه السورة قاله القشيري براة من الله ورسوله براة قطع
الموالاة وارتفاع العصمة والامان تقول برات من الشي برا
براة وانا بري اذا ازلته عن نفسك وقطعت سبب ما بينك وبينه
وبراة خبر ابتدا مضمر تقديره هذه براة من الله ورسوله
واصلة الى الذين عاهدتم من المشركين يعني الى الذين

عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه كان المتولي للعقود واصحابه
بذلك راضون فكانهم عاقدوا وعاهدوا فنسب العقد اليهم وكذلك
ما عقد ائمة الكفر على قومهم منسوب اليهم ومحسوب عليهم يؤاخذون
به اذ لا يمكن غير ذلك **فسيحوا في الارض اربعة اشهر** رجع من الخبر
الى الخطاب اي قل لهم سيحوا اي سيروا في الارض مقبلين ومدبرين
امنين قال ابن اسحق وغيره هم صنفان من المشركين احدهما كانت مدة
عهده اقل من اربعة اشهر فامهل تمام اربعة اشهر والاخر كانت مدة
عهده بغير اجل محدود فقصر به على اربعة اشهر ليرتاد لنفسه ثم
هو حرب بعد ذلك لله ولرسوله وللمؤمنين يقتل حيث ما ادرك ويوسر
الا ان يتوب وابتداء هذا الاجل يوم الحج الاكبر وانقضاؤه الى عشر
من شهر ربيع الاخر فاما من لم يكن عهد فانما اجله انسلاخ الاشهر
الحرم وذلك عشرون من الحجة ومحرم كله وقال الكلبي انما كانت الاربعة
اشهر لمن كان بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم دون اربعة اشهر
ومن كان عهده اكثر من اربعة اشهر فهو الذي امر الله ان يتم له عهده
بقوله تعالى فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم واختاره الطبري وغيره
وروى الترمذي عن زيد بن يثيع قال سالنا عليا باي شيء بعثت في
الحجة قال بعثت باربع ان لا يطوف بالبيت عريان ومن كان بينه وبين
النبي صلى الله عليه وسلم عهد فهو الى مدته ومن لم يكن له عهد فاجله
اربعة اشهر ولا يدخل الجنة الا نفس مؤمنة ولا يجتمع المسلمون ٥
والمشركون بعد عامهم هذا **واعلموا انكم غير معجزي الله** لا تفوتونه
وان امهلكم **وان الله مخزي الكافرين** بالقتل والاسر في الدنيا

والعذاب

والعذاب في الاخرة **واذان من الله ورسوله** الاذان الاعلام وهو
عطف على براءة **الى الناس** اي جميع الخلق **يوم الحج الاكبر** ظرف
والعامل فيه اذان وان كان وصف بقوله من الله فان رائحة الفعل
فيه باقية وقيل العامل فيه مخزي ولا يصح عمل اذان لانه قد وصف
فخرج عن حكم الفعل والحج الاكبر قيل يوم عرفة روي عن عمر وعثمان
وابن عباس ومجاهد وهو مذهب ابي حنيفة وبه قال الشافعي
وقيل يوم النحر روي عن علي وابن مسعود والمغيرة واختاره الطبري
وهو مذهب مالك وقيل ايام منى كلها وقيل العام الذي حج فيه
رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وحجت معه فيه
الامم وروي انه عليه الصلاة والسلام وقف يوم النحر عند الجمرات
في حجة الوداع فقال هذا الحج الاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر
او لانه ظهر فيه عز المسلمين وذل المشركين **ان الله بريء من المشركين**
وعهودهم **ورسوله** ان بالفتح في موضع نصب والتقدير بان الله
بريء خبر ان ورسوله عطف على الموضع وان شئت على المضمر
المرفوع في بريء وان شئت على الابتداء والخبر محذوف تقديره
ورسوله بريء منهم **فان تبتم** عن الشرك **فهو خير لكم** اي انفع **وان
توليتم** عن الايمان **فاعلموا انكم غير معجزي الله** اي فائتيه فانه
محيط بكم ومنزل عذابه عليكم **وبشر** اخبر **الذين كفروا بعذاب
اليم** مؤلم وهو القتل والاسر في الدنيا والنار في الاخرة **الا الذين
عاهدتم من المشركين** استثناء متصل والمعنى ان الله بريء من المشركين
الا من المعاهدين مدة عهدهم وهم بنو ضمرة وكان بينهم وبين

النبي صلى الله عليه وسلم مدة فامران يتم لهم عهدهم اذ لم يخش غدرهم
وقيل الاستثنا منقطع بمعنى لكن ثم لم ينقصوكم شيا اي من شروط
العهد ولم يظاهروا اي لم يعاونوا عليكم احدا من اعدايكم فاتموا
اليهم عهدهم الى انقضا مدتهم اي وان كانت اكثر من اربعة اشهر
ان الله يحب المتقين باتمام العهود فاذا انسلخ الاشهر الحرم اي
خرج والاشهر الحرم قيل هي المعروفة ثلاثة سرد وواحد فرد قال
الاصم اريد به من لا عقد له من المشركين فاوجب ان يمسك عن
قتالهم حتى ينسلخ المحرم وهو مدة خمسين يوما على ما تقدم وقيل شهور
العهد قاله مجاهد وغيره وقيل لها حرم لان الله تعالى حرم على
المومنين فيها دما المشركين والتعرض لهم فاقتلوا المشركين عام
في كل مشرك لكن السنة خصت منه ما تقدم في البقرة من امراة
وراهب وصبي وغيرهم قال تعالى في اهل الكتاب حتى يعطوا الجزية
ويجوز ان يكون لفظ المشركين لا يتناول اهل الكتاب ويقتضي ذلك
منع اخذ الجزية من عبدة الاوثان وغيرهم على ما ياتي حيث وجدتمو هم
عام في كل موضع وخص ابو حنيفة المسجد الحرام كما سبق في البقرة قال
الحسين بن الفضل نسخت هذه الاية كل اية في القران فيها ذكر الاعراض
والصبر على اذى الاعدا وقال الضحاك والسدي هي منسوخة بقوله
تعالى فاما منا بعد واما فدا وقال مجاهد بل هي ناسخة فاما منا بعد
واما فدا وقال ابن زيد الايتان محكمتان وهو الصحيح وقوله
وخذوهم يدل عليه والاخذ الاسر والاسر انما يكون للقتل والفدا
والمن على ما يراه الامام واحصروهم يعني عن التصرف الى بلادكم

والدخول

والدخول اليكم الا ان تاذنوا لهم فيدخلون اليكم بامان واقعدوا لهم
كل مرصد اي كل طريق يسلكونه والمرصد الموضع الذي يرقب فيه العدو
وكل منصوب على الظرف وقيل باسقاط الخافض والتقدير في كل مرصد
او على كل مرصد فان تابوا من الشرك بالايمان واقاموا الصلاة واتوا
الزكوة تصديقا لايمانهم فخلوا سبيلهم هذه الاية تامل وذلك ان الله
تعالى علق القتل على الشرك ثم قال فان تابوا والاصل ان القتل متى
كان للشرك يزول بزواله وذلك يقتضي زوال القتل بمجرد التوبة
من غير اعتبار اقامة الصلاة وايتا الزكاة ولذلك يسقط القتل
بمجرد التوبة قبل وقت الصلاة والزكاة وهذا بين في هذا المعنى
غير ان الله تعالى ذكر التوبة وذكر معها شرطين اخرين لا سبيل الى الغايهما
ونظيره قوله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا
لا اله الا الله ويقيموا الصلاة ويوتوا الزكاة الخ وقال ابو بكر والله
لا قاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة قال ابن العربي فانتظم
القران والسنة ولا خلاف بين المسلمين ان من ترك الصلاة وساير
الفرايض مستحلا كفر ومن ترك السنن متهاونا فسق واختلف فيمن
ترك الصلاة من غير جحد ولا استحلال فقيل يقتل وبه قال مالك
والشافعي وقال ابو حنيفة يسجن ويضرب ولا يقتل ان الله غفور
رحيم تعليل للامر اي خلوهم لان الله غفر لهم ما سلف ووعدهم الثواب
بالتوبة وان احد من المشركين اي من الذين امرت بقتالهم استجارك
اي سال جوارك اي امانك وذمامك فاجره اي اعطه اياه حتى كي او
الى ان يسمع كلام الله القران اي يفهم احكامه وامره ونهيه ثم

ابلغه مامنه اي فان قبل فحسن وان ابى فرده الى مامنه وهو ما لا يخاف فيه واحد مرفوع باضمار فعل كالذي بعده وفي الاية دليل على ان كلامه تعالى مسموع عند قراة القارى وتقدم معنى كلام الله وانه ليس بحرف ولا صوت ذلك اي ذلك الذي امرناك به من رده الى مامنه اذا لم يومن بانهم قوم لا يعلمون دين الله فلا بد لهم من سماع القران كيف يكون للمشركين عهد كيف هنا للتعجب وعهد اسم يكون وفي الكلام اضمار اي كيف يكون للمشركين عهد مع اضمار الغدر وقيل المعنى كيف يكون للمشركين عهد عند الله يامنون به عذابه غدا وكيف يكون لهم عهد عند رسوله يامنون به عذاب الدنيا اي لا عهد لهم عندهما فهم غادرون ثم استثنى فقال الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام يوم الحديبية قال محمد بن اسحق هم بنو بكر اي ليس العهد الا لهولا الذين لم ينقضوا ولم ينكثوا فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم اي فما اقاموا على الوفا بعهدكم فاقيموا لهم على مثل ذلك وما شرطية ابن زيد فلم يستقيموا فضرب لهم اجلا اربعة اشهر فاما من لا عهد له فقاتلوه حيث وجدتموه الا ان يتوب ان الله يحب المتقين وقد استقام صلى الله عليه وسلم على عهدهم حتى نقضوا باعانة بني بكر على خزاعة كيف يكون لهم عهد وان يظهروا عليكم اي يظفروا بكم يقال ظهرت على فلان غلبته وظهرت على البيت علوته واعاد التعجب من ان يكون لهم عهد مع خبث اعمالهم والمتعجب عنه محذوف اي كيف تطمئنون اليهم او كيف يكون لهم عهد وانه يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا اي لا يحفظوا عهدا عن مجاهد وابن زيد ابن عباس والضحاك قرابة الحسن جوارا قتادة حلفا وذمة

وعهدا ابو عبيدة يمينا الجوهري وغيره الال بالكسر هو الله عز وجل والال ايضا العهد والقرابة ولا ذمة اي عهدا او هي كل حرمة يلزمك ان ضيعتها ذنب ومن جعل الال العهد فالتكرير لاختلاف اللفظين وقيل الذمة الامان قال عليه الصلاة والسلام ويسعى بذمتهم ادناهم وجملة الشرط حال يرضونكم بافواههم اي يقولون بالسنتهم ما يرضي ظاهره وتابى قلوبهم ما تتفوه به افواههم وهو الوفا به واكثرهم فاسقون اي ناقضون للعهد وكل كافر فاسق ولكنه اراد هاهنا المجاهرين بالقبائح ونقض العهد اشتروا بايات الله ثمنا قليلا يعني المشركين مع نقضهم العهد باكلة اطعمهم اياها ابو سفيان قاله مجاهد وقيل استبدلوا بالقران متاع الدنيا فصدوا عن سبيله اي اعرضوا من الصدود او منعوا عن سبيل الله من الصد انهم سا اي بئس ما كانوا يعملون عملهم هذا لا يرقبون في مومن الا ولا ذمة قال النحاس ليس هذا تكرارا ولكن الاول لجميع المشركين والثاني لليهود خاصة باعوا حجج الله عز وجل وبيانه بطلب الرياسة واولئك هم المعتدون اي المجاوزون الحلال الى الحرام بنقض العهد فان تابوا عن الشرك واقاموا الصلاة واتوا الزكاة اي التزموا احكام الاسلام فاخوانكم اي فهم اخوانكم في الدين ونفصل الايات اي نبينها لقوم يعلمون خصهم لانهم المنتفعون بها وهو اعتراض للحث على تامل ما فصل من الاحكام المعاهدين او خصال التائبين وان نكثوا ايمانهم النكث النقض واصله في كل ما فتل ثم حل فهي في الايمان والعهود مستعارة وطعنوا في دينكم اي بالاستنقاص والحرب وغير ذلك مما يفعله المشرك يقال طعن

بالرمح وطعن بالقول السيء يطعن بضم العين فيهما وقيل يطعن بالرمح بالضم ويطعن بالفتح بالقول وهي هنا استعارة والطعن هو ان ينسب اليه ما لا يليق به او يعترض بالاستخفاف على ما هو من الدين لما ثبت من الدليل القطعي على صحة اصوله واستقامة فروعه **فقاتلوا ائمة الكفر** جمع امام اي رؤساءه وفيه وضع الظاهر موضع المضمر قيل والمراد صناديد قريش في قول بعض العلماء كابي جهل وشيبة وامية بن خلف وهذا بعيد لان الاية في براءة وحين نزلت وقريت على الناس كان الله قد استاصل شافة قريش فلم يبق الا مسلم او مسالم فيحتمل ان يكون المراد بائمة الكفر من اقدم على نكث العهد والطعن في الدين يكون اصلا وراسا في الكفر ويحتمل ان يعني به المقدمين والرؤسا منهم وان قتالهم قتال لاتباعهم **انهم لا ايمان لهم** قري بكسر الهمزة من الايمان اي لا اسلام لهم او بمعنى الامان وقري بفتحها جمع يمين **لعلهم ينتهون** من كفرهم وباطلهم واذيتهم للمسلمين وذلك يقتضي ان يكون الغرض من قتالهم دفع ضررهم لينتهوا عن مقاتلتنا ويدخلوا في ديننا **الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم** توبيخ وفيه معنى التحضيض نزلت في كفار مكة قال الكلبي كان النبي صلى الله عليه وسلم وادع اهل مكة سنة وهو بالحديبية فحبسوه عن البيت ثم صالحوه على ان يرجع فمكثوا ما شا الله ثم قاتل حلفا رسول الله صلى الله عليه وسلم من خزاعة حلفا بني امية من كنانة فامدت بنوا امية حلفاهم بالسلاح والطعام فاستعانت خزاعة بالنبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى

فقاتلوا

فقاتلوا ائمة الكفر الاية **وهموا باخراج الرسول** اي كان منهم سبب الخروج فاضيف الاخراج اليهم وقيل اخرجوا الرسول عن المدينة لقتال اهل مكة للنكث الذي كان منهم عن الحسن وقيل هموا حين تشاوروا في امره بدار الندوة **وهم بدؤكم اول مرة** اي نقضوا العهد واعانوا بني بكر على خزاعة وقيل بدؤكم بالقتال يوم بدر لان النبي صلى الله عليه وسلم خرج للعير ولما احرزوا عيرهم كان يمكنهم الانصراف فابوا الا الوصول الى بدر وشرب الخمر بها كما تقدم **اتخشونهم** الاستفهام للنهي **فالله احق ان تخشوه** اي تخافوا عقابه في ترك قتالهم من ان تخافوا ان ينالكم في قتالهم مكروه وقيل اخراجهم الرسول منعهم اياه من الحج والعمرة والطواف وهو ابتداؤهم **ان كنتم مؤمنين** فان قضية الايمان ان لا يخشى الا منه **قاتلوهم يعذبهم الله** امر وجوابه وهو بمعنى المجازاة والتقدير ان تقاتلوهم يعذبهم الله بقتلهم **بايديكم ويخزهم** يذلهم بالاسر **وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم** كربها ووجدها دليل على ان غيظهم كان قد اشتد قال مجاهد يعني خزاعة حلفا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت قريش قد اعانت بني بكر على خزاعة وذلك ان رجلا من بني بكر هجا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له بعض خزاعة لئن اعدته لاكسرن فمك فاعاده فكسر فاه وثار بينهم قتال فقتل من الخزاعيين اقوام فخرج عمرو بن سالم الخزاعي في نفر الى النبي صلى الله عليه وسلم واخبره به فدخل منزل ميمونة وقال اسكبوا الي ما فجعل يغتسل وهو يقول لا نصرت ان لم انصر

بني كعب ثم امر عليه الصلاة والسلام بالتجهيز والخروج الى مكة فكان
الفتح ويتوب الله على من يشاء بالرفع على الاستيناف لانه ليس
من جنس الاول لان القتال غير موجب لهم التوبة من الله عز وجل
والذي تاب الله عليه منهم مثل ابي سفيان وعكرمة بن ابي جهل وسليم
ابن ابي عمرو فانهم اسلموا والله عليم بما كان وما سيكون حكيم لا
يفعل الا على وفق الحكمة ام حسبتم خروج من شيء الى شيء وهو خطاب
للمومنين حين كره بعضهم القتال وقيل للمنافقين ان تتركوا
في موضع المفعولين على قول سيبويه وعند المبرد انه قد حذف
الثاني ومعنى الكلام احسبتم ان تتركوا من غير ان تبتلوا بما يظهر به
المومن والمنافق الظهور الذي يستحق به الثواب والعقاب ولما يعلم
الله علم ظهور الذين جاهدوا منكم باخلاص ولما حرف جزم وهي
عند سيبويه جواب قد فعل ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله
ولا المومنين وليجة اي بطانة ومداخلة من الولوج وهو الدخول
والمعنى مودة وقال ابو عبيدة كل شيء ادخلته في شيء ليس منه فهو
وليجة والرجل يكون في القوم وليس منهم وليجة وقال الفرا
وليجة بطانة من المشركين يتخذونهم ويفشون اليهم اسرارهم
ويعلمونهم امورهم والله خبير بما يعملون ما كان للمشركين
اي ما صح لهم ان يعمروا مسجد الله بالدخول والقعود فيه والجملة
من ان يعمروا في موضع رفع اسم كان شاهدين نصب على الحال
من الفاعل وقيل اراد بذلك انه ليس لهم الحج بعدما نودي
فيهم بالمنع عن المسجد الحرام وكانت امور البيت كالسدانة والسقاية

والوقادة

والوقادة الى المشركين فبين انهم ليسوا اهلا لذلك بل اهله المومنون
والمعنى يجب على المومنين منعهم من ذلك وقيل ان العباس لما اسر
وعير بالكفر وقطيعة الرحم قال تذكرون مساوينا ولا تذكرون
محاسننا فقال علي الكم محاسن قال نعم انا نعمر المسجد الحرام ونحجب
الكعبة ونسقي الحاج ونفك العاني فنزلت الاية ردا عليه فيجب اذا
على المسلمين تولي احكام المساجد ومنع المشركين من دخولها وقرئ مسجد
الله على الافراد والمراد المسجد الحرام وقرئ مساجد بالجمع على التعميم
وقال الحسن انما قال مساجد وهو المسجد الحرام لانه قبلة المساجد
كلها على انفسهم بالكفر قال ابن عباس شهادتهم على انفسهم بالكفر
هو سجودهم لاصنامهم واقرارهم انها مخلوقة وقال السدي
شهادتهم هو ان النصراني يسال ما دينك فيقول نصراني واليهودي
يقول يهودي والمشرك ما دينك فيقول مشرك اولئك حبطت اعمالهم
التي يفتخرون بها بما قارنها من الشرك وفي النار هم خالدون
اي وهم خالدون في النار وقد وقع الظرف بين حرف العطف والمعطوف
انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر واقام الصلاة واتى
الزكاة اي انما يستقيم عمارتها لهولاء الجامعين للكمالات العلمية
والعملية روى الترمذي عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اذا رايتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالايمان
قال الله تعالى انما يعمر مساجد الله من امن بالله الاية ولم يخش احدا الا
الله انه قيل ما من مومن الا وقد خشي غير الله وما زال المومنون والانبيا
يخشون الاعدا قيل المعنى ولم يخش الا الله مما يعبد فان المشركين

كانوا يعبدون الاوثان ويخشونها ويرجونها وقيل المعنى ولم يخف في
بابه الدين الا الله فان قيل لم يذكر الايمان بالرسول ولا ايمان لمن لم
يومن به قيل دل على الايمان به ما ذكر من اقامة الصلاة وايتا الزكاة
فانهما انما يصحان من المومنين بالرسول صلى الله عليه وسلم فعسى اولئك
ان يكونوا من المهتدين وعسى من الله واجبة وقيل عسى بمعنى خليق اي
فخليق ان يكونوا من المهتدين اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد
الحرام كمن امن بالله واليوم الاخر وجاهد في سبيل الله التقدير
في العربية اجعلتم اصحاب سقاية الحاج او اهل سقاية الحاج مثل
من امن بالله وجاهد في سبيله ويصح ان يقدر الحذف على اي جعلتم عمل
سقي الحاج كعمل من امن وقيل كايمان من امن والسقاية مصدر كالسعاية
والحماية فجعل الاسم بموضع المصدر اذ علم معناه كقولهم انما السخا
حاتم وانما الشعر زهير وعمارة المسجد الحرام معاهدته والقيام
بمصالحه قال السدي افتخر عباس بالسقاية وشيبة بالعمارة وعلي
بالاسلام والجهاد فصدق الله عليا وكذبهما واخبر ان العمارة لا تكون
بالكفر وانما تكون بالايمان والعمارة لا يستوون عند الله في
الفضل مستانف ويجوز ان يكون حالا من الفعل الاول والثاني
ويكون التقدير سويتم بينهم في حال تفاوتهم والله لا يهدي
القوم الظالمين الكافرين الذين امنوا في موضع رفع بالابتدا
وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم وخبره
اعظم درجة عند الله ودرجة نصب على البيان اي من الذين
افتخروا بالسقي والعمارة وليس للكافرين درجة عند الله حتى يقال

المومن

المومن اعظم درجة ولكن لما قدروا لانفسهم درجة بالعمارة والسقي
خاطبهم على ما قدروا في انفسهم وان كان التقدير خطا كقوله اصحاب
الجنة يوميذ خير مستقرا وقيل المعنى اعظم درجة من كل ذي درجة
واولئك هم الفايزون الظافرون بذلك يبشرهم ربهم برحمة منه
ورضوان وجنات اي يعلمهم في الدنيا بما لهم في الاخرة من
الفوز والرضوان لهم فيها اي في الرحمة او الجنات نعيم لين العيش
ورغده مقيم دايم خالدين فيها ابدا نصب على الحال المقدرة ان الله
عنده اجر عظيم اي اعد لهم في دار كرامته ذلك الثواب الذي يستحقر
دونه ما استوجبوه لاجله يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اباكم واخوانكم
اوليا قيل نزلت في المومنين كافة وهي باقية الحكم الى يوم القيمة
في قطع الولاية بين المومنين والكافرين وقيل نزلت في الحض على الهجرة
ورفض بلاد الكفر فالمخاطبة على هذا انما هي للمومنين الذين كانوا
بمكة وغيرها من بلاد الحرب خوطبوا بان لا يوالوا الابا والاخوة
فيكونون لهم تبعا في سكنى بلاد الكفر ان استحبوا اختاروا الكفر
على الايمان اي لا تطيعوهم وذكر الله الابا والاخوة اذ لا قرابة
اقرب منهما ولم يذكر الابنا اذ الاغلب من البشر ان الابنا هم التبع
للابا والهبة والاحسان مستثناة من الولاية قالت اسما يا
رسول الله ان امي قد قدمت علي وهي مشركة افاصلها قال صلي
امك خرجه البخاري ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون
بوضعهم الموالاة في غير محلها قال ابن عباس هو مشرك مثلهم
لان من رضي بالشرك فهو مشرك قل ان كان اباوكم واخوانكم وازوا جكم

وعشيرتكم لما امر النبي صلى الله عليه وسلم بالهجرة من مكة الى المدينة
فمنهم من تسارع الى ذلك ومنهم من ابى ومنهم من تعلق به امراته
وولده والعشيرة الجماعة التي ترجع الى عقد واحد وقرى عشيراتكم
بالجمع واموال اقترفتموها اي اكتسبتموها بمكة واصل الاقتراف
اقتطاع الشيء من مكانه الى غيره وتجارة تخشون كسادها اي فوات وقت
نفاقها وقال ابن المبارك من البنات والاخوات اذا كسدن في البيت
لا يجد لهن خاطبا ومساكن ترضونها يقول منازل تعجبك الاقامة
فيها احب اليكم من ان تهاجروا الى الله ورسوله بالمدينة وجهاد
في سبيله والمراد بالحب الاختياري دون الطبيعي فانه لا يدخل
تحت التكليف فتربصوا اي فتعدتم لاجله عن الهجرة فتربصوا
وصيغته صيغة امر ومعناه التهديد يقول انتظروا حتى ياتي
الله بامره يعني بالقتال وفتح مكة عن مجاهد الحسن بعقوبة اجلة
او عاجلة والله لا يهدي القوم الفاسقين لقد نصركم الله
في مواطن كثيرة كبدر وغيرها ويوم حنين يوم معطوف على
موضع في مواطن او منصوب باذكر لما بلغ هوازن فتح مكة جمعهم
مالك بن عوف النضري وكانت الرياسة له في جميع العسكر وساق
مع الكفار اموالهم ومواشيهم ونساهم واولادهم وزعم ان
ذلك يحمي به نفوسهم وتشتد في القتال عن ذلك شوكتهم وكانوا
ثمانية الاف في قول الحسن فنزلوا باوطاس وبعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم عبد الله بن ابي حدرد الاسلمي عينا فاتاه
واخبره بما شاهد منهم فعزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على قصدهم

واستعار

واستعار من صفوان بن امية دروعا قيل مائة درع وقيل اربعمائة
واستسلف من ربيعة المخزومي ثلاثين او اربعين الفا فلما قدم
قضاه اياه وخرج عليه الصلاة والسلام في اثني عشر الفا من المسلمين
منهم عشرة الاف صحبوه من المدينة والفان من مسلمة الفتح
وهم الطلقا الى ما انضاف اليه من الاعراب من سليم وبني كلاب
وعبس وذبيان واستعمل على مكة عتاب بن اسيد وفي مخرجه
هذا راى جهال الاعراب شجرة خضرا وكان لهم في الجاهلية شجرة
معروفة تسمى ذات انواط يخرج اليها الكفار يوما معلوما في السنة
يعظمونها فقالوا يا رسول الله اجعل لنا ذات انواط كما لهم ذات
انواط فقال عليه الصلاة والسلام الله اكبر قلتم والله كما قال
قوم موسى اجعل لنا الها كما لهم الهة انكم قوم تجهلون لتركبن
سنن من قبلكم الخ ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اتى
وادي حنين وهو من اودية تهامة وكانت هوازن في جنبتي
الوادي وذلك في غبش الوادي فحملت على المسلمين حملة رجل واحد
فانهزم جمهور المسلمين ولم يلووا احد على احد وثبت رسول الله
صلى الله عليه وسلم وثبت معه ابو بكر وعمر ومن اهل بيته علي
والعباس وابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وابنه جعفر
واسامة بن زيد والفضل بن عباس وربيعة بن الحارث
وايمن بن ام ايمن قتل يومئذ فهؤلا عشرة رجال ولهذا قال العباس
نصرنا رسول الله في الحرب تسعة • وقد فر من قد فر منهم واقشعوا
وعاشرنا لاقى الحمام بنفسه • بما مسه في الله لا يتوجع

وثبتت ام سليم في جملة من ثبت محتزمة ممسكة بعيرا لابي طلحة
وفي يدها خنجر وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته
الشهباء واسمها دلدل وفي صحيح مسلم قال عباس وانا اخذ بلجام
بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم اكفها ارادة الا تسرع وابو سفيان
اخذ بركابه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اي عباس ناد اصحاب
السمرة فقال عباس وكان رجلا صيتا وروي من شدة صوته انه اغير
يوما على مكة فنادي واصباحاه فاسقطت كل حامل سمعت صوته
جنينها فقلت باعلى صوتي اين اصحاب السمرة قال فوالله لكان عطفتهم
حين سمعوا صوتي عطفة البقر على اولادها فقالوا يا لبيك يا لبيك قال
فاقتتلوا والكفار الحديث وفيه قال ثم اخذ رسول الله صلى الله عليه
وسلم حصيات فرمي بهن وجوه الكفار ثم قال انهزموا ورب محمد
قال فذهبت انظر فاذا القتال على هيئته فما اري قال فوالله ما هو
الا ان رماهم بحصياته فما زلت اري حدهم كليلا وامرهم مدبرا
وقال ابو عمر وروينا من وجوه عن بعض من اسلم من المشركين ممن
شهد حنينا انه قال وقد سئل عن يوم حنين لقينا المسلمين ان
هزمناهم واتبعناهم حتى انتهينا الي رجل راكب على بغلة بيضا
فلما رانا زجرنا زجرة وانتهرنا واخذ بكفه حصا او ترابا فرمى به
وقال شاهت الوجوه فلم يبق عين الا دخلها من ذلك وما ملكنا
انفسنا ان رجعنا على اعقابنا وقتل علي رضي الله عنه يوم حنين
اربعين رجلا بيده وسبي رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعة
الاف راس وقيل ستة الاف واثني عشر الف ناقة سوى ما لا يعلم

من

من الغنائم وحنين واد بين مكة والطائف وانصرف لانه اسم مذكر
اذ بدل من يوم **اعجبتكم كثرتكم** قيل كانوا اثني عشر الفا وقيل ستة
عشر الفا وقيل غير هذا فقال بعضهم لن نغلب اليوم عن قلة فوكلوا
الي هذه الكلمة فكان ما ذكر من الهزيمة في الابتدا وكان النصر والظفر
للمسلمين ببركة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم **فلم تغن عنكم
شيا** فبين سبحانه وتعالى ان الغلبة انما تكون بنصر الله لا بالكثرة
وضاقت عليكم الارض فلم تجدوا مكانا تطمئنون اليه اي من الخوف
والرعب بضم الرا السعة وبفتحها الواسع قيل البا بمعني مع اي
مع رحبها وقيل بمعني على اي على رحبها وما مصدرية **ثم وليتم
مدبرين** اي وليتم الكفار ظهوركم منهزمين والادبار الذهاب
الي خلف روى مسلم قال جا رجل الي البرا فقال اكنتم وليتم يوم حنين
يا با عمارة فقال اشهد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ولى ولكنه
انطلق اخفا من الناس وحسرا الي هذا الحي من هوازن وهم قوم رماة
فرموهم برشق من نبل كانها رجل من جراد فانكشفوا فاقبل القوم
الي رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو سفيان يقود به بغلته فنزل
ودعا واستنصر وهو يقول انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب
اللهم نزل نصرك قال البرا كنا والله اذا احمر الباس نتقي به وان
الشجاع منا للذي يحاذي به يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم انزل سكينته امنه وطمانينته **على رسوله وعلى المومنين**
واعادة الجار للتنبيه على اختلاف حالتيهما اي انزل عليهم ما يسكنهم
ويذهب خوفهم حتى اجترؤا على قتال المشركين بعد ان ولوا

وانزل جنودا لم تروها وهم الملايكة يقوون المومنين بما يلقون
في قلوبهم من الخواطر والتثبيت ويضعفون الكافرين بالتجبين
لهم من حيث لا يرونهم ومن غير قتال لان الملايكة لم تقاتل
الا يوم بدر وعذب الذين كفروا بالاسر والقتل باسيا فكم
وذلك جزا الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء
اي على من انهزم فيهديه الى الاسلام كمالك بن عوف النضري رئيس
حنين ومن اسلم معه من قومه والله غفور رحيم يا ايها الذين
امنوا انما المشركون نجس يقال رجل نجس وامراة نجس ورجال نجس
ونسا نجس لا يثنى ولا يجمع لانه مصدر واختلف في وصف المشرك
بالنجسة فقال قتادة وغيره لانه جنب اذ غسله من الجنابة
ليس بغسل وقال ابن عباس بل يعني الشرك هو الذي نجسه والمعنى
ينبغي اجتنابهم كاجتناب الانجاس لخبث بواطنهم فلا يقربوا المسجد
الحرام يعني ولذلك حذف منه النون والمسجد الحرام ينطلق على جميع
الحرم قال الله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام
وانما رفع من بيت ام هاني ويومئذ منع عطا فيمن تمكين المشرك
من دخول الحرم فاذا جانا رسول منهم خرج الامام الى الحل ليسمع ما
يقول ولو دخل مشرك الحرم مستورا ثم مات نبش قبره واخرجت عظامه
فليس لهم الاستيطان ولا الاجتياز واما جزيرة العرب وهي مكة
والمدينة واليمامة واليمن فقال مالك يخرج من هذه المواضع كل
من كان من غير الاسلام ولا يمنعون من التردد بها مسافرين وكذلك
قال الشافعي غير انه استثنى من ذلك اليمن واختلف في بقية المساجد

فقال

فقال اهل المدينة الاية عامة في سائر المشركين وسائر المساجد وقال
الشافعي الاية عامة في سائر المشركين خاصة في المسجد الحرام وقال
ابو حنيفة واصحابه لا يمنع اليهود والنصارى من دخول المسجد الحرام
ولا غيره ولا يمنع دخول المسجد الحرام الا المشركون واهل الاوثان
وقال الطبري ويجوز للذمي دخول سائر المساجد عند ابي حنيفة
من غير حاجة والشافعي يعتبر الحاجة ومع الحاجة لا يجوز دخول
المسجد الحرام وقال قتادة لا يقرب المسجد الحرام الا ان كان صاحب جزية
بعد عامهم هذا قيل انه سنة تسع من الهجرة التي حج فيها ابو بكر
وقيل سنة عشر قاله قتادة قال ابن العربي والاول هو الصحيح
لان سنة تسع هو الذي وقع فيه الاذان وان خفتم عيلة فسوف
يغنيكم الله من فضله ان شا روي ان المسلمين لما منعوا المشركين
من الموسم وهم كانوا يجلبون الاطعمة والتجارات اليهم قذف
الشيطان في قلوبهم الخوف من الفقر وقالوا من اين نعيش فوعدهم
الله ان يغنيهم من فضله قال الضحاك ففتح الله عليهم باب
الجزية من اهل الذمة وقال عكرمة اغناهم الله بادرار المطر
والنبات وخصب الارض فاخصبت تبالة وجرش وحملوا الى مكة
الطعام والودك وكثر الخير والعيلة الفقر يقال عال الرجل يعيل
اذا افتقر ان الله عليم حكيم قاتلوا الذين لا يومنون بالله ولا باليوم
الاخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله كالخمر ولا يدينون
دين الحق الثابت يجوز ان يكون مصدر يدينون وان يكون مفعولا
به ويدينون بمعنى يعتقدون من الذين اوتوا الكتاب اليهود

والنصارى **حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون** وذلك انه لما
حرم الله على الكفار ان يقربوا المسجد الحرام وجد المسلمون في انفسهم
بما قطع عنهم من التجارة التي كان المشركون يوافون بها احل لهم في
هذه الاية الجزية وكانت لم توخذ قبل ذلك فجعلها الله عوضا مما
منعهم من موافاة المشركين بتجاراتهم فامر سبحانه وتعالى بقتال
جميع الكفار لاتفاقهم على هذا الوصف وخص اهل الكتاب بالذكر
اكراما لكتابهم ولكونهم عالمين بالتوحيد والرسل والشرايع والملل
وخصوصا ذكر محمد صلى الله عليه وسلم وملته وامته فلما انكروه
تاكدت عليهم الحجة ثم جعل للقتال غاية وهي اعطا الجزية بدلا
عن القتل واختلف فيمن توخذ منهم الجزية فقال الشافعي لا تقبل
الجزية الا من اهل الكتاب خاصة عربا كانوا او عجما لهذه الاية
فانهم هم الذين خصوا بالذكر فتوجه الحكم اليهم دون من سواهم
قال وتقبل من المجوس بالسنة وبه قال احمد وابو حنيفة وقال
الاوزاعي توخذ من كل عابد وثن او نار او جاحد او مكذب وكذلك
قال مالك واما مقدار ما يوخذ وشرط الماخوذ منه فمبين في
الفروع وقوله عن يد قال ابن عباس يد فيها بنفسه غير مستنيب
فيها احدا وقيل عن انعام منكم اليهم وقال عكرمة يد فيها وهو
قايم والاخذ جالس ابن العربي وهذا ليس من قوله عن يد وانما
هو من قوله وهم صاغرون وقيل عن يد عن قهر وذل والصاغر
الذليل الحقير وقيل عن يد نقدا لا تاجيل فيه وهو في موضع الحال
وعن حبيب بن ابي ثابت قال جا رجل الى ابن عباس فقال ان ارض

الخراج

الخراج يعجز عنها اهلها افاعمرها وازرعها واودي فقال لا وتلى قوله
قاتلوا الذين لا يومنون الى قوله صاغرون يعمد احدكم الى الصغار
في عنق احدهم فينزعه فيجعله في عنقه وعن ابن عمر قال ما يسرني
ان لي الارض كلها بجزية خمسة دراهم اقر فيها بالصغار على نفسي
وقالت اليهود عزير ابن الله قرئ عزير بالتنوين وتركه فمن
نون فهو عنده اسم عربي منصرف ومن لم ينونه فهو عنده اعجمي فلم
يصرفه وهذا اللفظ خرج على العموم ومعناه الخصوص لان ليس
كل اليهود قالوا ذلك وقيل ان قايل ما حكى عن اليهود سلام بن
مشكم ونعمان بن ابي اوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف
قالوه للنبي صلى الله عليه وسلم قال النقاش لم يبق يهودي يقولها
بل انقرضوا فاذا قالها واحد فيتوجه ان يلزم الجماعة شنعة
المقالة لاجل نباهة القايل فيهم واقوال النبها ابدا مشهورة
في الناس يحتج بها وقد روي ان سبب ذلك القول ان اليهود
قتلوا الانبيا بعد موسى فرفع الله عنهم التوراة ومحاها من قلوبهم
فخرج عزير يسيح في الارض فاتاه جبريل فقال اين تذهب
قال اطلب العلم فعلمه التوراة كلها فجا عزير بالتوراة الى بني
اسرايل فعلمهم وقيل بل حفظها الله عزيرا كرامة منه له فقال
لبني اسرايل ان الله قد حفظني التوراة فجعلوا يدرسونها
من عنده وكانت التوراة مدفونة كان دفنها علماوهم حين اصابهم
من الجلا والمرض والفتن ما اصابهم ثم ان التوراة المدفونة
وجدت فاذا هي مساوية لما كان عزير يدرس فضلوا عند ذلك

وقالوا ان هذا لم يتهيا لعزير الا وهو ابن الله وظاهر قول النصارى
ان المسيح ابن الله انما ارادوا بنوة النسل كما قالت العرب في الملائكة
وقال ابو المعالي اطبقت النصارى على ان المسيح اله وانه ابن الاله
قال ابن عطية ويقال ان بعضهم يعتقدها بنوة حنو ورحمة
وهذا المعنى ايضا لا يحل ان تطلق البنوة عليه وهو كفر **ذلك قولهم
بافواههم** قيل معناه التاكيد كما قال تعالى يكتبون الكتاب بايديهم
ولا طائر يطير بجناحيه ومثله كثير اي هو قول بالفم لا برهان فيه
ولا تحته معنى صحيح وقال اهل المعاني ان الله سبحانه وتعالى لم يذكر
قولا مقرونا بذكر الافواه والالسن الا كان قولا زورا كقوله تعالى
يقولون بافواههم يقولون بالسنتهم **يضاهون قول الذين كفروا
من قبل** اي يشابهون قول الكفرة الملائكة بنات الله وقيل يشابهون
قول عبدة الاوثان اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى وقيل
قول اسلافهم فقلدوهم في الباطل واتبعوهم على الكفر **قاتلهم الله**
اي لعنهم الله يعني اليهود والنصارى لان الملعون كالمقتول **انى
يؤفكون** اي من اين يصرفون عن الحق الى الباطل مع قيام الدليل
اتخذوا احبارهم ورهبانهم الاحبار جمع حبر وهو الذي يحسن
القول وينظمه بحسن البيان عنه قيل وواحد الاحبار حبر بكسر الحا
وعليه اهل اللغة والمفسرون على فتحها قال يونس لم اسمعه الا
بكسر الحا والدليل على ذلك انهم قالوا مداد حبر يريدون مداد
عالم ثم كثر الاستعمال حتى قالوا للمداد حبر وقال ابن السكيت
الحبر بالكسر المداد وبالفتح العالم والرهبان جمع راهب ماخوذ

من الرهبة

من الرهبة وهو الذي حمله خوف الله تعالى على ان يخلص له النية دون
الناس ويجعل زمانه له وعمله معه وانسه به والمراد علما اليهود وعباد
النصارى **اربابا من دون الله** جعلوا احبارهم ورهبانهم كالارباب
حيث اطاعوهم في كل شي سئل حذيفة عن قول الله تعالى اتخذوا
احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله هل عبدوهم فقال لا ولكن
احلوا لهم الحرام فاستحلوه وحرموا عليهم الحلال فحرموه **والمسيح
ابن مريم** اتخذوه الها **وما امروا** في التوراة والانجيل **الا ليعبدوا
الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون** تنزيه له عن ان يكون
له شريك **يريدون ان يطفئوا نور الله** اي دلايله وحججه على توحيده
جعل البراهين بمنزلة النور لما فيها من البيان وقيل المعنى نور الاسلام
اي ان يخمدوا دين الله بتكذيبهم **بافواههم** جمع فوه على الاصل
لان الاصل في فم فوه **ويابى الله** اي لا يرضى **الا ان يتم** يظهر **نوره**
يقال كيف دخلت الا وليس في الكلام حرف نفي ولا يجوز ضربت الا
زيدا قال الفرا انما دخلت الا في الكلام لان فيه طرفا من الجحد
وانما صح الاستثنا المفرغ والفعل موجب لانه في معنى النفي
وقال علي بن سليمان انما جاز هذا في ابى لانها منع او امتناع
فضارعت النفي **ولو كره الكافرون** ذلك **هو الذي ارسل رسوله**
يريد محمدا صلى الله عليه وسلم **بالهدى** اي القرقان **ودين الحق
ليظهره على الدين كله** اي بالحجج والبراهين وقد اظهره على شرائع
الدين حتى لا يخفى عليه شي منها عن ابن عباس وغيره وقيل ليظهره
الدين اي ليعلي دين الاسلام على كل دين قال ابو هريرة والضحاك

هذا عند نزول عيسى عليه السلام وقال السدي ذلك عند خروج المهدي
لا يبقى احد الا دخل في الاسلام او ادى الجزية وقيل اراد ليظهره على
الدين كله في جزيرة العرب وقد فعل ولو كره المشركون ذلك يا ايها
الذين امنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان لياكلون اموال الناس
بالباطل اي كانوا ياخذون من اموال اتباعهم ضرايب وفروضا باسم
الكنايس والبيع وغير ذلك مما يوهمونهم ان النفقة فيه من الشرع
والتزلف الى الله تعالى وهم خلال ذلك يحجبون تلك الاموال كالذي
ذكره سلمان الفارسي عن الراهب الذي استخرج كنزه وقيل كانوا ياخذون
من غلاتهم واموالهم ضرايب باسم حماية الدين والقيام بالشرع
او كانوا يرتشون في الاحكام كما يفعله اليوم كثير من الولاة والحكام
وقوله بالباطل يجمع ذلك كله وهو اخذ من الجهة المحظورة وذكر الاكل
لانه معظم المقصود من المال ويصدون عن سبيل الله اي يمنعون
اهل دينهم عن الدخول في دين الاسلام واتباع محمد عليه افضل الصلاة
والسلام والذين مبتدأ والخبر فبشرهم يكنزون الذهب والفضة
الكنز اصله الجمع والضم ولا يختص ذلك بالذهب والفضة الا ترى
قوله عليه الصلاة والسلام الا انبيكم بخير ما يكنز المرء المراة الصالحة
اي يضمه لنفسه وخص الذهب والفضة بالذكر لانه مما لا يطلع عليه
بخلاف ساير الاموال قال معاوية والمراد بهذه الاية اهل الكتاب
وقال ابو ذر وغيره المراد بها اهل الكتاب وغيرهم من المسلمين
وهو الصحيح قال ابن عمر ما اديت زكاته منه او من غيره فليس بكنز
وان كان تحت سبع ارضين وكل ما لم تؤد زكاته فهو كنز وان كان

فوق

فوق الارض ومثله عن جابر وهو الصحيح وفي البخاري من اتاه الله
مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيمة شجاعا اقرع له زبيبتان
الخ ولا ينفقونها في سبيل الله اي لا يؤدون منها حقه من الزكاة
ولم يقل ولا ينفقونهما وعنه اجوبة الاول قال ابن الانباري
قصد الاغلب والاعم وهي الفضة ومثله واستعينوا بالصبر والصلاة
وانها لكبيرة الثاني العكس وهو ان يكون ينفقونها للذهب والثاني
معطوف عليه والذهب مؤنثة الثالث ان يكون الضمير للكنوز
الرابع للاموال المكنوزة الخامس للزكاة التقدير ولا ينفقون
زكاة الاموال السادس الاكتفاء بضمير الواحد عن ضمير الاخر اذا
فهم المعنى وهذا اكثر وانشد سيبويه نحن بما عندنا وانت بما
عندك راض والامر والراي مختلف ولم يقل راضون فبشرهم
بعذاب اليم مؤلم يوم يحمى عليها اي على الاموال ويوم ظرف
والتقدير يعذبون يوم يحمى يقال احميت الحديدة في النار اي
اوقدت عليها وعليها في موضع رفع لقيامه مقام الفاعل وقيل
القايم مقام الفاعل مضمر اي يحمى الوقود او الحمى بها اي بالكنوز في
نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم الكي في الوجه
اشهر واشنع وفي الجنب والظهر الم واوجع فلذلك خصها بالذكر من
بين ساير الاعضا وقيل انما خص هذه الاعضا لان الغني اذا راى
الفقير زوى ما بين عينيه وقبض وجهه واذا ساله طوى كشحه
واذا زاده في السوال واكثر عليه ولاه ظهره فرتب الله العقوبة
على حال المعصية وفي صحيح مسلم ما من صاحب ذهب ولا فضة

لا يؤدي منها حقها الا اذا كان يوم القيمة صفحت له صفائح من نار فاحمي
عليها في نار جهنم فتكوى بها جبهته وجنبه وظهره كلما بردت اعيدت
في يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتى يقضى بين العباد الحديث ويوسع
جلده حتى توضع عليه كلها وفي البخاري انه يمثل له كنزه شجاعا اقرع
وفي غير الصحيح طوقه يوم القيمة شجاعا اقرع ينقر راسه القرطبي
ولعل هذا يكون في مواطن موطن يمثل له فيه المال ثعبانا وموطن
يكون صفائح وموطن يكون رضفا فتتغير الصفات والجسمية واحدة
وخص الشجاع بالذكر لانه العدو الثاني للخلق والشجاع من الحيات هو
الحية الذكر الذي يواثب الفارس والراجل ويقوم على ذنبه وربما بلغ
الفارس ويكون في الصحاري والاقرع هو الذي تمعط شعر راسه
وابيض سمه من السم له زبيبتان اي نقطتان منتفختان في شدقيه
كالرغوتين ويكون ذلك في شدقي الانسان اذا غضب **هذا ما كنزتم**
لانفسكم اي يقال لهم هذا ما كنزتم فحذف **فذوقوا ما كنتم**
تكنزون اي عذاب او جزاء ما كنتم تكنزونه وفي حديث عمر لما نزلت
هذه الاية قال صلى الله عليه وسلم تبا للدينار والدرهم فقلنا نهانا
الله عن كنز الذهب والفضة فاي شيء ندخر فقال صلى الله عليه وسلم
ليتخذ احدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وزوجة صالحة تعينه على
امر اخرته **ان عدة الشهور عند الله** اي مبلغ عددها كل سنة اي في حكم
الله **اثنا عشر شهرا** نزلت الاية من اجل النسيء الذي كانت العرب
تفعله واعربت اثني عشر دون نظائرها لان فيها حرف الاعراب
او دليله **في كتاب الله** اي في اللوح المحفوظ واعاده بعد ان قال

عند الله لان كثيرا من الاشيا يوصف بانه عند الله ولا يقال انه مكتوب
في كتاب **يوم خلق السموات والارض** انما قال يوم خلق السموات والارض
ليبين ان قضاه وقدره كان قبل ذلك وانه سبحانه وتعالى وضع هذه
الشهور وسماها باسمائها على ما رتبها عليه يوم خلق السموات وانزل ذلك
على انبيائه في كتبه وحكمها باق على ما كانت عليه لم يزلها عن ترتيبها
تغيير المشركين لاسمائها والمقصود من اتباع امر الله فيها ورفض ما
كان عليه اهل الجاهلية من تاخير اسماء الشهور وتقديمها وتعليق الاحكام
على الاسماء التي رتبوها عليه وان الذي فعل اهل الجاهلية من جعل المحرم
صفرا وصفر محرما ليس يتغير به ما وصفه الله تعالى والواجب تعليق
الاحكام من العبادات وغيرها بالشهور والسنين التي تعرفها العرب دون
الشهور التي تعتبرها العجم والروم والقبط وان لم تزد على اثني عشر شهرا
لانها مختلفة الاعداد منها ما يزيد على ثلاثين ومنها ما ينقص وشهور
العرب لا تزيد على ثلاثين وان كان منها ما ينقص والذي ينقص لا يتعين
له شهر وانما تفاوتها في التمام والنقصان على حسب اختلاف سير القمر
في البروج **منها** اي الشهور **اربعة حرم** محرمة هي ذو القعدة وذو الحجة
والمحرم ورجب الذي بين جمادى وشعبان وهو رجب مضر وقيل له
رجب مضر لان ربيعة بن نزار كانوا يحرمون شهر رمضان ويسمونه
رجبا وكانت مضر تحرم رجب نفسه فلذلك قال عليه الصلاة والسلام
فيه الذي بين جمادى وشعبان **ذلك** اي تحريمها **الدين القيم** اي الحساب
الصحيح والعدد المستوفى وقيل المعنى ذلك القضا ابن عطية والاصوب
عندي ان يكون الدين هاهنا على اشهره وجوبه اي ذلك الشرع والطاعة

القيمة اي القايم المستقيم فلا تظلموا فيهن انفسكم راجع الي جميع الشهور
على قول ابن عباس وعلى قول بعضهم الى الاشهر الحرم خاصة لانه اليها
اقرب ولها مزية في تعظيم الظلم كقوله تعالى فلا رفث ولا فسوق ولا جدال
في الحج ثم قيل في الظلم قولان احدهما لا تظلموا فيهن انفسكم بالقتال
ثم نسخ باباحة القتال في جميع الشهور قاله قتادة وغيره الثاني
لا تظلموا فيهن انفسكم بارتكاب الذنوب فان الله سبحانه وتعالى
اذا عظم شيا من جهة واحدة صارت له حرمة واحدة واذا عظمه من
جهتين او جهات صارت حرمته متعددة فيضاعف فيه العقاب
بالعمل السيء كما يضاعف الثواب بالعمل الصالح فان قيل لم قال فيهن
ولم يقل فيها فالجواب ان العرب يقولون لما بين الثلاثة الى العشرة
هن وهولا فاذا جاوزوا العشرة قالوا هي وهذه ارادة ان تعرف تسمية
القليل من الكثير وروي عن الكساي انه قال اني لا تعجب من فعل
العرب هذا وكذلك يقولون في دون العشرة من الليالي خلون وفيما
فوقها خلت وذكر الفرا لهذه القاعدة سرا لطيفا وهو ان المميز من
جمع الكثرة وهو ما زاد على العشرة لما كان واحدا وحد الضمير ومع
القلة وهو العشرة فما دونها لما كان جمعا جمع الضمير انتهى ولا يقال
كيف جعل بعض الازمنة اعظم حرمة من بعض فانا نقول ان
للباري سبحانه وتعالى ان يفعل ما يشا ويختص بالفضيلة ما شاء
ليس لفعله علة ولا عليه حجر وقد تظهر الحكمة وقد تخفى وقاتلوا
المشركين كافة اي جميعا في كل الشهور وهو مصدر في موضع الحال
اي محيطين بهم ومجتمعين كما يقاتلونكم كافة جميعا واعلموا

ان

ان الله مع المتقين بشارة وضمان لهم بالنصرة بسبب تقواهم انما النسيء
زيادة في الكفر النسيء اي التاخير مشتق من نساه او انساه اذا اخره
وقال الطبري النسيء بالهمز معناه الزيادة قال ولا يكون بترك
الهمز الا من النسيان قال العلما وكان العرب يحرمون القتال في المحرم
فاذا احتاجوا الى ذلك حرموا صفر بعده بدله وقاتلوا في المحرم
وسبب ذلك انهم كانوا اصحاب حروب وغارات وكان يشق عليهم ان
يمكثوا ثلاثة اشهر لا يصيبون فيها متوالية لا يغيرون فيها وقالوا لئن
توالت علينا ثلاثة اشهر لا نصيب فيها شيا لنهلكن فكانوا اذا صدروا
عن منى يقوم من بني كنانة ثم من بني فقيم منهم رجل يقال له القلمس
فيقول انا الذي لا يرد لي قضا فيقولون انسئنا شهرا اي اخر عنا حرمة
المحرم واجعلها في صفر فيحل لهم المحرم فكانوا كذلك شهرا فشهرا
حتى استدار التحريم على السنة كلها فقام الاسلام وقد رجع المحرم
الى موضعه الذي وضعه الله تعالى فيه وهذا معنى قوله عليه
الصلاة والسلام ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات
والارض وقال مجاهد كان المشركون يحجون في كل شهر عامين فحجوا
في ذي الحجة عامين ثم حجوا في المحرم عامين ثم حجوا في صفر عامين
وكذلك في الشهور كلها حتى وافقت حجة ابي بكر التي حجها قبل حجة
الوداع ذا القعدة من السنة التاسعة ثم حج النبي صلى الله عليه وسلم
في العام المقبل حجة الوداع في ذي الحجة فذلك قوله في خطبته
ان الزمان قد استدار الخ اراد بذلك ان اشهر الحج رجعت الى مواضعها
وعاد الحج الى ذي الحجة وبطل النسيء وقول ثالث قال اياس من معاوية

كان المشركون يحسبون السنة اثني عشر شهرًا وخمسة عشر يومًا وكان
الحج يكون في رمضان وفي ذي القعدة وفي كل شي من السنة بحكم استدارة
الشهر بزيادة الخمسة عشر يومًا فحج ابو بكر في سنة تسع في ذي القعدة
فلما كان العام المقبل وافق الحج ذا الحجة ووافق ذلك الاهلة وبهذا القول
اشبه بقول النبي صلى الله عليه وسلم ان الزمان قد استدار اي زمان
الحج قد عاد الى وقته الاصلي الذي عينه الله يوم خلق السموات والارض
باصل المشروعية التي سبق بها علمه ونفذ بها حكمه ثم قال السنة
اثنى عشر شهرًا ينفي بذلك الزيادة التي زادوها في السنة وهي الخمسة
عشر يومًا بتحكمهم فتعين الوقت الاصلي وبطل التحكم الجهلي قال ابن
عباس وغيره واول من نسا بنو مالك بن كنانة وكانوا ثلاثة وقيل
اول من فعل ذلك عمرو بن لحي وقال الكلبي اول من فعل ذلك رجل
يقال له نعيم بن ثعلبة ثم كان بعده رجل يقال له جنادة بن
عوف وهو الذي ادركه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل غير
هذا وكان الذي يلي النسي يظفر بالرياسة وقوله زيادة في الكفر
بيان لما فعلته العرب من انواع الكفر فانها انكرت وجود الباري
سبحانه وانكرت البعث وانكرت بعثة الرسل وزعمت ان التحليل
والتحريم اليها فابتدعته من ذاتها يضل به الذين كفروا قرى يضل
بالبنا للفاعل وبالبنا للمجهول ومعناهما ظاهر يحلونه الهاء ترجع
الى النسي عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا اي ليوافقوا يقال تواطا
القوم على كذا اي اجتمعوا عليه اي لم يحلوا شهرًا الا حرموا شهرًا
لتبقى الاشهر الحرم اربعة وهذا هو الصحيح وقال قتادة انهم

عمدوا

[illegible]

عمدوا الى صفر فزادوه في الاشهر الحرم وقرنوه بالمحرم في التحريم وعليه
يكون النسي بمعنى الزيادة عدة اي عدد ما حرم الله فيحلوا ما حرم
الله من الاشهر الحرم زين لهم سوء اعمالهم فظنوه حسنا والله لا
يهدي القوم الكافرين يا ايها الذين امنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا
في سبيل الله اثاقلتم الى الارض ما حرف استفهام معناه التوبيخ
التقدير اي شي يمنعكم عن كذا والاية نزلت عتابا لمن تخلف عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وكانت سنة تسع
من الهجرة بعد الفتح بعام والنفر التنقل بسرعة من مكان الى مكان
لامر يحدث يقال في ابن ادم نفر ينفر بالكسر نفيرا وقوم نفور ومنه قوله
تعالى ولوا على ادبارهم نفورا ويقال في الدابة نفرت تنفر بالضم
والكسر نفارا ونفورا ومعنى اثاقلتم الى الارض اي تباطاتم وملتم
الى نعيم الارض والاقامة بها وهو ماض بمعنى المضارع اي ما لكم
تتثاقلون وهو توبيخ على ترك الجهاد وعتاب في التقاعد عن
المبادرة الى الخروج وكانت غزوة تبوك ودعا الناس اليها في حرارة
القيظ وطيب الثمار وبرد الظلال فاستولى على الناس الكسل فتقاعدوا
وتثاقلوا ارضيتم بالحياة الدنيا من الاخرة اي ارضيتم بنعيم الدنيا
بدلا من نعيم الاخرة فمن بمعنى البدل كقوله تعالى ولو نشا لجعلنا
منكم ملايكة في الارض يخلفون اي بدلا منكم عاتبهم الله تعالى
على ايثار الراحة في الدنيا على الراحة في الاخرة اذ لا تنال راحة الاخرة
الا بنصب الدنيا فما متاع الحياة الدنيا اي فما التمتع بها في الاخرة
اي في جنب الاخرة الا قليل مستحقر الا تنفروا شرط ولذلك

حذفت منه النون والجواب يعذبكم اي ان لا تخرجوا مع النبي صلى الله عليه
وسلم في الجهاد يعذبكم عذابا اليما مولما وهذا تهديد شديد
ووعيد موكد في ترك النفير قال ابن عباس العذاب حبس المطر
عنهم ويستبدل قوما غيركم اي يات بهم بدلكم توعد بان يبدل الله
لرسوله قوما لا يقعدون عند استنفاره اياهم قيل هم ابنا فارس
وقيل اهل اليمن ولا تضروه شيا عطف والها قيل لله تعالى وقيل
للنبي صلى الله عليه وسلم بترك نصره فان الله ناصر دينه والله على
كل شي قدير ومنه نصر دينه ونبيه والتثاقل عن الجهاد مع اظهار
الكراهة حرام على كل احد فاما من غير كراهة ممن عينه النبي صلى الله عليه
وسلم حرم عليه التثاقل الا تنصروه فقد نصره الله اي ان لا تعينوه
بالنفر معه في غزوة تبوك فقد نصره الله اي فسينصره الله كما نصره
اذ اخرجه عاتبهم الله تعالى بعد انصراف نبيه صلى الله عليه وسلم
من تبوك قال النقاش هذه اول اية نزلت من براة والمعنى ان تركتم
نصره فالله متكفل به اذ قد نصره في مواطن القلة واظهره على
عدوه بالغلبة والعزة فلا يخذله في غيرها وقيل فقد نصره الله
بصاحبه في الغار بتانسه له وحمله على عنقه وبوفائه ووقايته
له بنفسه ومواساته له بماله قال الليث بن سعد ما صحب الانبيا
عليهم السلام مثل ابي بكر الصديق رضي الله عنه وقال ابن عيينة
خرج ابو بكر بهذه الاية من المعاتبة التي في قوله الا تنصروه اذ اخرج
الذين كفروا هو خرج بنفسه فان الكفار الجاهم الى ذلك حتى فعله
فنسب الفعل اليهم ورتب الحكم فيه عليهم ثاني اثنين اي احد

اثنين

اثنين وهو منصوب على الحال اي اخرجوه منفردا من جميع الناس الا من ابي
بكر والعامل فيها نصره الله اي نصره منفردا اذ هما في الغار اذ بدل من
اذ قبله والغار نقب في الجبل يعني غار ثور وذلك انه لما رات قريش
ان المسلمين قد صاروا الى المدينة قالوا هذا اشر شاغل لا يطاق فاجمعوا
امرهم على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فبيتوه ورصدوه على باب
منزله طول ليلتهم ليقتلوه اذا خرج فامر النبي صلى الله عليه وسلم علي بن
ابي طالب ان ينام على فراشه ودعا الله ان يعمي عليهم اثره فطمس الله
تعالى على ابصارهم فخرج وقد غشيهم النوم فوضع على رؤسهم ترابا
ونهض فلما اصبحوا خرج عليهم علي واخبرهم ان ليس في الدار احد فعلموا
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فات ونجا وتواعد النبي صلى الله عليه
وسلم مع ابي بكر الصديق للهجرة فدفعا راحلتيهما الى عبد الله بن ارقط
وكان كافرا لكنهما وثقا به وكان دليلا بالطرق فاستاجراه ليدل بهما
الى المدينة وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من خوخة في ظهر
دار ابي بكر ونهضا نحو الغار في جبل ثور وامر ابو بكر ابنه عبد الله
ان يتسمع ما يقول الناس وامر مولاه عامر بن فهيرة ان يرعى غنمه
ويريحها عليهما ليلا فياخذ امنها حاجتهما ثم نهضا فدخلا الغار
وكانت اسما بنت ابي بكر تاتيهما بالطعام وياتيهما عبد الله بن ابي بكر
بالاخبار فلما فقدته قريش جعلت تطلبه بقايف معروف فقفا الاثر
حتى وقف على الغار فقال هنا انقطع الاثر فنظروا فاذا بالعنكبوت
قد نسج على فم الغار من ساعته فلما راوه ايقنوا ان لا احد فيه فرجعوا
وجعلوا في النبي صلى الله عليه وسلم ماية ناقة لمن رده عليهم وفي

حديث ابي الدردا وثوبان ان الله عز وجل امر حمامة فباضت على نسج
العنكبوت وجعلت ترقد على بيضها فلما راي الكفار ذلك ردهم
ذلك عن الغار قالت عايشة واستاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم
وابو بكر رجلا من بني الديل هاديا وهو على دين كفار قريش فدفعا اليه
راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال فاتاهما براحلتيهما صبيحة
ثلاث فارتحلا وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل الديلي فاخذ بهم
طريق الساحل وقصة سراقة بن مالك في ذلك مشهورة اذ يقول لصاحبه
يعني ابا بكر الصديق لا تحزن ان الله معنا اي بالنصر والرعاية والحفظ
والكلاءة روي ان ابا بكر قال للنبي صلى الله عليه وسلم وهما في الغار لو الكلاءة بالمد والحفظ والحراسة اختر
ان احدهم نظر الى قدميه لابصرنا تحت قدميه فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يا ابا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما قال المحاسبي يعني معهما
بالنصر والدفاع لا على معنى ما عم به الخلق من قوله ما يكون من نجوى
ثلاثة الا هو رابعهم فمعناه العموم انه يسمع ويرى من الكفار
والمومنين قال ابن العربي عن جمال الاسلام ابي القاسم قال موسى
كلا ان معي ربي سيهدين وقال محمد صلى الله عليه وسلم لا تحزن ان الله معنا
فلما كان الله معنا مع موسى وحده ارتد اصحابه بعده فرجع من عند
ربه فوجدهم يعبدون العجل ولما كان الله مع محمد وصاحبه بقي
ابو بكر مهتديا قايما بالامر ولم يتطرق اليه اختلال فانزل الله سكينته
عليه فيه قولان احدهما على النبي صلى الله عليه وسلم والثاني على ابي بكر
ابن العربي وهو الاقوى لانه خاف على النبي صلى الله عليه وسلم من القوم
فانزل الله سكينته عليه بتامين النبي صلى الله عليه وسلم فسكن جاشه

وذهب

وذهب روعه وحصل الامن وانبت الله سبحانه ثمامه والهم الوكر
هناك حمامة وارسل العنكبوت فنسجت بيتا عليه فما اضعف هذه
الجنود في ظاهر الحس وما اقواها في باطن المعنى وايده بجنود لم
تروها اي من الملايكة يوم بدر والاحزاب وحنين والجملة معطوفة
على قوله نصره الله وقيل حين كان في الغار صرفت الملايكة وجوه الطلب
عنه والكناية في ايده ترجع الى النبي صلى الله عليه وسلم والضميران
يختلفان وهذا كثير في القران وجعل كلمة الذين كفروا السفلى اي
كلمة الشرك المغلوبة وكلمة الله هي العليا قيل لا اله الا الله وقيل
وعد النصر والله عزيز حكيم في امره وتدبيره انفروا خفافا وثقالا
الاية عن ابي مالك الغفاري قال اول ما نزل من سورة براءة انفروا
خفافا وثقالا وهما نصب على الحال وفي معنى ذلك اقوال الاول ابن عباس
انفروا ثبات اي سرايا متفرقين الثاني عن ابن عباس ايضا وقتادة نشاطا
وغير نشاط الثالث اغنيا وفقرا قاله مجاهد الرابع شبابا وشيوخا
قاله الحسن الخامس مشاغيل وغير مشاغيل قاله زيد بن علي السادس
من لا عيال له ومن له عيال قاله زيد بن اسلم وقيل رجالا وفرسانا
قاله الاوزاعي وقيل الشجاع والجبان قاله النقاش والصحيح في
معنى الاية ان الناس امروا جملة اي انفروا خفت عليكم الحركة او
ثقلت وهذه الاقوال انما هي على معنى المثال في الخفة والثقل واختلف
في هذه الاية فقيل منسوخة بقوله تعالى ليس على الضعفا ولا
على المرضى وقيل الناسخ لها فلولا نفر من كل فرقة منهم طايفة والصحيح
انها ليست بمنسوخة فقد تكون حالة يجب فيها نفير الكل وذلك

اذا تعين الجهاد بغلبة العدو على قطر من الاقطار او بحلوله بالعقر فاذا كان ذلك وجب على جميع اهل تلك الدار ان ينفروا ويخرجوا اليه خفافا وثقالا شبابا وشيوخا كل على قدر طاقته فان عجز اهل تلك البلدة عن القيام بعدوهم كان على من قاربهم وجاورهم ان يخرجوا على حسب ما لزم اهل تلك البلدة حتى يعلموا ان فيهم طاقة على القيام بهم ومدافعتهم وكذلك كل من علم بضعفهم عن عدوهم وعلم انه يدركهم ويمكنه غياثهم لزمه ايضا الخروج اليهم وجاهدوا امر بالجهاد وهو مشتق من الجهد باموالكم وانفسكم قدم الاموال في الذكر اذ هي اول مصرف وقت التجهيز فرتب الامر كما هو في نفسه ذلكم خير لكم من تركه ان كنتم تعلمون الخير علمتم انه خير لو كان عرضا قريبا لما رجع النبي صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك اظهر الله تعالى نفاق قوم والعرض ما يعرض من منافع الدنيا والمعنى غنيمة قريبة اخبر عنهم انهم لو دعوا الى غنيمة لاتبعوه وعرضا خبر كان قريبا نعته وسفرا قاصدا عطف عليه وحذف اسم كان لدلالة الكلام عليه التقدير لو كان المدعو اليه عرضا قريبا وسفرا قاصدا اي سهلا معلوم الطرق او وسطا لاتبعوك طمعا في المال وهذه الكناية للمنافقين لانهم داخلون في جملة من خوطب بالنفير وهذا موجود في كلام العرب يذكرون الجملة ثم ياتون بالاضمار عائدا على بعضها ولكن بعدت عليهم الشقة اي المسافة التي تنقطع بمشقة فتخلفوا وحكى ابو عبيدة وغيره ان الشقة السفر الى ارض بعيدة والمراد بها غزوة تبوك وسيحلفون اي المنافقون المتخلفون اذا رجعت من تبوك معتذرين بالله لو استطعنا اي لو كان

لنا سعة في الظهر والمال لخرجنا معكم ونظيره ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا فسرها النبي صلى الله عليه وسلم فقال زاد وراحلة يهلكون انفسهم بايقاعها في العذاب بالكذب والنفاق والله يعلم انهم لكاذبون في ذلك لانهم كانوا مستطيعين الخروج عفا الله عنك لم اذنت لهم قيل هو افتتاح كلام كما تقول اصلحك الله واعزك كان كذا وكذا وعلى هذا التاويل يحسن الوقف على قوله عفا الله عنك رواه مكي وغيره واخبره بالعفو قبل لئلا يطير قلبه فرقا وقيل المعنى عفا الله عنك ما كان منك في ان اذنت لهم وفي الاذن قولان الاول لم اذنت لهم في الخروج معك وفي خروجهم بلا عدة ونية صادقة فساد الثاني لم اذنت لهم في القعود لما اعتلوا باعذار قال القشيري وهذا عتاب بلطف اذ قال عفا الله عنك وكان عليه الصلاة والسلام اذن من غير وحي نزل فيه قال قتادة وعمرو بن ميمون ثنتان فعلهما النبي صلى الله عليه وسلم لم يؤمر بهما اذنه لطائفة من المنافقين في التخلف عنه واخذ من الاساري الفدية فعاتبه الله تعالى كما تسمعون قال بعض العلما انما بدر منه ترك الاولى فقدم الله له العفو على الخطاب الذي هو صورة العتاب حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين اي يتبين لك من صدق ممن نافق وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يومئذ يعرف المنافقين وانما عرفهم بعد نزول سورة براة وقال مجاهد هولاء قوم قالوا نستاذن في الجلوس فان اذن لنا جلسنا وان لم ياذن لنا جلسنا وحتى متعلقة بمحذوف دل عليه الكلام تقديره هلا اخرتهم

الى ان يتبين او ليتبين وقوله لم اذنت يدل على المحذوف ولا يجوز ان
يتعلق حتى باذنت لان ذلك يوجب ان يكون اذن لهم الى هذه الغاية
او لاجل التبين وهذا لا يعاتب عليه وقال قتادة نسخ هذه الاية بقوله
في سورة النور فاذا استاذنوك لبعض شانهم فاذن لمن شئت منهم
ذكره النحاس لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الاخر
اي في القعود ولا في الخروج بل اذا امرت بشي ابتدروه فكان
الاستيذان في ذلك الوقت من علامات النفاق لغير عذر ولذلك
قال انما يستاذنك الذين لا يومنون بالله ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم
والله عليم بالمتقين انه في ان يجاهدوا في موضع نصب باضمار في عن
الزجاج وقيل التقدير كراهية ان يجاهدوا انما يستاذنك في التخلف
الذين لا يومنون بالله واليوم الاخر وارتابت قلوبهم اي شكت
في الدين فهم في ريبهم اي شكهم يترددون يذهبون ويرجعون
وتخصيص الايمان بالله واليوم الاخر في الموضعين للاشعار بان
الباعث على الجهاد والرادع عنه الايمان بهما وعدم الايمان بهما ولو
ارادوا الخروج معك الى الجهاد لاعدوا له عدة اي لتاهبوا اهبة
السفر فتركهم الاستعداد دليل على ارادتهم التخلف ولكن كره الله
انبعاثهم اي خروجهم معك فثبطهم اي حبسهم عنك بالجبن
والكسل وخذلهم لانهم قالوا ان لم يوذن لنا في الجلوس افسدنا
وحرضنا على المومنين ويدل على هذا ان بعده لو خرجوا فيكم ما زادوكم
الا خبالا وقيل لهم اقعدوا مع القاعدين قيل هو من قول بعضهم
لبعض وقيل هو من قول النبي صلى الله عليه وسلم ويكون هذا هو الاذن

الذي

الذي تقدم ذكره قبل قاله النبي صلى الله عليه وسلم غضبا فاخذوا
بظاهر لفظه وقالوا قد اذن لنا وقيل هو عبارة عن الخذلان اي
اوقع الله في قلوبهم القعود اي اللهوه ومعنى مع القاعدين مع اولي
الضرر والعميان والزمنا والنسا والصبيان لو خرجوا فيكم ما
زادوكم الا خبالا تسلية للمؤمنين في تخلف المنافقين عنهم والخبال
الفساد والنميمة وايقاع الاختلاف والاراجيف وهذا استثنا
منقطع اي ما زادوكم قوة ولكن طلبوا الخبال وقيل لا يزيدونكم
فيما يترددون فيه من الراي الا خبالا فلا يكون الاستثنا منقطعا
ولا يستلزم ذلك ان يكون لهم خبال حتى لو خرجوا زادوه باعتبار
اعم العام الذي وقع منه الاستثنا ولاجل هذا التوهم جعل الاستثنا
منقطعا وليس كذلك ولاوضعوا خلالكم اي لاسرعوا فيما بينكم
بالافساد والايضاع سرعة السير يقال وضع البعير اذا عدا يضع
وضعا ووضوعا اذا اسرع السير واوضعته حملته على العدو
والخلل الفرجة بين الشيين والجمع الخلال اي الفرج التي تكون
بين الصفوف اي لاسرعوا خلالكم بالنميمة وافساد ذات البين
يبغونكم الفتنة اي يطلبون لكم الفتنة بالافساد والتحريض
يقال ابغيته كذا اعنته على طلبه وبغيته كذا طلبته له وقيل
الفتنة هنا الشرك وفيكم سماعون لهم اي عيون لهم ينقلون
اليهم الاخبار منكم قتادة وفيكم من يقبل منهم قولهم ويطيعهم
والله عليم بالظالمين لقد ابتغوا الفتنة من قبل اي لقد طلبوا
الافساد والخبال من قبل ان يظهر امرهم وينزل الوحي بما اسروه

وبما سيفعلونه وقال ابن جريج ارادوا اثني عشر رجلا من المنافقين
وقفوا على ثنية الوداع ليلة العقبة ليفتكوا بالنبي صلى الله عليه وسلم
وقلبوا لك الامور اي صرفوها واجالوا الراي في ابطال ما جئت به
حتى جاء الحق هو النصر وظهر امر الله اي عز دينه وهو الاسلام
وهم كارهون اي على رغم منهم فدخلوا فيه ظاهرا ومنهم من يقول
ائذن لي من اذن ياذن واذا امرت زدت همزة مكسورة وبعد همزة
هي فا الفعل ولا يجتمع همزتان فابدلت من الثانية يا لكسرة ما
قبلها فقلت ايذن فاذا وصلت زالت العلة في الجمع بين همزتين
قال محمد بن اسحق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للجد بن قيس
اخي بني سلمة لما اراد الخروج الى تبوك يا جد هل لك في جلاد بني
الاصفر تتخذ منهم سراري ووصفا فقال الجد قد عرف قومي اني
مغرم بالنسا واني اخشى ان رايت بني الاصفر ان لا اصبر عنهن فلا
تفتني فاذن لي في القعود واعينك بمالي فاعرض عنه رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال قد اذنت لك فنزلت الاية اي لا تفتني
بصباحة وجوههم ولم يكن به علة الا النفاق قال المهدوي
والاصفر رجل من الحبشة كانت له بنات لم يكن في وقتهن اجمل منهن
وكان ببلاد الروم وقيل سموا بذلك لان الحبشة غلبت على الروم
وولدت لهم بنات فاخذن من بياض الروم وسواد الحبشة فكن
صفرا لعسا قال ابن عطية في قوله ابن اسحاق فتور واسند الطبري
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اغزوا تغنموا بنات الاصفر
فقال له الجد ائذن لنا ولا تفتنا بالنسا وهذا منزع غير الاول

وهو

وهو اشبه بالنفاق والمحادة ولما نزلت قال النبي صلى الله عليه وسلم لبني
سلمة من سيدكم يا بني سلمة قالوا الجد بن قيس غير انه بخيل جبان فقال
النبي صلى الله عليه وسلم واي داء ادوى من البخل بل سيدكم الفتى الابيض
بشر بن البراء بن معرور الا في الفتنة سقطوا اي في الاثم والمعصية
وقعوا وهي النفاق لا ما احترزوا عنه وقرئ سقط وان جهنم لمحيطة
بالكافرين اي مصيرهم الى النار فهي محدقة بهم ان تصبك في بعض
غزواتك حسنة تسوهم شرط وجوابه وكذا وان تصبك مصيبة
يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل اي ان تصبك غنيمة وظفر تسوهم
لفرط حسدهم والمصيبة الانهزام ومعنى قولهم اخذنا امرنا من
قبل اي من قبل هذه المصيبة احتطنا لانفسنا واخذنا بالحزم
فلم نخرج الى القتال ويتولوا عن الايمان وهم فرحون اي معجبون
بما اصابك قل لهم لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا اثبته قبل
في اللوح المحفوظ وقيل ما اخبرنا به في كتابه من انا اما ان نظفر
فيكون الظفر حسنى لنا واما ان نقتل فتكون الشهادة اعظم حسنى
لنا والمعنى كل شي بقضا وقدر والقضا والقدر والكتاب سواء
هو مولانا اي ناصرنا وعلى الله فليتوكل المومنون التوكل تفويض
الامر اليه قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين التربص الانتظار
والحسنى تانيث الاحسن والمراد بالحسنيين الغنيمة او الشهادة عن
ابن عباس ومجاهد وغيرهما واللفظ استفهام والمعنى التوبيخ ونحن
نتربص بكم ان يصيبكم الله بعذاب من عنده اي عقوبة
تهلككم كما اصاب الامم الخالية من قبلكم او بايدينا اي يوذن

لنا في قتالكم فتربصوا تهديد ووعيد اي انتظروا مواعد الشيطان
انا معكم متربصون اي منتظرون مواعد الله قل انفقوا طوعا او
كرها لن يتقبل منكم ما انفقتموه انكم كنتم قوما فاسقين قال
ابن عباس نزلت في الجد بن قيس اذ قال ايذن لي في القعود وهذا
مالي اعينك به ولفظ انفقوا امر ومعناه الشرط والجزا وهكذا تستعمل
العرب في مثل هذا تاتي باو ومعنى الاية ان انفقتم طايعين او مكرهين
فلن يتقبل منكم ثم بين تعالى لم لا يقبل منهم فقال وما منعهم ان
تقبل منهم نفقاتهم ان في موضع نصب بدلا من المفعول في منعهم
ويجوز ان يكون التقدير من ان تقبل وقرى تقبل بالتانيث وبالتذكير
للفصل الا انهم كفروا بالله وبرسوله في الاية دليل على ان افعال
الكفار اذا كانت برا كصلة القرابة وجبر الكسير واغاثة الملهوف
لا يثاب عليها ولا ينتفع بها في الاخرة بيد انه يطعم بها في الدنيا
كما في الحديث واما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل لله بها في الدنيا
حتى اذا افضى الى الاخرة لم يكن له حسنة يجزى بها ثم قيل لا بد ان
يطعم الكافر بحسناته في الدنيا بحكم هذا الوعد الصادق او ذلك
مقيد بمشية الله تعالى المذكورة في قوله عز وجل عجلنا له فيها
ما نشا لمن نريد وهذا هو الصحيح من القولين وتسمية ما يصدر
عن الكافر حسنة انما هو بحسب ظن الكافر والا فلا تقع منه قربة
لعدم شرطها المصحح لها وهو الايمان او سميت حسنة لانها تشبه
صورة حسنة المومن قولان ومعنى لا انهم كفروا اي الا كفرهم
ولا ياتون الصلاة الا وهم كسالى متثاقلون قال ابن عباس

ان

ان كان في جماعة وان انفرد لم يصل وهو الذي لا يرجو على الصلاة ثوابا
ولا يخشى في تركها عقابا فالنفاق يورث الكسل في العبادة لا محالة
ولا ينفقون الا وهم كارهون لانهم يعدونها مغرما ومنعها مغنما
واذا كان كذلك فهي غير متقبلة ولا ثواب عليها فلا تعجبك اموالهم
ولا اولادهم اي لا تستحسن ما اعطيناهم ولا تمل اليه فانه استدراج
انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا قال الحسن المعنى باخراج
الزكاة والانفاق في سبيل الله وهذا اختيار الطبري وقال ابن
عباس وقتادة في الكلام تقديم وتاخير والمعنى فلا تعجبك اموالهم
ولا اولادهم في الحياة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها في الاخرة وقيل
يعذبهم بالتعب في الجمع لها والمشقة في تحصيلها والمصايب فيها
وتزهق انفسهم وهم كافرون اي يموتون كافرين كما سبق بذلك
القضا واصل الزهوق الخروج بصعوبة ويحلفون بالله انهم لمنكم
اي انهم مومنون وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون اي يخافون
ان يظهروا ما هم عليه فيقتلوا فيحلفون تقية لو يجدون ملجا
اي حصنا عن قتادة وغيره يلجاون اليه ابن عباس حرزا او مغارات
جمع مغارة والمغارات الغيران والسراديب وهي المواضع التي
يستتر فيها او مدخلا اي مسلكا يختفي بالدخول فيه واعاده
لاختلاف اللفظ لولوا اليه اي لرجعوا الى احد هذه الاشيا
وهم يجمحون اي يسرعون لا يرد وجوههم شي من جمح الفرس اذا
لم يرده اللجام ومنهم من يلمزك في قسم الصدقات اي
يطعن عليك عن قتادة الحسن يعيبك يقال لمزه يلمزه اذا عابه

واللمز العيب في السر واصله الاشارة بالعين ونحوها وصف الله قوما
من المنافقين بانهم عابوا النبي صلى الله عليه وسلم في تفريق الصدقات
وزعموا انهم فقرا ليعطيهم وروي ان بعض المنافقين قال انما يعطي
محمد من يشا فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون
وقال ابو سعيد الخدري بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم
مالا اذ جاءه حرقوص بن زهير اصل الخوارج ويقال له ذو الخويصرة
التميمي فقال اعدل يا رسول الله فقال ويلك ومن يعدل اذا لم
اعدل فنزلت الاية وعندها قال عمر بن الخطاب دعني يا رسول الله
اقتل هذا المنافق فقال معاذ الله ان يتحدث الناس اني اقتل اصحابي
ان هذا واصحابه يقرؤون القران لا يجاوز حناجرهم يمرقون منه
كما يمرق السهم من الرمية ولو انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله
وقالوا حسبنا الله كافينا سيؤتينا الله من فضله ورسوله من
غنيمة اخرى ما يكفينا انا الى الله راغبون ان يغنينا جواب ولو
محذوف التقدير لكان خيرا لهم انما الصدقات الزكوات مصروفة
للفقرا الاية خص الله تعالى بعض الناس بالاموال دون بعض نعمة
منه عليهم وجعل شكر ذلك منهم اخراج سهم يردونه الى من لا
مال له نيابة عنه سبحانه فيما ضمنه بقوله تعالى وما من دابة في
الارض الا على الله رزقها وقوله للفقرا تبيين لمصارف الصدقات
والمحل حتى لا تخرج عنهم ثم الاختيار الى من يقسم هذا قول مالك
وابي حنيفة كما يقال السرج للدابة والباب للدار وقال الشافعي
اللام لام التمليك كقولك المال لزيد وعمرو وبكر فلا بد من التسوية

بين

بين المذكورين وحكي عن زين العابدين انه قال ان الله تعالى علم قدر
ما يرتفع من الزكاة وانه مما تقع به الكفاية لهذه الاصناف وجعله
حقا لجميعهم فمن منعهم ذلك فهو الظالم لهم رزقهم وتقدم القول
في الفقير والمسكين والعاملين عليها يعني السعاة والجباة الذين
يبعثهم الامام لتحصيل الزكاة والمولفة قلوبهم هم قوم كانوا
في صدر الاسلام ممن يظهر الاسلام يتالفون بدفع سهم من الصدقة
اليهم لضعف يقينهم وقيل هم صنف من الكفار يعطون ليتالفوا
على الاسلام وكانوا لا يسلمون بالقهر والسيف ولكن يسلمون بالعطا
والاحسان وقيل هم قوم من عظما المشركين لهم اتباع يعطون
ليتالفوا اتباعهم على الاسلام قالوا والمشركون ثلاثة اصناف صنف
يرجع باقامة البرهان وصنف بالقهر وصنف بالاحسان والامام
الناظر للمسلمين يستعمل مع كل صنف ما يراه سببا لنجاته وتخليصه
من الكفر وفي الرقاب قال مالك هي الرقبة تعتق وولاها للمسلمين
وكذلك ان اعتقها الامام وقال الشافعي هم المكاتبون وعلى هذا
جمهور العلما لان قوله وفي الرقاب كقوله وفي سبيل الله وهناك
يعطى المال للمجاهدين فيعطى للرقاب وعدل عن اللام الى في في الاربعة
الاخيرة ايذانا بانهم اكثر استحقاقا ممن سبق ذكرهم باللام لان في
للوعائية فنبه باستعمالها على انهم احقا بان يجعلوا مظنة لموضع
الصدقات منهم كما يوضع الشي في وعائه مستقرا فيه وقال الفارسي
انما قال وفي الرقاب ولم يقل وللرقاب ليدل على ان العبد لا يملك
وقال بعضهم واضافة الصدقات الى الاصناف الاربعة الاولى

بلام الملك والى الاربعة الاخيرة بفي الظرفية للاشعار باطلاق الملك
في الاربعة الاولى وتقييده في الاخيرة حتى اذا لم يحصل الصرف
في مصارفها انتزع بخلافه في الاولى والغارمين هم الذين ركبهم
الدين ولا وفا عندهم ويجوز للمتحمل في اصلاح وبر ان يعطى من
الصدقة ما يؤدي ما تحمل به اذا وجب عليه وان كان غنيا اذا كان
ذلك يجحف بماله كالغريم وهو قول الشافعي واحمد وفي سبيل الله
هم الغزاة المتطوعون الذين لا رزق لهم في الفيء يعطون ما ينفقون
في غزوهم كانوا اغنيا او فقرا وهذا قول اكثر اهل العلم وقيل الحجاج
والعمار وابن السبيل اي الطريق ونسب المسافر اليها لملازمته اياها
والمراد الذي انقطعت به الاسباب في سفره عن بلده ومستقره
فانه يعطى منها وان كان غنيا في بلده ولا يلزمه ان يشغل ذمته
بالسلف فريضة من الله نصب على المصدر اي فرض الله الصدقات
فريضة وقيل حال من الضمير في الفقراء اي مفروضة وشرط اخذ الزكاة
من هذه الاصناف الاسلام نعم يجوز ان يكون الكيال والجمال والحافظ
كفارا ويصرف اليهم من سهم العامل لانه اجره وان لا يكون هاشميا
ولا مطلبيا وكذا مواليهم وقال مالك يحل للمولى ومنهم الذين
يؤذون النبي ويقولون هو اذن بين الله تعالى ان في المنافقين
من كان يبسط لسانه بالوقيعة في اذاية النبي صلى الله عليه وسلم
ويقول ان عاتبني حلفت له بانني ما قلت هذا فيقبله فانه اذن
سامعة قال الجوهري يقال رجل اذن اذا كان يسمع مقال كل احد
يستوي فيه الواحد والجمع وعن ابن عباس في قوله تعالى هو اذن

قال

قال مستمع وهذه الاية نزلت في عتاب بن قشير قال انما محمد اذن
يقبل كلما قيل له وقيل هو نبتل بن الحارث قاله ابن اسحق وكان نبتل
رجلا جسيما ثائر شعر الراس واللحية آدم احمر العينين اسفع الخدين
مشوه الخلقة وهو الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم من اراد ان
ينظر الى الشيطان فلينظر الى نبتل بن الحارث قل هو اذن خير لكم اي هو
اذن خير لا اذن شر اي يسمع الخير فيعمل به ولا يعمل بالشر اذا سمعه
يؤمن بالله يصدق ويؤمن للمؤمنين اي يصدقهم واللام زائدة في قول
الكوفيين ومثله لربهم يرهبون اي يرهبون ربهم وقال ابو علي
هو كقوله ردف لكم وعند المبرد متعلقة بمصدر دل عليه الفعل التقدير
ايمانه للمؤمنين اي تصديقه للمؤمنين لا للكفار ورحمة للذين امنوا
منكم قرئ بالرفع عطفا على اذن اي هو اذن خير ورحمة وبالخفض عطفا
على خير والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم بايذائه يحلفون يوذون
بالله لكم ليرضوكم الاية روي ان قوما من المنافقين اجتمعوا فيهم
الجلاس بن سويد ووديعة بن ثابت ومنهم غلام من الانصار يدعى
عامر بن قيس فحقروه فتكلموا وقالوا ان كان ما يقوله محمد حقا لنحن شر
من الحمير فغضب الغلام وقال والله انما يقوله حق وانتم شر من الحمير
فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بقولهم فحلفوا ان عامرا كاذب فقال عامر هم
الكذبة وحلف على ذلك وقال اللهم لا تفرق بيننا حتى يتبين صدق
الصادق وكذب الكاذب فانزل الله هذه الاية والله ورسوله احق ان
ان يرضوه ابتدا وخبر ومذهب سيبويه ان التقدير والله احق
ان يرضوه ورسوله احق ان يرضوه ثم حذف وقال ابن يزيد ليس

في الكلام محذوف والتقدير والله احق ان يرضوه ورسوله على التقديم
والتاخير وقال الفرا المعنى ورسوله احق ان يرضوه والله افتتاح
كلام كما تقول ما شاء الله وشئت قال النحاس وقول سيبويه اولى القرطبي
وقيل ان الله تعالى جعل رضاه في رضاه الا ترى انه قال من يطع
الرسول فقد اطاع الله فتوحيد الضمير لتلازم الرضاين ان كانوا
مؤمنين حقا الم يعلموا يعني المنافقين انه يعني الحديث والشان
من يحادد الله ورسوله في موضع رفع بالابتدا والمحادة وقوع هذا
في حد وذلك في حد كالمشاقة فان له نار جهنم يقال ما بعد الفا في
الشرط مبتدا ان كان يجب ان يكون فان بكسر الهمزة وقراة العامة
بالفتح قال الخليل وسيبويه ان الثانية مبدلة من الاولى وزعم
المبرد ان هذا القول مردود وان الصحيح ما قاله الجرمي ان الثانية
مكررة للتوكيد لما طال الكلام كما قال فكان عاقبتهما انهما في النار خالدين
فيها خالدا فيها ذلك الخزي العظيم اي الهلاك الدايم يحذر المنافقون
يحذر خبر وليس بامر ويدل على انه خبر ما بعده ان الله مخرج ما تحذرون
لانهم كفروا عنادا وقال السدي قال بعض المنافقين والله وددت
لواني قدمت فجلدت مائة ولا ينزل فينا شي يفضحنا فنزلت الاية
يحذر اي يتحرز ويخاف وقال الزجاج معناه ليحذر فهو امر كما يقال
يفعل ذلك ان تنزل ان في موضع نصب اي من ان تنزل عليهم
اي على المومنين سورة في شان المنافقين تنبيهم تخبرهم بما في
قلوبهم لمحادتهم ومساويهم ومثالهم وهم مع ذلك يستهزؤن
قل استهزوا هذا امر وعيد وتهديد ان الله مخرج اي مظهر

ما تحذرون ظهوره من نفاقكم وقال ابن عباس انزل الله اسما المنافقين
وكانوا سبعين رجلا ثم نسخ تلك الاسما من القران رافة منه ورحمة
لان اولادهم كانوا مسلمين فعلى هذا قد انجز الله وعده باظهار ذلك
اذ قال ان الله مخرج ما تحذرون وقيل اخراج الله انه عرف نبيه
عليه الصلاة والسلام احوالهم واسماهم لا انها نزلت في القران
وقد قال الله ولتعرفنهم في لحن القول وهو نوع الهام وكان من
المنافقين من يتردد ولا يقطع بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم
ولا يصدقه وكان فيهم من يعرف صدقه ويعاند ولين سالتهم
عن استهزائهم بك والقران ليقولن انما كنا نخوض ونلعب نزلت في
غزوة تبوك قال قتادة بينا النبي صلى الله عليه وسلم يسير في غزوة
تبوك وركب من المنافقين يسيرون بين يديه فقالوا انظروا هذا
يفتح قصور الشام ويأخذ حصون بني الاصفر فاطلعه الله على ما في
قلوبهم وما يتحدثون به فقال احبسوا على الركب ثم اتاهم فقال
قلتم كذا وكذا فحلفوا ما كنا الا نخوض ونلعب يريدون كنا غير
مجدين في الحديث لنقطع به الطريق وذكر الطبري عن عبد الله بن عمر
قال رايت هذه المقالة وديعة بن ثابت متعلقا بحقب ناقة رسول
الله صلى الله عليه وسلم يماشيها والحجارة تنكبه وهو يقول انما كنا نخوض
ونلعب والنبي صلى الله عليه وسلم يقول ابالله واياته ورسوله
كنتم تستهزؤن البا متعلقة بتستهزؤن والخوض الدخول في الما
ثم استعمل في كل دخول فيه تلويث واذى لا تعتذروا عنه نهي
على جهة التوبيخ كانه يقول لا تفعلوا ما لا ينفع ثم حكم عليهم

بالكفر وعدم الاعتذار من الذنب فقال قد كفرتم اي قد ظهر كفركم
بعد اظهار ايمانكم والاعتذار محو اثر الموجدة وقال ابن الاعرابي
اصله القطع واعتذرت اليه قطعت ما في قلبه من الموجدة ان يعف
عن طايفة منكم قيل كانوا ثلاثة نفر هزئ اثنان وضحك واحد
فالمعفو عنه هو الذي ضحك ولم يتكلم والطايفة الجماعة ويقال
للواحد على معنى نفس طايفة وقيل المعنى ان يعف عن طايفة منكم
بالتوفيق للتوبة نعذب طايفة بترك التوبة وقرئ ان نعف بالنون
نعذب بالنون ايضا طايفة بالنصب وقرئ يعف يعذب بالبنا
للمفعول بانهم كانوا مجرمين مصرين على النفاق والاستهزا
المنافقون والمنافقات ابتدا بعضهم ابتدا ثان ويجوز ان يكون
بدلا ويكون الخبر من بعض اي هم كالشي الواحد في الخروج عن الدين
وقال الزجاج هذا متصل بقوله يحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم
اي ليسوا من المومنين ولكن بعضهم من بعض كابعاض الشي الواحد اي
متشابهون في الامر يامرون بالمنكر بالكفر وينهون عن المعروف
الايمان ويقبضون ايديهم عبارة عن ترك الجهاد وفيما يجب عليهم
من حق وقيل عدم الانفاق في سبيل الله نسوا الله فنسيهم ان
المنافقين هم الفاسقون النسيان الترك هنا اي تركوا ما امرهم
به فتركهم في الشك وقيل تركوا امره حتى صار كالمنسي فصيرهم
بمنزلة المنسي من ثوابه وقال قتادة نسيهم اي من الخير فاما من
الشر فلم ينسهم والفسق الخروج عن الطاعة وعد الله المنافقين
والمنافقات والكفار نار جهنم يقال وعد الله بالخير وعدا واوعده

بالشر

بالشر وعيدا خالدين فيها نصب على الحال والعامل محذوف اي يصلونها
خالدين هي حسبهم ابتدا وخبر اي هي كفايتهم ووفا جزا اعمالهم ولعنهم
الله اللعن البعد من رحمة الله ولهم عذاب مقيم اي دايم كالذين
من قبلكم قال الزجاج الكاف في موضع نصب اي وعد الله الكفار
نار جهنم وعدا كما وعد الذين من قبلهم وقيل المعنى فعلتم كافعال
الذين من قبلكم في الامر بالمنكر والنهي عن المعروف فحذف المضاف
او المعنى انتم ايها المنافقون كالذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة
ولم ينصرف اشد لانه افعل صفة والاصل فيه اشدد اي كانوا
اشد منكم قوة فلم يتهيا لهم ولا امكنهم دفع عذاب الله عز
وجل واكثر اموالا واولادا فاستمتعوا بخلاقهم اي تمتعوا
بنصيبهم من الدنيا فاستمتعتم ايها المنافقون بخلاقكم كما استمتع
الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم خروج من الغيبة الى الخطاب
كالذي خاضوا اي كخوضهم فالكاف في موضع نصب نعت لمصدر
محذوف اي وخضتم خوضا كالذي خاضوا والذي اسم ناقص
مثل من يعبر به عن الواحد والجمع والمعنى خضتم في اسباب الدنيا
باللهو واللعب وقيل في امر محمد بالتكذيب اولئك حبطت بطلت
اعمالهم اي حسناتهم في الدنيا والاخرة واولئك هم الخاسرون
تقدم الم ياتهم نبا اي خبر الذين من قبلهم الهمزة للتقرير
والتحذير اي الم يسمعوا اهلاكنا الكفار من قبل قوم نوح وعاد
وثمود بدل من الذين وقوم ابراهيم اي نمرود بن كنعان واصحاب
مدين اسم للبلد الذي كان فيه شعيب اهلكوا بعذاب يوم الظلة

والموتفكات هي قوم لوط لان ارضهم ائتفكت بهم اي انقلبت
قاله قتادة اتتهم رسلهم يعني جميع الانبيا بالبينات بالمعجزات
فكذبوهم وقيل اتت اصحاب الموتفكات رسلهم يعني رسولهم
لوط فاهلكوا فما كان الله ليظلمهم اي ليهلكهم حتى يبعث اليهم
الانبيا ولكن كانوا انفسهم يظلمون بعد قيام الحجة عليهم
والمومنون والمومنات بعضهم اوليا بعض اي قلوبهم متحدة في
التواد والتحابب والتعاطف يامرون بالمعروف اي بعبادة الله
وتوحيده وينهون عن المنكر عن عبادة الاوثان ويقيمون الصلاة
ويوتون الزكاة تقدم ويطيعون الله في الفرايض ورسوله
فيما سن لهم اوليك سيرحمهم الله السين مدخلة في الوعد مهلة
لتكون النفوس تتنعم برجايه وفضله تعالى زعيم بالانجاز
وقال الزمخشري السين مفيدة وجود الرحمة لا محالة فهي توكد
الوعد كالوعيد في قولك سانتقم منك ان الله عزيز لا يغلبه شي
ولا يمتنع عليه ما يريده حكيم يضع الاشيا مواضعها وعد الله
المومنين والمومنات جنات اي بساتين تجري من تحتها الانهار اي
من تحت اشجارها وغرفها وتقدم انها تجري منضبطة في غير اخدود
خالدين فيها ومساكن طيبة قصور من الزبرجد والياقوت يفوح
طيبها من مسيرة خمسماية عام في جنات عدن اي في دار اقامة
وقال عطا الخراساني جنات عدن هي قصبة الجنة وسقفها عرش
الرحمن وقال ابن مسعود هي بطنان الجنة اي وسطها وقال الحسن
هي قصر من ذهب لا يدخله الا نبي او صديق او شهيد او حكم عدل

وقال مقاتل والكلبي عدن اعلى درجة في الجنة وفيه عين التسنيم والجنان
حولها محفوفة بها ورضوان من الله اكبر اي اعظم من ذلك والتنكير
للتقليل اي رضوان قليل اكبر من الجنات لانه راس كل سعادة، قليل منك
يكفيني ولكن قليل لا يقال له قليل ذلك هو الفوز العظيم يايها النبي
جاهد الكفار والمنافقين الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل
فيه امته من بعده قيل المراد جاهد بالمومنين الكفار وقال ابن عباس
امر بالجهاد مع الكفار بالسيف ومع المنافقين باللسان وشدة الزجر
والتغليظ وقال الحسن جهاد المنافقين باقامة الحدود عليهم وباللسان
واغلظ عليهم بالانتهار والمقت والغلظ نقيض الرافة وهو شدة القلب
على اقلال الامر بصاحبه وليس ذلك في اللسان وهو عبارة عن خشونة
الجانب فهي ضد قوله واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وماويهم جهنم
ان قيل كيف حسنت الواو هنا والفا اشبه بهذا الموضع قيل انها واو
الحال والتقدير افعل ذلك في حال استحقاقهم جهنم وتلك حال
كفرهم ونفاقهم وقيل جي بالواو تنبيها على ارادة فعل محذوف
تقديره واعلم ان ماويهم جهنم وقيل ان الكلام محمول على المعنى
والمعنى انه قد اجتمع لهم عذاب الدنيا بالجهاد والغلظة وعذاب
الاخرة بجعل جهنم ماواه وبيس المصير اي المرجع هي يحلفون بالله
ما قالوا روي ان الاية نزلت في الجلاس بن سويد ووديعة بن ثابت
وقعوا في النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا والله لين كان محمد صادقا على
اخواننا الذين هم سادتنا وخيارنا لنحن شر من الحمير فقال له
عامر بن قيس اجل والله ان محمدا الصادق وانك لشر من حمار واخبر عامر

بذلك النبي صلى الله عليه وسلم وجا الجلاس فحلف بالله عند منبر النبي
صلى الله عليه وسلم ان عامرا لكاذب فنزلت وقيل ان الذي سمعه
عاصم بن عدي وقيل غيره قال مجاهد وكان الجلاس لما قال له صاحبه
اني ساخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقولك هم بقتله ثم لم
يفعل عجز عن ذلك والى ذلك الاشارة بقوله وهموا بما لم ينالوا وقيل
انه قول جميع المنافقين قاله الحسن ابن العربي وهو الصحيح ولقد قالوا
كلمة الكفر قال النقاش هي تكذيبهم بما وعد الله من الفتح وقيل كلمة
الكفر قول الجلاس ان كان ما جا به محمد حقا لنحن اشر من الحمير القشيري
كلمة الكفر سب النبي صلى الله عليه وسلم والطعن في الاسلام وكفروا
اي اظهروا الكفر بعد اسلامهم اي بعد الحكم باسلامهم وهموا بما لم
ينالوا يعني المنافقين من قتل النبي صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة
عند عوده من تبوك وكانوا اثني عشر رجلا فضرب عمار بن ياسر
وجوه الرواحل لما غشوه فردوا وقيل هموا بعقد التاج على راس
ابن ابي ليجتمعوا عليه وما نقموا انكروا الا ان اغناهم الله ورسوله
من فضله بالغنايم اي ليس ينقمون شيا غير هذا او ليس مما ينقم قال
الشعبي كانوا يطلبون دية فيقضي لهم بها رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاستغنوا ذكر عكرمة انها كانت اثني عشر الفا ويقال ان
القتيل كان مولى الجلاس وقال الكلبي كانوا قبل قدوم النبي صلى الله
عليه وسلم في ضنك من العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة
فلما قدم عليهم النبي صلى الله عليه وسلم استغنوا بالغنايم وهذا المثل
مشهور اتق شر من احسن اليه فان يتوبوا من النفاق ويومنوا يك خيرا لهم احسنت

روي

روي ان الجلاس قام حين نزلت الاية فاستغفر وتاب وان يتولوا
اي يعرضوا عن الايمان والتوبة يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا
بالقتل وفي الاخرة بالنار وما لهم في الارض من ولي اي مانع
يمنعهم ولا نصير اي معين ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من
فضله فيه وجهان احدهما تقديره عاهد فقال لئن اتانا والثاني
ان يكون عاهد بمعنى قال اذ العهد قول قال قتادة هذا رجل من
الانصار قال لئن رزقني الله شيا لاودين فيه حقه ولاتصدقن فلما
اتاه الله ذلك فعل ما نص عليكم فاحذروا الكذب فانه يودي الى
الفجور وروى ان ثعلبة بن حاطب الانصاري قال للنبي صلى الله عليه
وسلم ادع الله ان يرزقني مالا فقال عليه الصلاة والسلام ويحك
يا ثعلبة قليل تودي شكره خير من كثير لا تطيقه ثم عاد ثانيا
فقال النبي صلى الله عليه وسلم اما ترضى ان تكون مثل نبي الله لو شيت
ان تسير معي الجبال ذهبا لسارت فقال والذي بعثك بالحق لئن دعوت
الله فرزقني مالا لاعطين كل ذي حق حقه فدعى له النبي صلى الله
عليه وسلم فاتخذ غنما فنمت كما تنمي الدود فضاقت عليه المدينة
فتنحى عنها ونزل واديا من اوديتها وجعل يصلي الظهر والعصر في
جماعة ويترك ما سواهما ثم ترك الجماعة والجمعة فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يا ويح ثعلبة ثلاثا ثم نزل خذ من اموالهم صدقة
فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين على الصدقة وقال لهما
مرا بثعلبة وبفلان رجل من بني سليم فخذا صدقاتهما فاتيا ثعلبة
واقراه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الا اخية

الجزية انطلقا حتى تفرغا ثم تعودا الي وقيل سبب غنا ثعلبة انه ورث
ابن عم له قال ابن عبد البر قيل ان ثعلبة بن حاطب هو الذي نزل
فيه ومنهم من عاهد الله الاية اذ منع الزكاة والله اعلم ومن جا فيمن
شهد بدرا يعارضه قوله تعالى في الاية فاعقبهم نفاقا في قلوبهم
الاية القرطبي وذكر عن ابن عباس في سبب نزول الاية ان حاطب بن
ابي بلتعة غاب عنه ماله بالشام فحلف في مجلس من مجالس الانصار
ان سلم ذلك لا تصدقن منه ولاصلن منه فلما سلم بخل بذلك فنزلت
القرطبي وابن ابي بلتعة بدري ايضا وممن شهد الله له بالايمان فقاله
ابو عمر ولعل قول من قال في ثعلبة انه مانع الزكاة الذي نزلت فيه
الاية غير صحيح وقال الضحاك ان الاية نزلت في رجال من المنافقين
القرطبي وهذا اشبه بنزول الاية فيهم الا ان قوله تعالى فاعقبهم
نفاقا يدل على ان الذي عاهد لم يكن منافقا من قبل الا ان يكون
المعنى زادهم نفاقا فاثبتوا عليه الي الممات لئن اتانا من فضله
لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما اتاهم من فضله اي اعطاهم
بخلوا به اي باعطا الصدقة وبانفاق المال في الخير وبالوفا بما ضمنوا
والتزموا وتولوا عن طاعة الله وهم معرضون اي عن الاسلام اي
مظهرون للاعراض عنه فاعقبهم نفاقا مفعولان اي فصير الله عاقبتهم
نفاقا ثابتا في قلوبهم وقيل اعقبهم البخل الي يوم يلقونه اي يلقون
بخلهم اي جزا بخلهم يوم القيمة وقيل المعنى يلقون الله وفي ذلك
دليل على انه مات منافقا وروى انه اتى النبي صلى الله عليه وسلم
بزكاته فقال ان الله تعالى منعني ان اقبل منك فجعل يحثو التراب

على راسه

على راسه ثم جا الي ابي بكر فلم يقبلها ثم الي عمر ثم الي عثمان فلم يقبلاها
ومات في زمان عثمان وهو يبعد ان يكون المنزول فيه ثعلبة او
حاطب وهما ممن حضر بدرا بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون
فيه كذبهم نقضهم العهد وترك الوفا بما التزموه من ذلك والنفاق
اذا كان في القلب فهو الكفر واذا كان في الاعمال فهو معصية الم
يعلموا اي المنافقون ان الله يعلم سرهم ما اسروه في انفسهم
ونجواهم ما تناجوا به بينهم وهذا توبيخ واذا كان عالما فانه سيجازيهم
وان الله علام الغيوب ما غاب عن العيان الذين يلمزون المطوعين
من المؤمنين في الصدقات قال قتادة يلمزون يعيبون قال وذلك
ان عبد الرحمن بن عوف تصدق بنصف ماله وكان ماله ثمانية الاف
فقال قوم ما اعظم رياه فنزلت وجا رجل من الانصار بنصف صبرة
من تمره فقالوا ما اغنى الله عن هذا فانزل الله تعالى والذين لا يجدون
الا جهدهم طاقتهم والجهد شي قليل يعيش به المقل والمطوعين
اصله المتطوعين ادغمت التا في الطا وهم الذين يفعلون الشي
تبرعا من غير ان يجب عليهم فيما تون به فيسخرون منهم عطف على
يلمزون سخر الله منهم خبر الذين وهو دعا عليهم وقال ابن عباس
هو خبر اي سخر منهم حيث صاروا الي النار ومعنى سخر الله مجازاتهم
على سخريتهم ولهم عذاب اليم هو لم استغفر لهم يا محمد او لا
تستغفر لهم يريد به التساوي بين الامرين في عدم الافادة
لهم كما نص عليه بقوله ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر
الله لهم روى ان ابن عبد الله بن ابي وكان من المخلصين سال

رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرض ابيه ان يستغفر له ففعل فنزلت
فقال صلى الله عليه وسلم لازيدن على السبعين فنزلت سواء عليهم
استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ذلك بانهم
كفروا بالله ورسوله اشارة الى الياس من المغفرة وعدم قبول استغفا
ليس لبخل منا ولا قصور فيك بل لعدم قابليتهم بسبب الكفر الصارف
عنها والله لا يهدي القوم الفاسقين اي المتمردين في كفرهم فرح المخلفون
يعني المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك بمقعدهم اي بقعودهم
والمخلف المتروك اي خلفهم الله وثبطهم او خلفهم رسوله والمومنون
خلاف رسول الله مفعول من اجله وان شئت كان مصدرا والخلاف
المخالفة وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله
وقالوا لا تنفروا في الحر اي قال بعضهم لبعض ذلك قل نار جهنم
اي قل لهم يا محمد نار جهنم اشد حرا اي من ترك امر الله تعرض
لتلك النار ولم يرد افادة ان نار جهنم اشد حرا فانه معلوم بل
افادة لازم المعنى وهو انهم يردونها ويجدون حرها ان لم
يجاهدوا لو كانوا يفقهون يعلمون ذلك ما تخلفوا فليضحكوا قليلا
اي ضحكا قليلا او زمنا قليلا وهو امر معناه التهديد وليس امرا بالضحك
وقال الحسن فليضحكوا قليلا في الدنيا وليبكوا كثيرا في جهنم وقيل
انه امر بمعنى الخبر اي انهم سيضحكون قليلا ويبكون كثيرا وفي
الاية المطابقة بين الضحك والبكا وبين القليل والكثير جزاء
مفعول من اجله اي للجزا بما كانوا يكسبون فان رجعك الله اي
ردك من تبوك الى طايفة منهم اي المنافقين وانما قال الى طايفة

لان

لان جميع من اقام بالمدينة ما كانوا منافقين بل كان فيهم معذورون
ومن لا عذر له ثم عفى عنه وتاب عليه كالثلاثة الذين خلفوا ورجع
هنا متعدية بنفسها ومصدرها رجع وتاتي لازمة ومصدرها الرجوع
فاستاذنوك للخروج الى الغزو مرة اخرى فقل لهم لن تخرجوا معي
ابدا اي عاقبهم بان لا تصحبهم ابدا وهو كما قال في سورة الفتح قل
لن تتبعونا ولن تقاتلوا معي عدوا انكم رضيتم بالقعود اول مرة
فاقعدوا مع الخالفين جمع خالف كانهم خلفوا الخارجين قال ابن عباس
الخالفون من تخلف من المنافقين وقال الحسن مع النسا والضعفا من
الرجال فغلب المذكر وقيل المعنى فاقعدوا مع الفاسدين من قولهم
فلان خالفة اهل بيته اذا كان فاسدا فيهم من خلوف فم الصايم
ومن قولك خلف اللبن اي فسد بطول المكث في السقا ولا تصل على احد
منهم مات ابدا قيل انها نزلت في شان عبد الله بن ابي بن سلول
ففي البخاري عن ابن عباس قال صلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم انصرف فلم يمكث الا يسيرا حتى نزلت ونحوه عن ابن عمر خرجه مسلم
قال ابن عمر لما توفي عبد الله بن ابي جا ابنه عبد الله الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فساله ان يعطيه قميصه يكفن فيه فاعطاه
ثم ساله ان يصلي عليه فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه
فقام عمر واخذ بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول
الله اتصلي عليه وقد نهاك الله ان تصلي عليه فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم انما خيرني الله فقال استغفر لهم او لا تستغفر لهم
ان تستغفر لهم سبعين مرة وسازيد على سبعين قال انه منافق

فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى ولا تصل على احد
منهم مات ابدا ولا تقم على قبره فترك الصلاة عليهم ان قيل كيف
قال عمر اتصلي عليه وقد نهاك الله ولم يكن تقدم نهي قيل يحتمل ان
يكون ذلك من قبيل الالهام والتحدث الذي يشهد له به النبي صلى الله
عليه وسلم وقد كان القران ينزل على مراده كما قال وافقت كما قال
وافقت ربي في ثلاث وجاء في اربع ويحتمل ان يكون فهم ذلك من قوله
استغفر لهم او لا تستغفر لهم الاية لانه كان تقدم نهي على ما دل
عليه حديث البخاري ومسلم القرطبي ويحتمل ان يكون فهمه من قوله تعالى
ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين لانها نزلت بمكة قال
العلما وانما صلى النبي صلى الله عليه وسلم على عبد الله بن ابي بنا على الظاهر
من لفظ اسلامه ثم لم يكن يفعل ذلك وان اكثر من الاستغفار وانما
اعطى النبي صلى الله عليه وسلم قميصه لعبد الله لان عبد الله كان قد
اعطى العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم قميصه يوم بدر لما اسر ليرفع
اليد عنه في الدنيا حتى لا يلقاه في الاخرة وله عليه يد خرجه البخاري
وقيل اعطاه القميص اكراما لابنه واسعافا له في طلبته ولا تقم على
قبره اي عند قبره للدفن او الزيارة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا دفن الميت وقف على قبره ودعا له بالتثبيت انهم كفروا بالله ورسوله
وماتوا وهم فاسقون كافرون ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما
يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهق تخرج انفسهم وهم
كافرون كرره تاكيدا وقد تقدم واذا انزلت سورة ان امنوا بالله
هو امر للمومنين باستدامة الايمان وللمنافقين بابتدا الايمان

وان

وان في موضع نصب اي بان امنوا وجاهدوا في سبيله مع رسوله استاذنك
اولوا الطول منهم اي اصحاب الفضل والسعة والمعنى انتدب المومنون
الى الاجابة وتعلل المنافقون وقيل الطول الغنا وخصهم بالذكر
لان من لا طول له لا يحتاج الى اذن لانه معذور وقالوا ذرنا نكن
مع القاعدين اي العاجزين عن الخروج رضوا بان يكونوا مع الخوالف
جمع خالفة اي مع النسا والصبيان واصحاب الاعذار من الرجال ويقال
الخالفة الذي لا خير فيه وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ما في
الجهاد وموافقة الرسول من السعادة وما في التخلف عنهم من الشقاوة
لكن الرسول والذين امنوا معه جاهدوا باموالهم وانفسهم واولئك
لهم الخيرات قيل النسا الحسان عن الحسن وقيل جمع خير فالمعنى لهم
منافع الدارين واولئك هم المفلحون اعد الله لهم جنات تجري من
تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم وجا المعذرون
من الاعراب المعذرون بالتشديد فيه قولان احدهما انه المحق فهو
في المعنى المعتذر لان له عذرا فيكون المعذرون على هذا اصله
المعتذرون ولكن التا قلبت ذالا فادغمت فيها وجعلت حركتها
على العين كما قري يخصمون بفتح الخا والقول الاخر ان المعذر قد
يكون غير محق وهو الذي يعتذر ولا عذر له قال الجوهري فهو
المعذر على جهة المفعل كالممرض المقصر يعتذر بغير عذر والمعنى
انهم اعتذروا بالكذب قال الجوهري وكان ابن عباس يقول
لعن الله المعذرين كان الامر عنده ان المعذر بالتشديد هو المظهر
للعذر اعتلالا من غير حقيقة له في العذر قال ابن سيده ولا

يجوز ان يكون الاصل فيه المعتذرين ولا يجوز الادغام فيقع اللبس وذكر
اسماعيل بن اسحاق ان الادغام مجتنب على قول الخليل وسيبويه وبعد ان
سياق الكلام يدل على انهم مذمومون لا عذر لهم قالوا لانهم جاؤا
ليؤذن لهم ولو كانوا من الضعفا والمرضى والذين لا يجدون ما
ينفقون لم يحتاجوا ان يستاذنوا قال النحاس واصل المعذرة والاعذار
والتعذير من شي واحد وهو مما يصعب ويتعذر وقرئ بالتخفيف
قال ابن عباس هم الذين تخلفوا بعذر فاذن لهم النبي صلى الله عليه وسلم
وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا يا رسول الله لو غزونا معك
اغارت اعراب طي على حلائلنا واولادنا ومواشينا فعذرهم النبي
صلى الله عليه وسلم وعلى قراة التشديد في القول الثاني هم قوم
من غفار اعتذروا فلم يعذرهم النبي صلى الله عليه وسلم لعلمه انهم
غير محقين وقعد قوم بغير عذر اظهروه جراة على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهم الذين اخبر الله تعالى عنهم بقوله وقعد
الذين كذبوا الله ورسوله والمراد بكذبهم قولهم انا مومنون
سيصيب الذين كفروا منهم عذاب اليم ثم قال ليس على الضعفا
كالشيوخ ولا على المرضى كالعمي والزمنا ولا على الذين لا يجدون
ما ينفقون في الجهاد حرج وهذه الاية اصل في سقوط التكليف
عن العاجز فكل من عجز عن شي سقط عنه تارة الى بدل هو فعل
وتارة الى بدل هو غرم ولا فرق بين العجز من جهة القوة او العجز
من جهة المال وفي الحديث لقد تركتم بعدكم قوما ما سرتم مسيرا
ولا انفقتم من نفقة ولا قطعتم واديا الا وهم معكم فيه قالوا

يا

يا رسول الله وكيف يكونون معنا وهم بالمدينة قال حبسهم العذر
فبينت الاية ان لا حرج على المعذورين وهم قوم عرف عذرهم
كارباب الزمانة والهرم والعمى والعرج واقوام لم يجدوا ما ينفقون
فقال ليس عليهم حرج اي اثم في التخلف اذا نصحوا لله ورسوله
اي اذا عرفوا الحق واحبوا اولياه وابغضوا اعداه والنصح اخلاص العمل
من الغش ومنه التوبة النصوح وفي الحديث الدين النصيحة ثلاثا
قلنا لمن قال لله ولكتابه ولرسوله ولايمة المسلمين وعامتهم وانما
شرط النصح لان من تخلف بقصد السعي بالفساد فهو مذموم ما
على المحسنين من سبيل في موضع رفع اسم ما اي من طريق الى
العقوبة واوقع المحسنين موقع المضمر للدلالة على انهم منخرطون
في سلك المحسنين غير معاتبين في ذلك والله غفور لهم رحيم
بهم في التوسعة في ذلك وهذه الاية اصل في رفع العقاب
عن كل محسن ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم معك الى الغزو
قلت لا اجد ما احملكم عليه نزلت في عرباض بن سارية وقيل
في عايذ بن عمرو وقيل في بني مقرن وعلى هذا جمهور المفسرين
وكانوا سبعة اخوة كلهم صحب النبي صلى الله عليه وسلم وليس في
الصحابة سبعة اخوة غيرهم وهم النعمان ومعقل وعقيل
وسويد وسنان وسابع لم يسم وقيل نزلت في سبعة نفر
من بطون شتى وهم البكاوون اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
في غزوة تبوك ليحملهم فلم يجد ما يحملهم عليه تولوا انصرفوا
واعينهم تفيض اي تسيل من الدمع حزنا ان لا يجدوا ما ينفقون

في الجهاد قال ابن عباس سالوه ان يحملهم على الدواب وكان الرجل يحتاج
الى بعيرين بعير يركبه وبعير يحمل ماءه وزاده لبعد الطريق
وقيل نزلت في ابي موسى واصحابه اتوا النبي صلى الله عليه وسلم
ليستحملوه ووافق ذلك منه غضبا فقال والله لا احملكم ولا اجد ما
احملكم عليه فتولوا يبكون فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واعطاهم
ذود الغر الذرى المعنى ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم قلت
لا اجد فهو مسوق على ما قبله بغير واو والجواب تولوا واعينهم تفيض
من الدمع جملة في موضع الحال وحزنا مصدر وان لا يجدوا نصب بان
انما السبيل اي العقوبة والمأثم على الذين يستاذنونك في التخلف
وهم اغنياء واجدون الاهبة والمراد المنافقون وكرر ذكرهم للتاكيد
في التحذير من سوء فعالهم رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع الله
على قلوبهم حتى غفلوا عن وخامة العاقبة فهم لا يعلمون وتقدم
مثله يعتذرون اليكم يعني المنافقين في التخلف اذا رجعتم
اليهم من هذه السفرة قل لا تعتذروا بالمعاذير الكاذبة لن
نؤمن لكم اي لن نصدقكم لانه قد نبانا الله من اخباركم اي اخبرنا
ببعض سرائركم وسيرى الله عملكم ورسوله فيما تستانفون ثم
تردون الى عالم الغيب والشهادة اي الله فينبئكم بما كنتم تعملون
اي يجازيكم بعملكم سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم اي من
تبوك والمحلوف عليه محذوف اي يحلفون انهم ما قدروا على
الخروج لتعرضوا عنهم اي لتصفحوا عن لومهم فاعرضوا عنهم
قال ابن عباس اي لا تكلموهم وفي الخبر انه عليه الصلاة والسلام

قال

قال لما قدم من تبوك لا تجالسوهم ولا تكلموهم انهم رجس اي عملهم
رجس او انهم ذو رجس اي عملهم قبيح ومأواهم جهنم اي منزلهم
ومكانهم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لترضوا عنهم حلف
عبد الله بن ابي ان لا يتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد
ذلك وطلب ان يرضى عنه فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى
عن القوم الفاسقين ولا ينفع رضاكم مع سخط الله الاعراب اشد
كفرا ونفاقا من اهل الحضر قال قتادة لانهم ابعد عن معرفة السنن
وقيل لانهم اقسى قلبا واجفى قولا واغلظ طبعا وابعد عن سماع
التنزيل ابن عباس نزلت في اعراب اسد وغطفان واعراب من
حول المدينة واجدر اي اخلق واولى ان لا يعلموا ان في موضع
نصب بحذف الباء حدود ما انزل الله على رسوله اي فرائض الشرع
وقيل حجج الله في الربوبية وبعثة الرسل لقلة نظرهم والعرب
جيل من الناس والنسبة اليهم عربي وهم اهل الامصار والاعراب
منهم سكان البادية خاصة والنسبة الى الاعراب اعرابي والله
عليم بخلقه حكيم في صنعه ومن الاعراب من يتخذ اي يعد
ما ينفق مغرما مفعولان والتقدير ينفقه ومغرما غرما وخسرانا
اي يرون ما ينفقونه في جهاد وصدقة غرما لا يرجون عليه ثوابا
وانما ينفقه رياء وتقية وهم بنو اسد وغطفان ويتربص
بكم الدوائر التربص الانتظار والدوائر جمع دائرة وهي
الحالة المنقلبة عن النعمة الى البلية عليهم دائرة السوء قرئ
بالفتح وبالضم والفرق بينهما ان السوء بالفتح المكروه قال

الاخفش اي عليهم دايرة الهزيمة والشر الفوا عليهم دايرة العذاب والبلا
وعن ابن يزيد السوء بالفتح الرداء وقال الفرا السوء بالفتح مصدر والله
سميع لاقوال عباده عليم بافعالهم ومن الاعراب من يومن بالله واليوم
الاخر اي يصدق والمراد بنو مقرن من مزينة ويتخذ ما ينفق في سبيل
الله قربات عند الله جمع قربة وهي ما يتقرب بها الى الله وسيلة الى
صلوات الرسول اي استغفاره ودعاوه الا انها قربة لهم اي تقربهم
من رحمة الله يعني نفقاتهم وقرئ قربة بضم الراء واسكانها وهما
لغتان سيدخلهم الله في رحمته جنته ان الله غفور لاهل طاعته
رحيم بهم والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار قيل لانس
ابن مالك ارايت قول الناس لكم الانصار اسم سماكم الله به ام كنتم
تدعون به في الجاهلية قال بل اسم سمانا الله به في القران والسابقون
الاولون من المهاجرين والانصار هم الذين صلوا للقبلتين في قول ابن
المسيب وطايفة وفي قول اصحاب الشافعي هم الذين شهدوا بيعة
الرضوان وهي بيعة الحديبية وقيل هم اهل بدر وقيل جميع الصحابة
واتفقوا على ان من هاجر قبل تحويل القبلة فهو من الاولين واما
فضلهم فقال ابو منصور البغدادي اصحابنا مجمعون على ان افضلهم
الخلفا الاربعة ثم الستة الباقون من العشرة ثم البدريون ثم اصحاب
احد ثم اهل بيعة الرضوان بالحديبية واما اولهم اسلاما فابو بكر
وقيل علي وقيل زيد بن حارثة وقيل خديجة وجمع بعضهم بين هذه
الاقوال فقال اول من اسلم من الرجال ابو بكر ومن النسا خديجة
ومن الصبيان علي ومن الموالي زيد ومن العبيد بلال والمعروف من

طريقة

طريقة اهل الحديث ان كل مسلم اجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم فهو من الصحابة
والذين اتبعوهم باحسان في العمل قال الخطيب الحافظ التابعي من صحب
الصحابي واكبر التابعين الفقها السبعة من اهل المدينة وهم سعيد بن
المسيب والقاسم بن محمد وعروة بن الزبير وخارجة بن زيد وابو سلمة
ابن عبد الرحمن وعبد الله بن عتبة وسليمان بن يسار وبين تعالى بقوله
باحسان ما يتبعون فيه من افعالهم واقوالهم لا فيما صدر عنهم من
الهفوات والزلات اذ لم يكونوا معصومين رضي الله عنهم بقبول طاعتهم
وارتضا اعمالهم ورضوا عنه بما نالوا من نعمه الدينية والدنيوية واعد
لهم جنات تجري تحتها الانهار وقرئ بزيادة من خالدين فيها ابدا
ذلك الفوز العظيم وممن حولكم من الاعراب منافقون اي قوم منافقون
يعني من اسلم وغفار واشجع ومن اهل المدينة مردوا على النفاق
اي قوم مردوا على النفاق وقيل مردوا من نعت المنافقين فيكون في
الكلام تقديم وتاخير اي وممن حولكم من الاعراب منافقون مردوا
على النفاق ومن اهل المدينة مثل ذلك ومعنى مردوا اقاموا ولم يتوبوا
وقيل لجوا فيه وابو غيره واصل الكلمة من الملاسة والتجرد فكانهم تجردوا
للنفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم هو مثل قوله تعالى لا تعلمونهم الله يعلمهم
على ما تقدم وقيل المعنى لا تعلم يا محمد عاقبة امرهم سنعذبهم مرتين
قال ابن عباس بالامراض في الدنيا وعذاب الاخرة فمرض المومن كفارة
ومرض الكافر عقوبة وقيل العذاب الاول الفضيحة باطلاع النبي
صلى الله عليه وسلم عليهم والعذاب الثاني عذاب القبر وقال قتادة
عذاب الدنيا وعذاب القبر مجاهد الجوع والقتل الفرا القتل وعذا

القبر وقيل السبي والقتل وقيل الاول اخذ الزكاة من اموالهم والحدود
الحدود عليهم والثاني عذاب القبر وقيل غير هذا **ثم يردون**
في الاخرة **الي عذاب عظيم** هو النار **واخرون اعترفوا بذنوبهم**
خلطوا عملا صالحا واخر سيا اي ومن اهل المدينة وممن حولكم قوم
اقروا بذنوبهم وقال بعد ذلك واخرون مرجون لامر الله يحكم
فيهم بما يريد فالصنف الاول يحتمل انهم كانوا امنوا نفاقا وما
مردوا على النفاق ويحتمل انهم كانوا مومنين قال ابن عباس نزلت
في عشرة تخلفوا عن غزوة تبوك فاوثق سبعة منهم انفسهم في
سواري المسجد قال مجاهد نزلت في ابي لبابة الانصاري خاصة
في شانه مع بني قريظة وذلك انهم كلموه في النزول على حكم الله
ورسوله فاشار لهم الي حلقه يريد ان النبي صلى الله عليه وسلم
يذبحهم ان نزلوا فلما افتضح تاب وندم وربط نفسه في سارية
المسجد واقسم ان لا يطعم ولا يشرب حتى يعفو الله عنه او يموت
فمكث كذلك حتى عفى الله عنه ونزلت هذه الاية وامر رسول الله
صلى الله عليه وسلم بحله والجمهور ان الاية نزلت في شان المتخلفين
عن غزوة تبوك وكانوا ربطوا انفسهم كما فعل ابو لبابة وعاهدوا
الله ان لا يطلقوا انفسهم حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم
يطلقهم ويرضى عنهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم وانا اقسم
بالله لا اطلقهم ولا اعذرهم حتى اومر باطلاقهم رغبوا عني وتخلفوا
عن الغزو مع المسلمين فانزل الله هذه الاية فلما نزلت اطلقهم
وعذرهم فلما اطلقوا قالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا

عنك فتصدق بها عنا وطهرنا واستغفر لنا فقال ما امرت ان اخذ من
اموالكم شيا فانزل الله تعالى خذ من اموالهم صدقة قال ابن عباس
فاخذ ثلث اموالهم وكانت كفارة الذنوب التي اصابوها فكان عملهم
السي التخلف واما الصالح فقال الطبري وغيره الاعتراف والتوبة
والندم وقيل هو ربط انفسهم بسواري المسجد وقيل هو غزوهم
فيما سلف وهذه الاية وان كانت نزلت في اعراب فهي عامة الي
يوم القيمة فيمن له اعمال صالحة وسيئة فهي ترجى وفي الاية
احتباك اي خلطوا عملا صالحا بسيء واخر سيا بصالح **عسى الله ان**
يتوب عليهم ان الله غفور رحيم لهم بهم **خذ من اموالهم صدقة**
قيل هي صدقة الفرض وقيل هو مخصوص بمن نزلت فيه فان النبي
صلى الله عليه وسلم اخذ منهم ثلث اموالهم وتصدق بها والمال
عند بعض العرب الثياب والمتاع والعروض ولا يسمى العين مالا وجا
هذا في السنة الثابتة عن ابي هريرة قال خرجنا مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم عام خيبر فلم نغنم ذهبا ولا ورقا الا الاموال الثياب
والمتاع الي اخره وذهب غيرهم الي ان المال الصامت من الذهب
والورق وقيل الابل خاصة وقيل جميع الماشية قال ابو عمر والمعروف
من كلام العرب ان كل ما يتمول ويملك هو مال وفي الحديث يقول
ابن ادم مالي مالي وانما له من ماله ما اكل فافنى الخ والصدقة ماخوذة
من الصدق اذ هي دليل على صحة ايمان المتصدق وصدق باطنه
مع ظاهره **تطهرهم وتزكيهم بها** حالين للمخاطب لتقدير خذها
مطهرا لهم ومزكيا لهم بها ويجوز ان يكونا صفتين للصدقة اي

صدقة مطهرة ومزكية ويكون فاعل تزكيهم المخاطب ويعود الضمير الذي في بها على الموصوف المنكر وحكى النحاس ومكي ان تطهرهم من صفة الصدقة وتزكيهم بها حالا لان الضمير في خذ وهو النبي صلى الله عليه وسلم وقوله خذ من اموالهم صدقة مطلق غير مقيد بشرط في الماخوذ والماخوذ منه ولم يبين مقدار الماخوذ ولا الماخوذ منه وانما بيان ذلك في السنة والاجماع حسب ما هو مبين في الفروع وصل عليهم اي ادع لهم ولتضمنها معنى التعطف عديت بعلى روى مسلم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل عليهم الح ولذلك يسن للمصدق عليه ان يدعو للمتصدق عند اخذ صدقته لكن ليس له ان يصلي عليه واما صلاته صلى الله عليه وسلم على ال ابي اوفى فقيل مرخصا بصه وقيل لبيان الجواز او لانها منصبه فيتصدق بها على من يشا ان صلواتك وقرئ صلاتك لانه بمعنى الدعا فهو مصدر يقع على القليل والكثير وانما جمع لاختلاف انواعه وفي هو بمعنى العبادة كما سياتي سكن رحمة لهم اي اذا دعوت لهم حين ياتون بصدقاتهم سكن ذلك قلوبهم وفرحوا به وقال قتادة معناه وقار لهم وقيل طمانينة لهم ان الله قد قبل منهم ان الله سميع لهم عليم بهم الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده قيل قال الذين لم يتوبوا من المتخلفين هولا كانوا معنا بالامس لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم الان وما هذه الخاصة التي خصوا بها دوننا فنزلت فالضمير في يعلموا عايد الى الذين لم يتوبوا ويحتمل ان يعود الى الذين تابوا وربطوا انفسهم وقوله تعالى

هو

هو تاكيد لانفراده سبحانه بهذه الامور وتحقيق ذلك انه لو قال ان الله يقبل التوبة لاحتمل ان يكون قبول رسوله قبولا منه فبينت الاية ان ذلك مما لا يصل اليه نبي ولا ملك وتعديته بعن لتضمنه معنى التجاوز ويأخذ الصدقات اي يقبلها بين بها انه تعالى هو الاخذ لها والمثيب عليها وان الحق له سبحانه وتعالى والنبي صلى الله عليه وسلم واسطة فان توفي فعامله هو الواسطة بعده والله تعالى حي لا يموت وفي صحيح مسلم لا يتصدق احد بتمرة من كسب طيب الا اخذها الله بيمينه في رواية فتربو في كف الرحمن قبل ان تقع في كف السايل فيربيها كما يربي احدكم فلوه او فصيله الح قال العلما وهذا كناية عن القبول والجزا عليها وقد قيل ان معنى تربو في كف الرحمن عبارة عن كفة الميزان فيكون من باب حذف المضاف كانه قال فتربو في كفة ميزان الرحمن وان الله هو التواب على عباده الرحيم بهم والاستفهام للتقرير وقل اعملوا خطاب لهم او لجميع الناس ما شئتم فسيرى الله عملكم ورسوله والمومنون اي باطلاعه اياهم على اعمالكم وفي الخبر لو ان رجلا عمل في صخرة لا باب لها ولا كوة لخرج عمله الى الناس كاينا ما كان وستردون بالبعث الى عالم الغيب والشهادة وهو الله فينبيكم بما كنتم تعملون فيجازيكم به واخرون مرجون بالهمز وعدمه لامر الله نزلت في الثلاثة الذين تيب عليهم كعب ابن مالك وهلال بن امية من بني واقف ومرارة بن الربيع كانوا قد تخلفوا عن تبوك وكانوا مياسير ولم يبالغوا في الاعتذار كما فعل ابو لبابة واصحابه والتقدير ومنهم مرجون عن التوبة من ارجايه

وفي رواية حتى تكون اعظم من الجبل [illegible]

اي اخرته ومنه المرجئة لانهم اخروا العمل وقال المبرد لا يقال ارجيته
بمعنى اخرته ولكن يكون من الرجا اما يعذبهم بان يميتهم بلا توبة
واما يتوب عليهم اما في العربية لاحد امرين والله تعالى عالم
بمصير الاشيا ولكن المخاطبة للعباد على ما يعرفون اي ليكن امرهم عندكم
على الرجا لانه ليس للعباد اكثر من هذا وهي هنا للابهام والله عليم
بخلقه حكيم في صنعه بهم والذين اتخذوا مسجدا ضرارا اي ومنهم الذين
اتخذوا عطف جملة على جملة ويجوز ان يكون رفعا بالابتدا والخبر محذوف
كانه يعذبون او نحوه وقرى الذين بغير واو وهو رفع بالابتدا والخبر
لا تقم اي لا تقم في مسجدهم قاله الكسائي النحاس يكون خبرا للابتدا
لا يزال بنيانهم ونزلت في ابي عامر الراهب كان خرج الى قيصر وتنصر
ووعدهم قيصر انه سياتيهم فبنوا مسجد الضرار يرصدون مجيه فيه
قاله ابن عباس وغيره وقال اهل التفسير ان بني عمرو بن عوف اتخذوا
مسجد قبا وبعثوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان ياتيهم فاتاهم فصلى فيه
فحسدهم اخوانهم بنو غنم وكانوا من منافقي الانصار وقالوا نبني مسجدا
ونبعث الى النبي صلى الله عليه وسلم ياتينا فيصلي لنا كما صلى في مسجد
اخواننا ويصلي فيه ابو عامر الراهب اذا قدم من الشام فاتوا النبي
صلى الله عليه وسلم وهو يتجهز الى تبوك فقالوا يا رسول الله قد بنينا
مسجدا لذي الحاجة والليلة المطيرة ونحب ان تصلي لنا فيه فقال النبي
صلى الله عليه وسلم اني على سفر وحال شغل فلو قدمنا لاتيناكم وصلينا
لكم فيه فلما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم من تبوك اتوه وقد
فرغوا منه فدعا بقميصه ليلبسه وياتيهم فنزل عليه القران

بخبر مسجد الضرار فدعا النبي صلى الله عليه وسلم مالك بن الدخشم ومعن
ابن عدي وعامر بن السكن ووحشيا فقال انطلقوا الى هذا المسجد الظالم
اهله فاهدموه واحرقوه فخرجوا مسرعين وحرقوا المسجد وهدموه
وكان الذين بنوه اثني عشر رجلا من المنافقين ضرارا مفعول من اجله
وكفرا وتفريقا بين المومنين وارصادا عطف كله وقال اهل التاويل
ضرارا بالمسجد وليس للمسجد ضرار انما هو لاهله اي مضارة لاهل مسجد
قبا وفي الحديث لا ضرر ولا ضرار قيل هما بمعنى تكلم بهما على جهة
التاكيد وقيل الضرر الذي لك فيه منفعة وعلى جارك فيه مضرة
والضرار الذي ليس لك فيه منفعة وعلى جارك فيه المضرة وكفرا
لما كان اعتقادهم انه لا حرمة لمسجد قبا ولا لمسجد النبي صلى الله عليه وسلم
كفروا بهذا الاعتقاد قاله ابن العربي وقيل وكفروا اي بالنبي صلى الله
عليه وسلم وبما جا به وتفريقا بين المومنين اي يفرقون به جماعتهم
ليتخلف اقوام عن النبي صلى الله عليه وسلم وارصادا لمن حارب الله
ورسوله يعني ابا عامر الراهب وسمي بذلك لانه كان يتعبد ويلتمس
العلم فمات كافرا بقنسرين بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم فانه كان
قال للنبي صلى الله عليه وسلم لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم
فلم يزل يقاتله الى يوم حنين فلما انهزمت هوازن خرج الى الروم
يستنصر وارسل الى المنافقين وقال استعدوا بما استطعتم من
قوة وسلاح وابنوا مسجدا فاني ذاهب الى قيصر فات بجند من الروم
لاخرج محمدا من المدينة فبنوا مسجد الضرار وابو عامر هذا هو والد
حنظلة غسيل الملايكة والارصاد الانتظار تقول ارصدت كذا

اذا اعدده تهم تقربا به له من قبل اي من قبل مسجد الضرار وليحلفن ان
اردنا الا الحسنى اي ما اردنا ببنائه الا الفعلة الحسنى وهي الرفق
بالمسلمين كما ذكروا لذي العلة والحاجة وهذا يدل على ان الافعال
تختلف بالقصود والارادات ولذلك قال والله يشهد انهم لكاذبون
اي يعلم خبث ضمائرهم وكذبهم فيما يحلفون عليه لا تقم فيه يعني مسجد
الضرار اي لا تقم فيه للصلاة وقد يعبر عن الصلاة بالقيام
يقال فلان يقوم الليل اي يصلي وفي الحديث من قام رمضان الخ
وقد روي انه عليه الصلاة والسلام لما نزلت هذه الاية كان لا يمر
بالطريق التي فيها المسجد وامر بموضعه ان يتخذ مزبلة يلقى فيها
الجيف والاقذار والقمامات ابدا ظرف زمان غير متعدد كالحين
والوقت والدهر وهو وان كان ظرفا مبهما لا عموم فيه لكنه اذا اتصل
بلا النافية افاد العموم فلو قال لا تقم لكفى في الانكفاف المطلق
فاذا قال ابدا فكانه قال في وقت من الاوقات فاما النكرة في
الاثبات اذا كانت خبرا عن واقع لم تعم فاذا قال رجل لامراته
انت طالق ابدا طلقت طلقة واحدة لمسجد اسس على التقوى اي
بنيت جدره ورفعت قواعده والاس والاساس اصل البناء واللام
واللام في لمسجد لام قسم وقيل لام الابتداء والخبر من اول يوم
وضع يوم حللت بدار الهجرة والمسجد الذي اسس على التقوى هو مسجد
قبا وروي عن ابن عباس والضحاك والحسن وتعلقوا بقوله من اول يوم
فانه بني قبل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وقيل هو مسجد الرسول صلى
الله عليه وسلم قاله ابن عمر وابن المسيب ومالك والقول الاول

اليق بالقصة لقوله فيه رجال يحبون ان يتطهروا نزلت في اهل قبا كانوا
يستنجون بالماء قال قتادة لما نزلت هذه الاية قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لاهل قبا ان الله تعالى قد احسن عليكم الثنا في التطهر
فما تصنعون قالوا انا نغسل اثر الغايط والبول بالما رواه ابو داود
وهذا يدل على ان المسجد المذكور في الاية هو مسجد قبا وروى الترمذي
عن ابي سعيد الخدري قال تمارى رجلان في المسجد الذي اسس
على التقوى من اول يوم فقال رجل هو مسجد قبا وقال الاخر هو مسجد
النبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو مسجدي
حديث صحيح وهو نص من النبي صلى الله عليه وسلم على انه مسجده
فلا نظر معه احق منه ان تقوم فيه اي بان تقوم فهو في موضع نصب
واحق هو افعل من الحق وافعل لا يدخل الا بين شيئين مشتركين
لاحدهما في المعنى الذي اشتركا فيه مزية على الاخر فمسجد الضرار
وان كان باطلا لا حق فيه فقد اشتركا في الحق من جهة اعتقاد بانيه
او من جهة اعتقاد من كان يظن ان القيام فيه جائز للمسجدية لكن
احد الاعتقادين باطل باطنا عند الله والاخر حق باطنا وظاهرا
ومثل هذا اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا ومعلوم
ان الخيرية من النار مفقودة ولكنه جرى على اعتقاد كل فرقة انها
خير وان مصيرها اليه خير وليس هذا من قبيل العسل احلى من الخل
فان العسل وان كان حلوا فكل شيء ملايم فهو حلو الا ترى ان من
الناس من يقدم الخل على العسل مفردا بمفرد ومضافا الى غيره بمضاف
فيه رجال يحبون ان يتطهروا من المعاصي والخطايا المذمومة طلبا

لمرضاة الله تعالى وقيل من الجنابة فلا ينامون عليها وكانوا يستنجون بالماء
بعد الحجر كما تقدم والله يحب المطهرين اي يرضى عنهم ويدنيهم من جنابه
ادنا المحب حبيبه افمن اسس بنيانه اي اصل دينه وهو استفهام معناه
التقرير ومن بمعنى الذي وهي في موضع رفع بالابتدا وخبره خير
على تقوى من الله خير على قاعدة محكمة في التقوى من الله وطلب مرضاته
بالطاعة ام من اسس بنيانه على شفا طرف والشفا ايضا الحد وتقدم
بيانه وجرف بضم الرا وسكونها اي ليس له اصل وهو ما يتجرف بالسيول
من الاودية وهو جوانبها التي يتحفر بالما هار اي ساقط او مشرف على
السقوط يقال تهور البنا اذا سقط فانهار به في نار جهنم اي فسقط
الجرف بالبنيان في النار ويجوز ان يكون الضمير في به يعود على من
وهو الباني والتقدير فانهار من اسس بنيانه على غير تقوى او فانهار
البنيان مع بانيه واختلف هل ذلك حقيقة او مجاز على قولين
الاول ان ذلك حقيقة وان النبي صلى الله عليه وسلم اذ ارسل اليه
بهدم روي الدخان يخرج منه وقال بعضهم كان الرجل يدخل
فيه سعفة من سعف النخل فيخرجها سودا محترقة وذكر اهل التفسير
انه كان يحفر ذلك الموضع الذي انهار فيخرج منه دخان وقال جابر
ابن عبد الله انا رايت الدخان يخرج منه على عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم والقول الثاني ان ذلك مجاز والمعنى صار البنا في نار
جهنم فكانه انهار اليه وهوى فيه فهو تمثيل لما يؤول اليه والظاهر
الاول اذ لا احالة في ذلك والله لا يهدي القوم الظالمين الكافرين
والاستفهام للتقرير اي الاول خير وهو مسجد قبا لا يزال بنيانهم

الذي

الذي بنوا يعني مسجد الضرار ريبة اي شكا في قلوبهم ونفاقا قاله
ابن عباس وغيره وقال الكلبي حسرة وندامة لانهم ندموا على بنيانه
السدي وغيره حزازة وغيظا الا ان تقطع قلوبهم قال ابن عباس
اي تتصدع قلوبهم فيموتوا كقوله لقطعنا منه الوتين لان الحياة
تنقطع بانقطاع الوتين وقال سفيان الا ان يتوبوا عكرمة الا ان
تقطع قلوبهم في قبورهم والله عليم بخلقه حكيم في صنعه بهم
ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم قيل هذا تمثيل مثل
قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ونزلت الاية في
البيعة الثانية وهي بيعة العقبة الكبرى وهي التي اناف فيها
رجال الانصار على السبعين وذلك انهم اجتمعوا عند العقبة
فقال عبد الله بن رواحة يا رسول الله اشترط لربك ولنفسك ما شئت
فقال النبي صلى الله عليه وسلم اشترط لربي ان تعبدوه ولا تشركوا به
شيا واشترط لنفسي ان تمنعوني مما تمنعون منه انفسكم واموالكم
قالوا فاذا فعلنا ذلك فما لنا قال الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا
نستقيل فنزلت ان الله اشترى من المومنين الاية ثم هي بعد ذلك
عامة في كل مجاهد في سبيل الله الى يوم القيمة واصل الشرا بين
الخلق ان يعوضوا عما خرج من ايديهم ما كان نفع لهم او مثل ما
خرج عنهم في النفع فاشترى الله سبحانه من العباد اتلاف انفسهم
واموالهم في طاعته واعطاهم سبحانه الجنة عوضا عنها اذا
فعلوا ذلك وهو عوض عظيم لا يدانيه المعوض ولا يقاس به
فاجرى ذلك على مجاز ما يتعارفونه في البيع والشرا فمن العبد

تسليم النفس والمال ومن الله الثواب والنوال وانما قال اشترى من
المومنين ولم يقل باعهم الجنة لان البايع لا يخلو من احد امرين
اما ان يكون محتاجا او طالبا للربح والله تعالى ليس بمحتاج ولا طالب ربح قال
العلما فلما اشترى من المومنين البالغين المكلفين كذلك اشترى من الاطفال
فالمهم واسقمهم لما في ذلك من المصلحة وما فيه من الاعتبار للبالغين
فانهم لا يكونون عند شي اكثر صلاحا واقل فسادا منهم عند الم الاطفال
وما يحصل للوالدين الكافلين من الثواب فيما ينالهم من الهم وما يتعلق
بهم من التربية والكفالة ثم هو عز وجل يعوض هولا الاطفال
عوضا اذا صاروا اليه ونظير ذلك في الشاهد انك تكترى الاجير
ليبني ويتقل التراب وفي كل ذلك له الم واذى ولكن ذلك جايز
لما في علمه من المصلحة ولما يصل اليه من الاجرة **بان لهم الجنة** الباسنا
للمقابلة والتقدير باستحقاقهم الجنة **يقاتلون في سبيل الله** بيان
لما يقاتل له وعليه **فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا** مصدران
موكدان **في التوراة والانجيل والقران** اخبار من الله تعالى ان هذا
كان في هذه الكتب وان الجهاد ومقاومة الاعدا اصله من عهد موسى
عليه السلام وقرى فيقتلون بتقديم المبني للمفعول اي فيقتل
بعضهم ويقاتل الباقي **ومن اوفى بعهده من الله** اي لا احد اوفى
بعهده من الله فاما وعده فللجميع واما وعيده فمخصوص ببعض المذنبين
وببعض الذنوب وفي بعض الاحوال وتقدم هذا المعنى **فاستبشروا**
فيه التفات عن الغيبة **ببيعكم الذي بايعتم به** اي اظهروا السرور
بذلك والبشارة اظهار السرور في البشرة قال الحسن والله ما على

الارض

الارض مومن الا يدخل في هذه البيعة **وذلك** البيع **هو الفوز العظيم**
اي الظفر بالجنة والخلود فيها **التايبون** الاية التايبون هم الراجعون
عن الحالة المذمومة في معصية الله الى الحالة المحمودة في طاعة الله
والراجع الى الطاعة افضل من الراجع عن المعصية لجمعه بين الامرين
العابدون المطيعون الذين قصدوا بطاعتهم ربهم سبحانه **الحامدون**
اي الراضون بقضايه المصرفون نعمته في طاعته الذين يحمدونه على
كل حال **السايحون** اي الصايمون عن ابن مسعود وابن عباس وغيرهما
سفيان بن عيينة انما قيل للصايم سايح لانه يترك اللذات كلها
من المطعم والمشرب والنكاح او لانه رياضة نفسانية يتوصل بها
الى الاطلاع على خفايا الملك والملكوت وفي الحديث سياحة امتي
الصيام الزجاج ومذهب الحسن انهم الذين يصومون الفرض وقد
قيل انهم الذين يديمون الصيام وقال عطا السايحون المجاهدون
وقيل المهاجرون قال ابن زيد عكرمة هم الذين يسافرون لطلب
الحديث والعلم وقيل هم الجايلون بافكارهم في توحيد ربهم
وملكوته وما خلق من العبر والعلامات حكاه النقاش **الراكعون**
الساجدون يعني في الصلاة المكتوبة وغيرها **الامرون بالمعروف**
اي بالسنة وقيل بالايمان **والناهون عن المنكر** قيل عن البدعة وقيل
عن الكفر وقيل هو عموم في كل معروف ومنكر **والحافظون لحدود**
الله فيما بينه من الحقايق والشرايع والقايمون بما امر به والمنتهون
عما نهى عنه واختلف هل هذه الاية متصلة بما قبلها او منفصلة
فقال جماعة الاية الاولى مستقلة بنفسها يقع تحت تلك المبايعة

كل موحد قاتل في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا وان لم يتصف بهذه
الصفات في هذه الاية الثانية وقالت فرقة هذه الاوصاف جات
على جهة الشرط والايتان مرتبطتان فلا يدخل تحت المبايعة الا
المومنون الذين هم على هذه الاوصاف قاله الضحاك قال ابن عطية
وهذا القول تحريج وتضييق ومعنى الاية على ما تقتضيه اقوال العلما
انها اوصاف الكملة من المومنين ذكرها الله تعالى ليستبق اليها اهل التوحيد
حتى يكونوا في اعلى رتبة وقال الزجاج الذي عندي ان قوله التايبون
العابدون رفع بالابتدا وخبره مضمر اي التايبون العابدون الى
اخر الاية لهم الجنة ايضا واختلف في الواو في قوله والناهون عن
المنكر فقيل دخلت في صفة الناهين كما دخلت في قوله تعالى حم
تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب فذكر
بعضها بالواو والبعض بغيرها وهذا سايغ معتاد في الكلام ولا
يطلب لمثله حكمة ولا علة وقيل دخلت لمصاحبة الناهي عن المنكر
الامر بالمعروف فلا يكاد يذكر واحد منهما مفردا ودخلت في والحافظون
لقربه من المعطوف وقيل انها زايدة وهو ضعيف وقيل هي واو الثمانية
لان السبعة عند العرب عدد كامل **وبشر المومنين** يعني به
هولا الموصوفين ووضع المومنين موضع ضميرهم للتنبيه على ان
ايمانهم دعاهم الى ذلك وان المومن الكامل من كان كذلك وحذف
المبشر به للتعظيم **ما كان للنبي والذين امنوا** الاية روى مسلم
عن ابن المسيب لما حضرت ابا طالب الوفاة جاه رسول الله صلى الله
عليه وسلم فوجد عنده ابا جهل وعبد الله بن امية فقال رسول الله

صلى الله

صلى الله عليه وسلم يا عم قل لا اله الا الله كلمة اشهد لك بها عند الله فقال
ابو جهل وعبد الله بن امية يا ابا طالب ترغب عن ملة عبد المطلب فلم
يزل صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه ويعيد له تلك المقالة حتى قال
ابو طالب اخر ما كلمهم هو على ملة عبد المطلب وابى ان يقول لا اله
الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما والله لاستغفرن
لك ما لم انه عنك فانزل الله عز وجل ما كان للنبي والذين امنوا
ان يستغفروا للمشركين **ولو كانوا اولي قربى** ذوي قرابة **من بعد ما
تبين لهم انهم اصحاب الجحيم** النار بان ماتوا على الكفر فان قيل
قد صح ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم احد حين كسروا رباعيته
وشجوا وجهه اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون فكيف يجتمع هذا
مع منع الله تعالى رسوله والمومنين من الاستغفار للمشركين قيل
ان ذلك القول كان حكاية عمن تقدمه من الانبيا وفي البخاري
ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر نبيا قبله شجه قومه فجعل النبي
صلى الله عليه وسلم يخبر عنه بانه قال اللهم اغفر لقومي فانهم
لا يعلمون وهذا صريح في الحكاية عمن قبله لا انه قاله ابتدا عن
نفسه كما ظنه بعضهم وقيل المراد بالاستغفار في الاية الصلاة
قاله عطا وقيل ان الاستغفار للاحيا جايز لانه مرجو ايمانهم
ويمكن تالفهم بالقول الجميل اما من مات فقد انقطع عنه الرجا
وقال ابن عباس كانوا يستغفرون لموتاهم فنزلت فامسكوا عن
الاستغفار ولم ينههم ان يستغفروا للاحيا قال اهل المعاني
ما كان في القران ياتي على وجهين على النفي نحو قوله تعالى ما كان لكم

ان تذنبوا شجرة ما كان لنفس ان تموت الا باذن الله والاخر بمعنى النهي كقوله
ما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا
للمشركين وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة روى النسايي
عن علي قال سمعت رجلا يستغفر لابويه وهما مشركان فقلت اتستغفر
لهما وهما مشركان فقال اولم يستغفر ابرهيم لابيه فاتيت النبي صلى الله
عليه وسلم فذكرت له ذلك فنزلت والمعنى لا حجة لكم ايها المومنون
في استغفار ابرهيم لابيه فان ذلك لم يكن الا عن عدة وعن ههنا
معناها التعليل اي لاجل موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو
لله بان مات على الكفر او اوحي اليه بانه لن يومن تبرا منه اي قطع
استغفاره قال ابن عباس كان ابو ابرهيم وعد ابرهيم انه يومن بالله
ويخلع الانداد فلما مات على الكفر علم انه عدو لله فترك الدعا له فالكناية
في قوله اياه ترجع الى ابرهيم والواعد ابوه وقيل الواعد ابرهيم اي
وعد ابرهيم اباه ان يستغفر له فلما مات مشركا تبرا منه ودل على هذا
قوله ساستغفر لك ربي قال ابن العربي تعلق النبي صلى الله عليه وسلم
في الاستغفار لابي طالب بقوله تعالى ساستغفر لك ربي فاخبر الله
تعالى ان استغفار ابرهيم لابيه كان وعدا قبل تبين الكفر فلما
تبين له الكفر منه تبرا منه فكيف تستغفر انت يا محمد لعمك وقد
شاهدت موته كافرا انه ابرهيم لاواه حليم قال ابن مسعود الاواه
الدعا الذي يكثر الدعا وكان ابرهيم عليه السلام يقول اه من النار
قبل ان لا تنفع اه وقال مجاهد الاواه الفقيه وقيل هو المتضرع
الخاشع والحليم الكثير الحلم وهو الذي يصفح عن الذنوب ويصبر على

الاذى

الاذى وقيل الذي لم يعاتب احدا قط الا في الله ولم ينتصر من احد الا لله
وكان ابرهيم عليه السلام كذلك وكان اذا قام يصلي يسمع وجيب قلبه
على ميلين وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم اي ما كان الله ليوقع
الضلالة في قلوبهم بعد الهدى حتى يبين لهم ما يتقون اي فلا يتقوه
فعند ذلك يستحقون الاضلال وقال ابو عمرو بن العلا حتى يبين لهم
ما يتقون اي حتى يحتج عليهم بامره وقيل المعنى ما يسميهم ضلالا ولا يواخذهم
مواخذتهم بعد اذ هداهم للاسلام حتى يبين لهم حظر ما يجب
اتقاوه وفي الاية دليل على ان الغافل غير مكلف ان الله بكل شيء عليم
ومنه مستحق الاضلال والهداية ان الله له ملك السموات والارض
الاية لما منعهم من الاستغفار للمشركين ولو كانوا اولي قربى وتضمن
ذلك وجوب التبري عنهم بين لهم ان الله مالك كل موجود ومتولي
امره والغالب عليه ولا يتاتى لهم ولاية ولا نصرة الا منه ليتوجهوا
اليه ويتبروا مما عداه حتى لا يبقى لهم مقصود فيما ياتون ويذرون
سواه لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار اختلف في معنى
التوبة قال ابن عباس كانت التوبة على النبي صلى الله عليه وسلم لاجل
اذنه للمنافقين في القعود دليله قوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت
لهم وعلى المومنين من ميل قلوب بعضهم الى التخلف عنه وقيل
توبة الله عليهم استنقاذهم من شدة العسرة وخلاصهم من نكاية
العدو وعبر عن ذلك بالتوبة وان خرج عن عرفها لوجود معنى التوبة
فيه وهو الرجوع الى الحالة الاولى وقال اهل المعاني انما ذكر النبي
صلى الله عليه وسلم في التوبة لانه لما كان سبب توبتهم ذكر معهم

لقوله فان لله خمسه وللرسول وقيل هو بعث على التوبة والمعنى ما احد
الا وهو محتاج الى التوبة حتى النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرون
والانصار وما من احد الا وله مقام يستقصر دونه ما هو فيه والترقي
اليه توبة من تلك النقيصة وقيل المعنى ادام الله توبته على النبي
ومن ذكر معه **الذين اتبعوه في ساعة العسرة** اي وقت العسرة والمراد
جميع اوقات تلك الغزاة والعسرة صعوبة الامر قال جابر اجتمع
عليهم عسرة الظهر وعسرة الزاد وعسرة الما قال الحسن كان العشرة
من المسلمين يخرجون على بعير يعتقبونه بينهم وكان زادهم التمر
المتسوس والشعير المتغير وكان النفر يخرجون ما معهم الا التمرات
بينهم فاذا بلغ الجوع من احدهم اخذ التمرة فلاكها حتى يجد طعمها
ثم يعطيها صاحبه حتى يشرب عليها جرعة من ما كذلك حتى ياتي على
اخرهم فلا يبقى من التمرة الا النواة فمضوا مع النبي صلى الله عليه وسلم
على صدقهم ويقينهم وقال عمر وقد سيل عن ساعة العسرة خرجنا
في قيظ شديد فنزلنا منزلا اصابنا فيه عطش شديد حتى ظننا ان
رقابنا ستنقطع من العطش وحتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر
فرثه فيشربه ويجعل ما بقي على كبده فقال ابو بكر يا رسول الله ان
الله قد عودك في الدعا خيرا فادع لنا فرفع يديه فلم يرجعهما
حتى اظلت السما ثم سكبت فملاوا ما معهم ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها
جاوزت العسكر وروى ابو هريرة وابو سعيد قال كنا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فاصاب الناس مجاعة وقالوا
يا رسول الله لو اذنت لنا فنحرنا نواضحنا فاكلنا وادهنا فجاء عمر

التسوس يقع في البر وسائر طعام نبت وقود ودهنك احرى

وقال

وقال يا رسول الله ان فعلوا قل الظهر ولكن ادعهم بفضل ازوادهم
فادع الله عليها بالبركة لعل الله ان يجعل في ذلك قال نعم ثم دعا
بنطع فبسطه ثم دعا بفضل الازواد فجعل الرجل يجي بكف ذرة
ويجي الاخر بكف تمر ويجي الاخر بكسرة حتى اجتمع على النطع من ذلك
شي يسير قال ابو هريرة فحزرته قدر ربضة العنز فدعا رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالبركة وقال خذوا في اوعيتكم فاخذوا
في اوعيتهم حتى والذي لا اله الا هو ما بقي في العسكر وعا الا ملاوه واكل
القوم كلهم حتى شبعوا الخ وكان جيشه في غزاة تبوك ثلاثين الفا
وزيادة وهي اخر مغازيه وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في رجب
واقام بتبوك شعبان واياما من رمضان وبث سراياه وصالح اقواما
على الجزية **من بعد ما كاد تزيغ** قرى بيا التذكير وبتا التانيث **قلوب
فريق منهم** قلوب رفع بتزيغ عند سيبويه ويضمر في كاد ضمير الشان
تشبيها بكان لان الخبر يلزمها كما يلزم كان او ضمير القوم والعايد
عليه الضمير في منهم وتزيغ الخبر وان شيت رفعتها بكاد ويكون
التقدير من بعد ما كاد قلوب فريق منهم تزيغ ومعنى تزيغ تتلف
بالجهد والمشقة والشدة وقال ابن عباس تميل عن الحق في الممانعة
والنصرة وقيل من بعد ما هم فريق منهم بالتخلف والعصيان ثم
لحقوا به **ثم تاب عليهم** كرره تاكيدا وتنبيها على انه تاب عليهم
من اجل ما كابدوا من العسرة وقيل توبته عليهم ان تدارك
قلوبهم حتى لم تزغ وكذلك سنة الحق مع اوليايه اذا اشرفوا على
العطب ووطنوا انفسهم على الهلاك امطر عليهم سحايب الجود

فاجبي قلوبهم انه بهم رؤف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا عن التوبة
عليهم بقرينة حتى اذا ضاقت عليهم الارض عن مجاهد وقال قتادة
عن غزوة تبوك وقيل خلفوا ارجئوا واخروا عن المنافقين فلم يقض
فيهم بشيء وذلك ان المنافقين لم تقبل توبتهم واعتذر اقوام فقبل
عذرهم واخر النبي صلى الله عليه وسلم هولا الثلاثة حتى نزل فيهم القران
وهذا هو الصحيح كما رواه البخاري ومسلم واللفظ لمسلم قال كعب خلفنا
ايها الثلاثة عن امر اوليك الذين قبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين حلفوا له فبايعهم واستغفر لهم وارجى رسول الله صلى الله عليه وسلم
امرنا حتى قضى الله فيه فبذلك قال وعلى الثلاثة الذين خلفوا وليس
الذي ذكر تخلفنا من الغزو وانما هو تخليفه ايانا وارجاؤه امرنا عمن
حلف له واعتذر فقبل منه والثلاثة الذين خلفوا هم كعب بن مالك
ومرارة بن ربيعة العامري وهلال بن امية الواقفي من الانصار
وقد خرج البخاري ومسلم حديثهم وهو مشهور حتى اذا ضاقت عليهم
الارض بما رحبت اي بما اتسعت وما مصدرية اي برحبها لانهم مهجورين
لا يعاملون ولا يكلمون وضاقت عليهم انفسهم اي ضاقت صدورهم
بالهم والوحشة وبما لقوه من الصحابة من الجفوة وظنوا ان لا ملجا من
الله الا اليه اي تيقنوا ان لا ملجا يلجئون اليه في الصفح عنهم وقبول
التوبة منهم الا اليه ثم تاب عليهم بالتوفيق للتوبة ثم قيل ان ثم
زائدة وليست عاطفة لان مدخولها جواب اذا والصحيح انها عاطفة
وان اذا لمجرد الظرف او ان جوابها مقدر اي تاب عليهم وثم تاب
عليهم تاكيدا ومعناه استدام التوبة ليتوبوا اي ليستقيموا على

توبتهم

توبتهم ان الله هو التواب لمن تاب ولو عاد الرحيم المتفضل بالنعم يا ايها
الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين الامر بالكون من اهل
الصدق حسن بعد قصة الثلاثة حين نفعهم الصدق قال مطرف سمعت
مالك بن انس يقول قل ما يكون رجل صادقا لا يكذب الا متعه الله
بعقله ولم يصبه ما يصيب غيره من الهرم والخرف والمراد بالمومنين
هنا قيل من امن من اهل الكتاب وقيل جميع المومنين اي اتقوا مخالفة
امر الله وكونوا مع الصادقين الذين خرجوا مع النبي صلى الله عليه وسلم
لا مع المنافقين او كونوا على مذهب الصادقين وسبيلهم وهم الانبيا
اي كونوا معهم بالاعمال الصالحة في الجنة وقيل هم الموفون بما
عاهدوا وذلك كقوله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقيل
هم الذين استوت ظواهرهم وبواطنهم وفي الحديث عليكم بالصدق
فان الصدق يهدي الى البر وان البر يهدي الى الجنة الخ والصدق
عماد الامر وبه تمامه وفيه نظامه وهو تالي درجة النبوة قال
تعالى من النبيين والصديقين واقل الصدق استوا السر والعلانية
وقيل الصدق قول الحق في مواطن الهلكة وقيل الوفا لله بالعمل
ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول
الله اذا غزا ظاهره خبر ومعناه النهي وان يتخلفوا في موضع رفع
اسم كان وهذه معاتبة للمومنين من اهل يثرب وقبايل العرب
المجاورة لها كمزينة وجهينة واسلم وغفار واشجع على التخلف
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك اي ما كان لهولاء
ان يتخلفوا فان التعبير كان فيهم بخلاف غيرهم ويحتمل ان يكون

الاستغفار في كل مسلم وخص هولا بالعتاب لقربهم وجوارهم وانهم
احق بذلك من غيرهم ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه اي لا يرضوا
بالخفض والدعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم في المشقة ذلك
النهي عن التخلف بانهم اي بسبب انهم لا يصيبهم ظما اي عطش
ولا نصب اي تعب ولا زايدة للتوكيد وكذا ولا مخمصة اي مجاعة
واصله ضمور البطن في سبيل الله اي في طاعته ولا يطئون موطيا
اي ارضا وقيل هو مصدر اي وطيا يغيظ الكفار بوطيهم اياها
ولا ينالون من عدو نيلا قتلا او هزيمة او اسرا او نهبا الا كتب
لهم به عمل صالح قال ابن عباس بكل روعة تنالهم في سبيل الله
سبعين الف حسنة ان الله لا يضيع اجر المحسنين اي جزاوهم
فيثيبهم ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون
واديا بالسير الا كتب لهم ذلك ليجزيهم الله احسن ما كانوا
يعملون اي جزاوه وما كان المومنون لينفروا اي للغزو كافة
الجهاد فرض كفاية وليس على الاعيان ولو نفر الكل لضاع من وراءهم
من العيال فليخرج فريق منهم للجهاد وليقم فريق يتفقهون
في الدين ويحفظون الحرم وهذه الاية ناسخة لقوله تعالى الا
تنفروا الاية التي قبلها على قول مجاهد وابن زيد فلولا نفر قال
الاخفش اي فهلا نفر من كل فرقة قبيلة منهم طايفة اي جماعة
ومكث جماعة ليتفقهوا في الدين الضمير للمومنين قاله قتادة
ومجاهد وقال الحسن للفرقة النافرة واختاره الطبري ومعنى
ليتفقهوا في الدين اي يتبصروا ويتيقنوا بما يريهم الله

من

من الظهور على المشركين ونصرة الدين ولينذروا قومهم
من الكفار اذا رجعوا اليهم من الجهاد بتعليم ما تعلموه من الاحكام
لعلهم يحذرون فيخبرونهم بنصرة الله تعالى نبيه والمومنين
وانهم لا يدان لهم بقتالهم وقتال النبي صلى الله عليه وسلم
فينزل بهم ما ينزل باصحابهم من الكفار وقول مجاهد وقتادة
ابين اي ليتفقه الطايفة المتاخرة مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن النفور في السرايا قال ابن عباس فهذه مخصوصة
بالسرايا والتي قبلها بالنهي عن تخلف احد فيما اذا اخرج النبي صلى الله
عليه وسلم وهذا يقتضي الحث على طلب العلم والندب اليه دون
الوجوب والالزام اذ ليس ذلك في قوة الكلام وانما لزم طلب العلم
بادلته قاله ابن العربي وطلب العلم ينقسم قسمين فرض على
الاعيان كالصلاة والزكاة والصيام وفي هذا المعنى خط الحديث
المروي طلب العلم فريضة على كل مسلم وفرض على الكفاية
كتحصيل الحقوق واقامة الحدود والفصل بين الخصوم ونحوه اذ لا
يصح ان يتعلمه جميع الناس فتضيع احوالهم وتنقص او تبطل
معايشهم فتعين بين الحالتين ان يقوم به البعض من غير تعيين
وذلك حسب ما يسره الله لعباده وقسمه بينهم من رحمته ۝
وحكمته بسابق قدرته وكلمته وفضل العلم مشهور يايها الذين
امنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار عرفهم الله سبحانه كيفية
الجهاد وان الابتدا بالاقرب فالاقرب من العدو ولهذا بدا
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعرب فلما فرغ قصد الروم

وكانوا بالشام ابن زيد المراد بهذه الاية وقت نزولها العرب
فلما فرغ منهم نزل في الروم وغيرهم قاتلوا الذين لا يومنون
ابن عمر المراد بذلك الديلم قتادة الاية على العموم في قتال
الاقرب فالاقرب وليجدوا فيكم غلظة اي شدة وقوة وحمية وصبرا
على القتال واعلموا ان الله مع المتقين بالحراسة والاعانة والمعنى اغلظوا
عليهم واذا ما انزلت سورة من القران ماصلة فمنهم من يقول انكارا
واستهزاوالمراد المنافقون ايكم زادته هذه السورة ايمانا تصديقا
قال تعالى فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا بزيادة العلم الحاصل من
تدبر السورة وانضمام الايمان بها وبما فيها الى ايمانهم وهم يستبشرون
بنزولها لانه سبب لزيادة كمالهم وارتفاع درجاتهم وتقدم القول
في زيادة الايمان ونقصانه وكتب الحسن الى عمر بن عبد العزيز ان
للايمان سننا وفرايض من استكملها استكمل الايمان ومن لم يستكملها
لم يستكمل الايمان واما الذين في قلوبهم مرض اي شك وريب ونفاق
فزادتهم رجسا الى رجسهم اي كفرا الى كفرهم وشكا الى شكهم مضمومة
الى الكفر بغيرها وقال مقاتل اثما الى اثمهم وماتوا وهم كافرون اي
استحكم ذلك فيهم حتى ماتوا عليه اولا يرون قرئ بالياء خبرا عن
المنافقين وقرئ بالتاء خبرا عنهم وخطابا للمومنين انهم يفتنون
اي يختبرون قال مجاهد بالقحط والشدة وقال عطية بالامراض والاوجاع
وهي روايد الموت قتادة والحسن بالغزو والجهاد مع النبي صلى الله عليه
وسلم ويرون ما وعد الله من النصر في كل عام مرة او مرتين ثم
لا يتوبون لذلك ولا هم يذكرون ولا يعتبرون واذا ما انزلت

سورة

سورة نظر بعضهم الى بعض ماصلة والمراد المنافقون اذا حضروا
الرسول وهو يتلو قرانا انزل فيه فضيحتهم او فضيحة احد منهم جعل
ينظر بعضهم الى بعض نظر الراغب يقول هل يراكم من احد اذا تكلمتم
بهذا فينقله الى محمد وذلك جهل منهم بنبوته وان الله يطلعه على
ما يشا من غيبه وقيل ان نظر هنا بمعنى انبا وحكى الطبري عن بعضهم
ان نظر في هذه الاية موضع قال وقيل المعنى نظر بعضهم الى بعض
تغامزا بالعيون انكارا لها وسخرية او غيظا لما فيها من عيوبهم يقولون
هل يراكم من احد ان قمتم من حضرة الرسول فان لم يرهم احد
قاموا والا ثبتوا ثم انصرفوا اي انصرفوا عن طريق الاهتدا وذلك
انهم حين ما تبين لهم كشفه اسرارهم والاعلام بمغيبات امورهم
يقع لهم لا محالة تعجب وتوقف ونظر فلو اهتدوا لكان ذلك الوقت
مظنة لايمانهم فهم اذ يصممون على الكفر ويرتكبون فيه كانهم
انصرفوا عن تلك الحالة التي كانت مظنة النظر الصحيح والاهتدا
ولم يسمعوا قراة النبي صلى الله عليه وسلم سماع من يتدبره وينظر
في اياته وقيل المعنى انصرفوا عن حضرته مخافة الفضيحة صرف
الله قلوبهم دعا عليهم اي قولوا لهم هذا ويجوز ان يكون خبرا عن
صرفها عن الخير مجازاة لهم على فعلهم وهي كلمة يدعا بها كقوله
قاتلهم الله بانهم قوم لا يفقهون الحق لقلة تدبرهم والبا في قوله
بانهم صلة لصرف لقد جاكم رسول من انفسكم الخطاب للعرب
في قول الجمهور وهذا على جهة تعديد النعمة في ذلك اذ جاهم
بلسانهم وبما يفهمونه وقال الزجاج هي مخاطبة لجميع العالم

والمعنى لقد جاكم رسول من البشر والاول اصوب قال ابن عباس
ما من قبيلة من العرب الا ولدت النبي صلى الله عليه وسلم فكانه
قال يا معشر العرب لقد جاكم رسول من بني اسمعيل والقول الثاني اوكد
للحجة اذ هو بشر مثلكم لتفهموا عنه وتاتموا به من انفسكم تقتضي
مدحا لنسب النبي صلى الله عليه وسلم وانه من صميم العرب وخالصها
وقيل الخطاب للمومنين وقيل لاهل مكة لانهم يعرفونه ويتحققون
مكانته ويعلمون صدقه وامانته فلا يتهمونه بالكذب وترك
النصيحة لهم لكونه منهم وفي صحيح مسلم ان الله تعالى اصطفى
كنانة من ولد اسمعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش
بني هاشم واصطفاني من بني هاشم **عزيز عليه ما عنتم** اي
يعز عليه مشقتكم والعنت المشقة وقال ابن الانباري اصل العنت
التشديد اذا قالت العرب فلان يتعنت فلانا ويعنته فمرادها
يشدد عليه ويلزمه ما يصعب عليه اداوه وما في عنتم مصدرية
وهي ابتدا وعزيز خبر مقدم ويجوز ان يكون ما عنتم فاعلا بعزيز
وعزيز صفة للرسول وكذا **حريص عليكم** اي على ايمانكم وصلاح
شانكم **بالمومنين** منكم ومن غيركم **رءوف رحيم** عطف على الصفة
قال النحاس واحسن ما قيل في معناه مما يوافق كلام العرب ما حدثنا
احمد بن محمد الازدي قال حدثنا عبد الله بن محمد الخزاعي قال سمعت
عمرو بن علي يقول سمعت عبد الله بن داود الخريبي يقول في قوله تعالى
لقد جاكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم قال ان تدخلوا النار
قال ان تدخلوا الجنة والحرص على الشي الشح عليه ان يضيع وتلف

والرؤف

والرؤف المبالغة في الرافة والشفقة لا يهمه الا شانكم وهو القايم
بالشفاعة لكم فلا تهتموا بما عنتم ما اقمتم على سنته فانه لا يرضيه
الا دخولكم الجنة **فان تولوا** اي اعرض الكفار يا محمد بعد هذه
النعمة التي من الله عليهم بها او عن الايمان بك **فقل حسبي الله** اي
كافي الله تعالى **لا اله الا هو عليه توكلت** اي اعتمدت واليه فوضت
جميع اموري **وهو رب العرش العظيم** الملك العظيم او الجسم الاعظم
المحيط الذي تنزل منه الاحكام والمقادير وخص العرش لانه
اعظم المخلوقات فيدخل فيه ما دونه وفي ابي داود عن ابي الدردا
قال من قال اذا اصبح واذا امسى حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت
وهو رب العرش العظيم سبع مرات كفاه الله ما اهمه صادقا كان
بها او كاذبا **سورة يونس** مكية في قول الحسن وغيره
وقال ابن عباس الا ثلاث ايات فان كنت في شك الى اخرهن

بسم الله الرحمن الرحيم

الر ابن عباس معناه انا الله ارى الحسن وعكرمة الر قسم قتادة
اسم السورة والله اعلم بمراده بذلك **تلك ايات الكتاب الحكيم**
ابتدا وخبر اي تلك التي جرى ذكرها ايات الكتاب الحكيم قال
قتادة ومجاهد اراد التوراة والانجيل والكتب المتقدمة
فان تلك اشارة الى غايب مونث وقيل تلك بمعنى هذه والمراد
القران وهو اولى لانه لم يجر للكتب المتقدمة ذكر ولان الحكيم
من نعت القران والاضافة بمعنى من والحكيم المحكم بالحلال والحرام
والحدود والاحكام او الحاكم بين الناس بالحق وقيل بمعنى المحكوم

فيه بالعدل اي حكم الله فيه بالعدل والاحسان وايتا ذي القربى
وحكم فيه بالنهي عن الفحشا والمنكر وبالجنة لمن اطاعه وبالنار لمن
عصاه اكان للناس عجبا استفهام معناه الانكار والتوبيخ
والناس اهل مكة وعجبا خبر كان واسمها ان اوحينا الى رجل
منهم وهو في موضع رفع اي كان ايحاونا عجبا للناس قال ابن
عباس ان الكفار قالوا لما بعث محمد صلى الله عليه وسلم ان الله اعظم
من ان يكون رسوله بشرا وقالوا ما وجد الله من يرسله الا يتيم
ابي طالب فنزلت وقيل انما تعجبوا من ذكر البعث واللام للدلالة
على انهم جعلوه اعجوبة لهم فهو يجهون نحوه انكارهم واستهزايهم ان
مفسرة انذر الناس اي خوف الكافرين بالعذاب وبشر الذين امنوا
عمم الانذار اذ قل ما من احد ليس فيه ما ينبغي ان ينذر منه وخصص
البشارة اذ ليس للكفار ما يصح ان يبشروا به ان لهم اي بان لهم قدم
صدق عند ربهم قال ابن عباس قدم صدق منزل صدق وعنه ايضا
اجرا حسنا بما قدموا من اعمالهم وعنه ايضا سبق السعادة في الذكر الاول
وقاله مجاهد الزجاج درجة عليه قتادة سلف صدق الماوردي ان
يوافق صدق الطاعة صدق الجزا وقال الحسن وقتادة ايضا هو محمد
صلى الله عليه وسلم فانه شفيع مطاع يتقدمهم كما قال انا فرطكم
على الحوض وقال الترمذي قدمه صلى الله عليه وسلم في المقام المحمود
وعن الحسن ايضا مصيبتهم في النبي صلى الله عليه وسلم وقيل قوله
تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الاية مقاتل اعمالا قدموها
واختاره الطبري وحقيقته انه كناية عن السعي في العمل الصالح

فيكنى

فيكنى عنه بالقدم كما يكنى عن الانعام باليد وعن الثنا باللسان وقال ابو عبيدة
والكساي كل سابق من خير او شر فهو عند العرب قدم قال الكافرون
ان هذا لسحر مبين اي القران وقرئ لساحر اي الرسول صلى الله عليه
وسلم وتقدم معنى السحر وفيه اعتراف بانهم راوا منه امورا خارقة
للعادة معجزة اياهم عن المعارضة ان ربكم الله الذي خلق السموات
والارض في ستة ايام من ايام الدنيا اي في قدرها لانه لم يكن
ثم شمس ولو شا في لمحة والعدول عنه لتعليم خلقه التثبت ثم استوى
على العرش استوا يليق به يدبر الامر قال مجاهد يقضيه ويقدره
وحده ابن عباس لا يشركه في تدبير خلقه احد وقيل يبعث بالامر
اي بامره ويمضيه بجبريل للوحي وميكايل للقطر واسرافيل
للصور وعزرايل للقبض وحقيقته تنزيل الامور في مراتبها
على احكام عواقبها والامر اسم لجنس الامور ما من من زايدة شفيع
في موضع رفع والمعنى ما شفيع الا من بعد اذنه تقدم معنى
الشفاعة فلا يشفع احد نبي او غيره الا باذنه سبحانه وهذا رد على
الكفار في قولهم فيما عبدوه من دون الله هولا شفعاونا عند الله
فاعلم سبحانه ان احدا لا يشفع لاحد الا باذنه فكيف باصنام لا
تعقل وفيه اثبات الشفاعة لمن اذن له ذلكم الله ربكم اي ذلكم
الذي فعل هذه الاشيا من خلق السموات والارض ودبر الامر هو
ربكم لا رب لكم غيره فاعبدوه اي وحدوه واخلصوا له العبادة
افلا تذكرون وتنظرون في مخلوقاته فتستدلوا بها عليه اليه
الى الله مرجعكم رفع بالابتدا جميعا نصب على الحال ومعنى الرجوع

الى الله الرجوع الى جزايه وعد الله حقا مصدران منصوبان بفعلهما
المقدر اي وعد الله ذلك وعدا وحققه حقا صدقا لاخلف فيه انه
بالكسر استينافا وبالفتح على تقدير اللام يبدؤ الخلق اي من التراب
ثم يعيده اليه بجامعه يفنيه ثم يميته ثم يحييه للبعث ليجزي
ليثيب الذين امنوا وعملوا الصالحات بالقسط اي بالعدل والذين
كفروا لهم شراب من حميم اي ماء حار قد انتهى حره وعذاب اليم
اي موجع يخلص وجعه الى قلوبهم بما كانوا يكفرون اي بسبب
كفرهم وكان معظم قريش يعترفون بان الله خالقهم فاحتج عليهم
بهذا فقال من قدر على الابتدا قدر على الاعادة هو الذي جعل
الشمس ضياء اي مضيئة ولم تونث لانه مصدر او ذات ضياء
والقمر نورا اي منيرا او ذا نور والضيا ما يضي الاشيا والنور ما
يبين ومواضع من الضو وقيل ما بالذات ضو وما بالعرض نور فنبه
على انه خلق الشمس نيرة في ذاتها والقمر نيرا بعرض مقابلة الشمس
والاكتساب منها ويقال ان الشمس والقمر معنى وجوههما لاهل السموات
السبع وظهورهما لاهل الارضين السبع وقدره منازل اي ذا
منازل او قدر له منازل وهي التي ينزل القمر كل ليلة منها منزلة
وهي النجوم التي تسميها العرب الانوا وهي الشرطين والبطين والثريا
والدبران الخ ثم قيل المعنى وقدرهما فوحد ايجازا واختصارا
وقيل الاخبار عن القمر وحده اذ به تحصى الشهور التي عليها العمل في
المعاملات ونحوها والمنازل ثمانية وعشرون يوما ويومان للنقصان
والمحاق على ما باتي في يس لتعلموا بذلك عدد السنين والحساب

قال

قال ابن عباس لو جعل شمسين شمسا بالنهار وشمسا بالليل ليس فيهما ظلمة لم
يعلم عدد السنين وحساب الشهور ما خلق الله ذلك الا بالحق اي
ما اراد الله بخلق ذلك الا الحكمة والصواب واظهار الصنعة وحكمة
ودلالة على قدرته وعلمه يفصل الايات لقوم يعلمون يتدبرون
اي يبينها ليستدل بها على قدرته لاختصاص الليل بظلامه والنهار
بضيايه من غير استحقاق لها ولا ايجاب فيكون هذا هو دليلا على ان
ذلك بارادة مريد ان في اختلاف الليل والنهار بالذهاب والمجيء
والزيادة والنقصان وما خلق الله في السموات والارض من انواع
الكاينات قيل ان سبب نزولها ان اهل مكة سالوا اية فردهم الى
تامل مصنوعاته والنظر فيها قال ابن عباس لايات لقوم يتقون
اي يتقون الشرك ان الذين لا يرجون لقانا يرجون يخافون او
يطمعون فالرجا يكون بمعنى الخوف والطمع اي لا يخافون عقابا ولا يرجون
ثوابا وجعل لقا العذاب والثواب لقا الله تفخيما لهما وقيل يجري
اللقا على ظاهره وهو الروية اي لا يطمعون في رويتنا ورضوا
بالحياة الدنيا اي رضوا بها عوضا من الاخرة فعملوا لها واطمانوا
بها اي فرحوا بها وسكنوا اليها والذين هم عن اياتنا اي عن ادلتنا
غافلون لا يعتبرون ولا يتفكرون اولئك ماواهم اي مثواهم
ومقامهم النار بما كانوا يكسبون من الكفر والتكذيب والبا متعلقة
بمحذوف دل عليه الكلام اي جوزوا بما كانوا يكسبون ان الذين
امنوا اي صدقوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم
اي يزيدهم هدايته وقيل يهديهم الى مكان تجري من تحتهم الانهار

اي يهديهم الى الجنة وقيل يثبتهم مجاهد يهديهم بالنور على الصراط الى
الجنة الحسن يهديهم يرحمهم وقيل يهديهم الى ادراك الحقايق
كما قال عليه الصلاة والسلام من عمل بما علم اورثه الله علم ما لم يعلم
تجري من تحتهم الانهار قيل في الكلام واو محذوفة اي وتجري من
تحتهم اي من تحت بساتينهم وقيل من تحت اسرتهم وهذا احسن في
النزهة والفرجة **دعواهم فيها سبحانك اللهم** دعواهم مبتدا وسبحانك
منصوب على المصدر وهو تفسير الدعوى اي دعاوهم في الجنة ان
يقولوا سبحانك اللهم اي اذا ارادوا ان يسالوا شيا اخرجوا السوال
بلفظ التسبيح وقيل نداوهم الخدم ليا توهم بما شاووا وقيل ان
الدعا هنا بمعنى التمني قال تعالى ولهم فيها ما يدعون اي يتمنون
وتحيتهم فيها سلام اي تحية الله لهم او تحية الملايكة او تحية
بعضهم لبعض سلام **واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين**
قيل ان اهل الجنة اذا مر بهم الطير واشتهوه قالوا سبحانك اللهم فياتيهم
الملك بما اشتهوا فاذا اكلوا احمدوا الله فسوالهم بلفظ التسبيح
والختم بلفظ الحمد قال النحاس مذهب الخليل وسيبويه ان هذه
مخففة من الثقيلة والمعنى انه الحمد وقيل ان مفسرة **ولو يعجل**
الله للناس الشر استعجالهم اي كاستعجالهم **بالخير** قيل معناه
ولو عجل الله للناس العقوبة كما يستعجلون الثواب والخير لماتوا لانهم
خلقوا في الدنيا خلقا ضعيفا وليس هم كذا يوم القيمة لانهم
يوم القيمة يخلقون للبقا وقيل المعنى لو فعل الله مع الناس
في اجابته الى المكروه مثل ما يريدون فعله معهم في اجابته الى

الخير

الخير لاهلكهم وهو معنى **لقضي اليهم اجلهم** قري بالبنا للمفعول ورفع
اجلهم وبالبنا للفاعل ونصب اجل وقيل انه خاص بالكافر اي
ولو يعجل الله للكافر العذاب على كفره كما عجل له خير الدنيا من
المال والولد لعجل له قضا اجله ليستعجل عذاب الاخرة قاله ابن
اسحق مقاتل هو قول النضر بن الحارث اللهم ان كان هذا هو الحق
من عندك الاية وقال مجاهد نزلت في الرجل يدعو على نفسه او
ماله او ولده اذا غضب فلو استجيب ذلك منه كما يستجاب الخير لقضي
اليهم اجلهم فالاية نزلت ذامة لخلق ذميم هو في بعض الناس
يدعون في الخير فيريدون تعجيل الاجابة ثم يحملهم احيانا سوء الخلق
على الدعا في الشر فلو عجل لهم لهلكوا **فنذر نترك الذين لا**
يرجون لقانا معطوف على محذوف اي لا نعجل لهم الشر فربما يتوب
منهم تايب او يخرج من اصلابهم مومن **في طغيانهم يعمهون**
اي يتحيرون والطغيان العلو والارتفاع **واذا مس الانسان**
الضر المرض والفقر قيل الانسان هنا الكافر وهو ابو حذيفة بن المغيرة
دعانا لازالته **لجنبه** اي على جنبه مضطجعا وقيل اللام في لجنبه
على اصلها عند البصريين والتقدير دعانا ملقى لجنبه **او قاعدا**
او قايما اي في جميع حالاته وبدا بالمضطجع لانه بالضر اشد في
غالب الامر فهو يدعو اكثر واجتهاده اشد ثم القاعد ثم القايم
فلما كشفنا عنه ضره مر اي استمر على كفره ولم يشكر ولم يتعظ
القرطبي وهذه صفة كثير من المخلطين الموحدين اذا اصابته العافية
مر على ما كان عليه من المعاصي فالاية تعم الكافر وغيره **لم يدعنا**

الى ضر مسه اي الى كشف ضر مسه كذلك اي كما زين لهذا الدعا عند
البلا والاعراض عند الرخا زين للمسرفين اي المشركين ما كانوا يعملون
اي اعمالهم من الكفر والمعاصي وهذا التزيين يجوز ان يكون من الله
وان يكون من الشيطان قال تعالى وكذلك زينا لكل امة عملهم وقال
وزين لهم الشيطان اعمالهم على ما تقدم في ال عمران ولقد اهلكنا
القرون من قبلكم متعلق باهلكنا وليس بحال من القرون لانه زمان
والمراد الامم الماضية من قبل اهل مكة اهلكناهم لما ظلموا اي
كفروا واشركوا وجاءتهم يجوز ان يكون حالا اي قد جاءتهم ويجوز
ان يكون معطوفا على ظلموا رسلهم بالبينات اي بالمعجزات الواضحات
والبراهين النيرات وما كانوا ليؤمنوا عطف ظلموا اي اهلكناهم
لعلمنا انهم لا يومنون بخوف كفار مكة عذاب الامم الماضية
اي نحن قادرون على اهلاك هولاء بتكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم
ولكن نمهلهم لعلمنا بان فيهم من يومن او يخرج من اصلابهم من
يومن وقيل معنى وما كانوا ليومنوا اي جازاهم على كفرهم بان طبع
على قلوبهم ويدل على هذا انه قال كذلك نجزي القوم المجرمين
اي كل مجرم او نجزيكم بوضع المظهر موضع المضمر للدلالة على كمال
جرمهم ثم جعلناكم يا اهل مكة خلائف مفعولان والخلائف جمع
خليفة اي جعلناكم سكانا في الارض من بعدهم اي من بعد القرون
المهلكة لننظر نصب بلام كي اي ليقع منكم ما تستحقون به الثواب
والعقاب ولم يزل يعلمه غيبا وقيل يعاملكم معاملة المختبر
اظهارا للعدل او هذا النظر راجع الى الرسل اي لينظر رسلنا

واولياونا

واوليا ونا كيف نصب بقوله تعملون لان الاستفهام له صدر الكلام
فلا يعمل فيه ما قبله اي يعملون في الارض وهل تعتبرون بهم
فنصدق قول رسلنا واذا تتلى عليهم اياتنا القران بينات نصب على
الحال اي واضحات لا لبس فيها ولا اشكال قال الذين لا يرجون
لقانا يعني لا يخافون يوم البعث والحساب او لا يرجون الثواب
قال قتادة يعني مشركي اهل مكة ايت بقران غير هذا اي بكتاب
اخر نقروه ليس فيه ما نستبعده او بدله من تلقا نفسك واختلف
في معنى قولهم على اوجه احدها انهم سالوه ان يحول الوعد وعيدا
والوعيد وعدا والحلال حراما والحرام حلالا قاله ابن جرير الطبري
الثاني سالوه ان يسقط ما في القران من عيب الهتهم وتسفيه
احلامهم قاله ابن عيسى الثالث انهم سالوه اسقاط ما فيه من ذكر
البعث والنشور قاله الزجاج قل يا محمد ما يكون اي ما يصح لي ان
ابدله من تلقا نفسي ومن عندي كما ليس لي ان القاه بالرد والتكذيب
فان قيل ما وجه نقض الجواب عن السوال فانه اجاب عن التبديل دون
الاختراع قال الزمخشري لان التبديل في امكان البشر دون الاختراع
فطوى ذكره للتنبيه على انه سوال محال وقال غيره التبديل اسهل
من الاختراع وقد نفى امكانه فالاختراع اولى ان اتبع الا ما
يوحى الي اي لا اتبع الا ما اتلوه عليكم من وعد ووعيد وتحليل
وتحريم وامر ونهي اني اخاف ان عصيت ربي اي ان خالفت
في تبديله وتغييره او في ترك العمل به عذاب يوم عظيم يعني
يوم القيمة قل لو شا الله ما تلوته عليكم ولا ادراكم به اي لو شا

الله ما ارسلني اليكم فتلوت عليكم القران ولا اعلمكم الله به وفي الدراية
معنى الختل ومنه داريت الرجل اي ختلته ولهذا لا يطلق الداري
في حق الله تعالى وايضا عدم فيه التوقيف ولانا فيه عطف على ما قبله
وقري ولا ادراكم به بغير الف بين اللام والهمزة والمعنى ولو شا الله ن
لاعلمكم به من غير ان اتلوه عليكم او على لسان غيري فهي لام التوكيد
جواب لو فقد لبثت فيكم عمرا ظرف اي مكثت مقدارا من الزمان
وهو اربعون سنة من قبله اي من قبل القران تعرفونني بالصدق
والامانة اي لا اقرا ولا اكتب ثم جيتكم بالمعجزات افلا تعقلون
ان هذا لا يكون الا من عند الله لا من قبلي وقيل معنى لبثت فيكم
عمرا اي فيكم مدة شبابي لم اعص الله افتريدون مني الان وقد
بلغت اربعين سنة ان اخالف امر الله واغير ما ينزله علي فمن اظلم
ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته هذا استفهام بمعنى الجحد
اي لا احد اظلم ممن افترى على الله الكذب وبدل كلامه واضاف شيا
اليه مما لم ينزله وكذلك لا احد اظلم منكم اذا انكرتم القران وافتريتم
على الله الكذب وقلتم ليس هذا كلامه وهذا مما امر به الرسول صلى الله
عليه وسلم ان يقوله لهم وقيل هو من قول الله ابتدا وقيل المفتري
المشرك والمكذب بالايات اهل الكتاب انه لا يفلح المجرمون المشركون
ويعبدون من دون الله اي غيره ما لا يضرهم ولا ينفعهم يريد
الاصنام والمعنى ما لا يضرهم ان لم يعبدوه ولا ينفعهم ان عبدوه
ويقولون عنها هولاء شفعاونا عند الله هذه غاية الجهالة منهم
حيث ينتظرون الشفاعة في المال ممن لا يوجد منه نفع ولا ضر في

الحال

الحال وقيل شفعاونا اي تشفع لنا عند الله في اصلاح معاشنا في الدنيا
قل اتنبيون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض اي اتخبرون
ان له شريكا في ملكه او شفيعا بغير اذنه والله لا يعلم لنفسه شريكا
في السموات ولا في الارض لانه لا شريك له فلذلك لا يعلمه نظيره
اتنبيونه بما لا يعلم والاستفهام للانكار ثم نزه نفسه وقدسها
عن الشريك فقال سبحانه وتعالى عما يشركون معه وما كان الناس
الا امة واحدة على دين واحد وهو الاسلام من لدن ادم الى نوح فاختلفوا
وقال الزجاج هم العرب كانوا على الشرك وقيل كل مولود يولد على الفطرة
فاختلفوا عند البلوغ او فاختلفوا باتباع الهوى والاباطيل او
ببعثة الرسل فتبعتهم طايفة وتاخرت اخرى ولولا كلمة سبقت
من ربك اشارة الى القضا والقدر اي لولا ما سبق في حكمه انه لا
يقضي بينهم فيما اختلفوا فيه بالثواب والعقاب دون القيمة لقضي
بينهم اي الناس فيما فيه يختلفون من الدين في الدنيا فادخل
المومنين الجنة باعمالهم والكافرين النار بكفرهم ولكنه سبق من الله
الاجل مع علمه بصنيعهم فجعل موعدهم القيمة قاله الحسن وقال
ابو روق لقضي بينهم لاقام عليهم الساعة وقال الكلبي الكلمة ان
الله اخر هذه الامة فلا يهلكهم بالعذاب في الدنيا الى يوم القيمة
وقيل الكلمة السابقة انه لا ياخذ احدا الا بحجة وهو ارسال الرسل
كما قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقيل الكلمة قوله
سبقت رحمتي غضبي ولولا ذلك لما اخر العصاة الى التوبة
ويقولون لولا هلا انزل عليه اية من ربه يريد اهل مكة

اي هلا انزل عليه معجزة غير هذه المعجزة كما للانبيا فيجعل لنا الجبال ذهبا
ويكون له بيت من زخرف ويحيى لنا من مات من ابائنا وقال موسى
عصي كعصى موسى **فقل انما الغيب** ما غاب عن العباد **لله** اي قل يا محمد
ان نزول الاية غيب **فانتظروا** اي تربصوا **اني معكم من المنتظرين**
لنزولها وقيل انتظروا قضا الله بيننا باظهار المحق على المبطل **واذا**
اذقنا الناس يريد كفار مكة **رحمة من بعد ضرا مستهم** قيل رخا بعد
شدة وخصب بعد جدب **اذا لهم مكر في اياتنا** اي استهزا وتكذيب
وقيل المكر اضافة النعم لغير الله كقولهم مطرنا بنوء كذا وجواب اذا
اذقنا اذا لهم على قول الخليل وسيبويه **قل الله اسرع مكرا** نصب على
البيان اي اعجل عقوبة على جزا مكرهم اي ان ما ياتيهم من العذاب
اسرع في اهلاكهم مما اتوه من المكر **ان رسلنا يكتبون ما تمكرون**
يعني بالرسل الحفظة وفيه تنبيه على ان ما يخفونه لا يخفى على الحفظة
فضلا على ان يخفى على الله وقري تمكرون بالتا على الخطاب وباليا
لقوله اذا لهم مكر قيل قال ابو سفيان قحطنا بدعايك فان سقيتنا
صدقناك فسقوا باستسقايه صلى الله عليه وسلم فلم يومنوا فهذا
مكرهم **هو الذي يسيركم** من السير اي يحملكم **في البر** على الدواب
وفي البحر على الفلك وقال الكلبي يحفظكم في السير وقري ينشركم
بالنون والشين اي يبثكم ويفرقكم **حتى اذا كنتم في الفلك**
الفلك يقع على الواحد والجمع ويونث ويذكر **وجرين بهم** خروج
من الخطاب الي الغيبة والاصل بكم ونكتة العدول عن خطابهم
حكاية حالهم لغيرهم والتعجب من كفرهم وفعلهم اذ لو استمر على

خطابهم

خطابهم لفاتت تلك الفايدة وقيل لان الخطاب اولا كان مع الناس
مومنهم وكافرهم بدليل هو الذي يسيركم في البر والبحر فلو قال وجرين
بكم للزم الذم للجميع فالتفت عن الاول للاشارة الي اختصاصه
بهولا الذين شانهم ما ذكر عنهم في اخر الاية عدولا من الخطاب
العام الي الخطاب الخاص وقيل غير هذا **بريح طيبة وفرحوا بها**
اي بتلك الريح **جاتها ريح عاصف** الضمير في جاتها للسفينة وقيل
للريح الطيبة اي تلقتها والعاصف الشديد وقال عاصف بالتذكير
لان لفظ الريح مذكر والطيبة غير عاصف ولا بطيئة **وجاءهم**
الموج من كل مكان الموج ما ارتفع من الما **وظنوا** اي ايقنوا **انهم**
احيط بهم اي احاط بهم البلا يقال لمن وقع في بلية احيط به
واصل هذا ان العدو اذا احاط بموضع فقد هلك اهله **دعوا الله**
مخلصين له الدين اي دعوه وحده وتركوا ما كانوا يعبدون
وفي هذا دليل على ان الخلق جبلوا على الرجوع الي الله تعالى في
الشدايد وان المضطر يجاب دعاوه وان كان كافرا لانقطاع عن
الاسباب ورجوعه الي الواحد رب الارباب **لين انجيتنا** على
ارادة القول واللام للقسم **من هذه** اي من هذه الشدايد والاهوال
وقال الكلبي من هذه الريح **لنكونن من الشاكرين** اي من الموحدين
وقيل من العاملين بطاعتك على نعمة الخلاص **فلما انجاهم** اي
خلصهم وانقذهم **اذا هم يبغون في الارض** اي يعملون في
الارض بالفساد وبالمعاصي والبغي الفساد والشرك من بغي الجرح
فسد واصله الطلب اي يطلبون الاستعلا بالفساد **بغير الحق**

اي بالتكذيب مبطلين فيه وهو احتراز عن تخريب المسلمين ديار الكفرة ن
واحراق زروعهم وقطع اشجارهم فانه افساد بحق يا ايها الناس انما
بغيكم على انفسكم اي وباله عايد اليكم وتم الكلام ثم ابتدا فقال
متاع الحياة الدنيا قرئ بالرفع اي هو متاع الحياة ولا بقاله قال
النحاس بغيكم رفع بالابتدا وخبره متاع الحياة الدنيا وعلى انفسكم
مفعول معنى فعل البغي وعن سفيان بن عيينة انه قال اراد ان
البغي متاع الحياة الدنيا اي عقوبته تعجل لصاحبه في الدنيا كما
يقال البغي مصرعة وقرئ متاع بالنصب مصدر اي يتمتعون متاع
الحياة الدنيا ثم الينا مرجعكم الاية تقدم انما مثل الحياة الدنيا
معنى الاية التشبيه التمثيلي اي صفة الحياة الدنيا في فنائها وزوالها
وقلة خطرها والملاذ بها كماء اي مثل ماء فالكاف في موضع رفع انزلناه
من السماء نعت لماء فاختلط روي عن نافع انه وقف على فاختلط اي
فاختلط الماء بالارض ثم ابتدا به نبات الارض اي بالماء نبات الارض
فاخرجت الوانا من النبات فنبات على هذا ابتدا وعلى مذهب من لم
يقف على فاختلط مرفوع باختلط اي اختلط النبات بالمطر اي شرب
منه فتندا وحسن فاخضر والاختلاط تداخل الشي بعضه في بعض
مما ياكل الناس من الحبوب والثمار والبقول والانعام من الكلا
والتبن حتى اذا اخذت الارض زخرفها اي حسنها وزينتها
والزخرف كمال حسن الشي ومنه قيل للذهب زخرف وازينت اي
بالحبوب والثمار والازهار الملونة والاصل تزينت ادغمت التاء
في الزاي وجي بالف الوصل وظن اهلها اي ايقن انهم قادرون عليها

اي

اي متمكنون من حصادها والانتفاع بها اخبر عن الارض والمعنى النبات
اذ كان مفهوما وهو منها وقيل رد الى الغلة وقيل الى الزينة اتاها
امرنا اي عذابنا او امرنا بهلاكها ليلا او نهارا ظرفان واو هنا للابهام
على السامع مثل قول ابي الاسود احب محمدا حبا شديدا وعباسا وحمزة
او عليا فان يك حبهم رشدا اصبه ولست بمخطئ ان كان غيا ولم
يشك ابو الاسود ان حبهم رشد وانما قصد الابهام فجعلناها
اي زرعها حصيدا مفعولان اي محصودة مقطوعة لا شي فيها وقال
حصيدا ولم يونث لان فعيلا بمعنى مفعول كان مخففة لم تغن
بالامس اي كانها لم تكن عامرة من غني بالمكان اذا اقام فيه وعمره ن
والامس هنا يراد به الزمان الماضي لا حقيقة امس الذي هو قبل يومك
فاذا اريد به ذلك كان معربا وكان بلا الف ولام ولا اضافة والمغاني
المنازل التي يعمرها الناس وقال قتادة كان لم تنعم فكما يهلك هذا الزرع
هكذا الدنيا كذلك نفصل الايات اي نبينها لقوم يتفكرون في
ايات الله والله يدعو الى دار السلام اي ان الله لا يدعوكم الى جمع الدنيا
بل يدعوكم الى الطاعة فتصيروا الى دار السلام اي الجنة قال قتادة
والحسن السلام هو الله وداره الجنة وسميت الجنة دار السلام لان من
دخلها سلم من الافات ومن اسمايه سبحانه وتعالى السلام وقيل والله
يدعو الى دار السلامة وقيل اراد والله يدعو الى دار التحية لان
اهلها ينالون من الله التحية والسلام قال يحيى بن معاذ يا ابن ادم
دعاك الله الى دار السلام فانظر من اين تجيبه فان اجبته من
دنياك دخلتها وان اجبته من قبرك منعتها ويهدي من يشا الى

صراط مستقيم عم بالدعوة اظهارا للحجة وخص بالهداية استغناء عن
خلقه والصراط المستقيم قيل كتاب الله وقيل الاسلام وقيل الحق
قاله قتادة ومجاهد وقيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحباه
من بعده ابو بكر وعمر رضي الله عنهما وفي تعميم الدعوة وتخصيص
الهداية بالمشيئة دليل على ان الامر غير الارادة وان المصر على
الضلالة لم يرد الله رشده للذين احسنوا الحسنى وزيادة روي
من حديث انس قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله للذين
احسنوا الحسنى وزيادة فقال للذين احسنوا العمل في الدنيا الحسنى
الجنة والزيادة النظر الى وجه الله الكريم وهو قول ابي بكر الصديق
وعلي بن ابي طالب رضي الله عنهما وحذيفة وعبادة بن الصامت وكعب
ابن عجرة وابو موسى وصهيب وابن عباس وهو قول جماعة من التابعين
وهو الصحيح في الباب وروى مسلم في صحيحه عن صهيب عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال الله تعالى تريدون
شيئا ازيدكم فيقولون الم تبيض وجوهنا الم تدخلنا الجنة وتنجنا
من النار قال فيكشف الحجاب فما اعطوا شيئا احب اليهم من النظر الى
ربهم سبحانه وتعالى وفي رواية ثم تلا للذين احسنوا الحسنى
وزيادة وقال عبد الرحمن بن سابط الحسنى البشرى والزيادة
النظر الى الله عز وجل قال تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها
ناظرة وفي الصحيحين ان الناس قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا
يوم القيمة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضارون في
القمر ليلة البدر قالوا لا يا رسول الله قال فهل تضارون في الشمس

ليس

ليس دونها سحاب قالوا لا قال فانكم ترون ربكم كذلك الخ وفيه
ان ذلك قبل دخول الجنة ويحصل بان ينكشف انكشافا تاما بان
يرى بنور لا عين زائدا على نور العلم او بان يخلق الله لنا علما به
عند توجه الحاسة عادة منزها عن المقابلة والجهة والمكان وقيل
الزيادة ان تمر السحابة باهل الجنة فتمطرهم من كل النوادر التي لم
يروها وتقول يا اهل الجنة ما تريدون ان امطركم فلا يريدون
شيئا الا امطرتهم اياه وقيل غير هذا ولا يرهق قيل معناه
يلحق ومنه قيل غلام مراهق فالحق بالرجال وقيل يعلو وقيل يغشى
وجوههم قتر اي غبار وواحد القتر قترة ومنه قوله تعالى ترهقها
قترة ولا ذلة اي مذلة كما يلحق اهل النار اي لا يلحقهم غبار في
محشرهم الى الله ولا يغشاهم ذلة وقيل قتر كآبة وكسوف وقال
ابن عباس القتر سواد الوجوه ابن بحر دخان النار ومنه قتار القدر
اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون اي دائمون لا زوال فيها ولا
انقراض لنعيمها والذين كسبوا السيئات اي عملوا المعاصي وقيل
الشرك جزاء سيئة بمثلها جزاء مرفوع بالابتداء وخبره بمثلها وقال
ابن كيسان الباء زائدة والمعنى جزاء سيئة مثلها ويجوز ان يكون جزا
مرفوعا على تقدير فلهم جزاء سيئة فيكون مثل قوله فعدة من
ايام اي فعليه عدة والباء على هذا تتعلق بمحذوف اي لهم جزا
سيئة ثابت بمثلها ومعنى المثلية ان ذلك الجزاء مما يعد مماثلا
لذنبهم اي هم غير مظلومين وفعل الرب غير معلل بعلة وترهقهم
ذلة اي يغشاهم هوان وخزي ما لهم من الله اي من عذاب الله

من زايدة عاصم اي مانع يمنعهم منه كانما اغشيت اي البست
وجوههم قطعا بفتح الطا جمع قطعة وعلى هذا يكون مظلما
حالا من الليل اي اغشيت وجوههم قطعا من الليل في حال ظلمته
وقري قطعا باسكان الطا فمظلما على هذا نعت ويجوز ان يكون
حالا من الليل والقطع اسم ما قطع فسقط وقال ابن السكيت القطع
طايفة من الليل اوليك اصحاب النار هم فيها خالدون واذكر يوم
نحشرهم اي الخلق جميعا حال ثم نقول للذين اشركوا اي اتخذوا
مع الله شركا مكانكم هو ظرف مبني لوقوعه موقع الامر اي الزموا
واثبتوا مكانكم وقفوا مواضعكم حتى تنظروا ما يفعل بكم انتم
تاكيد وشركاوكم اي الاصنام وهذا وعيد فزيلنا ميزنا بينهم
وبين المومنين كما قال في اية وامتازوا اليوم ايها المجرمون وقيل
فرقنا وقطعنا ما كان بينهم من التواصل في الدنيا والمزايلة المفارقة
يقال لا ازايل فلانا اي لا افارقه فان قلت لا ازاوله فهو بمعنى
لا اخاتله وقال لهم شركاوهم ما كنتم عني بالشركا الملايكة
وقيل الشياطين وقيل الاصنام فينطقها الله تعالى فيكون
بينهم هذه المحاورة وذلك انهم ادعوا على الشياطين الذين
اطاعوهم والاصنام التي عبدوها انهم امروهم بعبادتهم ويقولون
ما عبدناكم حتى امرتمونا قال مجاهد ينطق الله الاوثان فتقول ما
كنا نشعر بانكم ايانا تعبدون وما امرناكم بعبادتنا وان
حمل الشركا على الشياطين فالمعنى انهم يقولون ذلك دهشا او يقولونه
كذبا واحتيالا للخلاص وقد يجري مثل هذا غدا وان صارت المعارف

المعارف

المعارف ضرورية فكفى بالله شهيدا شهيدا مفعول اي كفى الله
شهيدا او تمييز اي اكتف به شهيدا بيننا وبينكم انا كنا امرناكم
بهذا او رضيناه منكم ان كنا اي ما كنا عن عبادتكم لغافلين
اي الا غافلين لا نسمع ولا نبصر ولا نعقل لانا كنا جمادا وقيل
ان هي المخففة من الثقيلة واللام فارقة هنالك في موضع نصب
على الظرف اي في ذلك الوقت تبلو اي تذوق وقال الكلبي تعلم
مجاهد تختبر كل نفس ما اسلفت اي جزا ما عملت وقدمت وقيل
تسلم ما عليها من الحقوق الى اربابها بغير اختيارها وقري تتلو اي
تقرا كل نفس كتابها الذي كتب عليها وقيل تتلو تتبع كل نفس ما
قدمت في الدنيا وردوا الى الله اي الى جزايه اياهم بما اسلفوا
مولاهم الحق اي ربهم ومتولي امرهم على الحقيقة لا ما اتخذوه
مولى وهو بالخفض على البدل او الصفة ووصف نفسه بالحق لان
الحق منه كما وصف نفسه بالعدل لان العدل منه وضل عنهم اي
بطل وذهب ما كانوا يفترون من ان الهتهم تشفع لهم او ما كان
يدعون انها الهة فان قيل كيف قال وردوا الى الله مولاهم الحق
وقد اخبر بان الكافرين لا مولى لهم قيل ليس هو مولاهم في النصرة
والمعونة وهو مولى لهم في الرزق وادرار النعم قل لهم من يرزقكم
من السما بالمطر والارض بالنبات او منهما جميعا فان الارزاق
تحصل باسباب سماوية ومواد ارضية او من كل واحدة توسعة
عليكم وقيل على حذف مضاف اي من اهل السما والارض والمراد
بمساق الاية الرد على المشركين وتقرير الحجة عليهم فمن اعترف

مبهم فالحجة ظاهرة عليه ومن لم يعترف فيقرر عليه ان هذه السموات
والارض لا بد لها من خالق ولا يتمارى في هذا عاقل ام من يملك
السمع اي الاسماع والابصار اي من جعلها وخلقها لكم ومن يخرج
الحي من الميت ويخرج الميت من الحي اي النبات من الارض والانسان
من النطفة والسنبلة من الحبة والطير من البيضة والمومن من
الكافر وعكسه ومن يدبر الامر اي يقدره ويقضيه بين الخلايق
فسيقولون هو الله اذ لا يقدرون على المكابرة والعناد في ذلك
لفرط وضوحه او لانهم كانوا يعتقدون ان الخالق هو الله او فسيقولون
هو الله ان فكروا وانصفوا فقل لهم يا محمد افلا تتقون اي افلا
تخافون عقابه ونقمته في الدنيا والاخرة فتومنون فذلكم الله
ربكم الحق اي هذا الذي يفعل هذه الاشيا ربكم الحق الثابت لا
ما اشركتم معه فماذا بعد الحق ذا صلة وهو استفهام انكار او تقرير
اي ليس بعده غيره فمن تخطى الحق الذي هو عبادة الله وقع في الضلال
وقال بعض المحققين ظاهر هذه الاية يدل على ان ما بعد الله
هو الضلال لان اولها فذلكم الله ربكم الحق واخرها فماذا بعد الحق
الا الضلال فهذا في الايمان والكفر ليس في الاعمال وكان صلى الله
عليه وسلم اذا قام من الليل الى الصلاة قال اللهم لك الحمد الى اخره
وفيه انت الحق ووعدك الحق وقولك الحق ولقاوك الحق والجنة
حق والنار حق والساعة حق والنبيون حق ومحمد حق الى اخره
فقوله انت الحق اي الواجب الوجوب واصله من حق الشي اذا ثبت ۞
ووجب وهذا الوصف لله تعالى بالحقيقة اذ وجوده لنفسه لم

يسبقه

يسبقه عدم ولا يلحقه عدم وما عداه مما يقال عليه هذا الاسم مسبوق
بعدم ويجوز عليه لحاق العدم ووجوده من موجده لا من نفسه وباعتبار
هذا كان اصدق كلمة قالها لبيد ۞ الا كل شي ما خلا الله باطل واليه
الاشارة بقوله تعالى كل شي هالك الا وجهه فان مقابلة الحق
بالضلال عرف لغة وشرعا كما في هذه الاية وكذلك ايضا مقابلة
الحق بالباطل عرف لغة وشرعا قال الله تعالى ذلك بان الله هو الحق
وان ما يدعون من دونه الباطل والضلال حقيقته الذهاب
عن الحق اخذ من ضلال الطريق وهو العدول عن سمته قال ابن عرفة
الضلالة عند العرب سلوك غير سبيل القصد يقال ضل عن الطريق
واضل الشي اذا اضاعه وخص في الشرع بالعبادة في العدول به
عن السوا في الاعتقاد دون الاعمال ومن غريب امره انه يعبر به
عن العدم عن المعرفة بالحق سبحانه اذا قابله غفلة ولم تقترن
بعدم جهل او شك وعليه حمل العلما قوله تعالى ووجدك ضالا
فهدى اي غافلا في احد التاويلات يحققه قوله تعالى ما كنت تدري
ما الكتاب ولا الايمان فانى تصرفون اي كيف تصرفون عن الايمان
مع قيام البرهان وتعدلون الى عبادة ما لا يرزق ولا يحيي ولا
يميت كذلك اي كما صرف هولاء عن الايمان حقت كلمة ربك اي حكمه
وقضاوه وعلمه السابق وقيل قوله لاملان جهنم الاية على الذين
فسقوا اي خرجوا عن الطاعة وكذبوا وكفروا انهم لا يومنون
اي لا يصدقون وان في موضع نصب اي بانهم او لانهم قل هل من
شركايكم اي الهتكم ومعبوداتكم من يبدو الخلق ثم يعيده

اي قل يا محمد على جهة التوبيخ والتقريع فان اجابوك والا فقل الله يبدؤ
الخلق ثم يعيده وليس غيره يفعل ذلك وجعل الاعادة كالابدا في
الالزام بها لظهور برهانها وانه لم يباعدوا عليها ولذلك امر الرسول
بان ينوب عنهم في الجواب فاني تؤفكون اي فكيف تنقلبون ۝
وتنصرفون عن الحق الى الباطل قل هل من شركايكم من يهدي الى الحق
اي هل من شركايكم من يرشد الى دين الاسلام بنصب الادلة وارسال
الرسل فاذا قالوا لا ولا بد منه فقل لهم قل الله يهدي للحق وهذا في
السؤال مناقضة بفهم السامع فانه لا يستقيم ان يكون السؤال والجواب
من واحد فتعين ان يكون قل الله جواب سؤال كانهم سألوا لما سمعوا
ذلك فمن يبدؤ الخلق ثم يعيده قل الله ثم قل لهم موبخا ومقررا
افمن يهدي اي يرشد الى الحق وهو الله سبحانه احق ان يتبع امن
لا يهدي اي يهتدي الا ان يهدى احق ان يتبع اي الاول
احق يريد الاصنام التي لا تهدي احدا ولا تمشي الا ان تحمل ولا
تنتقل عن مكانها الا ان تنقل وقيل المراد الرؤسا والمضلون
الذين لا يرشدون انفسهم الى هدى الا ان يرشدوا فما لكم قال
ابو اسحق هو كلام تام والمعنى فاي شيء لكم في عبادة الاوثان
ثم قيل لهم كيف تحكمون لانفسكم وتقضون بهذا الباطل الصراح
تعبدون الهة لا تغني عن نفسها شيا الا ان يفعل بها والله يفعل
ما يشا فتتركون عبادته وكيف نصب تحكمون وما يتبع اكثرهم
فيما يعتقدون الا ظنا يريد الرؤسا منهم اي ما يتبعون الا
حدسا وتخريصا مستندا الى خيالات فارغة واقيسة فاسدة

في

في انها الهة وانها تشفع ولا حجة معهم واما اتباعهم فيتبعونهم
تقليدا ان الظن لا يغني من الحق شيا فالحق هو الله اي من عذاب
الله وشيا في موضع المصدر اي اغنا ويجوز ان يكون مفعولا ومن
الحق حال منه وقيل الحق هنا اليقين اي ليس الظن كاليقين اي
لا يغني الظن فيما المطلوب منه العلم ان الله عليم بما يفعلون
من الكفر والتكذيب خرجت مخرج التهديد وما كان هذا القرآن
ان يفترى من دون الله ان مع يفترى مصدر المعنى وما كان
هذا القرآن افترا وقال الفرا المعنى وما ينبغي لهذا القرآن
ان يفترى مثل قوله وما كان لنبي ان يغل او ما كان هذا القرآن
ليفترى فان بمعنى اللام وما كان يتهيا لاحد ان ياتي بمثل هذا
القرآن من عند غير الله ثم ينسبه الى الله لاعجازه لوصفه ۝
وتاليفه ومعانيه ولكن انزل تصديق الذي بين يديه
وقال الكسائي والفرا وابن سعدان التقدير ولكن كان تصديق
الذي بين يديه اي من التوراة والانجيل وغيرهما من الكتب
فانها قد بشرت به فجا مصدقا لها في تلك البشارة وفي الدعا الى
التوحيد والايمان بالقيمة وقيل المعنى ولكن تصديق النبي الذي
بين يدي القرآن وهو محمد صلى الله عليه وسلم لانهم شاهدوه قبل
ان يسمعوا منه القرآن وتفصيل الكتاب بالنصب وهو التبيين
اي يبين ما في كتب الله المتقدمة والكتاب اسم الجنس وقيل
اراد بتفصيل الكتاب ما بين في القرآن من الاحكام لا ريب فيه
الهاء عايدة للقرآن اي لا شك فيه اي في نزوله من رب العالمين

اي كاينا من قبل الله وقري تصديق وتفصيل بالرفع على تقدير هو ام
يقولون افتراه ام هنا في موضع الاستفهام لانها اتصلت بما
قبلها وقيل هي ام المنقطعة التي تقدر بمعنى بل والهمزة اي بل
ايقولون افتراه وقال ابو عبيدة ام بمعنى الواو مجازه ويقولون
افتراه اي اختلق محمد القران من قبل نفسه فهو استفهام ومعناه
التقريع قل فاتوا بسورة مثله في البلاغة وحسن النظم وقوة
المعنى على وجه الافترا فانكم مثلي في العربية واشد تمرنا في النظم
والعبارة ومعنى الكلام الاحتجاج فان الاية الاولى دلت على كون
القران من عند الله لانه مصدق الذي بين يديه من الكتب وهذه
الاية الزام ان ياتوا بسورة مثله ان مفتري وادعوا من استطعتم
اي واستعينوا بمن امكنكم ان تستعينوا من دون الله اي سوى الله
ان كنتم صادقين انه مفتري فلم يقدروا قال تعالى بل كذبوا
بما لم يحيطوا بعلمه اي سارعوا الى التكذيب اي بالقران وهم جاهلون
بمعانيه وتفسيره وعليهم ان يعلموا ذلك بالسوال فهذا يدل على
انه يجب ان ينظر في التاويل ولما ياتهم تاويله اي ولم ياتهم
حقيقة عاقبة التكذيب من نزول العذاب بهم او كذبوا بما في
القران من ذكر البعث والجنة والنار ولم ياتهم تاويله اي حقيقة
ما وعدوا في الكتاب قاله الضحاك كذلك كذب الذين من قبلهم يريد
الامم الخالية اي كذا كانت سبيلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين
اي اخذهم بالعذاب والهلاك ومنهم من يومن به قيل المراد اهل
مكة اي ومنهم من يومن في المستقبل وان طال تكذيبه لعلم الله

تعالى السابق فيهم انهم من اهل السعادة ومنهم من لا يومن به اي ومنهم
من يصر على كفره حتى يموت كابي لهب وغيره وقيل المراد اهل الكتاب
وقيل هو عام في جميع الكفار وهو الصحيح وقيل الضمير في به يرجع
الى محمد صلى الله عليه وسلم فاعلم الله تعالى انه انما اخر العقوبة لان
منهم من سيومن وربك اعلم بالمفسدين اي من يصر على كفره وهذا
تهديد لهم وان كذبوك اي اصروا على تكذيبك فقل لي عملي
اي ثواب عملي في التبليغ والانذار والطاعة لله ولكم عملكم اي جزاؤه
من الشرك انتم بريئون مما اعمل وانا بري مما تعملون اي لا يواخذ
احد بذنب الاخر وهذه الاية منسوخة باية السيف في قول مجاهد
وغيره ومنهم من يستمعون اليك يريد بظواهرهم وقلوبهم لا
تعي شيا مما تقوله من الحق وتتلوه من القران ولهذا قال افانت
تسمع الصم ولو كانوا مع الصمم لا يعقلون اي لا تسمع فظاهره
الاستفهام ومعناه النفي وجعلهم كالصم للختم على قلوبهم والطبع
عليها اي لا تقدر على هداية من اصمه الله عن سماع الهدى ومنهم
من ينظر اليك افانت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون اي ان
احدا لن يومن الا بتوفيقه وهدايته وقال يستمعون على معنى
من وينظر على اللفظ ومعنى ينظر اليك اي يديم النظر اليك ان
الله لا يظلم الناس شيا لما ذكر اهل الشقا ذكر انه لم يظلمهم وان
تقدير الشقا عليهم وسلب سمع القلب وبصره ليس ظلما منه لانه
تصرف في ملكه بما شا وهو في جميع افعاله عادل سبحانه وشيا
يجوز ان يكون مفعولا اي لا ينقصهم شيا وان يكون في موقع

المصدر ولكن الناس انفسهم يظلمون بالكفر والمعصية وقرئ ولكن مخففا
الناس رفعا ويوم يحشرهم كان لم يلبثوا بمعنى كانهم مخفف اي كانهم
لم يلبثوا في قبورهم الا ساعة من النهار اي قدر ساعة يعني انهم
استقصروا طول مقامهم في القبور لهول ما يرون من البعث لابن
عباس راوا ان طول اعمارهم في مقابلة الخلود كساعة وجملة التشبيه
حال من الضمير يتعارفون بينهم في موضع نصب على الحال من الهاء
والميم في يحشرهم ويجوز ان يكون منقطعا كانه قال فهم يتعارفون
قال الكلبي يعرف بعضهم بعضا كمعرفتهم في الدنيا اذا خرجوا من
قبورهم وهذا التعارف تعارف توبيخ وافتضاح يقول بعضهم
لبعض انت اغويتني واضللتني وحملتني على الكفر وليس تعارف
شفقة وعطف ثم تنقطع المعرفة اذا عاينوا اهوال القيمة كما قال
ولا يسال حميم حميما وقيل يبقى التعارف والتوبيخ وهو الصحيح
لقوله تعالى ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم الاية وقوله
تعالى كلما دخلت امة لعنت اختها وقيل القيمة مواطن وقيل
يتعارفون يتسالون اي يتسالون كم لبثتم قد خسر الذين كذبوا
بلقا الله اي بالعرض على الله ثم قيل يجوز ان يكون هذا اخبارا من
الله تعالى بعد ان دل على البعث والنشور اي خسروا ثواب الجنة
وقيل خسروا في حال لقا الله لان الخسران انما هو في تلك الحالة
وما كانوا مهتدين اي في علم الله واما نرينك اي نبصرنك بعض
الذي نعدهم اي من اظهار دينك في حياتك وقال المفسرون كان
البعض الذي وعدهم قتل من قتل واسر من اسر ببدر او نتوفينك

عطف على نرينك اي نتوفينك قبل ذلك فالينا مرجعهم جواب اما والمقصود
ان لم ننتقم منهم عاجلا انتقمنا منهم اجلا ثم الله شهيد ثم قيل
ليست للترتيب اذ شهادة الله تعالى متقدمة على المرجع واجيب
بانها استعملت فيه للترتيب الاخباري وبانه توسع فيها بايقاعها
موقع الواو السيوطي واما نرينك بعض الذي نعدهم من العذاب في
حياتك وجواب الشرط محذوف اي فذاك او نتوفينك قبل تعذيبهم
فالينا مرجعهم ومعنى شهيد مطلع وشاهد لا يحتاج الى شاهد على ما
يفعلون من محاربتك وتكذيبك ولكل امة من الامم رسول اي رسول
شاهد عليهم فاذا جا رسولهم اي جا يوم القيمة قضي بينهم قال ابن
عباس تنكر الكفار غدا مجي الرسل اليهم فيؤتى بالرسول فيقول
قد ابلغتهم الرسالة فحينئذ يقضى عليهم بالعذاب وقيل لكل امة
من الامم الماضية رسول يبعث اليهم ليدعوهم الى الحق فاذا جاءهم
بالبينات فكذبوه قضي بين الرسول ومكذبيه بالقسط اي العدل
فانجي الرسول واهلك المكذبون وهم لا يظلمون اي لا يعذبون
بغير ذنب ولا يواخذون بغير حجة فكذلك يفعل بهؤلا ويقولون
متى هذا الوعد بالعذاب ان كنتم صادقين فيه يريد كفار
مكة لفرط انكارهم واستعجالهم العذاب اي متى العذاب او متى
القيمة الذي يعدنا محمد وقيل هو عام في كل امة كذبت رسولها
قل لا املك لنفسي ضرا ادفعه ولا نفعا اجلبه لما استعجلوا
النبي صلى الله عليه وسلم بالعذاب قال الله تعالى له قل لهم يا محمد
لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا اي ليس ذلك لي ولا لغيري الا ما شا الله

ان املكه واقدر عليه فكيف اقدر ان املك ما استعجلتم فلا تستعجلوا لكل
امة اجل اي لهلاككم وعذابهم وقت معلوم في علمه سبحانه اذا جاء
اجلهم اي وقت انقضا اجلهم فلا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون
اي لا يمكنهم ان يستاخروا باقين ساعة في الدنيا ولا يتقدمون
فيوخرون قل ارايتم اخبروني ان اتاكم عذابه اي الله بياتا او نهارا
اي وقت بيات او وقت كنتم مشتغلين بطلب معاشكم وهما ظرفان
وهو جواب لقولهم متى هذا الوعد وتسفيه لارائهم في استعجالهم
العذاب اي ان اتاكم العذاب ماذا يستعجل منه المجرمون اي شيء
من العذاب يستعجلونه وكله مكروه لا يلايم الاستعجال او هو
استفهام معناه التهويل والتعظيم اي ما اعظم ما يستعجلون به كما
يقال لمن يطلب امرا يستوخم عاقبته ماذا تجني على نفسك والضمير
في منه قيل يعود على العذاب وقيل على الله تعالى وفيه وضع الظاهر
موضع المضمر اثم اذا ما وقع حل بكم امنتم به الان في الكلام
حذف والتقدير اتامنون ان ينزل بكم العذاب ثم يقال لكم
اذا حل الان امنتم به اي بالله او بالعذاب قيل هو من قول الملائكة
استهزاء بهم وقيل هو من قول الله ودخلت الف الاستفهام على
ثم والمعنى التقرير والتوبيخ وليدل على ان معنى الجملة الثانية
بعد الاولى وقيل ثم هنا بمعنى ثم بفتح الثا فيكون ظرفا والمعنى
اهنالك وهو مذهب الطبري والان قيل اصله فعل مبني مثل
حان والالف واللام لتحويله الى الاسم الخليل بنيت لالتقا الساكنين
والالف واللام للعهد والاشارة الى الوقت وهو حد الزمانين

وقد

وقد كنتم به اي بالعذاب تستعجلون استهزا وتكذيبا ثم قيل للذين
ظلموا اي تقول لهم خزنة جهنم ذوقوا عذاب الخلد اي الذي
يخلد فيه لا ينقطع هل ما تجزون الا بما كنتم تكسبون اي جزاء
كفركم ويستنبئونك اي يستخبرونك يا محمد عن كون العذاب وقيام
الساعة احق ابتدا هو مرتفع به سد مسد الخبر قاله سيبويه
قل اي كلمة تحقيق وايجاب بمعنى نعم وربي قسم انه لحق جوابه
اي كاين لا شك فيه وما انتم بمعجزين اي فايتين من عذابه ومجازاته
ولو ان لكل نفس ظلمت اي اشركت وكفرت ما في الارض من الاموال
ملكا لافتدت به من عذاب الله يعني ولا يقبل منها كما قال ان الذين
كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملا الارض الاية
واسروا الندامة على ترك الايمان اي اخفوها يعني رؤساهم
اخفوا ندامتهم عن اتباعهم لما راوا العذاب مخافة التعيير وهذا
قبل الاحراق بالنار فاذا وقعوا في النار الهتهم النار عن التصنع
وهو حكاية ما يكون في الاخرة وقيل هو بمعنى المستقبل وقيل قد
كان ذلك في الدنيا وقيل اسروا اظهروا والكلمة من الاضداد
لان الاخرة ليست دار تجلد وتصبر وقيل وجدوا الم الحسرة في
قلوبهم لان الندامة لا يمكن اظهارها وذكر المبرد انه بدت بالندامة
اسرة وجوههم وهي تكاسير الجبهة واحدها سرار والندامة الحسرة
لوقوع شي او فوت شي واصلها اللزوم وقضي بينهم بالقسط اي بين
الرؤسا والسفلة او بين الخلايق بالعدل وهم لا يظلمون شيا الا
ان لله ما في السموت والارض الا كلمة تنبيه للسامع تزاد في

اول الكلام اي انتبهوا لما اقول لكم الا ان وعد الله حق بالبعث والجزا له
ملك السموات والارض فلا مانع يمنعه من انفاذ ما وعد ولكن
اكثرهم اي الناس لا يعلمون ذلك هو يحيي ويميت واليه ترجعون
تقدم يا ايها الناس يعني قريشا قد جاتكم موعظة من ربكم يعني
القران فيه مواعظ وحكم وشفا دوا لما في الصدور اي من الشك
والنفاق والخلاف والشقاق والعقايد الفاسدة وهدى اي رشد
لمن اتبعه ورحمة اي نعمة للمومنين به خصهم لانهم المنتفعون
بالايمان والكل صفات القران والعطف لتاكيد المدح وعن ابي سعيد
الخدري قال جا رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني اشتكي صدري
فقال اقرا القران يقول الله تعالى شفا لما في الصدور وشفا مصدر
في معنى الفاعل اي شاف قل بفضل الله وبرحمته ابن عباس وابو
سعيد فضل الله القران ورحمته الاسلام وعنهما ايضا فضل الله
القران ورحمته ان جعلكم من اهله الحسن وغيره فضل الله الايمان
ورحمته القران وقيل غير هذا فبذلك فليفرحوا اشارة الى الفضل
والرحمة والعرب تاتي بذلك للواحد والاثنين والجمع والفا الاولى
مرتبطة بما قبلها والثانية بفعل محذوف تقديره فليعجبوا بذلك
فليفرحوا والفرح لذة في القلب بادراك المحبوب وقد ذم الفرح
في مواضع من القران كقوله لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين انه
لفرح فخور ولكنه مطلق فاذا قيد الفرح لم يكن ذما كما هنا وعن
انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من هداه الله للاسلام وعلمه القران
ثم شكا الفاقة كتب الله الفقر بين عينيه الى يوم القيمة ثم تلى

قل

قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون اي من
حطام الدنيا بالبا والتا قل ارايتم اخبروني ما انزل الله لكم من
رزق الاية خطاب لكفار مكة وانزل بمعنى خلق كما قال وانزل
لكم من الانعام ثمانية ازواج وانزلنا الحديد فجعلتم منه حراما
وحلالا قال مجاهد هو ما حكموا به من تحريم البحيرة والسايبة والوصيلة
والحام وقال الضحاك هو قول الله تعالى وجعلوا لله مما ذرا من الحرث
والانعام نصيبا قل الله اذن لكم اي في هذا التحليل والتحريم لا ام على
الله اي بل على الله تفترون في نسبة ذلك اليه وهو قولهم ان
الله امرنا بها وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيمة
اي اي شي ظنهم ويوم منصوب على الظرف او بالظن نحو ما ظنك
زيدا والمعنى ايحسبون ان الله لا يواخذهم به لا ان الله لذو فضل
على الناس اي في التاخير والامهال وقيل اراد اهل مكة حين جعلهم
في حرم امن ولكن اكثرهم يعني الكفار لا يشكرون الله على نعمه
ولا في تاخير العذاب عنهم وقيل لا يشكرون لا يوحدون
وما تكون في شان ما للجحد اي لست في شان من عبادة او غيرها
الا والرب مطلع عليك والشان الخطب والامر وما تتلو منه من
قران قال الفرا والزجاج الها في منه تعود على الشان اي تحدث
شانا فيتلى من اجله القران فيعلم كيف حكمه او ينزل فيه قران
فيتلى وقال الطبري منه اي من كتاب الله من قران اعاده تفخيما
كقوله اني انا الله ولا تعملون من عمل يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم
والامة وقوله وما تكون في شان خطاب له والمراد هو وامته

وقيل المراد كفار قريش الا كنا عليكم شهودا اي رقبا نعلمه اذ تفيضون
فيه اي تاخذون في العمل يقال افاض في الحديث والعمل اذا اندفع
فيه ابن عباس تفيضون فيه تفعلونه الاخفش تتكلمون ابن زيد
تخوضون وقال الضحاك الهاء عايدة على القران المعنى اذ تشيعون
في القران الكذب وما يعزب قرى بكسر الزاي وضمها لغتان عن
ربك ابن عباس اي يغيب ابو روق يبعد ابن كيسان يذهب
من مثقال ذرة من صلة مثقال ذرة وزن نملة حمرا صغيرة
ولا اصغر من ذلك ولا اكبر بالفتح عطف على لفظ مثقال وان
ثبت على ذرة وقيل فتح على انه اسم لا بني معها كالوجهين في لا
حول ولا قوة الا بالله وقرى برفع الرا فيهما عطفا على موضع مثقال
لان من زايدة للتاكيد الا في كتاب مبين بين يعني اللوح المحفوظ
مع علم الله تعالى به وقال الجرجاني الا بمعنى الواو الا ان اوليا
الله لا خوف عليهم اي في الاخرة ولا هم يحزنون لفقد الدنيا
وروى سعيد بن جبير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيل عن
اوليا الله تعالى فقال الذين يذكر الله برويتهم وقال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه في هذه الاية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان من عباد الله عبادا ما هم بانبيا ولا شهدا يغبطهم الانبيا
والشهدا يوم القيمة لمكانهم من الله تعالى قيل يا رسول الله
خبرنا من هم وما اعمالهم فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا
في الله عز وجل على غير ارحام بينهم ولا اموال يتعاطونها
فوالله ان وجوههم لنور وانهم على منابر من نور لا يخافون

اذا

اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرا الا ان اوليا الله
لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقيل لا خوف عليهم في ذريتهم لان
الله تعالى يتولاهم ولا هم يحزنون على دنياهم لان الله تعالى
وليهم ومولاهم والولي فعيل بمعنى مفعول وهو من يتولى الله
سبحانه امره فلا يكله الى نفسه لحظة بل يتولى الحق رعايته
او فعيل بمعنى فاعل وهو الذي يتولى عبادة الحق وطاعته فعبادته
تجري على التوالي من غير ان يتخللها عصيان ومن شرطه ان يكون
محفوظا كما ان من شرط النبي ان يكون معصوما وكل من كان للشرع
عليه اعتراض فهو مغرور مخادع والولاية ماخوذة من الولا وهو
القرب وفي الاصطلاح القرب من الله سبحانه الذين امنوا وكانوا
يتقون هذه صفة اوليا الله سبحانه فيكون الذين في موضع
نصب على البدل من اسم ان وقيل هو مبتدا وخبره لهم البشرى فيكون
مقطوعا مما قبله ومعنى يتقون اي يتقون الله والشرك والمعاصي
لهم البشرى في الحياة الدنيا عن ابي الدردا قال سالت رسول الله
صلى الله عليه وسلم عنها فقال ما سالني عنها احد غيرك منذ انزلت
هي الرويا الصالحة يراها المسلم او ترى له خرجه الترمذي في
جامعه وقال الزهري وقتادة وعطا هي البشارة التي تبشرها
الملايكة المومن في الدنيا عند الموت وقال الضحاك وغيره هي ان
يعلم اين هو من قبل ان يموت وقال الحسن هي ما يبشرهم الله تعالى
في كتابه من جنته وكريم ثوابه ولهذا قال لا تبديل لكلمات
الله اي لا خلف لمواعيده وذلك لان مواعيده بكلماته وفي الاخرة

قيل بالجنة اذا خرجوا من قبورهم وقيل اذا اخرجت الروح بشرت برضوان
الله ذلك هو الفوز العظيم اي ما يصير اليه اولياؤه هو الفوز العظيم
ولا يحزنك قولهم تم الكلام اي لا يحزنك افتراؤهم وتكذيبهم لك
وقولهم لست مرسلا ثم ابتدا فقال ان العزة لله اي العزة الكاملة
والغلبة الشاملة والقدرة التامة لله وحده فهو ناصرك ومعينك
جميعا نصب على الحال ولا يعارض هذا قوله ولله العزة ولرسوله وللمومنين
فان كل عزة بالله فهي كلها لله تعالى هو السميع العليم اي السميع لاقوالهم
العليم باعمالهم وجميع حركاتهم الا ان لله من في السموات ومن في
الارض اي يحكم فيهم بما يريد ويفعل فيهم ما يشا وما يتبع الذين
يدعون يعبدون من دون الله اي غيره اصناما شركا له وما للنفي اي
لا يتبعون شركاله تعالى على الحقيقة بل يظنون انها تشفع او تنفع
وقيل ما استفهام اي اي شي يتبع الذين يدعون من دون الله شركا
تقبيحا لفعلهم ثم اجاب فقال ان يتبعون الا الظن اي ما يتبعون
يقينا وانما يتبعون ظنهم انها شركا وان هم الا يخرصون اي
يحدسون ويكذبون فيما ينسبونه الى الله تعالى ويحزرون ويقدرون
انها شركا تقديرا باطلا هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه بين ان
الواجب عبادة من يقدر على خلق الليل والنهار لا عبادة من لا يقدر على
شي لتسكنوا فيه اي مع ازواجكم واولادكم ليزول التعب والكلال
بكم والسكون الهدو عن اضطراب والنهار مبصرا اي مضيا لتهتدوا
به في حوائجكم والمبصر هو الذي يبصر والنهار يبصر فيه وقال مبصرا
تجوزا وتوسعا على عادة العرب في قولهم ليل قايم ونهار صايم ان في

ذلك

ذلك لآيات اي علامات ودلالات لقوم يسمعون سماع اعتبار وتدبر
قالوا اتخذ الله ولدا يعني الكفار من اليهود والنصارى وغيرهم اي تبناه
سبحانه هو الغني نزه نفسه عن الصاحبة والاولاد وعن الشركا والانداد
ثم اخبر بغناه المطلق وان له ما في السموات وما في الارض ملكا وخلقا
وعبيدا ان عندكم من سلطان بهذا اي ما عندكم من حجة بهذا اتقولون
على الله ما لا تعلمون من اثبات الولد له والولد يقتضي المجانسة والمشابهة
والله سبحانه لا يجانس شيا ولا يشبهه شي وهو تقريع وتوبيخ على
اختلاقهم وجهلهم وفيه دليل على ان كل قول لا دليل عليه فهو جهالة
وان العقائد لا بد لها من قاطع وان التقليد فيها غير سايغ قل ان
الذين يفترون على الله الكذب اي يختلقونه باتخاذ الولد واضافة
الشريك اليه لا يفلحون اي لا يفوزون ولا يامنون وتم الكلام متاع
في الدنيا اي ذلك متاع او هو متاع وقال الاخفش لهم متاع في الدنيا
يتمتعون به مدة حياتهم ثم الينا مرجعهم اي رجوعهم بالموت ثم
نذيقهم العذاب الشديد اي الغليظ بعد الموت بما كانوا يكفرون
اي بكفرهم واتل عليهم اي اقرا على كفار مكة نبا نوح اي خبره مع
قومه اذ قال لقومه اذ في موضع نصب على البدل من نبا يا قوم ان
كان كبر اي عظم وثقل عليكم مقامي المقام بفتح الميم الموضع الذي
يقوم فيه والمقام بالضم الاقامة اي ان طال عليكم لبثي فيكم
وتذكيري وعظي اياكم وتخويفي لكم بايات الله وعزمتم على طردي
وقتلي فعلى الله توكلت اي اعتمدت وهذا هو جواب الشرط ولم يزل
عليه السلام متوكلا على الله في كل حال ولكن بين انه متوكل في هذا

على المخصوص ليعرف قومه ان الله يكفيه امرهم اي ان لم تنصروني فاني
التوكل على من ينصرني فاجمعوا امركم وشركاكم من اجمع على الشي
اذا عزم عليه وقال الفرا اجمع الشي اعده وفي نصب الشركا ثلاثة
اوجه الكسائي والفرا هو بمعنى وادعوا شركاكم لنصرتكم فهو منصوب
عندهما على اضمار هذا الفعل وقال ابن يزيد هو معطوف على المعنى
كقوله رايت زوجك في الوغا متقلدا سيفا ورمحا وقال الزجاج
المعنى مع شركايكم على تناصركم كما يقال التقى الما والخشبة ثم لا
يكن امركم عليكم غمة الغمة والغم سوا ومعناه التغطية من قولهم
غم الهلال اذا استتر اي ليكن امركم ظاهرا منكشفا تتمكنون فيه
بما شيتم ثم اقضوا الي ولا تنظرون لابن عباس ثم امضوا الي
ولا تؤخرون النحاس وهذا قول صحيح في اللغة ومنه قضى الميت
اي مضى والمعنى افعلوا ما تريدون واعلمهم بهذا انهم لا يصلون
اليه وهذا من دلايل النبوات وهو اخبار من الله عن نبيه نوح
عليه السلام انه كان بنصر الله واثقا ومن كيدهم غير خايف علما
منه بانهم والهتهم لا ينفعون ولا يضرون فان توليتم اي
اعرضتم عما جيتكم به فما سالتكم من اجر اي فليس ذلك لاني سالتكم
اجرا فيثقل عليكم مكافاتي ان اجري الا على الله في تبليغ رسالته
وامرت ان اكون من المسلمين اي الموحدين لله فكذبوه يعني نوحا
فنجيناه ومن معه اي من المومنين في الفلك اي السفينة وجعلناهم
من معه خلايف اي سكان الارض وخلفا ممن غرق واغرقنا الذين
كذبوا باياتنا بالطوفان فانظر كيف كان عاقبة المنذرين يعني اخر

ام

امر الذين انذرتهم الرسل فلم يومنوا ثم بعثنا من بعده اي من بعد نوح
رسلا الى قومهم كهود وصالح وابراهيم ولوط وشعيب وغيرهم فجاوهم
بالبينات اي بالمعجزات فما كانوا اي اوليك الاقوام ليومنوا بما كذبوا
به من قبل التقدير بما كذب به قوم نوح من قبل والمعنى ان المتاخرين
مضوا على سنن المتقدمين في التكذيب وقيل بما كذبوا به من قبل
يوم الذر فانه كان فيهم من كذب بقلبه وان قال الجميع بلى قال
النحاس ومن احسن ما قيل في هذا انه لقوم باعيانهم كذلك نطبع
اي نختم على قلوب المعتدين اي المتجاوزين الحد في الكفر والتكذيب
فلا يومنوا كما طبعنا على قلوب اوليك ثم بعثنا من بعدهم اي من
بعد الرسل والامم موسى وهرون الى فرعون وملايه اي اشراف
قومه باياتنا يريد الايات التسع وتقدم ذكرها فاستكبروا
عن الايمان بها وكانوا قوما مجرمين اي مشركين فلما جاهم الحق من
عندنا يريد فرعون وقومه قالوا ان هذا لسحر مبين اي بين
ظاهر حملوا المعجزات على السحر قال لهم موسى اتقولون للحق لما
جاكم اسحر هذا قيل في الكلام حذف المعنى تقولون للحق ان هذا
سحر فاتقولون انكار ومقولهم محذوف اي هذا سحر ثم استانف
انكارا اخر من قبله فقال اسحر هذا فحذف مقولهم الاول اكتفا
بالثاني من قوله منكرا على فرعون وملايه وقال الاخفش هو من
قولهم ودخلت الالف حكاية لقولهم لانهم قالوا اسحر هذا
فقيل لهم اتقولون للحق لما جاكم اسحر هذا وروي عن الحسن ولا
يفلح الساحرون اي لا يفلح من اتى به قالوا اجيتنا لتلفتنا

اي لتصرفنا وتلوينا يقال لفته يلفته اذا لواه وصرفه عما وجدنا
عليه اباءنا من عبادة الاصنام وتكون لكما الكبريا اي العظمة والملك
والسلطان في الارض اي ارض مصر ويقال للملك الكبريا لانه اعظم
ما يطلب في الدنيا وما نحن لكما بمؤمنين بمصدقين وقال فرعون
ايتوني بكل ساحر عليم فائق في علم السحر انما قاله لما راى العصى واليد
البيضا واعتقد انهما سحر فلما جا السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم
ملقون اي اطرحوا على الارض ما معكم من حبالكم وعصيكم وتقدم
القول في هذا فلما القوا حبالهم وعصيهم قال موسى ما جيتم به
ما استفهامية في موضع رفع بالابتدا والخبر جيتم به والتقدير
اي شي جيتم به على التوبيخ والتصغير لما جاوا به من السحر السحر
قرى على الاستفهام بدل مما قبله وقرى السحر على الخبر في ما بمعنى
الذي وجيتم به الصلة وموضع ما رفع بالابتدا والسحر خبر
الابتدا اي الذي جيتم به السحر حقيقة ان الله سيبطله اي
يمحقه ان الله لا يصلح عمل المفسدين يعني السحر ويحق الله الحق
اي يبينه ويوضحه بكلماته اي بكلامه وحججه وبراهينه وقيل
بعداته بالنصر ولو كره المجرمون من ال فرعون فما امن لموسى الا ذرية
طايفة من قومه الهاء عايدة على موسى قال مجاهد لم يومن منهم
احد وانما امن اولاد من ارسل موسى اليهم من بني اسرايل لطول
الزمان هلك الابا وبقي الابنا فامنوا وهذا اختيار الطبري والذرية
اعقاب الانسان وقيل اراد بالذرية بني اسرايل قال ابن عباس
كانوا ستماية الف وذلك ان يعقوب عليه السلام دخل مصر في

اثنين

اثنين وسبعين انسانا فتوالدوا بمصر حتى بلغوا ستماية الف وقال
ابن عباس ايضا يعني من قومه من قوم فرعون منهم مومن ال فرعون
وخازن فرعون وامراته وماشطة ابنته وامراة خازنه وقيل هم
اقوام اباوهم من القبط وامهاتهم من بني اسرايل فسموا ذرية وعلى
هذا فالكناية في قومه ترجع الي موسى من جهة الامهات والي فرعون
اذ كانوا من القبط على خوف من فرعون لانه كان مسلطا عليهم عاتيا
وملايهم ولم يقل وملايه وعنه اجوبة احدها ان فرعون لما كان
جبارا اخبر عنه بفعل الجميع الثاني ان فرعون لما ذكر علم ان معه غيره
فعاد الضمير عليه وعليهم الثالث ان تكون الجماعة سميت بفرعون
مثل ثمود الرابع ان يكون التقدير على خوف من ال فرعون فيكون
من باب حذف المضاف مثل واسال القرية قال بعضهم وهذا غلط
لان المحذوف لا يعود اليه ضمير اذ لو جاز ذلك لجاز ان تقول
زيد قاموا تريد غلمان زيد قاموا وعند الخليل وسيبويه هذا
الجواب خطا لا يجوز عندهما قام هند وانت تريد غلامها الخامس
ان يكون الضمير يعود على الذرية اي ملا الذرية وهو اختيار
الطبري السادس ان يكون الضمير يعود على قومه ان يفتنهم وحد
يفتنهم على الاخبار عن فرعون اي ان يصرفهم عن دينهم بالعقوبات
وهو في موضع خفض على انه بدل اشتمال من فرعون تقديره
من فتنة فرعون ويجوز ان يكون في موضع نصب بخوف اي على
خوف فتنة فرعون ولم ينصرف فرعون لانه اسم اعجمي وهو
معرفة وان فرعون لعال في الارض ارض مصر اي عات متكبر

وانه لمن المسرفين اي المجاوزين الحد في الكفر لانه كان عبدا فادعى
الربوبية وقال موسى يا قوم ان كنتم امنتم بالله اي صدقتم به
فعليه توكلوا اي اعتمدوا ان كنتم مسلمين كرر الشرط تاكيدا وبين
ان كمال الايمان بتفويض الامر الى الله فقالوا على الله توكلنا اي
اسلمنا امورنا الى الله ورضينا بقضائه وقدره وانتهينا الى امره ربنا
لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين اي لا تنصرهم علينا فيكون ذلك
فتنة لنا عن الدين او لا تمتحنا بان تعذبنا على ايديهم وقال مجاهد
المعنى لا تهلكنا بايدي اعدائنا ولا تعذبنا بعذاب من عندك فيقول
اعداؤنا لو كانوا على حق لم نسلط عليهم فيفتتنوا ونجنا برحمتك
اي خلصنا من القوم الكافرين اي من فرعون وقومه لانهم كانوا
ياخذونهم بالاعمال الشاقة واوحينا الى موسى واخيه ان تبوءا
لقومكما قيل اللام غير زائدة اي اتخذا لقومكما وقيل اللام زائدة
والتقدير بوءا قومكما بيوتا اي انزلاهم بمصر بيوتا والمبوا المنزل
الملزوم وفي الحديث من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من
النار ومصر في هذه هي الاسكندرية في قول مجاهد وقال الضحاك
انه البلد المسمى مصر ومصر ما بين البحر الى اسوان والاسكندرية
من ارض مصر واجعلوا بيوتكم قبلة اي مصلى وقيل مساجد متوجهة
نحو القبلة قال اكثر المفسرين كانوا بنو اسرائيل لا يصلون الا في
مساجدهم وكنائسهم وكانت ظاهرة فلما ارسل موسى امر فرعون
بمساجد بني اسرائيل فخربت كلها ومنعوا من الصلاة فاوحى الله
الى موسى وهارون ان اتخذا وتخيرا لبني اسرائيل بيوتا بمصر

اي

اي مساجد ولم يرد المنازل المسكونة هذا قول ابن عباس وغيره وروى
ان المعنى واجعلوا بيوتكم يقابل بعضها بعضا والاول اصح والقبلة
قيل بيت المقدس وقيل الكعبة عن ابن عباس قال وكانت الكعبة
قبلة موسى ومن معه واقيموا الصلاة اتموها وقيل المعنى صلوا
في بيوتكم سرا لتامنوا وذلك حين اخافهم فرعون فامروا بالصبر
واتخاذ المساجد في البيوت الى ان ينجز الله وعده وكان من دينهم
انهم لا يصلون الا في البيع والكنائس ما داموا على امن وبشر
المومنين بالنصر والجنة قيل الخطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل
لموسى وبهذا ظهر اي بشر بني اسرائيل بان الله سيظهرهم على اعدائهم
وانما جمع واجعلوا واقيموا لانه اراد موسى وهرون وقومهما
وافرد في قوله وبشر لانه اراد موسى وحده لانه هو الاصل في
الرسالة وقال موسى ربنا انك اتيت اعطيت فرعون وملاه زينة
واموالا في الحياة الدنيا اي مال الدنيا وكان لهم من فسطاط مصر
الى ارض الحبشة جبال فيها معادن الذهب والفضة والزبرجد والياقوت
ربنا ليضلوا عن سبيلك اللام في ليضلوا لام العاقبة والصيرورة
وهذا قول الخليل وسيبويه وفي الخبر ان لله ملكا ينادي
كل يوم لدوا للموت وابنوا للخراب اي لما كان عاقبة امرهم الى الضلال
صار كانه اعطاهم ليضلوا وتسمى ايضا لام المآل وهي التي يكون ما
بعدها نقيضا لمقتضى ما قبلها ومثلها فالتقطه آل فرعون ليكون
لهم عدوا وحزنا وقيل هي لام كي اي لكي يضلوا ويبطروا وقيل
هي لام اجل اي اعطيتهم لاجل اعراضهم عنك فلم يخافوا ان

تعرض عنهم وقيل اللام للدعا اي ابتلهم بالضلال عن سبيلك لان بعده
اطمس واشدد وقرئ ليضلوا بضم اليا للاضلال وقرئ بالفتح من
الضلال **ربنا اطمس على اموالهم** اي عاقبهم على كفرهم باهلاك اموالهم
قال الزجاج طمس الشي اذهابه عن صورته قال ابن عباس ومحمد بن كعب
صارت اموالهم ودراهمهم حجارة منقوشة كهيئتها صحاحا واثلاثا
وانصافا ولم يبق لهم معدن الا طمس الله عليه فلم ينتفع به احد قتادة
بلغنا ان اموالهم وزروعهم صارت حجارة **واشدد على قلوبهم** قال ابن
عباس اي امنعهم الايمان وقيل قسها واطبع عليها حتى لا تنشرح للايمان
فلا يومنوا قيل هو عطف على قوله ليومنوا ليضلوا اي اتيتهم النعم
ليضلوا ولا يومنوا قاله المبرد والزجاج وعلى هذا لا يكون فيه من
معنى الدعا شي وقوله ربنا اطمس واشدد كلام معترض وقال
الفرا والكسائي وابو عبيدة هو دعا فهو في موضع جزم عندهم اي
اللهم فلا يومنوا ومن قال ليضلوا دعا اي ابتلهم بالضلال قال
عطف عليه فلا يومنوا وقيل هو في موضع نصب لانه جواب الامر
اي اشدد على قلوبهم فلا يومنوا وقد استشكل فقيل كيف دعا موسى
عليهم وحكم الرسل استدعا ايمان قومهم فالجواب انه لا يجوز ان يدعو
نبي على قومه الا باذن من الله واعلام انه ليس فيهم من يومن ولا
يخرج من اصلابهم من يومن كما في قوله تعالى لنوح انه لن يومن من
قومك الا من قد امن وعند ذلك قال رب لا تذر على الارض من
الكافرين ديارا **حتى يروا العذاب الاليم** المولم **قال قد اجيبت
دعوتكما** قال ابو العالية دعا موسى وامن هرون فسمي هرون

داعيا

داعيا فمسخت اموالهم ولم يومن فرعون حتى ادركه الغرق **فاستقيما**
قال الفرا وغيره امرا بالاستقامة على امرهما والثبات عليه من دعا
فرعون وقومه الى الايمان الى ان ياتيهما تاويل الاجابة قال
محمد بن علي وابن جريج مكث فرعون وقومه بعد هذه الاجابة
اربعين سنة ثم اهلكوا وقيل استقيما اي على الدعا والاستقامة
في الدعا ترك الاستعجال في حصول المقصود ولا يسقط
الاستعجال من القلب الا باستقامة السكينة فيه ولا تكون
تلك السكينة الا بالرضا الحسن لجميع ما يبدو من الغيب **ولا
تتبعان** بتشديد النون في موضع جزم على النهي والنون للتوكيد
وحركت لالتقا الساكنين واختير لها الكسر لانها اشبهت نون
الاثنين وقرئ بتخفيف النون على النفي قيل هو حال من استقيما
اي استقيما غير متبعين **سبيل الذين لا يعلمون** في استعجال
قضائي او لا تسلكا طريق من لا يعلم حقيقة وعدي ووعيدي
وقيل هم فرعون وقومه **وجاوزنا ببني اسرائيل البحر** الباء للتعدية
مثل الهمزة وتقدم القول فيه **فاتبعهم فرعون وجنوده** يقال
تبع واتبع بمعنى واحد اذا لحقه واتبع بالتشديد اذا سار
خلفه فخرج موسى ببني اسرائيل وهم ستمائة الف وعشرون الفا
وتبعه فرعون مصبحا في الفي الف وستمائة الف **بغيا** نصب
على الحال **وعدوا** معطوف عليه اي في حال بغي واعتدا وظلم وقال
المفسرون بغيا طلبا للاستعلا بغير حق في القول وعدوا في
الفعل فهما نصب على المفعول له **حتى اذا ادركه الغرق** اي

ناله ووصله قال امنت اي صدقت انه اي بانه وقرى بالكسر استينافا
والايمان لا ينفع حينئذ والتوبة مقبولة قبل رؤية الباس واما
بعدها وبعد المخالطة فلا تقبل ويقال ان فرعون هاب دخول البحر
وكان على حصان ادهم ولم يكن في خيل فرعون فرس انثى فجا جبريل
على فرس وديق اي شهي في صورة هامان وقال له تقدم ثم
خاض البحر فتبعها حصان فرعون وميكايل يسوقهم لا يشذ منهم
احد فلما صار اخرهم في البحر وهم اولهم ان يخرج انطبق البحر
عليهم والجم فرعون الغرق فقال امنت لا اله الا الذي امنت
به بنوا اسرائيل فدس جبريل في فمه حال البحر وهو الطين الاسود
الذي يكون في ارضه وانما فعل هذا عقوبة له على عظيم ما كان
باتيه وكان هذا في يوم عاشورا وانا من المسلمين اي الموحدين
المسلمين بالانقياد والطاعة وكرره ليقبل فلم يقبل الآن
العامل فيه محذوف تقديره اتومن الان وقد عصيت قبل
وكنت من المفسدين قيل هو من قول الله تعالى وقيل هو من قول
جبريل او غيره من الملايكة وقيل هو من قول فرعون في نفسه ولم
يكن ثم قول باللسان بل وقع ذلك في قلبه فقال في نفسه ما قال
حيث لم تنفعه الندامة ونظيره انما نطعمكم لوجه الله اثنى
عليهم بما في ضميرهم لا انهم قالوا ذلك بلفظهم والكلام الحقيقي
كلام القلب فاليوم ننجيك اي نلقيك على نجوة من الارض وذلك
ان بني اسرائيل لم يصدقوا ان فرعون غرق وقالوا هو اعظم شانا
من ذلك فالقاه الله تعالى على نجوة من الارض مكان مرتفع من

البحر حتى شاهدوه قال ابن جريج فرمي به على ساحل البحر حتى راه بنوا
اسرائيل وكان قصيرا احمر كانه ثور ببدنك هو درعه التي كان
يلبسها في الحروب قيل وفي الاية تورية على تفسير البدن بالدرع
فان البدن يطلق عليه وعلى الجسد والمراد البعيد وهو الجسد
قال ابن عباس ومحمد بن كعب كانت من لولو منظوم وقيل من ذهب
وكان يعرف بها وقيل من حديد وقيل ببدنك بجسد لا روح فيه
قاله مجاهد لتكون من خلفك اي بعدك اية عبرة اي لبني اسرائيل
ولمن بقي من قوم فرعون ممن لم يدركه الغرق ولم ينته اليه هذا
الخبر وان كثيرا من الناس عن اياتنا لغافلون اي معرضون عن
اياتنا والتفكر فيها ولقد بوانا انزلنا بني اسرائيل مبوا صدق
اي منزل صدق محمود مختار يعني مصر وقيل الاردن وفلسطين
وقال الضحاك هي مصر والشام ورزقناهم من الطيبات اي من
الثمار وغيرها وقال ابن عباس يعني قريظة والنضير واهل
عصر النبي صلى الله عليه وسلم من بني اسرائيل فانهم كانوا يومنون
بمحمد صلى الله عليه وسلم وينتظرون خروجه ثم لما خرج حسدوه
ولهذا قال فما اختلفوا اي في امر محمد صلى الله عليه وسلم
حتى جاءهم العلم اي القران ومحمد صلى الله عليه وسلم والعلم
بمعنى المعلوم لانهم كانوا يعلمونه قبل خروجه قاله ابن جرير
الطبري ان ربك يقضي بينهم اي يحكم بينهم ويفصل يوم القيمة
فيما كانوا فيه يختلفون في الدنيا من امر الدين فيثيب الطايع
ويعاقب العاصي فان كنت يا محمد في شك مما انزلنا اليك

من القصص قوضا وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره اي
لست في شك ولكن غيرك في شك وعن ثعلب والمبرد وان كنت في شك
اي قل يا محمد للكافر فان كنت في شك فاسال الذين يقرون الكتاب
التوراة من قبلك اي يا عابد الوثن ان كنت في شك من القران فاسل
من اسلم من اليهود يعني عبد الله بن سلام وامثاله لان عبدة الاوثان
كانوا يقرون لليهود انهم اعلم منهم من اجل انهم اصحاب كتاب فدعاهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يسالوا من يقرون بانهم اعلم منهم
هل يبعث الله برسوله من بعد موسى وقال القتيبي هذا خطاب
لمن كان لا يقطع بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم بل كان في شك
وقيل الشك ضيق الصدر اي ان ضاق صدرك بكفر هولا فاصبر واسال
الذين يقرون الكتاب من قبلك يخبروك خبر الانبيا من قبلك على
اذى قومهم وكيف عاقبة امرهم والشك في اللغة اصله الضيق وقال
الحسين بن الفضل الفا مع حروف الشرط لا توجب الفعل ولا تثبته
والدليل عليه ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لما نزلت
هذه الاية والله لا اشك والله لا اشك ولا اسال ثم استانف الكلام
فقال لقد جاك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين اي الشاكين
المرتابين فيه ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله فتكون من
الخاسرين والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره ان الذين
حقت اي وجبت عليهم كلمة العذاب لا يومنون اي الذين حق عليهم
غضب الله وسخطه بمعصيتهم لا يومنون ولو جاتهم كل اية انث كل
على المعنى اي ولو جاتهم الايات حتى يروا العذاب الاليم فحينئذ

يومنون

يومنون ولا ينفعهم فلولا كانت قرية امنت قبل نزول العذاب بها
فنفعها ايمانها الاخفش والكسائي اي فهلا واصل لولا في الكلام التحضيض
او الدلالة على منع امر لوجوب غيره ومفهوم من معنى الاية نفي ايمان
اهل القرى ثم استثنى قوم يونس فهو بحسب اللفظ استثنا منقطع وهو
بحسب المعنى استثنا متصل لان تقديره ما امن اهل قرية
الا قوم يونس والنصب في قوم هو الوجه قال النحاس الا قوم يونس
نصب لانه استثنا ليس من الاول اي لكن قوم يونس لما امنوا كشفنا
عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا وهو يونس بن متى بفتح الميم
وتشديد التا مقصور ووقع في تفسير عبد الرزاق انه اسم امه
قال ابن حجر وهو مردود وقيل انه كان في زمن ملوك الطوايف من
الفرس وروي في قصته مع قومه انهم كانوا بنينوى من ارض الموصل
وكانوا يعبدون الاصنام فارسل الله اليهم يونس عليه السلام يدعوهم
الى الاسلام وترك ما هم عليه فابوا فقيل انه اقام يدعوهم تسع سنين
فييس من ايمانهم فقيل له اخبرهم ان العذاب مصبحهم الى ثلاث
ففعل فقالوا هو رجل لا يكذب فارقبوه فان اقام معكم وبين
اظهركم فلا عليكم وان ارتحل عنكم فهو نزول العذاب لا شك فلما
كان الليل تزود يونس وخرج عنهم فاصبحوا فلم يجدوه فتابوا
ودعوا الله ولبسوا المسوح وفرقوا بين الامهات والاولاد من
الناس والبهايم وردوا المظالم في تلك الحالة قال ابن مسعود
وكان الرجل ياتي الحجر قد وضع عليه اساس بنيانه فيقتلعه فيرده
وكان العذاب منهم فيما روي عن ابن عباس على ثلثي ميل وعن ابن

عباس انهم غشيهم ظلة وفيها حمرة فلم تزل تدنو حتى وجدوا حرها بين
اكتافهم فلما صحت توبتهم رفع الله العذاب عنهم قال الطبري خص
قوم يونس من بين الامم بان يتيب عليهم بعد معاينة العذاب وقال
الزجاج انهم لم يقع بهم العذاب وانما راوا العلامة التي تدل على
العذاب ولو راوا عين العذاب لما نفعهم الايمان القرطبي قول الزجاج
حسن فان المعاينة التي لا تنفع التوبة معها هي التلبس بالعذاب كقصة
فرعون ولهذا اتى بقصة قوم يونس على اثر قصة فرعون لانه امن حين
راى العذاب فلم ينفعه ذلك وقوم يونس تابوا قبل ذلك ويكون
معنى كشفنا عنهم عذاب الخزي اي العذاب الذي وعدهم يونس انه
ينزل بهم لا انهم راوه وبالجملة فكان اهل نينوى في سابق العلم
من السعدا ومتعناهم الى حين قيل الى انقضا اجلهم قاله السدي
وقيل الى ان يصيروا الى الجنة قاله ابن عباس ولو شا ربك لامن
من في الارض اي لاضطرهم اليه كلهم توكيد لمن جميعا نصب على
الحال عند سيبويه افانت تكره الناس بما لم يشاه الله منهم حتى يكونوا
مومنين لا قال ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم حريصا على ايمان
جميع الناس فاخبره الله تعالى انه لا يومن الا من سبقت له السعادة
في الذكر الاول ولا يضل الا من سبقت له الشقاوة في الذكر الاول
وقيل المراد بالناس هنا ابو طالب وقيل الاية منسوخة باية السيف
وما كان لنفس ان تومن الا باذن الله ما نفي اي ما ينبغي ان تومن
نفس الا بقضائه وقدره ومشيئته وارادته ويجعل الرجس
اي العذاب على الذين لا يعقلون امر الله عز وجل ونهيه قل لكفار

مكة انظروا ماذا في السموات والارض امرهم بالاعتبار والنظر في المصنوعات
الدالة على الصانع والقادر وما تغني ما نفي اي ولن تغني وقيل استفهامية
اي اي شي تغني الايات اي الدلالات والنذر اي الرسل جمع نذير
عن قوم لا يومنون اي عمن سبق له في علم الله انه لا يومن فهل فما
ينتظرون بتكذيبك الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم الايام هنا
بمعنى الوقايع يقال فلان عالم بايام العرب اي بوقايعهم قال قتادة
يعني بوقايع الله في قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم والعرب تسمي العذاب
اياما والنعم اياما كقوله تعالى وذكرهم بايام الله قل فانتظروا
اي تربصوا وهذا تهديد ووعيد اني معكم من المنتظرين اي المتربصين
لوعد ربي ثم ننجي رسلنا والذين امنوا كذلك اي من سنتنا اذا
انزلنا بقوم عذابا اخرجنا من بينهم الرسول والمومنين وثم معناه
ثم اعلموا انا ننجي رسلنا وقيل عطف على محذوف دل عليه الا مثل
ايام الذين خلوا كانه قال نهلك الامم ثم ننجي رسلنا ومن امن
بهم على حكاية الحال الماضية كذلك اي كذلك الانجا وانجا كذلك
حقا اي واجبا علينا لانه اخبر ولا خلف في خبره ننجي المومنين
محمدا وصحبه حين تعذيب المشركين وقرى مخففا ومشددا وهما
لغتان انجى ينجي ونجى ينجي بمعنى واحد قل يا ايها الناس يريد كفار
مكة ان كنتم في شك اي ريب من ديني اي دين الاسلام الذي ادعوكم
اليه انه حق فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله من الاوثان
التي لا تعقل ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم اي يميتكم ويقبض ارواحكم
وانما قال الذي يتوفاكم لانه يتضمن تهديدهم اي ميعاد عذابهم الوفاه

وامرت ان اكون من المومنين اي المصدقين بايات ربهم وان اقم وجهك
للدين ان عطف على ان اكون اي قيل لي كن من المومنين واقم وجهك
قال ابن عباس عملك وقيل نفسك اي استقم باقبالك على ما امرت به
من الدين حنيفا اي قويما به مايلا اليه او مايلا عن كل دين ولا تكونن
من المشركين اي وقيل لي لا تشرك والخطاب له والمراد غيره وكذلك
ولا تدع اي تعبد من دون الله ما لا ينفعك اي عبدته ولا يضرك
ان لم تعبده فان فعلت اي عبدت غير الله فرضا فانك اذا من
الظالمين اي الواضعين العبادة في غير موضعها وان يمسسك
الله بضر اي يصيبك به كفقر ومرض فلا كاشف له يرفعه الا هو
اي الله وان يردك بخير اي يصيبك برخا ونعمة فلا راد اي دافع
لفضله يصيب به اي بكل ما اراد من الخير والشر من يشاء من عباده
وهو الغفور لذنوب عباده وخطاياهم الرحيم باوليائه في الاخرة
قل يا ايها الناس اهل مكة قد جاكم الحق اي القران وقيل الرسول
صلى الله عليه وسلم من ربكم ولم يبق لكم عذر فمن اهتدى اي صدق
محمدا وامن بما جا به فانما يهتدي لنفسه اي لخلاص نفسه ومن ضل
اي ترك الرسول والقران واتبع الاصنام والاوثان فانما يضل
عليها اي وبال ذلك على نفسه وما انا عليكم بوكيل اي حفيظ
احفظ اعمالكم انما انا رسول قال ابن عباس نسخها اية السيف واتبع
ما يوحى اليك واصبر قيل منسوخة وقيل ليست منسوخة ومعناه
اصبر على الطاعة وعن المعصية حتى يحكم الله فيهم بامره وهو خير
الحاكمين ابتدا وخبر لانه عز وجل لا يحكم الا بالحق وقد صبر

حتى

حتى حكم الله على المشركين بالقتال وعلى اهل الكتاب بالجزية سورة
هود عليه السلام مكية في قول الحسن وغيره وقال ابن عباس
وقتادة الا اية واقم الصلاة طرفي النهار بسم الله الرحمن الرحيم
الر تقدم كتاب اي هذا الكتاب احكمت اياته بعجيب النظم وبديع المعاني
جعلت محكمة كلها لا خلل فيها ولا باطل والاحكام منع القول من الفساد
اي تضمنت نظما محكما لا يلحقها تناقض ولا خلل وقال ابن عباس لم
ينسخها كتاب بخلاف التوراة والانجيل وقال ابو العالية احكمت
اياته بالامر والنهي ثم فصلت بالوعد والوعيد والثواب والعقاب
قتادة احكمها الله من الباطل ثم فصلها بالحلال والحرام وقيل جمعت
في اللوح المحفوظ ثم فصلت في التنزيل من لدن اي من عند
حكيم اي محكم للامور خبير بكل كاين وغير كاين ان لا تعبدوا
الا الله الكساي والفرا اي بان لا تعبدوا واي احكمت بان لا تعبدوا
الا الله انني لكم منه من الله نذير اي مخوف من عذابه وسطوته
لمن عصاه وبشير بالرضوان والجنة لمن اطاعه وقيل هو من قول الله
اولا واولا اي ان لا تعبدوا الا الله انني لكم منه نذير اي الله لكم
نذير من عبادة غيره كما قال ويحذركم الله نفسه وان استغفروا
ربكم عطف على الاول ثم توبوا اليه اي ارجعوا اليه بالطاعة ○
والعبادة وقال الفرا ثم هنا بمعنى الواو اي وتوبوا اليه لان التوبة
هو الاستغفار والاستغفار هو التوبة وقيل استغفروه من
سالف ذنوبكم وتوبوا اليه من المستانف متى وقعت منكم وانما قدم
ذكر الاستغفار لان المغفرة هي الغرض المطلوب والتوبة سبب اليها

وقيل استغفروا من الشرك وتوبوا اليه بالطاعة **يمتعكم متاعا حسنا**
اي بالمنافع من سعة الرزق ورغد العيش ولا يستاصلكم بالعذاب
كما فعل بمن قبلكم وهذه هي ثمرة الاستغفار وقيل يمتعكم يعمركم
واصل الامتاع الاطالة قال سهل بن عبد الله المتاع الحسن ترك
الخلق والاقبال على الحق وقيل هو القناعة بالموجود وترك الحزن على
المفقود **الى اجل مسمى** هو الموت وقيل القيامة وقيل دخول الجنة وعلى هذا
القول فالمتاع الحسن هو وقاية كل مكروه وامر مخوف مما يكون في القبر
واهوال يوم القيمة قال مقاتل فابوا فدعا عليهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم فابتلوا بالقحط سبع سنين حتى اكلوا العظام المحرقة والجيف
والكلاب فالارزاق والاجال وان كانت متعلقة بالاعمال لكنها مسماة
بالاضافة الى كل احد فلا تتغير **ويوت** في الاخرة **كل ذي فضل فضله**
اي كل ذي عمل من الاعمال الصالحة جزا عمله وقيل يوت كل من فضلت
حسناته على سياته فضله يعني الجنة فالكناية في قوله فضله
ترجع الى الله وقال مجاهد هو ما يحتسبه الانسان من كلام يقوله
بلسانه او عمل يعمله بيده او ما تطوع به من ماله فهو فضل الله يوتيه
ذلك اذا امن ولا يتقبله منه اذا كان كافرا **وان تولوا** فيه حذف
احدى التائين اي تعرضوا **فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير** هو يوم
القيمة لما فيه من الاهوال **الى الله مرجعكم** اي رجوعكم بعد الموت
وهو على كل شي قدير ومنه الثواب والعذاب **الا انهم يثنون صدورهم**
اي يطوونها على عداوة المسلمين قال ابن عباس يخفون ما في صدورهم
من الشحنا والعداوة ويظهرون خلافه قيل نزلت في الاخنس بن

شريق

شريق وكان رجلا حلو الكلام يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يحب
وينطوي له بقلبه على ما يسوء وقال مجاهد يثنون صدورهم شكا وامترا
وقال الحسن يثنونها على ما فيها من الكفر وكان بعض المنافقين اذا
مر بالنبي صلى الله عليه وسلم ثنى صدره وطاطا راسه وغطى راسه
كي لا يراه النبي صلى الله عليه وسلم فيدعوه الى الايمان فالهاء في منه
تعود للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل كان بعضهم ينحني على بعض
ليساره في الطعن على المسلمين وبلغ من جهلهم ان ذلك يخفى على الله
وقيل نزلت في قوم من المسلمين كان احدهم يستحيي ان يتخلى او يجامع
فيفضي الى السما كما رواه البخاري **ليستخفوا منه** اي من الله **الا**
حين يستغشون ثيابهم يتغطون بها قال قتادة اخفى ما يكون
العبد اذا حنى ظهره واستغشى ثوبه واظهر في نفسه همه **يعلم**
اي الله **ما يسرون وما يعلنون** فلا يغني استخفاوهم **انه**
عليم بذات الصدور اي بما في القلوب **وما من دابة في**
الارض هي ما دب عليها **الا على الله رزقها** اي من الله رزقها قال
مجاهد كلما جاءها من رزق فمن الله وقيل على بابها اي على الله فضلا لا وجوبا
اذ لا يجب عليه تعالى شي وقيل المعنى وعدا على الله حقا رزقها
وظاهر الاية العموم ومعناها الخصوص لان كثيرا من الدواب هلك
قبل ان يرزق وقيل هي عامة وكل دابة لم ترزق رزقا تعيش
به ماتت فقد رزقت روحها ووجه اتصالها بما قبلها انه سبحانه
وتعالى اخبر برزق الجميع وانه لا يغفل عن تربيته فكيف تخفى
عليه احوالكم ايها الكفار وهو يرزقكم والرزق حقيقة ما يتغذى

به الحي ويكون فيه نماوه وبقاء وحه وما ينتفع به وسوا كان حلالا ام حراما
خلافا للمعتزلة وقد تقدم القول فيه في سورة البقرة ولا يكون الرزق
بمعنى الملك لان البهايم ترزق ولا يصح وصفها بانها تملك وكذلك
الاطفال ترزق اللبن قيل لابي اسيد من اين تاكل فقال سبحان الله والله
اكبر ان الله تعالى يرزق الكلب افلا يرزق ابا اسيد ويعلم مستقرها
مسكنها في الدنيا او الصلب ومستودعها بعد الموت او في الرحم والمستقر
الموضع الذي تستقر فيه وقال الربيع مستقرها ايام حياتها ومستودعها
حين تموت وحين تبعث وقيل مستقرها في الجنة او النار ومستودعها
في القبر وهما مكانان ويجوز ان يكونا مصدرين كل اي من الدواب واحوالها
في كتاب مبين اي بين هو اللوح المحفوظ وهو الذي خلق السموات
والارض في ستة ايام اولها الاحد واخرها الجمعة وتقدم وكان عرشه
قبل خلقهما على الما قال كعب خلق الله ياقوتة خضرا فنظر اليها بالهيبة
فصارت ماء يرتعد من مخافة الله تعالى فلذلك يرتعد الما الى الان وان
كان ساكنا ثم خلق الريح فجعل الما على متنها ثم وضع العرش على الماء
وتقدم القول في العرش وسيل ابن عباس عن قوله تعالى وكان عرشه
على الما على اي شي كان الما قال على متن الريح وفي البخاري كان الله
عز وجل ولم يكن شي قبله وكان عرشه على الما ثم خلق السموات والارض
وكتب في الذكر كل شي ليبلوكم متعلق بخلق اي خلقهما وما فيهما
منافع لكم ومصالح ليختبركم بالاعتبار والاستدلال على كمال قدرته
وعلى البعث ايكم احسن عملا اي اطوع لله وقال قتادة ايكم اتم
عقلا وقال الحسن وسفيان الثوري ايكم ازهد في الدنيا وذكر

ان عيسى

ان عيسى عليه السلام مر برجل نايم فقال يا نايم قم فتعبد فقال يا روح
الله لقد تعبدت فقال وما تعبدت فقال تركت الدنيا لاهلها فقال نم
فقد فقت العابدين الضحاك ايكم اكثر شكرا مقاتل ايكم اتقى لله وفي
الحديث ايكم احسن عملا ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع
في طاعة الله يجمع الاقاويل كلها ولين قلت يا محمد لهم انكم مبعوثون
من بعد الموت اي دللتهم على البعث وذكرت ذلك للمشركين ليقولن
الذين كفروا ان ما هذا اي القران الناطق بالبعث او الذي يقوله
الا سحر مبين بين اي غرور باطل لبطلان السحر عندهم وقري الا ساحر
كناية عن النبي صلى الله عليه وسلم ولين اخرنا عنهم العذاب اللام
لام القسم والجواب ليقولن الى امة معدودة اجل معدود وحين معلوم
والامة اسم مشترك يطلق ويراد به المدة كما هنا قاله ابن عباس وغيره
واصل الامة الجماعة فعبر بها عن الحين والسنين لان الامة تكون
فيها والمعنى على حذف مضاف اي الى مجي امة ليس فيها من يومن فيستحق
الهلاك والامة اتباع الانبيا والامة الرجل الجامع للخير الذي يقتدى
به ان ابراهيم كان امة والامة الدين والملة انا وجدنا اباءنا على امة
ليقولن بضم اللام لان فيه ضميرا بخلاف ما قبلها ففتحت اللام فيهما
لان الفعل متقدم ولا ضمير فيه ما يحبسه اي يمنعه من النزول
يعنون العذاب وقالوا ذلك اما تكذيبا له لتاخره عنهم او استعجالا
واستهزا قال الله تعالى الا يوم ياتيهم ليس مصروفا عنهم اي
مدفوعا قيل هو قتل المشركين يوم بدر او قتل جبريل المستهزين على ما
ياتي ويوم منصوب بخبر ليس مقدم عليها وهو دليل على جواز تقديم

خبر ها عليها وحاق اي نزل واحاط بهم ما كانوا به يستهزؤن اي جزا
ما كانوا يستهزؤن من العذاب ولين اللام للقسم اذقنا الانسان
منا رحمة الانسان اسم جنس شايع في جميع الكفار وقيل هو الوليد
ابن المغيرة وفيه نزلت الاية وقيل عبد الله بن امية ومعنى الاية
ولين اعطيناه نعمة بحيث يجد لذتها من غنا وصحة ثم نزعناها
منه اي سلبناها انه ليؤس ايس من الرحمة قنوط كفور شديد الكفر
للنعم جاحد لها ولين اذقناه نعما صحة ورخا وسعة في الرزق
بعد ضرا مسته اي بعد ضر وفقر وشدة ليقولن ذهب السيات
عني اي المصايب التي تسوء صاحبها من الضر والفقر انه لفرح فخور
اي يفرح فرح بطر ويفخر على الناس بما ناله من السعة وينسى شكر الله
عليه وفخور للمبالغة وانما ذم بهذا لانه لم يعترف لله بالنعم
ولم يحمل على صرف النعم وفي لفظ الاذاقة والمس تنبيه على ان
ما يجده الانسان في الدنيا من النعم والمحن كالانموذج لما يجده في
الاخرة وانه يقع في البطر والكفران بادنى شي لان الذوق ادراك
الطعم والمس مبدا الوصول الا الذين صبروا يعني المومنين
مدحهم بالصبر على الشدايد استسلاما لقضايه وعملوا الصلحات
شكرا لالايه اولئك لهم مغفرة ابتدا وخبر واجر كبير معطوف
وهو الجنة والاستثنا من الانسان لان المراد به الجنس فاذا كان
محلى باللام افاد الاستغراق ومن حمله على الكافر جعل الاستثنا
منقطعا فلعلك يا محمد تارك بعض ما يوحى اليك اي فلعلك
لعظيم ما تراه منهم من الكفر والتكذيب تتوهم انهم يزيلونك

عن

عن بعض ما انت عليه وقيل انهم لما قالوا لولا انزل عليه كنز او جا معه
ملك هم ان يدع سب الهتهم فنزلت هذه الاية فالكلام معناه
الاستفهام اي هل انت تارك ما فيه سب الهتهم لما سالوك وقيل
معنى الكلام النفي مع استبعاد اي لا يكون منك ذلك بل تبلغهم
كل ما انزل اليك وذلك ان مشركي مكة قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم
لو اتيتنا بكتاب ليس فيه سب الهتنا لاتبعناك فهم النبي صلى الله
عليه وسلم ان يدع سب الهتهم فنزلت وضايق به صدرك تلاوته
عليهم وهو عطف على تارك وصدرك مرفوع به والها في به
تعود على ما او على بعض او على التبليغ او التكذيب وقال ضايق
ولم يقل ضيق ليشاكل تارك الذي قبله لان الضايق عارض والضيق
الزم منه ان يقولوا اي كراهية ان يقولوا او لاجل ان يقولوا لولا
اي هلا انزل عليه كنز ينفقه او جا معه ملك يصدقه قاله عبد الله
ابن امية بن المغيرة فقال الله تعالى يا محمد انما انت نذير اي
انما عليك ان تنذرهم لا ان تاتيهم بما يقترحونه من الايات
والله على كل شي وكيل اي حافظ وشهيد فيجازيهم ام يقولون اي
بل يقولون افتراه اتى به من قبل نفسه قل فاتوا بعشر سور مثله
في البيان وحسن النظم تحداهم بعشر ثم بواحدة مفتريات مختلقات
اي قد انزاحت عللهم واشكالهم في نبوتك بهذا القران وحجتهم به
فان قالوا افتريته فلياتوا بمثله مفترى وادعوا للمعاونة من
استطعتم من دون الله من الكهنة والاعوان ان كنتم صادقين
انه مفترى فان لم يستجيبوا لكم في المعارضة ولم يتهيا لهم فقد

قامت عليهم الحجة اذ هم اللسن البلغا والفصحا فاعلموا انما انزل ملتبسًا
بعلم الله واعلموا صدق محمد واعلموا انْ مخففة من المثقلة اي انه
لا اله الا هو فهل انتم مسلمون استفهام معناه الامر وقال فان لم
يستجيبوا لكم ولم يقل لك قيل هو على تحويل المخاطبة من الافراد الى
الجمع تعظيما وتفخيمًا وقد يخاطب الرئيس بما يخاطب به الجماعة وقيل
الضمير في لكم وفي فاعلموا للمشركين اي فان لم يستجب لكم من تدعونه
الى المعاونة ولا تهيات لكم المعارضة فاعلموا انما انزل بعلم الله وقيل
الضمير في لكم للنبي صلى الله عليه وسلم وللمومنين وفي فاعلموا للمشركين
من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف كان زايدة قاله الفرا
وقال الزجاج من كان في موضع جزم بالشرط وجوابه نوف اليهم
فالاول ماض والثاني مستقبل اليهم اعمالهم اي جزا ما عملوا فيها
وهم فيها اي في الدنيا لا يبخسون لا ينقصون شيا قيل نزلت في
الكفار قاله الضحاك اي من اتى بصلة رحم او صدقة نكافيه به
في الدنيا بصحة الجسم وكثرة الرزق ولكن لا حسنة له في الاخرة فان قيل
فقد يكون الكافر مضيقا عليه قيل قد بين بقوله تعالى عجلنا له فيها
ما نشا لمن نريد ان ذلك في حق من اريد ذلك به وقيل هو لا اهل
الريا وفي الخبر انه يقال لاهل الريا صمتم وصليتم وتصدقتم وجاهدتم
وقراتم ليقال ذلك فقد قيل ذلك ثم قال ان هولا اول من تسعر
بهم النار رواه ابو هريرة وقيل الاية عامة في كل من ينوي بعمله
غير الله تعالى كان معه اصل الايمان او لم يكن قاله مجاهد وغيره
اوليك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار اشارة الى التخليد والمومن

لايخلد

لا يخلد وقيل المعنى ليس لهم الا النار في ايام معلومة ثم يخرج اما
بالشفاعة واما بالمقبضة والاية تقتضي الوعيد بسلب الايمان وفي
الحديث المعاصي بريد الكفر وخاصة الريا اذ هو شرك وحبط اي بطل
ما صنعوا اي صنعوه فيها اي في الاخرة فلا ثواب لهم وباطل ما
كانوا يعملون ابتدا وخبر افمن كان على بينة من ربه ابتدا والخبر
محذوف اي افمن كان على بيان من ربه في اتباع النبي صلى الله عليه
وسلم ومعه من العقل ما يتبين كغيره ممن يريد الحياة الدنيا
وزينتها ويتلوه اي ويتبع ذلك البرهان الذي هو دليل العقل
شاهد منه وقيل المراد به النبي صلى الله عليه وسلم والكلام راجع الى
قوله وضايق به صدرك اي افمن كان معه بيان من الله ومعجزة
كالقران ومعه شاهد من الله وهو جبريل وقال مجاهد الشاهد
ملك من الله عز وجل يحفظه ويسدده وقال الحسن وقتادة الشاهد
لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هو علي بن ابي طالب روي
عن ابن عباس وروي عن علي انه قال ما من رجل من قريش الا وقد
انزلت فيه الاية والايتان فقال له رجل اي شي نزل فيك فقال
ويتلوه شاهد منه وقيل الشاهد صورة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ووجهه ومخايله لان من كان له فضل وعقل فنظر الى النبي صلى الله
عليه وسلم علم انه رسول الله فالها على هذا ترجع الى النبي صلى الله عليه
وسلم وقيل الشاهد القران في نظمه وبلاغته والمعاني الكثيرة منه
في اللفظ الواحد فالها في منه تعود للقران وقيل البينة معرفة الله
التي اشرقت لها القلوب والشاهد الذي يتلوه العقل ومن قبله

اي قبل القران كتاب موسى التوراة شاهدله ايضا قال ابو اسحق والمعنى
يتلوه من قبله كتاب موسى لان النبي صلى الله عليه وسلم موصوف
في كتاب موسى يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل اماما
نصب على الحال ورحمة معطوف اوليك يومنون به اي من كان على
بينة يومن بالقران وقيل بالنبي فله الجنة وقيل هو اشارة الى بني اسرايل
اي يومنون بما في التوراة من البشارة بك وانما كفر بك هولا المتاخرون
فهم الذين موعدهم النار حكاه القشيري ومن يكفر به اي بالقران
او بالنبي صلى الله عليه وسلم من الاحزاب يعني من الملل كلها عن قتادة
ابن جبير الاحزاب الاديان كلها لانهم يتحازبون وقيل قريش وحلفاوهم
فالنار موعده اي هو من اهل النار وفي صحيح مسلم من حديث ابي
موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يسمع بي احد
من هذه الامة يهودي ولا نصراني ولم يومن بالذي ارسلت به
الا كان من اصحاب النار فلا تك في مرية منه اي في شك من القران
انه الحق من ربك اي القران من الله قاله مقاتل وقال الكلبي المعنى
فلا تك في شك في ان الكافر في النار انه الحق اي القول الحق الكاين
والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد جميع المكلفين ولكن اكثر
الناس اهل مكة لا يومنون ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا
اي لا احد اظلم منهم لانفسهم لانهم افتروا على الله كذبا واضافوا
كلامه الى غيره وزعموا ان له شريكا وولدا وقالوا للاصنام هولا
شفعاونا عند الله اوليك يعرضون على ربهم في الموقف في جملة
الخلايق ويحاسبهم على اعمالهم ويقول الاشهاد جمع شاهد

يعني

يعني الملايكة الحفظة عن مجاهد وغيره وقيل الملايكة يشهدون
للرسل بالبلاغ وعلى الكفار بالتكذيب الضحاك هم الانبيا قتادة
عني الخلايق اجمع هولا الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله اي
بعده وسخطه على الظالمين الذين وضعوا العبادة في غير موضعها
الذين يصدون يجوز ان يكون في موضع خفض نعتا للظالمين
ويجوز ان يكون في موضع رفع اي هم الذين وقيل هو ابتدا خطاب
من الله تعالى اي الذين يصدون انفسهم او غيرهم عن سبيل الله
الايمان والطاعة ويبغونها عوجا اي يطلبون السبيل معوجة
والمعنى يعدلون بالناس عنها الى المعاصي والشرك وهم بالاخرة
هم كافرون اي والحال انهم كافرون بالاخرة واعاد لفظ هم تاكيدا
اوليك لم يكونوا معجزين في الارض اي فايتين من عذاب الله وقال
ابن عباس ان امر الارض فتخسف بهم وما كان لهم من دون الله
اي غيره من اوليا يعني انصارا ومن زايدة وقيل ما يعني الذي
تقديره اوليك لم يكونوا معجزين لا هم ولا الذين كانوا لهم اوليا من
دون الله وهو قول ابن عباس يضاعف لهم العذاب اي الروسا
باضلالهم على قدر كفرهم ومعاصيهم ما كانوا يستطيعون السمع
ما في موضع نصب على ان يكون المعنى بما كانوا يستطيعون السمع
وبما كانوا يبصرون ولم يستعملوا ذلك من استماع الحق وابصاره
والعرب تقول جزيته ما فعل وبما فعل فيحذفون البا مرة ويثبتونها
اخرى ويجوز ان تكون ما ظرفا والمعنى يضاعف لهم ابدا اي وقت
استطاعتهم السمع والبصر والله سبحانه وتعالى يجعلهم في جهنم

مستطيع ذلك ابدا وان تكون ما نافية لا موضع لها اذ الكلام قد تم
قبلها والوقف على العذاب كاف والمعنى ما كانوا يستطيعون في الدنيا
ان يسمعوا سمعا ينتفعون به ولا ان يبصروا ابصار مهتد قال الفرا
لان الله اضلهم في اللوح المحفوظ وقال الزجاج لبغضهم النبي صلى الله
عليه وسلم وعداوتهم لا يستطيعون ان يسمعوا منه ولا يفقهوا عنه
النحاس وهذا معروف في كلام العرب يقال فلان لا يستطيع ان
ينظر الى فلان اذا كان ذلك ثقيلا عليه وقيل هو بيان ما نفاه من
ولاية الالهة اي ما لهم من دون الله من اولياء فان ما لا يسمع ولا يبصر
لا يصلح للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب اعتراض اولئك الذين
خسروا انفسهم لمصيرهم الى النار المؤبدة عليهم وضل عنهم ما
كانوا يفترون اي ضاع وغاب عنهم افتراؤهم على الله لا جرم
انهم في الاخرة هم الاخسرون قال الخليل وسيبويه لا جرم
بمعنى حق فلا وجرم عندهما كلمة واحدة وعن الخليل ايضا ان معناها
لا بد ولا محالة وقيل اصلها كلمتان وانهم في موضع رفع بانه فاعل
لحق اي حق خسرانهم وقال الزجاج لا ها نفي وهو رد لقولهم ان
الاصنام تنفعهم كان المعنى لا ينفعهم ذلك وجرم بمعنى كسب اي
كسب ذلك الفعل لهم الخسران وفاعل كسب مضمر وان منصوبة بجرم
وقال الكسائي معنى لا جرم لا صد ولا منع عن انهم وقيل المعنى لا قطع
قاطع فحذف الفاعل حين كثر استعماله والجرم القطع ان الذين
امنوا اي صدقوا وعملوا الصالحات واخبتوا عطف على الصلة ابن
عباس اخبتوا انابوا مجاهد اطاعوا قتادة خشعوا وخضعوا من

الجنة

الجنة وهو الارض المطمئنة مقاتل اخلصوا الحسن الاخبات الخشوع
للمخافة الثابتة في القلب او الاطمئنان او الانابة المستمر ذلك
على استوا الى ربهم قال الفرا الى ربهم ولربهم واحد وقد يكون المعنى
وجهوا اخباتهم الى ربهم اولئك خبر ان اصحاب الجنة هم فيها
خالدون دايمون مثل صفة الفريقين كالاعمى قال الاخفش اي كمثل
الاعمى النحاس التقدير مثل فريق الكافر كالاعمى والاصم ومثل فريق
المؤمن كالبصير والسميع ولهذا قال هل يستويان فرد الى الفريقين
وهما اثنان روى معناه عن قتادة وغيره وقال الضحاك الاعمى والاصم
مثل الكافر والبصير والسميع مثل المؤمن وقيل المعنى هل يستوي
الاعمى والبصير وهل يستوي الاصم والسميع مثلا منصوب
على التفسير افلا تذكرون في الوصفين ولقد ارسلنا نوحا الى
قومه اني قرئ بالكسر لان في الارسال معنى القول وقرئ بالفتح
اي باني لكم نذير مبين بين الانذار ولم يقل انه لانه رجع من
الغيبة الى خطاب نوح لقومه ان لا تعبدوا الا الله اي اتركوا
الاصنام فلا تعبدوها واطيعوا الله ومن قرا اني بالكسر جعله
معترضا في الكلام والمعنى ارسلناه بانه لا تعبدوا اني اخاف عليكم
ان عبدتم غيره عذاب يوم اليم مؤلم وهو في الحقيقة صفة العذاب
لكن وصف به اليوم للمبالغة على طريقة نهاره صايم فقال الملا الذين
كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا لا مزية لك علينا وما نراك
اتبعك الا الذين هم اراذلنا الملا الروسا اي هم مليون بما
يقولون وبشرا ادميا ومثلنا نصب على الحال وهو مضاف الى معرفة

وهو نكرة يتقدر فيه التنوين واراذلنا اخساونا وسقطنا وسفلتنا وهو
جمع اراذل وجمع على هذه الزنة وان كان وصفا لانه غلب فصار كالاسما
ومعنى غلبته انه لا يكون يذكر الموصوف معه كالابطح والابرق قال
الزجاج نسبوهم الى الحياكة ولم يعلموا ان الصناعات لا اثر لها في
الديانة وقال النحاس الاراذل هم الفقرا والذين لا حسب لهم والخسيسوا
الصناعات وفي الحديث انهم كانوا حاكة وحجامين وكان هذا جهلا
لانهم عابوا نبي الله صلى الله عليه وسلم بما لا عيب فيه لان الانبياء
صلى الله عليهم وسلم انما عليهم ان ياتوا بالبراهين والايات وليس
عليهم تغيير الصور والهيات وهم يرسلون الى الناس جميعا فاذا
اسلم منهم الدني لم يلحقهم من ذلك نقصان لان عليهم ان يقبلوا
اسلام كل من اسلم منهم القرطبي الاراذل هم الفقرا والضعفا قال
العلما وانما كان ذلك لاستيلا الرياسة على الاشراف وصعوبة
الانفكاك عنها والانفة من الانقياد للغير والفقير خلي عن تلك
الموانع فهو سريع الاجابة والانقياد بادي الراي اي باظاهر الراي
وباطنهم على خلاف ذلك يقال بدا لي كذا اي ظهر لي راي غير الاول
وقال الازهري فيما يبدو لنا من الراي ويجوز ان يكون بادي
الراي من بدا يبدو وحذف الهمزة وحقق ابو عمرو الهمزة يقال
بادي الراي اي اول الراي اتبعوك حين ابتدوا ينظرون ولو
امعنوا النظر والفكر لم يتبعوك ولا يختلف المعنى هاهنا بالهمز
وترك الهمز وانتصب على الظرف اي وقت حدوث اول رايهم وقيل
على حذف في كما قال تعالى واختار موسى قومه وما نرى لكم علينا

من

من فضل اي بوصلكم للنبوة واستحقاق المتابعة وهذا جحد منهم لنبوته
وقيل من فضل في الخلق والمال بل نظنكم كاذبين الخطاب لنوح ومن
امن معه قال يا قوم ارايتم اخبروني ان كنت على بينة اي على يقين
وبيان من ربي وقيل على معجزة واتاني رحمة من عنده يجوز ان تكون
من متعلقة بالفعل وان تكون من نعت الرحمة اي نبوة ورسالة
عن ابن عباس وهي رحمة على الخلق وقيل الهداية الى الله تعالى
بالبرهان فعميت عليكم اي خفيت الرسالة والهداية فلم تفهموها
يقال عمي على كذا لم افهمه او فعميت الرحمة وقيل هو مقلوب لان الرحمة
لا تعمى وانما يعمى عنها والمعنى فعميتم عنها كقولهم ادخلت الخاتم
في اصبعي وقري فعميت بضم العين وتشديد الميم على ما لم يسم
فاعله اي فعماها الله عليكم انلزمكموها قيل هي شهادة ان لا اله الا
الله وقيل الها ترجع الى الرحمة او الى البينة اي انلزمكم قبولها
واوجبها عليكم وهو استفهام بمعنى الانكار اي لا يمكنني ان اضطركم
الى المعرفة بها وانتم لها كارهون اي لا يصح قبولكم لها مع الكراهة
عليها ويا قوم لا اسالكم عليه اي على التبليغ والدعا الى الله والايمان
به مالا تعطونيه فيثقل عليكم ان ما اجري الا على الله اي ثوابي
في تبليغ الرسالة وما انا بطارد الذين امنوا سالوه ان يطرد الاراذل
الذين امنوا به كما سالت قريش النبي صلى الله عليه وسلم ان يطرد الموالي
والفقرا فاجابهم بقوله وما انا بطارد الذين امنوا انهم ملاقوا ربهم
بالبعث يحتمل ان يكون قال هذا على وجه الاعظام لهم بلقا الله
عز وجل ويحتمل ان يكون قال هذا على وجه الاختصام اي لو فعلت

ذلك لخاصموني عند الله عز وجل فيجازيهم على ايمانهم ويجازي من
طردهم ولكني اراكم قوما تجهلون في استرذالكم لهم وسوالكم
طردهم اوعاقبة امركم ويا قوم من ينصرني من الله اي يمنعني من
عذابه قاله الفرا ان طردتهم لاجل ايمانهم افلا تذكرون اي افهلا
تتعظون ولا اقول لكم عندي خزاين الله ولا اعلم الغيب اخبر بتواضعه
وتذلله لله عز وجل وهو انه لا يدعي ما ليس له من خزاين الله وهي
انعامه على من يشا من عباده وانه لا يعلم الغيب لان الغيب لا
يعلمه الا الله عز وجل ولا اقول اني ملك اي ولا اقول لكم ان منزلتي
عند الناس منزلة الملايكة بل انا بشر مثلكم ولا اقول للذين تزدري
اي تستثقل وتحتقر اعينكم والاصل تزدري وهم لن يوتيهم الله
خيرا اي ليس لاحتقاركم لهم تبطل اجورهم او ينقص ثوابهم الله
اعلم بما في انفسهم قلوبهم فيجازيهم عليه ويواخذهم به اني
اذا لمن الظالمين اي ان قلت هذا الذي تقدم ذكره قالوا يا نوح
قد جادلتنا فاكثرت جدالنا اي خاصمتنا فاكثرت خصامنا
وبالغت فيها والجدل المبالغة في الخصومة والجدال في الدين محمود
ولهذا جادل نوح والانبيا قومهم واما بغير الحق حتى يظهر الباطل
فمذموم وصاحبه في الدارين ملوم فاتنا بما تعدنا من العذاب
ان كنت من الصادقين في قولك قال انما ياتيكم به الله ان شاء
تعجيله لكم او اراد اهلاككم عذبكم وما انتم بمعجزين اي فايتين
وقيل بغالبين ولا ينفعكم نصحي اي ابلاغي واجتهادي في
ايمانكم ان اردت ان انصح لكم اي انصحكم لانكم لا تقبلون

نصحا

نصحا ان كان الله يريد ان يغويكم اي يضلكم وقيل يهلككم هو ربكم
فاليه الاغوا واليه الهداية واليه ترجعون تهديد ووعيد ام
بل يقولون كفار مكة افتراه يعنون النبي صلى الله عليه وسلم
اي اختلق محمد القران من قبل نفسه وما اخبر به عن نوح وقومه
قاله مقاتل وقال ابن عباس هو من محاورة نوح لقومه وهو
اظهر لانه ليس قبله ولا بعده الا ذكر نوح وقومه فالخطاب
منهم ولهم قل ان افتريته اي اختلقته وافتعلته يعني
الوحي والرسالة فعلي اجرامي اي عقاب اجرامي وان كنت محقا
فيما اقوله فعليكم عقاب تكذيبي والاجرام مصدر اجرم وهو اقتراف
السيئة وقيل المعنى جزا جرمي او كسبي وانا بري مما تجرمون
اي من الكفر والتكذيب وفي هذه الاية احتباك قال الزركشي
وهو ان يجتمع في الكلام متقابلان فيحذف من كل واحد منهما
مقابله لدلالة الاخر عليه والتقدير في الاية ان افتريته
فعلي اجرامي وانتم برا منه وعليكم اجرامكم وانا بري مما
تجرمون فحذف من الاول وانتم برا منه ومن الثاني وعليكم اجرامكم
واوحي الى نوح انه لن يومن من قومك الا من قد امن انه في
موضع رفع اسم ما لم يسم فاعله وقيل في موضع نصب ويكون التقدير
بانه ومعنى الكلام الاياس من ايمانهم واستدامة كفرهم تحقيقا
لنزول الوعيد بهم قال الضحاك فدعى عليهم لما اخبر بهذا فقال
رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وقيل ان رجلا من
قوم نوح حمل ابنه على كتفه فلما راى نوحا قال لابنه اعطني

نجوا فاعطاه نجوا فرمى به نوحا فادماه فاوحى الله اليه انه لن يؤمن من
قومك الا من قد امن فلا تبتئس اي فلا تغتم بهلاكهم حتى تكون
بائسا حزينا والابتئاس حزن في استكانة بما كانوا يفعلون
من الشرك واصنع الفلك اي اعمل السفينة لتركبها انت ومن معك
باعيننا اي بمراى منا وحيث نراك الربيع بحفظنا اياك حفظ من
يراك ابن عباس بحراستنا فعبر عن الروية بالاعين لان الروية تكون
بها وجمع الاعين للعظمة لا للتكثير كما قال فنعم القادرون فنعم
الماهدون وهو عبارة عن الادراك والاحاطة وهو سبحانه منزه
عن الحواس والتشبيه والتكييف لا رب غيره وقيل المعنى باعين
ملايكتنا الذين جعلناهم عيونا على حفظك ومعونتك فيكون
الجمع على هذا للتكثير وقيل بعلمنا قاله مقاتل وقيل بامرنا وقيل
بمعونتنا لك على صنعها وقوله باعيننا في موضع الحال من ضمير
الفاعل في اصنع اي محفوظا ووحينا اي على ما اوحينا اليك من
صفتها ولا تخاطبني في الذين ظلموا كفروا اي لا تطلب امهالهم
انهم مغرقون ويصنع الفلك اي وطفق يصنع الفلك وهي
حكاية حال ماضية قال زيد بن اسلم مكث نوح عليه السلام
مائة سنة يغرس الشجر ويقطعها وييبسها ومائة سنة يعملها
وعن عمرو بن الحارث عمل نوح سفينته بقاع دمشق وقطع
خشبها من جبل لبنان وذكر ابن العربي لما اوحى الله اليه ان
اصنع الفلك قال يا رب ما انا بنجار قال بلى فان ذلك بعيني
فاخذ القدوم فجعله بيده وجعلت يده لا تخطي فجعلوا يمرون

به ويقولون هذا الذي يزعم انه نبي صار نجارا فعملها اربعين سنة
وذكر الثعلبي انه لم يعلم كيف صنعة الفلك فاوحى الله اليه
اصنعها كجوجو الطاير وقال كعب بناها في ثلاثين سنة المهدوي
وجا في الخبر ان الملايكة كانت تعلمه كيف يصنعه قال ابن عباس
كان طولها ثلثماية ذراع وعرضها خمسون وسمكها ثلاثون وكانت
من خشب الساج قال الكلبي وغيره والذراع الى المنكب وقال سلمان
الفارسي والحسن طول السفينة الف ذراع ومايتا ذراع وعرضها
ستماية ذراع وفي قصة سام وكانت ثلاث طبقات طبقة
فيها الدواب والوحش وطبقة فيها الانس وطبقة فيها الطير
وحكى النقاش دخل فيها اربعة اذرع ابن عباس جعلها ثلاث بطون
البطن الاول للوحوش والسباع والدواب والاوسط للطعام ن
والشراب وركب هو في البطن الاعلى وحمل معه جسد ادم ثم دفنه
بعد ببيت المقدس وقيل كان معهم ابليس في الكوثل ونجات الحية
والعقرب لدخول السفينة فقال نوح لا احملكما لانكما سبب الضرر
والبلا فقالتا احملنا فنحن نضمن لك ان لا نضر احدا ذكرك فمن قرا
حين يخاف مضرتهما سلام على نوح في العالمين لم تضراه ذكره القشيري
وكلما ظرف مر عليه ملا جماعة من قومه سخروا منه قيل كانوا يرونه
يبني سفينة في البر فيسخرون به ويستهزؤون ويقولون يا
نوح صرت نجارا بعد النبوة وقيل لما راوه يبني السفينة ولم
يشاهدوا قبلها سفينة بنيت قالوا يا نوح ما تصنع قال ابني
بيتا يمشي على الما فعجبوا وسخروا منه قال ابن عباس ولم يكن

في الارض قبل الطوفان نهر ولا بحر فلذلك سخروا منه ومياه البحار هي
بقية الطوفان **قال ان تسخروا منا** اي من فعلنا اليوم عند بنا السفينة
فانا نسخر منكم غدا عند الغرق والمراد بالسخرية هنا الاستجهال ومعناه
ان تستجهلونا فانا نستجهلكم كما تستجهلونا **فسوف تعلمون من ياتيه
عذاب يخزيه** اي فسوف تعلمون الذي ياتيه العذاب ويجوز ان
يكون من استفهاما اي اينا ياتيه عذاب وقيل من في موضع رفع
بالابتدا وياتيه الخبر ويخزيه صفة العذاب **ويحل عليه** اي يجب
عليه وينزل به **عذاب مقيم** اي دايم يريد عذاب الاخرة **حتى**
غاية الصنع **اذا جا امرنا** باهلاكهم **وفار التنور** ابن عباس هو وجه
الارض وذلك انه قيل له اذا رايت الما على وجه الارض فاركب
انت ومن معك وقيل انه التنور الذي يخبز فيه وكان تنورا من
حجارة وكان لحوا صار لنوح فقيل له اذا رايت الما يفور من
التنور فاركب انت واصحابك فانبع الله الما من التنور فعلمت به
امراته فقالت يا نوح فار التنور فقال جا وعد ربي هذا قول الحسن
ومجاهد وقيل موضع اجتماع الما في السفينة وقيل انه طلوع
الفجر ونور الصبح قاله علي بن ابي طالب النحاس وهذه الاقوال ليست
بمتناقضة لان الله تعالى اخبر ان الما جا من السما والارض قال
تعالى ففتحنا ابواب السما بما منهمر وفجرنا الارض عيونا فهذه
الاقوال تجتمع في ان ذلك كان علامة والفوران الغليان والتنور
اسم اعجمي عربته العرب وقيل معنى فار التنور التمثيل لحضور
العذاب كقولهم حمي الوطيس اذا اشتد الحرب والوطيس التنور

ويقال

ويقال فارت قدر القوم اذا اشتد حربهم **قلنا احمل فيها من كل
زوجين اثنين** يعني ذكرا وانثى لبقا اصل النسل بعد الطوفان
وفي القصة ان الله تعالى حشر لنوح السباع والطير وغيرهما
فجعل يضرب بيديه في كل نوع فتقع يده اليمنى على الذكر
واليسرى على الانثى فيجعلهما في السفينة وقري من كل بالتنوين
اي من كل شي زوجين ويقال للاثنين هما زوجان في كل اثنين
لا يستغني احدهما عن صاحبه والعرب تسمي كل واحد منهما زوجا
واثنين توكيد **واهلك** اي واحمل اهلك **الا من سبق** من في
موضع نصب بالاستثنا **عليه القول** منهم اي بالهلاك وهو ابنه
كنعان وامراته واعلة كانا كافرين **ومن امن** قال الضحاك وابن
جريج اي احمل من امن بي وصدقك **وما امن معه الا قليل** قال
ابن عباس امن من قومه ثمانون انسانا منهم ثلاثة من بنيه
سام وحام ويافث وثلاث كناين له ولما خرجوا من السفينة
بنوا قرية وهي اليوم تدعى قرية الثمانين بناحية الموصل
وروي انه كان في السفينة ثمانية نوح وزوجته غير التي
عوقبت وبنوه الثلاثة وزوجاتهم وهو قول قتادة وغيره
فاصاب حام امراته في السفينة فدعا نوح ربه ان يغير
نطفته فجا بالسودان واهم خيث ما كان ولدهم يكونون عبيدا
لولد سام ويافث **وقال اركبوا فيها** امر بالركوب يحتمل ان يكون
من الله وان يكون من نوح لقومه وفي الكلام حذف اي اركبوا
الما في السفينة وقيل المعنى اركبوها وفي التاكيد وفايده

في ابهم امر وان يكونوا في جوفها لا على ظهرها قال عكرمة ركب نوح
في السفينة لعشر خلون من رجب واستوى على الجودي لعشر خلون
من المحرم وقاله قتادة وزاد وهو يوم عاشورا فقال لمن كان معه
من كان صايما فليتم صومه ومن لم يكن صايما فليصمه بسم الله
مجراها ومرساها قال الضحاك كان نوح اذا قال بسم الله مجراها
جرت واذا قال بسم الله مرساها رست من قرا بالضم اراد بالله
اجراوها وارساوها ومن قرا بالفتح اراد بالله يكون جريها ويقع
ارساؤها ان ربي لغفور رحيم حيث لم يهلكنا وهي تجري بهم
في موج كالجبال في الارتفاع والعظم والموج جمع موجة وهي
ما ارتفع عن جملة الما الكثير عند اشتداد الريح وجا في التفسير
ان الما جاوز كل شي خمسة عشر ذراعا ونادى نوح ابنه وكان كافرا
واسمه كنعان وكان في معزل اي من دين ابيه وقيل عن السفينة
والمعزل المكان المنقطع يا بني اركب معنا وقيل ان نوحا لم يعلم
انه كان كافرا ولهذا قال له ولا تكن مع الكافرين وكان هذا
الندا من قبل ان يستيقن القوم الغرق بل كان في اول ما فار التنور
واصل يا بني ان يكون بثلاث يا آت يا التصغير ولام الفعل ويا
الاضافة فادغمت يا التصغير في لام الفعل وكسرت لام الفعل
من اجل يا الاضافة قال ساوي الى جبل يعصمني من الما اي
سارجع وانضم الى جبل يمنعني من الما فلا اغرق قال لا عاصم
اليوم من امر الله اي لا مانع فانه يوم حق فيه العذاب على الكفار
وانتصب عاصم على التبرية ويجوز ان يكون لا بمعنى ليس الا

من

من رحم في موضع نصب استثنا ليس من الاول اي لكن من رحمه الله
فهو يعصمه قاله الزجاج ويجوز ان يكون في موضع رفع على ان
عاصما بمعنى معصوم مثل ماء دافق اي مدفوق فالاستثنا على هذا
متصل النحاس ومن احسن ما قيل فيه ان يكون من في موضع رفع
بمعنى لا يعصم اليوم من امر الله الا الراحم اي الا الله وهذا اختيار
الطبري ويحسن هذا لانك لم تجعل عاصما بمعنى معصوم
فتخرجه من بابه ولا الا بمعنى لكن وحال بينهما يعني بين نوح
وابنه وقيل بين ابنه والجبل الموج فكان من المغرقين اي
صار منهم قيل انه كان راكبا على فرس قد بطر بنفسه واعجب
بها فجاته موجة عظيمة فالتقمته هو وفرسه وحيل بينه وبين
نوح فغرق وقيل انه اتخذ لنفسه بيتا من زجاج فتحصن فيه
من الما فلما فار التنور دخل فيه واقفله عليه من داخل فلم
يزل يتغوط فيه ويبول حتى غرق بذلك قيل والجبل الذي اوى
اليه طور زيتا وقيل يا ارض ابلعي ماءك الذي نبع منك
ويا سما اقلعي امسكي عن انزال الما قيل وهذا مجاز لانها موات
وقيل جعل فيها ما تميز به والذي قال انه مجاز قال لو فتش
كلام العرب والعجم ما وجد فيه مثل هذه الاية على حسن نظمها
وبلاغة وصفها واشتمال المعاني فيها لانه امر فيها ونهى واخبر
ونادى ونعت وسمى واهلك وابقى واسعد واشقى وقص
من الانبا ما لو شرح ما اندرج في هذه الجملة من بديع اللفظ
والبلاغة والايجاز والبيان لجفت الاقلام وفي الاثر ان الله

تعالى لا يخلي الارض من مطر في عام او عامين وانه ما نزل من السما ما قط الا بحفظ ملك موكل به الا ما كان من ما الطوفان فانه خرج منه ما لا يحفظه الملك وذلك قوله تعالى انا لما طغى الما فامر الله الماء المنهمر من السما بالامساك وامر الله الارض بالابتلاع ابن العربي امر الله ما نزل من السما بالاقلاع فلم تمتص منه الارض قطرة وامر الارض بابتلاع ما خرج منها فقط وقد ميز الله بين الما بين فما كان من ما الارض امرها فبلعته وصار ما السما بحارا وانهارا **وغيض الماء** اي نقص **وقضي الامر** اي احكم وفرغ منه اي اهلاك قوم نوح على تمام واحكام ويقال ان الله تعالى اعقم ارحام نسائهم قبل الغرق باربعين سنة فلم يكن فيمن هلك صغير والصحيح انه اهلك الولدان بالطوفان كما هلكت الطير والسباع ولم يكن الغرق عقوبة للصبيان والبهايم بل ماتوا باجالهم ويحكى انه لما كثر الما في السكك خشيت ام صبي عليه فخرجت الى الجبل حتى بلغت اعلاه واستوت عليه وبلغ الما رقبتها رفعت يديها بابنها حتى ذهب بهما الما فلو رحم الله احدا لرحم ام الصبي **واستوت** وقفت السفينة **على الجودي** هو جبل بقرب الموصل استوت عليه في العاشر من المحرم يوم عاشورا فصامه نوح ومن معه من الناس والوحش والدواب والطير ويروى ان الله تعالى اوحى الى الجبال ان السفينة ترسي على واحد منها فتطاولت الجبال وبقي الجودي لم يتطاول تواضعا لله تعالى فاستوت السفينة عليه وبقيت عليه اعوادها وفي الحديث لقد بقي منها شي ادركه اوايل هذه الامة وقال مجاهد تطاولت الجبال

وتشامخت

وتشامخت ليلا ينالها الغرق فعلا الما فوقها خمسة عشر ذراعا وتطامن الجودي وتواضع فلم يغرق ورست عليه ويقال ان الجودي من جبال الجنة فلهذا استوت عليه ويقال اكرم الله ثلاثة جبال بثلاثة نفر الجودي بنوح وطور سينا بموسى وحرا بمحمد صلى الله عليه وسلم **وقيل بعدا للقوم الظالمين** هو مصدر اي وقيل بعد بعدا وللظالمين تبيين وتخصيص وليست اللام متعلقة بالمصدر **ونادى نوح ربه** اي اراد نداه بدليل عطف قوله **فقال رب ان ابني من اهلي** اي من اهلي الذين وعدتهم ان ينجيهم من الغرق ففي الكلام حذف **وان وعدك الحق** اي الصدق قال العلما وانما قال نوح ذلك لانه كان عنده ان ابنه مومنا في ظنه اذ محال ان يسال هلاك الكفار ثم يسال في انجا بعضهم وكان ابنه يسر الكفر ويظهر الايمان فاخبر الله تعالى نوحا بما هو منفرد به من علم الغيب **وانت احكم الحاكمين** اي احكمهم واعدلهم ابتدا او خبر اي حكمت على قوم بالنجاة وعلى قوم بالغرق **قال يا نوح انه ليس من اهلك** اي ليس من اهلك الذين وعدتهم ان انجيهم قاله ابن جبير وقال الجمهور ليس من اهل دينك فهو على حذف مضاف **انه عمل غير صالح** قرئ عمل غير صالح بكسر الميم ونصب غير اي من الكفر والتكذيب وقرئ عمل بالرفع فيهما اي ابنك ذو عمل غير صالح فحذف المضاف وهذا القول بمعنى الاول ويجوز ان تكون الها للسوال اي سوالك اياي ان انجيه عمل غير صالح قاله قتادة الحسن انه ولد على فراشه قال ابن عباس ما بغت امراة نبي قط وانه كان ابنه لصلبه وكذا قال الضحاك وعكرمة

وغيرهما وهذا هو الصحيح في الباب وقوله تعالى فخانتاهما يعني في الدين
لا في الفراش فلا تسألني ما ليس لك به علم يعني ادخاله في جملة اهلك
الناجين اني اعظك ان تكون من الجاهلين اي انهاك عن هذا السوال
واحذرك لئلا تكون اوكراهية ان تكون من الجاهلين قال نوح رب
اني اعوذ بك ان اسالك في المستقبل ما ليس لي به علم اي ما لا علم
لي بصحته والا تغفر لي الجزم بان ولا يبطل عملها لان لا صارت كجزء
من الفعل وهي غير عاملة في النفي وهي تنفي ما في المستقبل وليس
كذلك ما فانها تنفي ما في الحال ولذلك لم يجز ان تدخل ان عليها
لان ان الشرطية تختص بالمستقبل وما لنفي الحال وترحمني اكن من
الخاسرين وهذه هي ذنوب الانبيا عليهم السلام فشكر الله تعالى تذلله
وتواضعه قيل يا نوح اهبط بسلام منا قاله الله له او قالت له الملائكة
اهبط اي من السفينة الى الارض او من الجبل الى الارض فقد ابتلعت
الما وجفت بسلام منا اي بسلامة وامن وقيل بتحية وبركات اي
نعم ثابتة عليك وعلى امم ممن معك قيل دخل في هذا كل مومن
الى يوم القيمة ودخل في قوله وامم سنمتعهم في الدنيا ثم يمسهم
منا عذاب اليم كل كافر الى يوم القيمة والتقدير على هذا وعلى ذرية
امم ممن معك وذرية امم سنمتعهم وقيل من للتبعيض وتكون
لبيان الجنس وارتفع وامم على معنى وتكون امم واعيدت على مع امم
لانه معطوف على الكاف من عليك وهو ضمير المجرور الا باعادة الجار
والبا في بسلام متعلقة بمحذوف لانها في موضع الحال اي اهبط مسلما
عليك ومنا في موضع جر متعلق بمحذوف لانه نعت لسلام وعليك

في

في موضع جر متعلق بمحذوف لانه نعت لبركات وعلى امم متعلق
بما تعلق به عليك لانه اعيد من اجل المعطوف على الكاف ومن
من قوله ممن معك متعلق بمحذوف لانه في موضع جر نعت للامم
ومعك متعلق بفعل محذوف لانه صلة لمن اي ممن استقر معك
او امن معك او ركب معك تلك اي هذه الانبا او القصص او قصة
نوح من انبا الغيب اخبار الغيب اي ما غاب عنك نوحيها اليك اي
لتقف عليها ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا اي كانوا غير
عارفين بامر الطوفان والمجوس الان ينكرونه وقيل اراد جهلهم
بقصة نوح وان سمعوا امر الطوفان على الجملة فاصبر يا محمد على
القيام بامر الله وتبليغ رسالته وما تلقى من اذى الكفار كما صبر
نوح على اذى قومه ان العاقبة في الدنيا بالظفر وفي الاخرة
بالفوز للمتقين الشرك والمعاصي والى عاد اخاهم هودا اي وارسلنا
فهو معطوف على ارسلنا نوحا وقيل له اخوهم لانه منهم وكانوا عبدة
الاوثان وقيل هم عاد ان عاد الاولى وعاد الاخرى فهو لاهم الاولى
واما الاخرى فهم شداد المذكور في قوله عاد ارم ذات العماد وعاد
اسم رجل استمر على قوم انتسبوا اليه قال يا قوم اعبدوا الله وحده
ما لكم من زائدة اله غيره قرئ بالخفض على اللفظ وبالرفع على الموضع
ان ما انتم الا مفترون اي ما انتم في اتخاذكم الها غيره الا كاذبون
عليه جل وعلا يا قوم لا اسئلكم عليه اي التوحيد اجرا ان اجري
الا على الذي فطرني خلقني والفطرة ابتدا الخلق افلا تعقلون
ما جرى على قوم نوح لما كذبوا الرسل ويا قوم استغفروا ربكم

من الشرك **ثم توبوا اليه** بالطاعة **يرسل السما** المطر وكانوا قد منعوه
ويرسل جزم لانه جواب وفيه معنى المجازاة **عليكم مدرارا**
نصب على الحال وفيه معنى التكثير اي يرسل السما بالمطر متتابعا
يتلو بعضه بعضا والعرب تحذف الها من مفعال على النسب وهو
للمبالغة وذلك يستوي فيه المذكر والمونث كصبور واكثر ما ياتي
مفعال من افعل وقد جا هذا من فعل لانه من درت السما وقيل
السما السحاب فذكر مدرارا على المعنى وكانت عاد اهل بساتين
وزروع وعمارة وكانت مساكنهم الرمال التي بين الشام واليمن
ويزدكم عطف على يرسل **قوة الى** مع **قوتكم** قال مجاهد شدة
الى شدتكم الضحاك خصبا الى خصبكم علي بن عيسى عزا الى عزكم
عكرمة ولدا الى الولد وقيل ان الله تعالى حبس عنهم المطر ثلاث سنين
واعقم الارحام ثلاث سنين ولم يولد لهم ولد فقال لهم هود
ان امنتم احيى الله بلادكم ورزقكم المال والولد فتلك القوة
ولا تتولوا مجرمين اي لا تعرضوا عما ادعوكم اليه وتقيموا على الكفر
قالوا يا هود ما جئتنا ببينة اي حجة واضحة وبينة يجوز
ان تتعلق البا بجئت والتقدير ما اظهرت بينة ويجوز ان
تكون حالا اي ومعك بينة او محتجا ببينة **وما نحن بتاركي**
الهتنا اي بتاركي عبادتنا **عن قولك** اي صادرين عن قولك حال
من الضمير في تاركي او المعنى لقولك **وما نحن لك بمؤمنين** اصرار
منهم على الكفر **ان ما نقول** في شانك **الا اعتراك** اي اصابك
والجملة مفسرة لمصدر محذوف اي ما نقول الا قولا هو اعتراك

بعض الهتنا اي اصنامنا **بسوء** اي بجنون لسبك اياها فانت تهذي
عن ابن عباس وغيره يقال عراه الامر واعتراه واعتره اذا الم به ومنه
واطعموا القانع والمعتر **قال اني اشهد الله** اي على نفسي **واشهدوا**
اي واشهدكم لا انهم كانوا اهل شهادة ولكنه نهاية للتقرير اي
لتعرفوا **اني بريء مما تشركون** به من عبادة الاصنام التي تعبدونها
من دونه فكيدوني جميعا اي احتالوا انتم واوثانكم في عداوتي
وضري **ثم لا تنظرون** اي لا تؤخروني وهذا القول مع كثرة
الاعدا يدل على كمال الثقة بنصر الله تعالى وهو من اعلام النبوة
ان يكون الرسول وحده يقول لقومه فكيدوني جميعا وكذلك
قال النبي صلى الله عليه وسلم لقريش وقال نوح عليه السلام
فاجمعوا امركم وشركاكم الاية **اني توكلت على الله ربي وربكم**
اي رضيت بحكمه ووثقت بنصره **ما من دابة** اي نفس تدب
على الارض **الا هو اخذ بناصيتها** اي يصرفها كيف يشا ويمنعها
مما شا اي فلا تصلون الى ضري وقال الفرا مالكها والقادر عليها
وقال القتيبي قاهرها لان من اخذت بناصيته فقد قهرته
والناصية قصاص الشعر في مقدم الراس وقال الترمذي قوله
ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها وجهه عندنا ان الله تعالى قدر
مقادير اعمال العباد ثم نظر اليها ثم خلق خلقه وقد نفذ بصره
في جميع ما هم فيه عاملون من قبل ان يخلقهم فلما خلقهم وضع
نور تلك النظرة في نواصيهم فذلك النور اخذ بنواصيهم يجذبهم
الى اعمالهم المقدرة عليهم يوم المقادير وخلق الله تعالى

المقادير قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة ولهذا
تفاوتت الرسل وصاروا من اولي العزم لانهم لاحظوا نور النواصي
فايقنوا ان جميع خلقه منقادون بتلك الانوار فاوفرهم حظا من
الملاحظة اقواهم في العزم وانما سميت ناصية لان الاعمال
قد نصت وبرزت من غيب الغيب فصارت منصوصة في المقادير
الى اخره ان ربي على صراط مستقيم قال النحاس الصراط في اللغة
المنهاج الواضح والمعنى ان الله تعالى وان كان يقدر على كل
شيء فانه لا ياخذهم الا بالحق والعدل فلا خلل في تدبيره
ولا تفاوت في خلقه فان تولوا تعرضوا والاصل فان تتولوا
حذفت احدى التائين فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم
يعني قد بينت لكم وجواب فان تولوا محذوف وقام مقامه
ما يدل عليه وهو فقد ابلغتكم لان الابلاغ ليس هو الجواب
لتقدمه على توليهم وانما التقدير فان تولوا فلا لوم علي اذ
فلا عذر لكم لاني ابلغتكم ويستخلف ربي قوما غيركم اي يهلككم
ويخلق من هو اطوع له منكم يوحدونه ويعبدونه ويستخلف مقطوع
مما قبله فلذلك ارتفع ولا تضرونه شيئا اي بتوليكم واعراضكم
ان ربي على كل شيء حفيظ رقيب اي لكل شيء حافظ على بمعنى اللام فهو
يحفظني من ان تنالوني بسوء ولما جاء امرنا اي عذابنا بهلاك
عاد نجينا هودا والذين امنوا معه برحمة منا لان احدا
لا ينجو الا برحمة الله وان كانت له اعمال صالحة وفي صحيح
مسلم والبخاري لن ينجي احدا منكم عمله قالوا ولا انت يا رسول الله

قال

قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمة منه وقيل معنى برحمة منا
بان بينا لهم الهدى الذي هو رحمة وكانوا اربعة الاف وقيل
ثلاثة الاف ونجيناهم من عذاب غليظ شديد وهو عذاب
يوم القيمة وقيل هو الريح العقيم وتلك عاد ابتداء وخبر
جحدوا بايات ربهم اي كذبوا بالمعجزات وانكروها وقيل تلك عاد
اشارة الى اثارهم اي فسيحوا في الارض فانظروا اليها ثم وصف
حالهم فقال جحدوا الخ وعصوا رسله يعني هودا وحده لانه
لم يرسل اليهم غيره وانما جمع هنا لان من كذب رسولا واحدا
فقد كفر بجميع الرسل لاشتراكهم في اصل ما جاءوا به وهو التوحيد
وقيل عصوا هودا والرسل قبله او كانوا بحيث لو ارسل اليهم الف
رسول لجحدوا الكل واتبعوا امر كل جبار عنيد اي اتبع
اسقاطهم امر رؤسائهم والجبار المتكبر والعنيد الطاغي
الذي لا يقبل الحق ولا يطعن له واتبعوا في هذه الدنيا
لعنة اي الحقوها من الناس ويوم القيمة اي واتبعوا يوم
القيمة مثل ذلك الا ان عادا كفروا ربهم قال الفراء كفروا نعمة
ربهم وقيل هو محمول على المعنى اي جحدوا ربهم ويجوز ان
يكون انتصب لما حذف الباء الفراء ويقال كفرته وكفرت به
مثل شكرته وشكرت له الا بعدا من رحمة الله لعاد قوم هود
عطف بيان وفايدته تمييزهم عن عاد ارم اي لا زالوا مبعدين
عن رحمة الله يقال بعد يبعد بعدا اذا تاخر وتباعد وبعد
يبعد بعدا اذا هلك والى ثمود اخاهم صالحا اي وارسلنا الى

ثمود اخاهم في القبيلة صالحا قال يا قوم اعبدوا الله وحدوه ما
لكم من اله غيره تقدم هو انشاكم اي ابتدا خلقكم من الارض
وذلك ان ادم خلق من الارض على ما تقدم وهم منه وقيل
انشاكم في الارض واستعمركم فيها اي جعلكم عمارها وسكانها وقال
مجاهد استعمركم اعمركم وقال الضحاك اطال اعماركم وكانت
اعمارهم من ثلاثماية الى الف ابن عباس اعاشكم فيها زيد بن
اسلم امركم بعمارة ما تحتاجون اليه فيها من بنا مساكن وغرس
اشجار فاستغفروه اي سلوه المغفرة من عبادة الاصنام
ثم توبوا اليه اي ارجعوا الى عبادته ان ربي قريب مجيب من
عباده بعلمه او قريب الاجابة لمن دعاه قالوا يا صالح قد كنت فينا
مرجوا اي كنا نرجوا ان تكون فينا سيدا قبل هذا اي قبل دعوتك
النبوة وقيل كان صالح يعيب الهتهم ويشناؤها وكانوا يرجون
رجوعه الى دينهم فلما دعاهم الى الله قالوا انقطع رجاؤنا
منك اتنهانا استفهام معناه الانكار ان نعبد اي عن ان نعبد
ما يعبد اباؤنا من الاوثان واننا لفي شك مما تدعونا اليه من
التوحيد والخطاب لصالح مريب اي موقع للريبة من اربته اذا
فعلت به فعلا يوجب له به الريبة قال يا قوم ارايتم ان كنت
على بينة بيان من ربي واتاني منه رحمة نبوة فمن ينصرني
من الله ان عصيته استفهام معناه النفي اي لا يمنعني من عذاب
الله احد ان عصيته فما تزيدونني غير تخسير اي تضليل وابعاد
من الخير والتخسير لهم لا له صلى الله عليه وسلم كانه قال غير تخسير

لكم

لكم لا لي وقيل المعنى ما تزيدونني باحتجاجكم بدين ابائكم غير
بصيرة بخسارتكم عن ابن عباس ويا قوم هذه ناقة الله لكم اية
نصب على الحال والعامل معنى الاشارة وانما قيل ناقة الله لانه
اخرجها لهم من جبل على ما طلبوه على انهم يومنون وقيل من صخرة
صما منفردة في ناحية الحجر فلما خرجت الناقة على ما طلبوا قال
لهم صالح هذه ناقة الله لكم اية فذروها تاكل في ارض الله
ترعى في نباتها وتشرب ماءها ولا يقال وذر ولا واذر الا شاذا
قال سيبويه استغنوا عنه بترك وقال غيره لما كانت الواو
ثقيلة وكان في الكلام فعل بمعناه لا واو فيه الغوه ولا تمسوها
جزم بالنهي بسوء اي بعقر قاله الفرا فياخذكم جواب النهي عذاب
قريب اي قريب من عقرها فعقروها فقال صالح تمتعوا في داركم
ثلاثة ايام انما عقرها بعضهم وهو قدار بن سالف واضيف الى الكل
لانه كان برضى الباقين فقال لهم صالح تمتعوا بنعم الله قبل
العذاب في بلدكم ولو اراد المنزل لقال في دوركم وقيل المعنى
ليتمتع كل واحد منكم في داره كقوله يخرجكم طفلا اي كل واحد
طفلا وعبر عن الحياة بالتمتع لان الميت لا يتلذذ ولا يتمتع بشيء
فعقرت يوم الاربعا فاقاموا الخميس والجمعة والسبت واتاهم
العذاب يوم الاحد فاصفرت الوانهم في اليوم الاول ثم احمرت
في الثاني ثم اسودت في الثالث وهلكوا في الرابع ذلك وعد
غير مكذوب اي كذب وقيل غير مكذوب فيه فلما جاء امرنا اي
عذابنا وامرنا بهلاكهم نجينا صالحا والذين امنوا معه وهم

اربعة الاف برحمة منا ومن خزي يومئذ اي ونجيناهم من خزي
يومئذ اي ذلته وفضيحته ولا يجوز زيادة الواو عند سيبويه
وقيل الواو زايدة وعند الكوفيين يجوز زيادتها مع لما وحتى
لا غير وقري يومئذ بالنصب ووجهه انه اضيف الى غير متمكن
وهو اذ وهذه حالة كل ظرف لزم الاضافة اذا اضيف الى غير
متمكن ويجوز ان لا يبنى وقري بالكسر على اضافة يوم الى اذ اعرابا
ان ربك هو القوي العزيز الغالب على امره واخذ الذين ظلموا الصيحة
في اليوم الرابع صيح بهم فماتوا وذكر لان الصيحة والصياح واحد
وقيل للفصل بين الفعل والفاعل وقيل التانيث غير حقيقي
قيل صيحة جبريل وقيل صيحة من السما فيها صوت كل صاعقة
وصوت كل شي في الارض فتقطعت قلوبهم وماتوا وفي التفسير
انهم لما ايقنوا بالعذاب قال بعضهم لبعض ما مقامكم ان ياتيكم
الامر بغتة قالوا فما نصنع فاخذوا سيوفهم ورماحهم وعددهم
وكانوا فيما قيل اثني قبيلة في كل قبيلة اثني عشر الف مقاتل
فوقفوا على الطرق والفجاج زعموا يلاقون العذاب فاوحى الله تعالى
الى الملك الموكل بالشمس ان يعذبهم بحرها فادناها من رؤوسهم
فاشويت ابدانهم وتدلت السنتهم على صدورهم من العطش
ومات كل ما كان معهم من البهايم وجعل الما يتفور من تلك العيون
من غليانه حتى بلغ السما لا يسقط على شي الا اهلكه من شدة
حره فما زالوا كذلك واوحى الله تعالى الى ملك الموت ان لا يقبض
ارواحهم تعذيبا لهم الى ان غربت الشمس فصيح بهم فاهلكوا

فاصبحوا

فاصبحوا في ديارهم جاثمين اي ساقطين على وجوههم قد لصقوا
بالتراب كالطير اذا اجتمعت كان لم يغنوا فيها اي يقيموا في ديارهم
الا ان ثمودا كفروا ربهم الا بعدا لثمود قري الا ان ثمودا بالتنوين
وتركه وقري الا بعدا لثمود بخفض الدال والتنوين وبفتحها وترك
التنوين فالتنوين وعدمه مبني على صرف هذه الكلمة وعدم
صرفها فالصرف على انه اسم الحي وعدم الصرف على انه اسم
القبيلة ولقد جاءت رسلنا ابراهيم هذه قصة لوط وهو ابن
عم ابراهيم لحا وكانت قري لوط بنواحي الشام وابراهيم ببلاد فلسطين
فلما انزل الله تعالى الملايكة بعذاب قوم لوط مروا بابراهيم ونزلوا
عنده وكان كل من نزل عنده يحسن قراه فظنهم اضيافا وهم جبريل
واسرافيل وميكائيل عليهم السلام قاله ابن عباس الضحاك
كانوا تسعة السدي احد عشر ملكا على صورة الغلمان الحسان
الوجوه ذوو وضاءة وجمال بارع بالبشرى قيل بالولد اسحق ويعقوب
بعده وقيل بهلاك قوم لوط وقيل بشروه بانهم رسل الله
وانه لا خوف عليه قالوا سلاما نصب بوقوع الفعل عليه كما تقول
قالوا خيرا وهذا اختيار الطبري واما قوله سيقولون ثلاثة
فالثلاثة اسم غير قول مقول وقيل انتصب على المصدر وقيل
قالوا سلاما اي فاتحوه بصواب من القول كما قال واذا خاطبهم الجاهلون
قالوا سلاما اي صوابا فسلاما معنى قولهم لا لفظه وقيل
دعوا له اي سلمت سلاما قال سلام في رفعه وجهان احدهما
على اضمار مبتدا اي هو سلام وامري سلام والاخر بمعنى سلام

عليكم اذا جعل بمعنى التحية فاضمر الخبر وجاز سلام على التنكير لكثرة
الاستعمال فحذف الالف واللام قالوا وسلام ابراهيم ابلغ من سلام
الملايكة فان نصب سلاما انما يكون على ارادة الفعل اي سلمنا سلاما
وهذه العبارة موذنة بحدوث التسليم منهم اذ الفعل متاخر عن
وجود الفاعل بخلاف سلام ابراهيم فانه مرتفع بالابتدا فاقتضى
الثبوت على الاطلاق وهو اولى مما يعرض له الثبوت فكانه قصد ان
يحييهم باحسن ما حيوه به وقري سلم وسلام كحرم وحرام وحل
وحلال فما لبث ان جا بعجل ان بمعنى حتى اي فما لبث حتى وقيل ان في
موضع نصب بسقوط حرف الجار التقدير فما لبث عن ان جا اي ما ابطا عن
مجيئه بعجل فلما حذف حرف الجر بقي ان في محل النصب وفي لبث ضمير
ابراهيم وما نافية قاله سيبويه وقال الفرا فما لبث مجيئه اي ما
ابطا مجيئه فان في موضع رفع ولا ضمير في لبث وما نافية ويصح
ان يكون ما بمعنى الذي وفي لبث ضمير ابراهيم وان جا خبر ما اي
فالذي لبث ابراهيم هو مجيئه بعجل لان البقر كانت حنيذ اي
مشوي وقيل هو المشوي بالحجارة من غير ان تمسه النار ابن عباس
وغيره حنيذ نضيج وانما جا بعجل لان البقر كانت اكثر امواله
فلما راى ايديهم لا تصل اليه نكرهم اي انكرهم تقول انكرتك ونكرتك
اذا وجدته على غير ما عهدته ويقال انكرت لما تراه بعينك ونكرت
لما تراه بقلبك واوجس منهم خيفة اي اضمر ان يكونوا لصوصا
قالوا لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط اي بالعذاب وامراته قايمة
امراة ابراهيم ابتدا وخبر اي قايمة بحيث ترى الملايكة قيل

كانت

كانت من ورا الستر وقيل كانت تخدم الملايكة وهو جالس ابن اسحق
قايمة تصلي فضحكت قال مجاهد وعكرمة اي حاضت وكانت ايسة
تحقيقا للبشارة وقال الجمهور هو الضحك المعروف وقيل هو ضحك
التعجب قال مقاتل ضحكت من خوف ابراهيم ورعدته من ثلاثة نفر
وابراهيم في حشمه وخدمه وكان ابراهيم يقوم وحده بماية رجل
وروي ان الملايكة مسحت العجل فقام من موضعه فلحق بامه فضحكت
عند ذلك فبشروها باسحق وقال الفرا فيه تقديم وتاخير المعنى
فبشرناها باسحق فضحكت اي ضحكت سرورا بالولد وقيل سرورا
بهلاك قوم لوط والضحك انكشاف الاسنان ويجوز ان يكون
الضحك اشراق الوجه ومنه روضة ضاحكة اي مشرقة وفي
الحديث ان الله تعالى يبعث السحاب فيضحك احسن الضحك جعل
انجلاه عن البرق ضحكا وهذا كلام مستعار فبشرناها باسحق
لما ولد لابراهيم اسمعيل من هاجر تمنت سارة ان يكون لها ابن
وايست لكبر سنها فبشرت بولد يكون نبيا ويلد نبيا فكان
هذا بشارة لها بان ترى ولد ولدها ومن ورا اسحق
يعقوب قري بالرفع على معنى ويحدث لها من ورا اسحق يعقوب
ويجوز ان يرتفع بالابتدا ويكون في موضع الحال اي بشروها
باسحق مقابلا له يعقوب وقري بنصب يعقوب على معنى
ووهبنا لها من ورا اسحق يعقوب قالت يا ويلتا االد قال
الزجاج اصلها يا ويلتي فابدل من اليا الفا لانها اخف من اليا والكسرة
ولم ترد الدعا على نفسها بالويل ولكنها كلمة تخف على افواه

النسا اذا اهراعليهن ما يعجبن منه وعجبت من ولادتها وكون بعلها
شيخا لخروجه عن العادة وما خرج عن العادة مستغرف والندا
استفهام معناه التعجب وانا عجوز اي شيخة ولقد عجزت تعجز
عجزا وعجزت تعجيزا اي طعنت في السن قال مجاهد كانت بنت تسع
وتسعين سنة وقيل غير هذا وهذا بعلي اي زوجي شيخا نصب
على الحال والعامل فيه التنبيه او الاشارة قيل كان ابراهيم
ابن مائة وعشرين سنة وقيل غير هذا وسارة امراة ابراهيم
بنت هاران بن ناحور وبنت عم ابراهيم ان هذا لشي عجيب الذي
بشرتموني به قالوا اتعجبين من امر الله انكرت عليها الملائكة
تعجبها من امر الله اي من قضائه وقدره اي لا عجب من ان يرزقكما
الله تعالى الولد وهو اسحق وبهذه الاية استدل كثير من العلما
ان الذبيح اسمعيل وانه اسن من اسحق لانها بشرت بان اسحق
يعيش حتى يولد له يعقوب رحمة الله وبركاته مبتدا والخبر
عليكم اهل البيت وهل هو خبر او دعا وكونه اخبارا اشرف لان
ذلك يقتضي حصول الرحمة والبركة لهم المعنى اوصل الله لكم
رحمته وبركاته اهل البيت وكونه دعا انما يقتضي انه امر
يترجى ولم يتحصل بعد ونصب اهل البيت على الاختصاص
عند سيبويه وقيل على الندا انه حميد مجيد اي محمود كريم
فلما ذهب عن ابراهيم الروع اي الخوف وجاته البشرى باسحق
ويعقوب وقال قتادة فبشروه بانهم انما اتوا بالعذاب الى
قوم لوط وانه لا يخاف اخذ يجادلنا اي يجادل رسلنا واهاف

الى

الى نفسه لانهم نزلوا بامره في شان قوم لوط وقيل ان ابراهيم
قال ارايتم ان كان فيها رجل مسلم اتهلكونها قالوا لا فقال
ابراهيم عند ذلك ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه
واهله الا امراته قال عبد الرحمن بن سمرة كانوا اربعمائة
الف ان ابراهيم لحليم اواه منيب تقدم معنى الحليم الاواه في
براة والمنيب الراجع فلما اطال مجادلتهم قالوا يا ابراهيم اعرض
عن هذا اي دع عنك الجدال في قوم لوط انه قد جا امر ربك
بهلاكهم وانهم اتيهم اي نازل بهم عذاب غير مردود اي غير
مصروف عنهم ولا مدفوع ولما جات رسلنا لوطا سي بهم فلما
خرجت الملائكة من عند ابراهيم وكان بين ابراهيم وبين قرية
لوط اربعة فراسخ بصرت بنتا لوط وهما يستقيان بالملائكة
وراتا هيئة حسنة فقالتا ما شانكم قالوا نريد هذه القرية
قالتا فان اهلها اصحاب الفواحش فقالوا ابها من يضيفنا قالتا
نعم هذا الشيخ واشارتا الى لوط فلما راى لوط هيئتهم وخاف
قومه عليهم ومعنى سي بهم ساه مجيئهم وضاق بهم ذرعا
اي ضاق صدره بمجيئهم وكرهه وقيل ضاق وسعه وطاقته
واصله ان يذرع البعير بيديه في مسيره ذرعا على قدر سعة
خطوه فاذا حمل على اكثر من طوقه ضاق عن ذلك وضعف ومد
عنقه فضيق الذرع عبارة عن ضيق الوسع وقيل هو من ذرعه
القي اذا غلبه اي ضاق عن حبسه المكروه في نفسه وانما ضاق
ذرعه بهم لما راى من جمالهم وما يعلم من فسق قومه وقال

هذا يوم عصيب اي شديد في الشر وجاءه قومه يهرعون اليه في موضع
الحال اي يسرعون قال الشاعر. اتونا يهرعون وهم اسارى. نسوقهم
على رغم الانوف. وقال الفرا والكسائي وغيرهما لا يكون الاهراع
الا اسراعا مع رعدة يقال اهرع الرجل اي اسرع في رعدة من برد
او غضب او حمى ابن عباس وغيره يهرعون يهرولون ابن عيينة
كانهم يدفعون وكان سبب اسراعهم ما روي ان امراة لوط لما
رات الاضياف وجمالهم خرجت حتى اتت مجالس قومها فقالت
لهم ان لوطا قد اضاف الليلة فتية ما روي مثلهم جمالا فجاءوا
يهرعون اليه وقيل وجدوا ابنته تستقي ماء في نهر سدوم فسالوها
الدلالة على من يضيفهم ورات هيئتهم فخافت عليهم وقالت لهم
مكانكم وذهبت الى ابيها فاخبرته فخرج اليهم فقالوا انا نريد
ان تضيفنا فقال لهم اما سمعتم بعمل هولاء القوم فقالوا وما
عملهم فقال انهم لشر قوم في الارض وقد كان الله عز وجل قال
للملائكة لا تعذبوهم حتى يشهد لوط اربع شهادات فلما قال لوط هذه
المقالة قال جبريل لاصحابه هذه واحدة وترددوا القول بينهم
حتى كرر لوط الشهادة اربع مرات ثم دخل المدينة ومن قبل
اي ومن قبل مجي الرسل وقيل من قبل لوط كانوا يعملون السيئات اي
كانت عادتهم اتيان الرجال في ادبارهم فلما جاءوا الى لوط وقصدوا
اضيافه قام اليهم لوط مدافعا وقال يا قوم هولاء بناتي ابتدا وخبر
قيل كان له ثلاث بنات من صلبه وقيل بنتان زيتا وزعورا فقيل
كان لهم سيدان مطاعان فاراد ان يزوجهما ابنتيه وقيل ندبهم

في هذه الحالة الى النكاح وكان سنتهم جواز نكاح الكافر المومنة
وقد كان هذا في اول الاسلام جايزا ثم نسخ بعد وزوج رسول الله
صلى الله عليه وسلم بنتا من عتبة بن ابي لهب واخرى من ابي العاص
ابن الربيع قبل الوحي وكانا كافرين وقال مجاهد وقتادة وغيرهما
اشار بقوله بناتي الى النسا جملة اذ نبي القوم اب لهم وقيل انما
كان الكلام مدافعة ولم يرد امضاه قال عكرمة لم يعرض عليهم
بناته ولا بنات غيره وانما قال لهم هذا لينصرفوا هن اطهر لكم
ابتدا وخبر اي ازوجكموهن فهو اطهر مما تريدون اي احل
والتطهير التنزيه عما لا يحل وقال ابن عباس كان رؤساهم خطبوا
بناته فلم يجبهم واراد ذلك اليوم ان يفدي اضيافه ببناته
وليس الف اطهر للتفضيل ان في نكاح النسا طهارة بل هو كقولك
الله اكبر فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي اي لا تهينوني ولا تذلوني
ويجوز ان يكون من الخزاية وهو الحيا والخجل وضيف يقع للاثنين
والجمع على لفظ الواحد لانه في الاصل مصدر ثم وبخهم بقوله
اليس منكم رجل رشيد اي شديد يامر بالمعروف وينهى عن المنكر
وقيل رشيد ذو رشد او بمعنى راشد او مرشد اي صالح او مصلح
ابن عباس مومن قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق روي ان قوم
لوط خطبوا بناته فردهم وكانت سنتهم ان من رد في خطبة امراة
لم تحل له ابدا والمعنى انه ليس لنا في بناتك من حاجة ولا هن
قصدنا وانك لتعلم ما نريد اشارة الى الاضياف وما بمعنى الذي
فيكون نصبا بتعلم وهو بمعنى تعرف ويجوز ان يكون استفهاما

في موضع نصب بتريد **قال لو ان لي بكم قوة** لما راي استمرارهم في غيهم
وضعف عنهم ولم يقدر على دفعهم تمنى لو وجد عونا على ردهم
فقال على جهة التفجع والاستكانة لو ان لي بكم قوة اي انصارا او اعوانا
ابن عباس اراد الولد وان في موضع رفع بفعل مضمر تقديره لو
اتفق او وقع وهذا يطرد في ان التابعة للو وجواب لو محذوف اي
لرددت اهل الفساد وحلت بينهم وبين ما يريدون **او اوي الى**
ركن شديد اي الجا وقرئ او اوي بالنصب عطفا على قوة كانه قال
لو ان لي بكم قوة او ايوا الى ركن شديد فهو منصوب باضمار ان ومراد
لوط بالركن العشيرة والمنعة بالكثرة وبلغ به قبيح فعلهم الى قوله
هذا مع علمه بما عند الله تعالى فيروى ان الملايكة وجدت عليه
حين قال هذه الكلمات وقالوا ان ركنك لشديد وفي البخاري عن
ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ويرحم الله لوطا
لقد كان ياوي الى ركن شديد الخ وخرجه الترمذي وزاد ما بعث
الله بعده نبيا الا في ثروة من قومه اي كثرة ومنعة ويروى ان
لوطا لما غلبه قومه وهموا بكسر الباب وهو يمسكه قالت له الرسل
تنح عن الباب وانفتح الباب فضربهم جبريل بجناحه فطمس
اعينهم وعموا وانصرفوا على اعقابهم يقولون النجا قال تعالى
ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا اعينهم وقيل اخذ جبريل
قبضة من تراب واذراها في وجوههم فاوصل الله الى عين من
قرب ومن بعد من ذلك التراب فطمست اعينهم **قالوا يا لوط انا**
رسل ربك لما رات الملايكة حزنه واضطرابه ومدافعته عرفته

بانفسهم

بانفسهم وامر جبريل على اعينهم فعموا وعلى ايديهم فجفت **لن يصلوا**
اليك بمكروه **فاسر باهلك** قرئ بوصل الالف وقطعها لغتان فصيحتان
وهما مبنيتان على الفعل الذي منه هذا الامر وهو سرى واسرى فعلى
لغة سرى جاءت همزة الوصل في امره وعلى لغة اسرى جاءت همزة
القطع في امره وقيل اسرى بالقطع اذا سار من اول الليل وسرى
اذا سار من اخره ولا يقال في النهار الا سار **بقطع من الليل** ابن
عباس بطايفة من الليل الضحاك ببقية من الليل قتادة بعد
مضي صدر من الليل الاخفش بعد جنح من الليل ابن الاعرابي
بساعة من الليل وقيل انه نصف الليل ماخوذ من قطعه نصفين
ومعلوم ان السرى لا يكون الا بالليل فلم قال بقطع من الليل
والجواب انه لو لم يقل بقطع من الليل جاز ان يكون اوله **ولا**
يلتفت منكم احد اي لا ينظر وراءه منكم احد قاله مجاهد لئلا يرى
عظيم ما ينزل بهم ابن عباس لا يتخلف منكم احد علي بن عيسى لا
يشتغل منكم احد بما يخلفه من مال او متاع **الا امراتك** بالنصب
في القراءة الواضحة والمعنى فاسر باهلك الا امراتك فهو استثنا
من الاهل اي فلا تسر بها وعلى هذا لم تخرج بها معه وقد قال الله
تعالى كانت من الغابرين اي من الباقين وقرا ابو عمرو وابن كثير
الا امراتك بالرفع على البدل من احد وانكر هذه القراءة جماعة
منهم ابو عبيدة وقال لا يصح ذلك الا برفع يلتفت ويكون
نفيا لان المعنى يصير اذا ابدلت وجزمت ان المراة ابيح لها
الالتفات وليس المعنى كذلك قال النحاس وهذا المعنى الحمل

من ابي عبيدة وغيره على مثل ابي عمرو مع جلالته ومحله من العربية لا يجب
والرفع على البدل له معنى صحيح والتاويل له على ما حكى محمد بن الوليد
عن محمد بن يزيد ان يقول الرجل لحاجبه لا يخرج فلان فلفظ النهي لفلان
ومعناه للمخاطب اي لا تدعه يخرج ومثله قولك لا يقم احد الا زيد
ويكون معناه انههم عن القيام الا زيدا وكذا النهي للوط ولفظه لغيره
كانه قال انههم ان لا يلتفت منهم احد الا امراتك ويجوز ان يكون استثناء
من النهي عن الالتفات لانه كلام تام اي لا يلتفت منكم احد الا امراتك
فانها تلتفت وتهلك وان لوطا خرج بها ونهى من معه ممن اسرى بهم ان
لا يلتفت منهم احد سوى زوجته فانها لما سمعت العذاب التفتت وقالت
وا قوماه فادركها حجر فقتلها **انه** اي الامر والشان **مصيبها** اي من العذاب
ما اصابهم ان موعدهم الصبح لما قالت الملايكة انا مهلكوا اهل هذه القرية
قال لوط الان الان استعجلهم بالعذاب لغيظه على قومه فقالوا **اليس**
الصبح بقريب ويحتمل ان يكون جعل الصبح ميقاتا لهلاكهم لان
النفوس فيه اروح والناس فيه اجمع **فلما جا امرنا** بهلاكهم او عذابنا
جعلنا عاليها سافلها اي القرى وذلك ان جبريل ادخل جناحه تحت
قرى قوم لوط وهي خمس سدوم وهي القرية العظمى وعامورا وداروما
وصعوة وثم فرفعها من تخوم الارض حتى ادناها من السما بما فيها حتى سمع
اهل السما نهيق حميرهم وصياح ديكتهم لم تنكفئ لهم جرة ولم ينكب
لهم انا ثم نكسوا على رؤسهم واتبعهم الله بالحجارة فذلك قوله
تعالى **وامطرنا عليها حجارة من سجيل** طين طبخ بالنار ابن عباس وغيره
ان سجيلا لفظة غير عربية عربت اصلها سنج وجيل بالفارسية

بحجر

حجر وطين عربتهما العرب فجعلتهما اسما واحدا قتادة السجيل الطين بدليل
قوله تعالى لنرسل عليهم حجارة من طين وقال الضحاك الاجر **منضود**
ابن عباس متتابع قتادة بعضها فوق بعض عكرمة مصفوف وقيل
معد اي مما اعد الله تعالى لاعدايه **مسومة** معلمة من السيما وهي
العلامة اي كان عليها امثال الخواتيم وقيل مكتوب على كل حجر اسم من
رمي به وقيل مخططة بحمرة وسواد في بياض ومسومة من نعت
الحجارة ومنضود من نعت سجيل **عند ربك** اي ليست من حجارة الارض
قاله الحسن **وما هي من الظالمين ببعيد** يعني قوم لوط اي لم تكن تخطيهم
وقال مجاهد يرهب قريشا المعنى ما الحجارة من ظالمي قومك يا محمد ببعيد
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سيكون في اخر امتي قوم
يكتفي رجالهم بالرجال والنسا بالنسا فاذا كان ذلك فارتقبوا عذاب
قوم لوط ان يرسل الله عليهم حجارة من سجيل ثم تلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وما هي من الظالمين ببعيد وقيل المعنى ما هذه القرى من الظالمين
ببعيد وهي بين الشام والمدينة وجا ببعيد مذكرا على معنى بمكان
بعيد **والى مدين اخاهم شعيبا** اي وارسلنا الى مدين ومدين هم قوم
شعيب قيل انهم بنو مدين بن ابراهيم فسموا بذلك وقيل مدين اسم
مدينتهم فنسبوا اليها **قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره** تقدم
ولا تنقصوا المكيال والميزان كانوا مع كفرهم اهل بخس وتطفيف كان
اذا جاءهم البايع بالطعام اخذوا بكيل زايد وظلموا وان جاءهم مشتر
باعوه بكيل ناقص فامروا بالايمان اقلاعا عن الشرك وبالوفا نهيا عن التطفيف
ونقص يتعدى الى مفعول بنفسه والى اخر تارة بنفسه وتارة بحرف

جو تقول نقصت زيدا حقه وهو هنا كذلك اي ولا تنقصوا الناس من
المكيال ويجوز ان يكون هنا متعديا الى واحد على المعنى اي لا تقللوا
وتطففوا انى اراكم بخير في سعة من الرزق وكثرة من النعم تغنيكم
عن التطفيف وقال الحسن كان سعرهم رخيصا واني اخاف عليكم
ان لم تومنوا عذاب يوم محيط وصف اليوم بالاحاطة واراد وصف
العذاب بالاحاطة بهم فان يوم العذاب اذا احاط بهم فقد احاط
العذاب بهم فهو نعت لليوم في اللفظ وللعذاب في المعنى قيل
ذلك العذاب هو عذاب النار في الاخرة وقيل هو عذاب الاستيصال
في الدنيا وقيل غلا السعر وفي الحديث ما ظهر قوم البخس في المكيال
والميزان الا ابتلاهم الله تعالى بالقحط والغلا ويا قوم اوفوا
المكيال والميزان بالقسط امر الله تعالى بالايفا بعد ان نهى عن التطفيف
تاكيدا والايفا الاتمام والقسط العدل والحق والمقصود ان يصل
كل ذي نصيب الى نصيبه وليس هو يريد ايفا المكيل والموزون
لانه لم يقل اوفوا بالمكيال وبالميزان بل اراد لا تنقصوا حجم
المكيال عن المعهود وكذا الصنجات ولا تبخسوا الناس اشياءهم اي لا
تنقصوهم مما استحقوه شيا ولا تعثوا في الارض مفسدين
بالقتل وغيره من عثى افسد حال موكدة لعاملها بقيت الله خير لكم
اي ما يبقيه الله لكم بعد ايفا الحقوق بالقسط اكثر بركة واحمد
عاقبة مما تبقونه انتم لانفسكم من فضل التطفيف قال معناه
الطبري وغيره وقال مجاهد بقيت الله طاعة الله ابن عباس رزق
الله خير لكم ان كنتم مومنين شرط لانهم انما يعرفون صحة هذا

اذا كانوا مومنين ويحتمل انهم كانوا يعترفون بان الله خالقهم فخاطبهم
بهذا وما انا عليكم بحفيظ اي رقيب ارقبكم عند كيلكم ووزنكم
اي لا يمكنني شهود كل معاملة تصدر منكم فاجازيكم باعمالكم انما
انا نذير وقيل المعنى لا يتهيا لي ان احفظكم من ازالة نعم الله
عنكم بمعاصيكم قالوا يا شعيب اصلواتك وقرى اصلاتك تامرك
ان نترك ما يعبد اباؤنا من الاصنام ان في موضع نصب وقال الكسا
موضعها خفض على اضمار البا وروي ان شعيبا عليه السلام كان
كثير الصلاة فلما امرهم ونهاهم عيروه بما راوه يستمر عليه من
كثرة الصلاة واستهزوا به وقيل ان الصلاة هنا بمعنى القراة قاله
سفيان ودل بهذا على انهم كانوا كفارا او نترك ان نفعل في اموالنا
ما نشا المعنى هذا باطل لا يدعو اليه داعي خير وزعم الفرا ان التقدير
او تنهانا ان نفعل وقيل المعنى اذا تراضينا فيما بيننا بالبخس فلم
تمنعنا منه قال ابن هشام راى قوم في الاعراب ظاهر اللفظ ولم
ينظروا في المعنى فقال في هذه الاية انه يتبادر الى الذهن عطف
ان نفعل على ان نترك وذلك باطل لانه لم يامرهم ان يفعلوا
في اموالهم ما يشاون وانما هو عطف على ما هو معمول الترك والمعنى
ان نترك ان نفعل وموجب لوهم ان المعرب يرى ان والفعل
مرتين وبينهما حرف العطف انك لانت الحليم الرشيد يعنون
عند نفسك بزعمك وقيل قالوه على وجه الاستهزا والسخرية قاله
قتادة ومنه قول خزنة جهنم لابي جهل ذق انك انت العزيز
الكريم واحسن من هذا انك انت الحليم الرشيد حقا فكيف تامرنا

ان نترك ما يعبد اباونا انكروا الامر واو من كثرة صلاته وعبادته
وانه حليم رشيد بان يكون يامرهم بترك ما يعبد اباوهم
قال اهل التفسير وكان مما نهاهم عنه وعذبوا لاجله قطع الدنانير
والدراهم فكانوا يقرضون من اطراف الصحاح لتفضل لهم القراضة
وكان يتعاملون على الصحاح عددا وعلى المقروضة وزنا قاله
سعيد بن المسيب وابن زيد وغيرهما وكسرهما ذنب عظيم قال يا
قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي تقدم ورزقني منه
رزقا حسنا واسعا حلالا وكان شعيب كثير المال قاله ابن عباس
وغيره وقيل اراد الهدى والتوفيق والعلم والمعرفة وفي الكلام
حذف اي افلا انهاكم عن الضلال او المعنى ارايتم ان كنت على بينة
من ربي اتبع الضلال او ان كنت على بينة افاساوي الرزق الحلال
بالحرام من البخس والتطفيف وقد اغناني الله وما اريد ان اخالفكم
في موضع نصب باريد واذهب الى ما انهاكم عنه اي لست انهاكم عن شي
واركبه كما لا اترك ما امرتكم به ان اريد الا الاصلاح ما استطعت
اي ما اريد الا فعل الصلاح ان تصلحوا دنياكم بالعدل واخرتكم
بالعبادة وقال ما استطعت لان الاستطاعة من شروط الفعل
دون الارادة وما مصدرية اي ان اريد الا الاصلاح جهدي
واستطاعتي وما توفيقي الا بالله اي وما توفيقي لاصابة الحق او الصواب
الا بهدايته ومعونته والتوفيق الرشد عليه توكلت اي اعتمدت واليه
انيب اي ارجع فيما ينزل بي من جميع النوائب وقيل اليه ارجع في
الاخرة وقيل الانابة الدعا ومعناه وله ادعو ويا قوم لا يجرمنكم

اي لا يكسبنكم او لا يحملنكم شقاقي معاداتي على ترك الايمان ان
يصيبكم ما اصاب الكفار قبلكم قاله الحسن وقتادة وقيل لا يكسبنكم
خلافي اصابتكم العذاب كما اصاب من كان قبلكم قاله الزجاج وقيل
شقاقي اضراري قتادة فراقي مثل ما اصاب قوم نوح من الغرق او قوم
هود من الريح او قوم صالح من الرجفة وان بصلته ثاني مفعولي جرم
فانه يتعدى الى واحد والى اثنين ككسب وما قوم لوط منكم ببعيد
زمانا وذلك انهم كانوا حديثي عهد بهلاك قوم لوط وقيل وما ديار
قوم لوط منكم ببعيد اي بمكان بعيد فلذلك وحد البعيد فان
لم تعتبروا بمن قبلهم فاعتبروا بهم ويا قوم استغفروا ربكم
ثم توبوا اليه تقدم ان ربي رحيم ودود الودود المحب لعباده وروي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا ذكر شعيبا قال ذلك خطيب
الانبيا قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول اي ما نفهمه لانك تحملنا
على امر غايب من البعث والنشور وتعظنا بما لا عهد لنا بمثله وقيل
قالوا ذلك اعراضا عن سماعه واحتقارا لكلامه او انهم لم يلقوا اليه
اذهانهم لشدة نفرتهم عنه وانا لنراك فينا ضعيفا ذليلا لا قوة
لك فتمتنع منا ان اردناك بسو قيل انه كان مصابا ببصره قاله
ابن جبير وقتادة وقيل كان ضعيف البصر قاله الثوري وقيل
قليل المعرفة بمصالح الدنيا وسياسة اهلها وضعيفا نصب على الحال
ولولا رهطك اي عشيرتك رهط الرجل عشيرته التي يستند اليها
ويتقوى بها لرجمناك اي لقتلناك بالرجم وكانوا اذا قتلوا انسانا
رجموه بالحجارة وكان رهطه من اهل ملتهم فالمعنى لولا عزتهم عندنا

لا لخوف من شوكتهم وقيل لرجمناك لشتمناك وما انت علينا بعزيز
كريم عن الرجم او بغالب ولا قاهر ولا ممتنع قال يا قوم ارهطي
اعز عليكم من الله اي اعظم واجل افتراعون رهطي فيّ ولا تراعون
الله وهو يملككم واتخذتموه اي الله وراءكم ظهريا اي ما جئتكم به
من امر الله منبوذا خلف ظهوركم وامتنعتم من قتلي مخافة قومي
ان ربي بما تعملون من الكفر والمعاصي محيط اي عليم وقيل حفيظ
فيجازيكم ويا قوم اعملوا على مكانتكم حالتكم اني عامل على حالتي
سوف تعلمون من موصولة مفعول العلم يأتيه عذاب يخزيه
اي يهلكه ومن هو كاذب عطف على من قبله وكان قياسه ومن هو
صادق لينصرف الاول اليهم والثاني اليه ولكنهم لما كان يدعونه
كاذبا فقال ومن هو كاذب على زعمهم وارتقبوا اي انتظروا اني معكم
رقيب اي انتظروا العذاب والسخط فاني منتظر النصر والرحمة ولما جاء
امرنا باهلاكهم قيل صاح بهم جبريل صيحة فخرجت ارواحهم من
اجسادهم نجينا شعيبا والذين امنوا معه برحمة منا واخذت
الذين ظلموا الصيحة اي صيحة جبريل قال ابن عباس ما اهلك الله
امتين بعذاب واحد الا قوم صالح وقوم شعيب اهلكهم الله بالصيحة
غير ان قوم صالح اخذتهم الصيحة من تحتهم وقوم شعيب من
فوقهم فاصبحوا في ديارهم جاثمين باركين على الركب ميتين
كان مخففة اي كانهم لم يغنوا يقيموا فيها الا بعدا لمدين
كما بعدت ثمود بكسر العين بمعنى لعنت ولقد ارسلنا موسى
باياتنا بالتوراة وقيل بالمعجزات وسلطان مبين برهان بيّن

ظاهر الى فرعون وملايه فاتبعوا امر فرعون اي شانه وحاله حتى اتخذوه
الها وخالفوا امر الله وما امر فرعون برشيد اي بسديد يودي الى صواب
وقيل برشد الى خير يقدم اي يتقدم قومه يوم القيمة فيتبعونه كما
اتبعوه في الدنيا فاوردهم النار ادخلهم اياها وذكر بلفظ الماضي
والمعنى فيوردهم النار لان ما تحقق وجوده فكانه كاين ونزل النار
لهم منزلة الما وسمى اتيانها موردا فان الما يراد لتبريد الاكباد
وتسكين العطش والنار بالضد ولذلك قال وبئس الورد المورود اي
بيس المدخل المدخول ولم يقل بيست لان الكلام يرجع الى الورد وهو
كما تقول نعم المنزل دارك واتبعوا في هذه اي الدنيا لعنة ويوم
القيمة اي ولعنة يوم القيمة بئس الرفد المرفود اي بيس العطا والاعانة
رفدهم وقيل الرفد الزيادة اي ما بيس ما يزيدون به بعد الغرق
النار ذلك المذكور مبتدا خبره من انبا القرى نقصه عليك يا محمد
منها اي القرى قايم هلك اهله دونه وحصيد هلك باهله
فلا اثر له كالزرع المحصود بالمناجل قال قتادة القايم ما كان قايما
على عروشه والحصيد ما لا اثر له وقيل القايم ما كان عامرا والحصيد
الخراب وما ظلمناهم باهلاكنا اياهم بغير ذنب ولكن ظلموا انفسهم
بالشرك فما اغنت اي ما دفعت عنهم الهتهم التي يدعون يعبدونها
من دون الله اي غيره من زايدة شي لما جا امر ربك اي عذابه
وما زادوهم بعبادتهم غير تتبيب تخسير قاله مجاهد وقتادة والتباب
الهلاك والخسران وكذلك اي مثل ذلك الاخذ اخذ ربك اذا اخذ
القرى اي اهلها وهي ظالمة بالذنوب فلا يغني عنهم من اخذه شي

فكما اخذ هذه القرى التي كانت لقوم نوح وعاد وثمود باخذ القرى
الظالمة ان اخذه اليم شديد اي عقوبته لاهل الشرك موجعة
عظيمة روى الشيخان عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان الله تعالى ليملي للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته
ثم قرا صلى الله عليه وسلم وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي
ظالمة الاية ان في ذلك المذكور من القصص وفيما نزل بالامم الهالكة
لاية لعبرة وموعظة لمن خاف عذاب الاخرة لعلمه بان ما حاق
بهم انموذج مما اعد الله للمجرمين في الاخرة فينزجر به عن موجباته
لعلمه بانها من اله مختار يعذب من يشا ويرحم من يشا ذلك اي يوم
القيمة يوم مجموع له اي فيه الناس اي يحشرون في ذلك اليوم وذلك
يوم مشهود يشهده جميع الخلايق من اهل السما والارض وما نوخره
اي ذلك اليوم الا لاجل معدود اي وقت معلوم عند الله يوم ياتي
ذلك اليوم لا تكلم فيه حذف احدى التاءين نفس الا باذنه تعالى
وفيه اضمار اي لا تتكلم فيه نفس الا بالماذون فيه من حسن كلام
وقيل لا تتكلم بحجة ولا شفاعة الا باذنه وقيل ان لهم في
الموقف وقتا يمنعون فيه من الكلام الا باذن الله تعالى فمنهم اي
الخلق شقي ومنهم سعيد وقيل من الناس وقد ذكرهم في قوله
يوم مجموع له الناس والشقي من كتبت عليه الشقاوة في الازل
والسعيد من كتبت له السعادة في الازل فاما الذين شقوا في علمه
تعالى ففي النار لهم فيها زفير صوت شديد وشهيق صوت
ضعيف قال ابو العالية الزفير من الصدر والشهيق من الحلق

وعنه ايضا ضد ذلك وقال الزجاج الزفير من شدة الانين والشهيق
المرتفع جدا وقال الضحاك ومقاتل الزفير مثل اول نهيق الحمار
والشهيق مثل اخره حين يفرغ من صوته والمراد بهما الدلالة
على شدة كربهم وغمهم وتشبيه حالهم بمن استولت الحرارة على
قلبه وانحصر فيه روحه او تشبيه اصواتهم باصوات الحمير
خالدين فيها ما دامت السموات والارض اي مدة دوامهما في
الدنيا الا اي غير ما شا ربك من الزيادة على مدة دوامهما وما
دامت في موضع نصب على الظرف اي دوام السموات والارض
والتقدير وقت ذلك وقال الضحاك المعنى ما دامت سموات
الجنة والنار وارضهما والسما كل ما علاك فاظلك والارض ما
استقر عليها قدمك وقيل اراد بهما السما والارض المعهودتين
في الدنيا واجرى ذلك على عادة العرب في الاخبار عن دوام الشي
وتابيده كقولهم لا اتيك ما اختلف الليل والنهار وما ناح
الحمام وما دامت السموات والارض ونحو هذا مما يريدون به
طولا من غير نهاية وعن ابن عباس ان جميع الاشيا المخلوقة اصلها
من نور العرش وان السموات والارض في الاخرة تردان الى
العرش الذي اخذتا منه فهما دايمتان والا ما شا ربك في موضع
نصب لانه استثنا ليس من الاول وقيل انه استثنا من قوله
ففي النار كانه قال الا ما شا ربك من تاخير قوم عن ذلك روي
عن ابي سعيد وجابر وانما لم يقل من شا لان المراد العدد لا
الاشخاص كقوله ما طاب لكم وقيل الاستثنا للعصاة من المومنين

في اخراجهم بعد مدة من النار وعلى هذا يكون قوله فاما الذين شقوا
عاما في الكفرة والعصاة ويكون الاستثنا من خالدين قاله الضحاك
وقتادة وغيرهما وقيل الاستثنا من الزفير والشهيق اي لهم فيها
زفير وشهيق الا ما شا ربك من انواع العذاب الذي لم نذكره وكذلك
لاهل الجنة من النعيم وقال ابن مسعود خالدين فيها لا يموتون
فيها ولا يخرجون منها الا ما شا ربك وهو ان يامر النار فتاكلهم
وتفنيهم ثم يجدد خلقهم القرطبي وهذا القول خاص بالكافر
وقيل المعنى ما دامت السموات والارض الا ما شا ربك من مقدار
موقفهم على راس قبورهم والمحاسبة وقدر مكثهم في الدنيا
والبرزخ وقيل وقوع الاستثنا في الزيادة على النعيم لاهل النعيم
وزيادة العذاب لاهل الجحيم وقيل الا بمعنى الواو والمعنى وما
شا ربك من الزيادة في الخلود على مدة دوام السموات والارض
وقيل ذلك على طريق الاستثنا الذي ندب الشرع اليه في كل كلام فهو
على حد قوله لتدخلن المسجد الحرام ان شا الله وقيل غير ذلك ان ربك فعال
لما يريد واما الذين سعدوا قرئ سعدوا بضم السين ففي الجنة
خالدين فيها دايمين باقين ما دامت السموات والارض الثعلبي
الثعلبي سعدوا بضم السين من قروا السعادة الا ما شا ربك
كما تقدم ودل عليه مفهوم قوله عطا غير مجذوذ اي غير مقطوع
فلا تك يا محمد في مرية اي في شك بعد ما انزل عليك من حال
الناس وحذفت النون لكثرة الاستعمال مما يعبد هولا اي من
عبادة هولا المشركين في انها ضلال يودي الى مثل ما حل بمن قبلهم

ممن قصصت عليك سوا ها فيه امرهم عبادتهم او من حال ما يعبدونه
في انه يضر ولا ينفع واحسن من هذا قل يا محمد لكل من شك لا تك في
مرية مما يعبد هولا ما يعبدون الا كما يعبد اباوهم من قبل وقد
عذبناهم وانا لموفوهم نصيبهم اي حظهم من العذاب كاباهم
او من الرزق فيكون عذرا لتاخير العذاب عنهم مع قيام ما يوجبه
ابن عباس ط وعدوا به من خير او شر غير منقوص من النصيب اي تاما
وهو تقييد للتوفية فانك تقول وفيته حقه وتريد به وفاء
بعضه ولو مجازا ولقد اتينا موسى الكتاب التوراة فاختلف فيه
فامن به قوم وكفر به قوم كما اختلف هولاء في القران ولولا كلمة
سبقت من ربك يعني كلمة الانظار الى يوم القيمة لقضي بينهم
في الدنيا بانزال ما يستحقه المبطل ليتميز به عن المحق وانهم اي
المكذبين لفي شك منه اي القران مريب موقع في الريبة وقيل
الضمير لكتاب موسى وان كلا اي وان كلا من المختلفين المومنين
منهم والكافرين والتنوين بدل عن المضاف اليه وقرئ بالتخفيف
مع الاعمال اعتبارا للاصل قال سيبويه حدثنا من نثق به
انه سمع العرب تقول ان زيدا لمنطلق لما ليوفينهم ربك اعمالهم
اللام الاولى موطية للقسم والثانية للتاكيد او بالعكس وما مزيدة
بينهما للفصل وقرئ بالتشديد على ان اصله لمن ما فقلبت النون
ميما للادغام والمعنى لمن الذين يوفينهم ربك جزا اعمالهم وقيل
لما بمعنى الا انه بما يعملون خبير وعيد شديد فاستقم كما امرت
الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ولغيره وقيل المراد امته قاله

السدي وهي شاملة للاستقامة في العقايد كالتوسط بين التشبيه
والتعطيل بحيث يبقى العقل مصونا من الطرفين والاعمال من تبليغ
الوحي وبيان الشرايع كما انزل والقيام بوظايف العبادات من غير
تفريط وافراط مفوت للحقوق ونحوها وهي في غاية العسر قال
ابن عباس ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم اية هي اشد
ولا اشق من هذه الاية عليه ولذلك قال عليه الصلاة والسلام
شيبتني سورة هود وقيل المعنى اطلب الاقامة على الدين
من الله واساله ذلك فتكون السين سين السوال كما تقول استغفر
الله ومن تاب معك اي ومن تاب من الشرك والكفر وامن معك
وهو عطف على المستكن في استقم وان لم يوكد بمنفصل لقيام الفاصل
مقامه ولا تطغوا اي ولا تخرجوا عما حد لكم انه بما تعملون بصير
فهو مجازيكم عليه وفي الاية دليل على وجوب اتباع النصوص
من غير تصرف وانحراف ولا تركنوا الى الذين ظلموا الركون حقيقته
الاستناد والاعتماد والسكون الى الشئ والرضى به قال قتادة
معناه لا تودوهم ولا تطيعوهم ابن جريج لا تميلوا اليهم ابو
العالية لا ترضوا اعمالهم ابن زيد الركون هنا الادهان وذلك
ان لا ينكر عليهم كفرهم والذين ظلموا قيل هم اهل الشرك
وقيل عامة فيهم وفي العصاة فهي دالة على هجران اهل الكفر
والمعاصي من اهل البدع وغيرهم فصحبتهم ممنوعة ان كانت
عن مودة فان كانت عن ضرورة وتقية فلا منع منها حينئذ
ظاهرا فصحبة الظالم على التقية مستثناة من النهي في حال

الاضطرار

الاضطرار فتمسكم النار اي تحرقكم بركونكم اليهم واذا كان الركون
الى من وجد منه ما يسمى ظلما كذلك فما ظنك بالركون الى الموسومين
بالظلم ثم بالميل اليهم كل الميل ثم بالظلم نفسه والانهماك فيه
وما لكم من دون الله غيره من زائدة اولياء اي من انصار يمنعون
العذاب عنكم والواو للحال ثم لا تنصرون اي ثم لا ينصركم الله
اذ سبق في حكمه ان يعذبكم ولا يبقي عليكم وثم لاستبعاد نصره
اياهم وقد اوعدهم بالعذاب عليه واوجبه لهم واقم الصلاة
طرفي النهار غدوة وعشية وانتصابه على الظرف لانه مضاف
اليه وزلفا من الليل اي وساعات منه قريبة من النهار فانه
من ازلفه اذا قربه والمراد هنا الصلوات المفروضة وخصها
بالذكر لانها ثانية الايمان واليها يفزع في النوايب وقد كان
النبي صلى الله عليه وسلم اذا احزنه امر فزع الى الصلاة قال
مجاهد الطرف الاول صلاة الصبح والطرف الثاني صلاة الظهر
والعصر واختاره ابن عطية وقيل الطرفان الصبح والمغرب
قاله ابن عباس والحسن وعن الحسن الطرف الثاني العصر وحده
وبه قال الضحاك وقتادة والزلف المغرب والعشا وقال الاخفش
صلاة الليل وقيل غير ذلك ان الحسنات يذهبن السيات يكفرنها
والجمهور على ان الحسنات هنا الصلوات الخمس وفي الحديث ان
الصلاة الى الصلاة كفارة لما بينهما ما اجتنبت الكباير وقال مجاهد
هو قول الرجل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر قال
ابن عطية وهذا على جهة المثال في الحسنات والذي يظهر ان

اللفظ عام في الحسنات خاص في السيات لقوله صلى الله عليه وسلم
ما اجتنبت الكباير وروى الترمذي قال جا رجل الى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال اني عالجت امراة في اقصى المدينة واني اصبت
منها ما دون ان امسها وها انا فاقض في ما سيت فقال له عمر رضي الله
عنه لقد ستوك الله لو سترت على نفسك فلم يرد عليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم شيا فانطلق الرجل فاتبعه رسول الله
صلى الله عليه وسلم رجلا فدعاه فتلى عليه اقم الصلاة طرفي
النهار وزلفا من الليل الاية فقال رجل من القوم هذا له خاصة
فقال بل للناس كافة وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم اعرض
عنه واقيمت صلاة العصر فلما فرغ منها نزل جبريل بالاية فدعاه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اشهدت معنا الصلاة قال
نعم قال اذهب فانها كفارة لما فعلت وروى ان الاية نزلت في
رجل من الانصار اسمه ابو اليسر وقيل عباد خلا بامراة فقبلها وتلذذ
بها فيما دون الفرج **ذلك** اشارة الى قوله فاستقم فما بعده وقيل
الى القران **ذكري للذاكرين** عظة للمتعظين وخص الذاكرين
بالذكري لانهم المنتفعون بها وهي مصدر جا بالف التانيث **واصبر**
على الطاعات وعن المعاصي **فان الله لا يضيع اجر المحسنين** عدل
عن المضمر ليكون كالبرهان على المقصود ودليلا على ان الصلاة
والصبر احسان وايما بانه لا يعتد بهما دون الاخلاص وقيل
المعنى صبر يا محمد على اذى قومك **فلولا كان** اي فهلا كان **من
القرون** الامم الماضية **من قبلكم اولو بقية** من الراي والعقل

اواولو افضل وانما سمي بقية لان الرجل يبقي افضل مما يخرجه ومنه
يقال فلان من بقية القوم اي من خيارهم ويجوز ان يكون
مصدرا اي ذوي ابقا على انفسهم وصيانة لها من العذاب وقيل
اولو بقية اصحاب دين وفضل **ينهون عن الفساد في الارض
الا قليلا مما انجينا منهم** اي لكن قليلا منهم انجيناهم لانهم
كانوا كذلك وهذا توبيخ للكفار وقيل لولا للنفي اي ما كان من
قبلكم كقوله فلولا كانت قرية امنت اي ما كانت والا قليلا
قيل هم قوم يونس وقيل هم اتباع الانبيا واهل الحق **واتبع
الذين ظلموا** بالفساد او بترك النهي او اشركوا **ما اترفوا فيه** اي ما
نعموا فيه من الشهوات واهتموا بتحصيل اسبابها واعرضوا عما وراء
ذلك **وكانوا مجرمين** كافرين **وما كان ربك ليهلك القرى بظلم**
بشرك اي بظلم منه لها **واهلها مصلحون** فيما بينهم في تعاطي
الحقوق اي لم يكن ليهلكهم بالكفر وحده حتى ينضاف اليه الفساد
كما اهلك قوم شعيب ببخس الكيال وقوم لوط باللواط ودل
على ان المعاصي اقرب الى عذاب الاستيصال في الدنيا من الشرك
وان كان عذاب الشرك في الاخرة اصعب وفي صحيح الترمذي
عن ابي بكر الصديق قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ان الناس اذا راوا الظالم فلم ياخذوا على يديه اوشك ان يعمهم
الله بعقاب من عنده وعن جرير بن عبد الله لما نزلت هذه الاية
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم واهلها ينصف بعضهم
بعضا ولذلك قيل الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم وقيل

معنى مصلحون مسلمون الزجاج ويجوز ان يكون المعنى وما كان ربك ليهلك احدا وهو يظلمه وان كان على نهاية الصلاح لانه تصرف في ملكه ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة مسلمين كلهم [illegible] اهل دين واحد وهو دليل ظاهر على ان الامر غير الارادة فانه تعالى لا يريد الايمان لكل احد وان ما اراده يجب وقوعه ولا يزالون مختلفين بعضهم على الحق وبعضهم على الباطل وقيل على اديان شتى قاله مجاهد وقتادة الا من رحم ربك الا ناسا هداهم من فضله فاتفقوا على ما هو اصول دين الحق والعمدة فيه وقيل مختلفين في الرزق فهذا اغنى وهذا افقر وقيل الا من رحم ربك بالقناعة قاله الحسن ولذلك خلقهم ان كان الضمير للناس فالاشارة الى الاختلاف واللام للعاقبة او اليه والى الرحمة فان ذلك قد يشار به الى اثنين ومثله قوله تعالى لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك وان كان لمن فالى الرحمة قال الحسن الاشارة الى الاختلاف وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم الاشارة للرحمة اي وللرحمة خلقهم وانما قال ولذلك ولم يقل ولتلك والرحمة مونث لانه مصدر ولان الرحمة محمولة على معنى التفضل والقول الثاني اعم قال اشهب سالت مالكا عن هذه الاية فقال خلقهم ليكون فريق في الجنة وفريق في السعير اي خلق اهل الاختلاف للاختلاف واهل الرحمة للرحمة وتمت كلمة ربك وعيده كما اخبر وقدر في ازله سبحانه وتمام الكلمة امتناعها عن قبول التغيير والتبديل وهي لاملان جهنم من الجنة الجن والناس اي من عصاتهما

اجمعين

اجمعين اي منهما لا من احدهما وهو تاكيد كما اخبر انه يملا ناره كذلك اخبر انه على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم انه يملا جنته بقوله ولكل واحد منكما ملؤها خرجه البخاري وكلا نصب بنقص وتنوينه عوض عن المضاف اليه نقص عليك من انباء الرسل اي وكل الذي تحتاج اليه من اخبار الرسل نقصه عليك من صبرهم على اذى قومهم ما نثبت به فوادك على اداء الرسالة والصبر على ما ينالك فيها من الاذى ابن عباس ما نشد به قلبك ابن جريج ما نصبر به قلبك حتى لا تجزع وقيل نطيب قاله اهل المعاني وما بدل من كل او بيان له وفايدته التنبيه على المقصود من الاقتصاص وهو زيادة يقينه وطمانينة قلبه وثبات نفسه وجاءك في هذه السورة لان فيها اخبار الانبيا وذكر الجنة والنار او الانبا المقتصة عليك وقال الحسن وقتادة في هذه الدنيا يريد النبوة الحق اي ما هو حق وموعظة وذكرى للمومنين الموعظة ما يتعظ به من اهلاك الامم الماضية والقرون الخالية المكذبة وخص المومنين لانهم المتعظون وقل للذين لا يومنون اعملوا على مكانتكم على حالتكم وهو وعيد وتهديد انا عاملون على حالتنا وانتظروا بنا الدوائر انا منتظرون ان ينزل بكم ما نزل على امثالكم ولله غيب السموات والارض خاصة لا يخفى عليه خافية مما فيهما وقيل غيب السموات والارض وشهادتهما فحذف لدلالة المعنى ابن عباس خزاين السموات والارض وقيل نزول العذاب من السما وطلوعه من الارض واليه يرجع بالبنا للفاعل

يعود وللمفعول يرد الامر كله فيرجع لا محالة امرهم وامرك اليه وينتقم ممن عصاه فاعبده وتوكل عليه اي الجا اليه وثق به فانه كافيك وفي تقديم الامر بالعبادة على التوكل تنبيه على انه انما ينتفع العابد وما ربك بغافل عما يعملون انت وهم فيجازي كلا بعمله وقرئ بيا الغيبة على الخبر

سورة يوسف عليه السلام

مكية وقيل الا اربع ايات بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك ايات الكتاب المبين تلك اشارة الى ايات السورة وهي المراد بالكتاب اي تلك الايات ايات السورة الظاهر امرها في الاعجاز او الواضحة معانيها او المبينة لمن تدبرها انها من عند الله او لليهود ما سالوا اذ روي ان علماءهم قالوا لكبرا المشركين سلوا محمدا لم انتقل يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف والاضافة بمعنى من انا انزلناه اي الكتاب قرانا عربيا سمي البعض قرانا لانه في الاصل اسم الجنس يقع على الكل والبعض وصار علما للكل بالغلبة ونصبه على الحال وهو في نفسه اما توطية للحال التي هي عربيا كقولك مررت بزيد رجلا صالحا او حال لانه مصدر بمعنى مفعول وعربيا صفة له او حال من الضمير فيه او حال بعد حال ومعنى عربيا بقرا بلغتكم يا معشر العرب لعلكم تعقلون يا اهل مكة اي انزله بهذه الصفة لكي تعقلوا وتحيطوا بمعانيه او تستعملوا فيه عقولكم فتعلموا ان اقتصاصه ممن لم يتعلم القصص معجز لا يتصور الا بايحاء نحن نقص عليك احسن القصص مصدر اي احسن الاقتصاص لانه اقتص على ابدع الاساليب او احسن ما يقص لاشتماله

على العجايب واشتقاقه من قص اثره اذا اتبعه ومنه قالت لاخته قصيه اي تتبعي اثره بما اوحينا اليك اي بايحائنا هذا القران يعني السورة وهو نصب نعتا لهذا او بدلا منه او عطف بيان وان كنت من قبله لمن الغافلين عن هذه القصة لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك قط وان هي المخففة من الثقيلة اي وانه واللام هي الفارقة واختلف لم سميت هذه السورة احسن القصص قيل لانه ليست قصة في القران تتضمن من العبر والحكم ما تضمن هذه القصة ولقد قال في اخرها لقد كان في قصصهم عبرة وقيل لحسن محاورة يوسف اخوته وصبره على اذاهم وعفوه عنهم وكرمه في العفو حتى قال لا تثريب عليكم او لان فيها ذكر الانبيا والصالحين والملايكة والشياطين والانس والجن والانعام والطير وسير الملوك والمماليك والتجار والعلما والجهال والرجال والنسا وحيلهن ومكرهن وفيها ذكر التوحيد والفقه وتعبير الرؤيا والسياسة والمعاشرة وتدبير المعاش او لان فيها ذكر الحبيب والمحبوب وسيرهما او ان كل من ذكر فيها كان ماله السعادة من يوسف واخوته وابيه وامراة العزيز والملك ايضا اسلم وغيرهم فان قيل ما الحكمة في عدم تكرير قصة يوسف وسوقها مساقا واحدا في موضع واحد دون غيرها من القصص اجيب بوجوه منها ان فيها تشبيب النسوة وحال امراة العزيز ونسوة افتتن بابدع الناس جمالا فناسب عدم تكرارها لما فيه من الاغضا والستر وفي الحديث النهي عن تعليم

النسا سورة يوسف ومنها انها اختصت بحصول الفرج بعد الشدة
بخلاف غيرها من القصص فان مآلها الى الوبال ومنها انما كرر الله قصص
الانبيا وساق قصة يوسف مساقا واحدا اشارة الى عجز العرب
كان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم ان كان القران من تلقا نفسي
فافعلوا في قصة يوسف ما فعلت في ساير القصص فلم يقدر
مخالف على معارضة ما تكرر ولا غير المتكرر اذ قال يوسف بدل
من احسن القصص ان جعل مفعولا لا بدل له الاشتمال او مفعولا باذكر
ويوسف عبري ولو كان عربيا لصرف وسئل ابو الحسن الاقطع وكان
حكيما عن يوسف فقال الاسف في اللغة الحزن والاسيف العبد
وقد اجتمعا في يوسف فلذلك سمي يوسف لابيه يعقوب بن
اسحق بن ابراهيم عليهم السلام يا ابت بكسر التا وهي عند البصريين
علامة التانيث دخلت على الاب في الندا خاصة بدلا من يا
الاضافة ولذلك قرئ بالها في الوقف وقرئ بفتح التا لانها
حركة اصلها او لانه كان يا ابتا فحذف الالف وبقي الفتحة وانما
جاز يا ابتا ولم يجز يا ابتي لانه لا يجمع بين العوض والمعوض
اني رايت في المنام فهي من الرؤيا لا من الرؤية لقوله لا تقصص
رؤياك وهذا تاويل رؤياي احد عشر كوكبا والشمس والقمر
قال السهيلي اسما هذه الكواكب جا ذكرها مسندا رواه الحارث بن
ابي اسامة قال جا بستاني رجل من اهل الكتاب فسال النبي صلى الله عليه
وسلم عن الاحد عشر كوكبا الذي راى يوسف فقال الحرثان وطارق
والذيال وقابس والنطح والطروح وذو الكتفين وذو الفرع والفليق

ووثاب

ووثاب والعمودان وقال ابن عباس وقتادة الكواكب اخوته والشمس
امه والقمر ابوه وقال قتادة الشمس خالته لان امه كانت ماتت رايتهم
تاكيد وقال لي ساجدين فاجراها مجرى العقلا لوصفها بصفاتهم
من السجود الذي هو من افعال العقلا والعرب تجمع ما لا يعقل جمع
من يعقل اذا نزل منزلته قال يا بني تصغير ابن صغره للشفقة
او لصغر السن قيل وكان عمره اذ ذاك اثنتي عشرة سنة لا تقصص
رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا اي فيحتالوا لاهلاكك حيلة
فهم يعقوب من رؤياه ان الله تعالى يصطفيه لرسالته ويفوقه
على اخوته فخاف عليه حسدهم لان تاويلها ظاهر فربما يحملهم الشيطان
على قصده بسو حينئذ والرؤيا مصدر ترؤى في المنام على وزن
فعلى كالبشرى والالف للتانيث واختلف في حقيقة الرؤيا فقيل
هي ادراك في اجزا لم تحلها افة كالنوم المستغرق وغيره ولهذا اكثر
ما يكون الرؤيا في اخر الليل لقلة غلبة النوم فيخلق الله للرائي علما
ناشيا ويخلق له الذي يراه على ما يراه ليصح الادراك وقيل ان لله تعالى
ملكا يعرض المرئيات على المحل المدرك من النائم فيمثل له صورا
محسوسة فتارة تكون تلك الصور امثلة موافقة لما يقع في الوجود
وتارة تكون لمعان معقولة غير محسوسة وفي الحالتين تكون
مبشرة ومنذرة قال صلى الله عليه وسلم في صحيح مسلم رايت سودا
ثايرة الراس تخرج من المدينة الى مهيعة فاولتها الحمى ورايت سيفي
قد انقطع صدره وبقرا تنحر فاولتها رجل من اهل بيتي يقتل
والبقر نفر من اصحابي يقتلون ورايت اني ادخلت يدي في

درع حصينة فاولها المدينة ورايتني بيدي سوارين فاولتهما كذابين
يخرجان بعدي الى غير ذلك مما ضربت له الامثال ومنها ما يظهر معناه
اولا فاولا ومنها ما لا يظهر الا بعد الفكر وقد راى النائم في زمن
يوسف بقرا فاولها يوسف بالسنين والرؤيا تكون من الصغير كما تكون
من الكبير لان له ادراكا كالكبير والاية اصل في ان لا تقص الرؤيا على
غير شفيق ولا ناصح ولا على من لا يحسن التاويل وفي الحديث الرؤيا
جزء من ست واربعين جزءا من النبوة وروي من سبعين جزءا وفي
اخر من اربعين جزءا ومن حديث انس من ست وعشرين قال الطبري ولكل
حديث منها مخرج معقول فاما قوله فانها جزء من سبعين جزءا من النبوة
فان ذلك عام في كل رؤيا صالحة صادقة ولكل مسلم راها في منامه
على اي احواله كان واما قوله انها من اربعين او ستة واربعين فانه
يريد بذلك من كان صاحبها بالحال التي ذكر عن الصديق رضي الله عنه
انه كان بها فمن كان من اهل اسباغ الوضوء في السبرات والصبر في الله
على المكروهات وانتظار الصلاة بعد الصلاة فرؤياه الصالحة ان شاء
الله جزء من اربعين ومن كانت حالته في ذاته بين ذلك فرؤياه الصادقة
بين الجزئين ما بين الاربعين الى السبعين والى هذا المعنى اشار
ابن عبد البر فقال اختلاف الاثار في هذا الباب في عدد اجزاء الرؤيا
ليس ذلك عندي اختلاف تضاد وتدافع لانه يحتمل ان تكون الرؤيا
الصالحة من بعض من يراها على حسب ما تكون من صدق الحديث واداء
الامانة والدين المتين وحسن اليقين فعلى قدر اختلاف الناس
فيما وصفنا تكون الرؤيا منهم على الاجزاء المختلفة العدد فمن

خلصت نيته في عبادة ربه ويقينه وصدق حديثه كانت رؤياه
اصدق والى النبوة اقرب القرطبي وهذا التاويل يجمع شتات الاحاديث
وهو اولى من تفسير بعضها دون بعض وطرحه وانما كانت الرؤيا جزءا
من النبوة لان فيها ما يعجز ويمتنع كالطيران وقلب الاعيان والاطلاع
على شي من علم الغيب والرؤيا معلقة برجل طائر ما لم يحدث بها
صاحبها فاذا احدث بها وقعت فلا تحدثوا بها الا عاقلا او محبا او
ناصحا وقيل لمالك ايعبر الرؤيا كل احد فقال ابالنبوة يلعب الرؤيا
حالة شريفة ومنزلة رفيعة قال صلى الله عليه وسلم لم يبق بعدي
من المبشرات الا الرؤيا الصادقة يراها الرجل الصالح او ترى له
وقال اصدقكم رؤيا اصدقكم حديثا وقد تصدق رؤيا الكافر
والكاذب والمخلط ولا تكون جزءا من النبوة وفي الاية دليل على ان مباحا
ان يحذر المسلم اخاه المسلم ممن يخاف عليه ولا يكون داخلا في معنى
الغيبة لان يعقوب قد حذر يوسف عليهما السلام ان يقص
رؤياه على اخوته لئلا يكيدوا له كيدا ومنها ايضا ما يدل على جواز
ترك اظهار النعمة عند من يخشى غائلته حسدا وكيدا وفي الحديث
استعينوا على حوائجكم بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود **ان الشيطان
للانسان عدو مبين** اي ظاهر العداوة كما فعل بادم وحوا **وكذلك
يجتبيك ربك** الكاف في موضع نصب لانها نعت لمصدر محذوف
اي كما اكرمك بالرؤيا فكذلك يجتبيك ويحسن اليك بتحقيق الرؤيا
مقابل بالسجود لك الحسن بالنبوة والاجتبا اختيار معالي الامور
للمجتبى وهو من جبوت الشي اذا حصلته لنفسك قال عبد الله بن

شداد كان تعبير رؤيا يوسف بعد اربعين سنة وذلك منتهى الرؤيا
ويعلمك كلام مبتدا خارج عن التشبيه كانه قيل وهو يعلمك من تاويل
الاحاديث اي من تعبير الرؤيا او من تاويل غوامض كتب الله وسنن
الانبيا وكلمات الحكما وقيل من احاديث الامم والكتب ودلايل التوحيد
ويتم نعمته عليك بالنبوة او بان يصل نعمة الدنيا بنعمة الاخرة
وعلى ال يعقوب يريد به ساير بنيه ولعله استدل على نبوتهم
بضو الكواكب او اعلمه الله انه سيعطي بنيه كلهم النبوة قاله جماعة
كما اتمها على ابويك بالرسالة من قبل ابرهيم واسحق عطف بيان
لابويك وقيل على ابرهيم بالخلة وعلى اسحق بافدايه من الذبح ومن
قبل اي من قبل هذا الوقت او من قبلك لقد كان في يوسف واخوته
اي في قصصهم ايات اي دلايل قدرة الله تعالى وحكمته او علامات
نبوتك للسايلين لمن سال عن قصتهم لانهم سالوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو بمكة وقالوا اخبرنا عن رجل من الانبيا كان بالشام
اخرج ابنه الى مصر فبكى عليه حتى عمي ولم يكن احد بمكة من اهل
الكتاب ولا من يعرف خبر الانبيا وانما وجه اليهود اليهم من المدينة
من يسال فانزل الله تعالى سورة يوسف جملة واحدة كما في التوراة
من خبره وزيادة فكان ذلك اية للنبي صلى الله عليه وسلم بمنزلة
احيا عيسى بن مريم الميت ومعنى اية عظة وعبرة وقيل عجب وقرى
اية على الافراد وايات على الجمع لما اشتملت عليه هذه القصة من
عداوة الاقارب ومحبة الاجانب وكلام الذيب مع يعقوب والوحي
في حال صبا يوسف وكلام امه معه من القبر وتعبير اهل مصر في

رؤيته وشرا العزيز له بجميع ما يملك وغير ذلك واخوة يوسف ن
روبيل وهو اكبرهم وشمعون ولاوي ويهوذا وذيالون ويسجر
وامهم ليا بنت خال يعقوب وولد له من سريتين اربعة نفر
دان ونفتال وجاد واشر وبنيامين من راحيل شقيق يوسف اذ قالوا
اي بعض اخوة يوسف لبعض ليوسف واخوه بنيامين وتخصيصه
بالاضافة لاختصاصه بالاخوة من الطرفين وليوسف مبتدا واللام
للتوكيد وهي التي يتلقى بها القسم اي والله ليوسف واخوه عطف
عليه وخبره احب الى ابينا منا وحد لان افعل من لا يفرق فيه
بين الواحد وما فوقه والمذكر والمونث لانه بمعنى الفعل وانما قالوا
هذا لان خبر المنام بلغهم فتوامروا في كيده ونحن عصبة اي والحال
انا جماعة اقويا احق بالمحبة من صغيرين لا كفاية فيهما والعصبة
العشرة فما فوقها وقيل ما بين العشرة الى الاربعين ولا واحد
لها من لفظها كالرهط والقوم ان ابانا لفي ضلال مبين لتفضيله
المفضول او لترك التعديل في المحبة ولم يريدوا ضلال الدين اذ لو
ارادوه لكانوا كفارا بل ارادوا لفي ذهاب عن وجه التدبير في
ايثار اثنين على عشرة في استوايهم في الانتساب اليه روي انه
كان احب اليه لما يرى فيه من المخايل وكان اخوته يحسدونه فلما
راى الرؤيا تضاعفت له المحبة بحيث لم يصبر عنه ساعة فتبالغ
حسدهم حتى حملهم على التعرض له اقتلوا يوسف من جملة المحكي
بعد قوله اذ قالوا كانهم اتفقوا على ذلك الامر قبل والقايل ذلك
شمعون وقيل دان ورضي به الاخرون او اطرحوه ارضا بعيدة

من العام وهو معنى تنكيرها وابهامها ولذلك نصبت كالظروف المبهمة
والاصل في ارض فاسقط الخافض فانتصب او المعنى بارض بعيد
عن ابيه فلابد من اضمار لانه كان عند ابيه في ارض **يخل لكم**
وجه ابيكم جواب الامر اي يخلص ويصف لكم وجه ابيكم فيقبل
بكليته عليكم ولا يلتفت عنكم الى غيركم ولا ينازعكم في محبته
احد **وتكونوا من بعده** اي من بعد يوسف او من بعد الذنب **قوما**
صالحين اي تايبين اي تحدثوا بعد ذلك توبة فيقبلها الله منكم
وفي هذا دليل على ان توبة القاتل مقبولة لان الله تعالى لم ينكر
هذا القول منهم او المعنى صالحين مع ابيكم يصلح ما بينكم وبينه
بعذر تمهدونه او صالحين عند ابيكم من غير اثرة ولا تفضيل
والصالح قيل هو الذي يتوب ولا يعود الى الذنب وقيل من استوى
ظاهره وباطنه وقيل من تصلح عينه للعبرة ونفسه للخدمة
ولسانه للذكر وقلبه للمعرفة **قال قايل منهم** يعني يهوذا وكان
احسنهم فيه رايا قاله ابن عباس وقيل روبيل وهو ابن خالته
وهو القايل فلن ابرح الارض **لا تقتلوا يوسف** فان القتل عظيم
والقوه في غيابة الجب اي في قعره سميت بها لغيبوبته عن اعين
الناظرين وقرى غيابات بالجمع ووجهه ان يجعل كل موضع مما يغيب
غيابة ثم يجمع قال المهدوي الغيابة شبه طاق في البير فوق الما
يغيب الشي عن العيون وقيل كل شي غيب عنك شيا فهو غيابة القرطبي
ومنه قيل للقبر غيابة والجب الركية التي لم تطو فاذا طويت فهي
بير وسميت جبا لانها قطعت في الارض وجمع بين الغيابة

والجب

والجب لانه اراد القوه في موضع مظلم من الجب قيل وكان الجب
ببيت المقدس وقيل بالاردن وهو على ثلاث فراسخ من منزل
يعقوب **يلتقطه** ياخذه **بعض السيارة** اي بعض الذين يسيرون
في الارض قرى بالياء على لفظ بعض وقرى بالتاء حملا على المعنى
اذ بعض السيارة سيارة ومنه ذهبت بعض اصابعه **ان كنتم**
فاعلين مشورتي او ان كنتم تفعلون ما يفرق بينه وبين ابيه
فاكتفوا بذلك وانما قال هذا القايل هذا حتى لا يحتاجوا الى حمله
الى موضع بعيد ويحصل المقصود وكان هذا وجها في التدبير
بحيث لا يحتاجون الى الحركة بانفسهم فربما لا ياذن لهم ابوهم
وربما يطلع على قصدهم ودل ذلك على انهم لم يكونوا انبيا اذ
ذاك لان الانبيا لا يدبرون في قتل مسلم بل كانوا مسلمين
ثم نبيوا قال مالك طرح يوسف في الجب وهو غلام والدليل على ذلك
قوله يلتقطه بعض السيارة قال ولا يلتقط الا الصغير وقوله
اني اخاف ان ياكله الذيب وذلك امر يختص بالصغار وقولهم
ارسله معنا غدا نرتع ونلعب قال ابن عرفة والالتقاط وجود الشي
على غير طلب وقيل هو تناول الشي من الطريق فلما اجمعوا على التفرقة بين
يوسف وابيه بضرب من الاحتيال **قالوا يا ابانا ما لك لا تامنا على**
يوسف اي لم تخافنا عليه **وانا له لناصحون** اي ونحن نشفق عليه ونريد
له الخير قيل للحسن ايحسد المومن قال ما انساك بني يعقوب ولهذا
قيل الاب جلاب والاخ سلاب وفيه دليل على انهم سالوه قبل
ذلك ان يخرج معهم يوسف فابى **ارسله معنا غدا** الى الصحرا

نرتع بالنون نتسع في اكل الفواكه ونحوها من الرتعة وهو الخصب **ونلعب**
بالاستباق والانتضال وقرئ يرتع ويلعب باليا اليوسف وحكي
قيل لابي عمرو بن العلا كيف قالوا ونلعب وهم انبيا فقال لم
يكونوا يومئذ انبيا وقيل المراد باللعب المباح مما تقدم ولذلك
لم ينكر عليهم يعقوب قولهم ونلعب **وانا له لحافظون** من كل ما
يخاف منه **قال اني ليحزنني ان تذهبوا به** لشدة مفارقته علي وقلة
صبري عنه وان تذهبوا في موضع رفع اي ذهابكم به **واخاف ان**
ياكله الذيب لان الارض كانت مذابة قيل راى في المنام ان الذيب
شد على يوسف فلذلك خاف عليه وروي انه راى في منامه كانه
على ذروة جبل وكان يوسف في بطن الوادي واذا عشرة من الذياب
قد احتوشته يريدون اكله فدرا عنه واحد ثم انشقت الارض
فتوارى يوسف فيها وقيل انما قال ذلك لخوفه منهم عليه وانه كنى
عنهم بالذيب مساترة لهم قال ابن عباس فسماهم ذيابا واللام
في الذيب لواحد من الافراد باعتبار عهديته في الذهن وهو في
المعنى كالنكرة **وانتم عنه غافلون** لاشتغالكم بالرتع واللعب او
لقلة اهتمامكم بحفظه وفي الخبر ان الله تعالى اوحى الى يعقوب عليه
السلام اتدري لم فرقت بينك وبين يوسف لقولك اني اخاف ان
ياكله الذيب لم خفت عليه الذيب ولم ترجني ولم تنظر الى غفلة
اخوته ولم تنظر الى حفظي له **قالوا لئن** لام قسم **اكله الذيب ونحن**
عصبة اي جماعة نوي الذيب ولا نرده **انا اذا لخاسرون** في
حفظنا اغنامنا اي اذا كنا لا نقدر على دفع الذيب عن اخينا فنحن

اعجز ان لا ندفعه عن اغنامنا وقيل لخاسرون لجاهلون بحقه او
لمغبونون ببقاء العار علينا الى يوم القيمة والواو في ونحن واو الحال
فارسله معهم **فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب**
اي وعزموا على القايه فيها وروي في القصة ان يعقوب لما ارسله
معهم قمصه بقميصه وعممه بعمامته ثم اخذ عليهم ميثاقا ليحفظنه
وسلمه الى روبيل ثم قال يا بني ان جاع فاطعموه وان عطش فاسقوه
وان عيي فاحملوه ثم عجلوا برده فاخذوا يحملونه على اكتافهم لا
يضعه واحد الا رفعه اخر ويعقوب يشيعهم ميلا ثم رجع فلما
انقطع بصر ابيهم عنهم رماه الذي كان يحمله الى الارض وجره
برجله وكذلك المومن ما دام تحت ظل مولاه ونظره يكون في امن
وامان من ابليس وجنوده فاذا احتجب عن الله بزلل او خلل وقع
في شبكة الشيطان قال فالتجا الى اخر فوجد عند كل منهم اشد مما
عند الاخر فاستغاث بروبيل وقال انت اكبر اخوتي والخليفة
من بعد والدي علي فارحمني فلطمه لطمة شديدة وقال لا قرابة
بيني وبينك فادع الاحد عشر كوكبا فلتنجيك منا ثم اخذوا يضربونه
حتى كادوا يقتلونه فتعلق باخيه يهوذا وقال يا اخي ارحم ضعفي
وعجزي وارحم قلب ابيك يعقوب فما اسرع ما تناسيتم وصيته
ونقضتم عهده فرق عليه يهوذا وقال والله لا يصلون اليك ابدا
ما دمت حيا وروي انهم لما فعلوا بيوسف ما فعلوا ضحك فقال
له يهوذا ليس هذا مكان ضحك فقال يا اخي اني قلت في نفسي
لن يقدر احد ان ينالني بسوء ولي مثل هذه الاخوة لما رايت

من قوتكم وشدتكم فالان قد سلطكم الله على من سوء تلك الفكرة
ليلا يتكل العبد الا على مولاه فعند ذلك وقعت الرحمة في قلب
يهوذا وقال يا يوسف تعالى فادخل تحت ذيلي فقالوا له رجعت عن
عهدنا فقال لهم الرجوع عن عهد ليس لله فيه رضى اولى من الوفا به
ثم قال يهوذا يا اخوتي ان قتل النفس لمن اعظم الخطايا فردوا هذا
الصبي الى ابيه وتعاهدوا ان لا يتحدث بشيء مما وقع له فقالوا
معاذ الله ما نرده وما نريد الا ان تكون لك المكانة عند يعقوب
فقال ان ابيتم الا ذلك فها هنا هذا الجب الموحش البعيد القعر
الذي هو ماوى الحيات والهوام فالقوه فيه فان اصيب بشيء من ذلك
فهو المراد وقد استرحتم من دمه وان انقلب على يد سيارة يذهبون
به فاجتمع رايهم على ذلك واتوا به البئر فدلوه فيها فتعلق
بشفة البئر فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم ويحتالوا
به على ابيهم فقال يا اخوتاه ردوا علي قميصي اتوارى به في هذا
الجب فان مت كان كفني وان عشت اواري به عورتي فدلوه في البئر
فلما بلغ نصفها القوه فيها وكان فيها ما فسقط فيه ثم اوى الى صخرة
كانت هناك فقام عليها وروي ان الله تعالى اوحى الى جبريل
عليه السلام وهو تحت ساق العرش ان ادرك عبدي يوسف
فاسرع جبريل وهبط حتى عارض بين يوسف وقعر البئر ثم
اقعده على الصخرة سالما وكان ذلك الجب ماوى الهوام فقام على
الصخرة وهو يبكي وكان يهوذا ياتيه بالطعام وروى انه لما
وقع عريانا نزل عليه جبريل بالوحي فذلك قوله **واوحينا اليه**

وكان

وكان ابن سبع عشرة سنة وقيل مراهقا واوحى اليه في صغره كما
اوحى الى عيسى ويحيى عليهما السلام قال الحسن ومجاهد وقتادة وغيرهم
اعطاه الله النبوة وهو في الجب على حجر مرتفع على الماء وقيل كان
وحي الهام وفي القصة ان ابراهيم عليه السلام حين القي في النار
جرد عنه ثيابه فاتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة
فالبسه اياه فدفعه ابراهيم الى اسحاق ودفعه اسحاق الى يعقوب
فجعله يعقوب في تميمة من فضة وعلقها في عنق يوسف فكانت
لا تفارقه فلما القي في الجب عريانا اخرجه جبريل والبسه اياه
وروي ان يوسف نظر يوما في المراة فقال من مثلي فابتلاه الله
بالقائه في الجب وفي الحديث من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر
وضعه الله فكان ادبا له وقيل ان الله لما علم انه سيملك اراد
ان يريه ظلمة الجب لكيلا يحبس احدا اذا صار ملكا وجواب لما
محذوف اي فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه عظمت فتنتهم
وقيل فعلوا به ما فعلوا من الاذى والعبث فلما ذهبوا به واجمعوا
ان يجعلوه في غيابة الجب جعلوه فيها وقال الكوفيون الجواب
اوحينا والواو مقحمة والواو عندهم تزاد مع لما وحتى **لتنبئنهم**
بامرهم هذا اي لتحدثنهم بما فعلوا بك **وهم لا يشعرون** انك
يوسف لعلو شانك وبعده عن اوهامهم وطول العهد المغير
للحلى والهيئات وذلك اشارة الى ما قال لهم بمصر حين دخلوا
عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون وبشره بما يؤول اليه
امره ايناسا له وتطييبا لقلبه وقيل وهم لا يشعرون

منفصل باوصنا اي انسناه بالوحي وهم لا يشعرون بذلك وقيل الهاء
ليعقوب اوحى الله اليه بما فعلوه بيوسف وانه سيجمعهم بامره وهم
لا يشعرون بما اوحى اليه وقال وهب ولما قام يوسف على الصخرة قال يا
اخوتاه ان لكل ميت وصية فاسمعوا وصيتي قالوا وما هي قال اذا
اجتمعتم وانس بعضكم ببعض فاذكروا وحشتي واذا اكلتم فاذكروا
جوعي واذا شربتم فاذكروا عطشي واذا رايتم غريبا فاذكروا غربتي
واذا رايتم شابا فاذكروا شبابي فقال له جبريل يا يوسف كف عن
هذا واشتغل بالدعا فان الدعا عند الله بمكان ثم علمه فقال قل
اللهم يا مونس كل غريب ويا صاحب كل وحيد ويا ملجا كل خايف
ويا كاشف كل كربة ويا عالم كل نجوى ويا منتهى كل شكوى ويا حاضر
كل ملا يا حي يا قيوم اسيلك ان تقذف رجاك في قلبي حتى لا يكون
لي هم ولا شغل غيرك وان تجعل لي من امري فرجا ومخرجا انك
على كل شي قدير فقالت الملايكة الهنا نسمع صوتا ودعا الصوت صوت
صبي والدعا دعا نبي فاخرجه الله في منيته يومه من الجب
وجاوا اباهم عشا اخر النهار وهو ظرف **يبكون** في موضع
الحال واغا جاوا عشا ليكونوا اقدر على الاعتذار في الظلمة ولذلك
قيل لا تطلب الحاجة بالليل فان الحيا في العينين ولا تعتذر
بالنهار فتتلجلج في الاعتذار قال العلما وفي الاية دليل على ان
بكا المر لا يدل على صدق مقاله لاحتمال ان يكون تصنعا ومن
الخلق من يقدر على ذلك ومنهم من لا يقدر روي ان يحيى بن
اكثم تقدم اليه خصمان فبكى احدهما فقيل له ايها القاضي لعله

هذا مظلوم فقال من اين علمتم قالوا انه يبكي فقال ليس المعول على
البكا لان اخوة يوسف كانوا يبكون على الكذب وروي ان يعقوب
لما سمع بكاهم قال ما بكم اجرى في الغنم شي قالوا لا قال فاين
يوسف قالوا اكله الذيب فبكى وخر مغشيا عليه فافاضوا عليه
الما فلم يتحرك ونادوه فلم يجب قال وهب ولقد وضع يهوذا
يده على مخارج نفس يعقوب فلم يجد له نفسا ولا تحرك له عرق
فقال لهم يهوذا ويلنا من ديان يوم الدين ضيعنا اخانا وقتلنا
ابانا فلم يفق يعقوب الا ببرد السحر فافاق وراسه في حجر روبيل
فقال يا روبيل الم اتمنك على ولدي الم اعهد اليك فقال له يا
ابت كف بكاك نخبرك فكف **فقالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق
وتركنا يوسف عند متاعنا** اي عند ثيابنا حارسا لها **فاكله الذيب**
وذلك انهم لما سمعوا اباهم يقول واخاف ان ياكله الذيب اخذوا
ذلك من فيه ومعنى نستبق ننتضل بالسهام وهو نوع من المسابقة
قال الازهري النضال في السهام والرهان في الخيل والمسابقة
تجمعهما قال القشيري نستبق في الرمي او على الفرس او على الاقدام
والغرض من المسابقة على الاقدام تدريب النفس على العدو لانها
الالة في قتال العدو ودفع الذيب عن الاغنام **وما انت بمومن
لنا** اي بمصدق لنا **ولو كنا صادقين** لسو ظنك بنا وفرط محبتك
ليوسف ولم يبعد فهم يعقوب لما ظهر له من قوة التهمة وكثرة
الادلة على خلاف ما قالوه وفي الحديث من الحزم سو الظن **وجاوا
على قميصه** اي فوقه **بدم كذب** اي ذي كذب بمعنى مكذوب فيه

ويجوز ان يكون وصفا بالمصدر للمبالغة كما يقال هذا ضرب الامير
اي مضروبه وروي انه لما سمع بخبر يوسف صاح وسال قميصه
فاتوه به ملطخا بدم قال مجاهد كان دم سخلة او جدي ذبحوه وقال
قتادة دم ظبية فلما تامل يعقوب القميص لم يجد فيه خرقا ولا
اثرا فبكى ثم ضحك فقال اولاده يا ابانا الضحك والبكاء في موضع
واحد من فعل المجانين فقال اما بكاي فعلى الدم واما ضحكي فعلى
صحة القميص فلما رايت الدم توهمت انه اكله الذيب وحين رايت
القميص صحيحا رجوت ان يكون الخبر غير صحيح ثم قال متى يكون
هذا الذيب حليما ياكل يوسف ولا يمزق قميصه قاله ابن عباس
وروي ان يعقوب قال لهم الم يترك الذيب له عضوا فتاتوني به
استانس به الم يترك له ثوبا اشم فيه رايحته ثم اعرض عنهم كالمغضب
كالمغضب ثم قال يا معشر اولادي دلوني على ابني فان كان حيا رددته
وان كان ميتا واريته فقالوا لانفسهم الم تروا الى ابينا كيف
يكذبنا فتعالوا نصطاد ذيبا ونقول هذا الذي اكله قال فاصطادوا
ذيبا ولطخوه بالدم واوثقوه بالحبال وجاوا به يعقوب وقالوا يا
ابانا هذا الذيب الذي اكل ولدك فانه الذي يحل باغنامنا فقال
يعقوب اطلقوه ثم قال له ادن مني فاقبل اليه حتى الصق خده
بخد يعقوب فقال له يعقوب لم افجعتني بولدي واورثتني
حزنا طويلا ثم قال اللهم انطقه فانطقه الله الذي انطق كل
شي وقال والذي اصطفاك نبيا ما اكلت لحمه ولا مزقت جلده
وما لي بولدك عهد وانما انا ذيب غريب من ارض مصر في طلب

اخ لي

اخ لي فقدته فلا ادري احي هو ام ميت فاصطادني ولدك واوثقوني
والم تعلم ان لحوم الانبيا محرمة علينا وتالله لا اقمت في بلاد يكذب
فيها اولاد الانبيا فاطلقه يعقوب وقال والله لقد اتيتم بالحجة
على انفسكم هذا ذيب خرج يطلب ذمام اخيه وانتم قد ضيعتم
اخاكم وان الذيب بري مما جيتم به ثم **قال بل سولت لكم انفسكم
امرا** فعلتموه اي سهلت لكم انفسكم وزينت وهونت في اعينكم
امرا عظيما غير ما تصفون وتذكرون وما كان ظني بكم هذا بيس
ما سولت لكم انفسكم وانما نسب الجرم للنفس لانها معيوبة قال
بعضهم النفس محجوبة عن الباب مطرودة عن حضرة الاحباب
قال عليه الصلاة والسلام من لم يغلب نفسه وهواه فليس له
حظ في عقباه ثم قال توطية لنفسه **فصبر جميل** قال الزجاج
اي فشاني صبر جميل وقيل المعنى فصبر جميل اولى بي وفي
الحديث الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه اي الى الخلق فقد قال
يعقوب انما اشكو بثي وحزني الى الله وقيل الصبر الجميل هو ان
لا يعرف صاحب المصيبة من غيره ومعنى الاية لا اعاشركم على
كابة الوجه وعبوس الجبين بل اعاشركم على ما كنت عليه معكم
وفي هذا ما يدل على انه عفى عن مواخذتهم وعن حبيب بن ابي
ثابت ان يعقوب كان قد سقط حاجباه على عينيه فكان يرفعهما
بخرقة فقيل له ما هذا قال طول الزمان وكثرة الاحزان فاوحى الله
اليه اتشكوني يا يعقوب قال يا رب خطية اخطاتها فاغفر لي
وفي الخبر اعلى الدرجات درجة الصابرين الصبر عند الصدمة

الاولى الصبر ليس له جزا الا الجنة لكل عامل ثواب معدود وثواب الصابرين
غير محدود قال الله تعالى انما يوفي الصابرون اجرهم بغير حساب
والله المستعان ابتدا وخبر اي المطلوب منه العون **على ما تصفون**
اي على احتمال ما تصفونه من الكذب قال ابن ابي رفاعة ينبغي لاهل
الراي ان يتهموا رايهم عند ظن يعقوب وهو نبي حين قال بنوه فاكله
الذيب قال بل سولت لكم انفسكم فاصاب ثم قالوا له ان ابنك سرق
قال بل سولت لكم انفسكم فلم يصب قيل وارسل الله تعالى ملايكة
ليوسف يحفظونه في الجب وصيحة على قدره من ولدان الجنة
يونسونه وكذلك يفعل الله بعبده اذا قبر وفي القصة ان يهوذا
كان يختلف اليه في كل ليلة يحدثه ويساله عن حاله فيقول بخير
فيقول ما حال والدي فاني ابكي على حزنه **وجات سيارة** اي رفقة
مارة يسيرون من الشام الى مصر فنزلوا قريبا من الجب وكان ذلك
بعد ثلاث ليال من القايه فيها وكان بعيدا من العمران انما هو للرعا
قيل وكان مالحا فعذب لما القي فيه يوسف قال اهل التفسير ان
ملك بن زعر العربي كان قد سكن بمصر فراى في منامه في حال
صغره كانه حاضر في ارض كنعان فنزلت الشمس من السما في حجره
ودخلت في كمه ثم اخرجها واقامها بين يديه فاتت سحابة بيضا
نثرت عليه الدر وهو يلتقطه ويجمعه في صندوق له فسال
بعض المعبرين عن ذلك فقال تصيب عبدا ويصيبك بسببه الغنا
ويبقى في نسلك وتنجو من النار ببركته ويصير ذكرك باقيا
الى اخر الدهر قال فتجهز مالك للسفر طمعا في ان يراه وقصد

ارض

ارض الشام ولم يزل يختلف الى ارض الشام مدة خمسين سنة طمعا
ان يلقاه هذا حال من طمع في مخلوق فكيف من يطمع في لقا مولاه اوحى
الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود من طلبني وجدني ومن
وجدني لا يختار علي غيري كافر اجتهد في مخلوق ما ضاع اجتهاده
فالمومن اذا اجتهد في طلب مولاه كيف يضيع اجتهاده فلما كان
بعد خمسين سنة قال لغلامه ان وجدت هذا الغلام اعتقتك
وجعلت لك شطر مالي فلما كان في بعض الطريق راى طيورا تطير
حول الجب وتطوف به كما يطوف الحاج بالكعبة فقال لرفقته انزلوا
بنا ها هنا لعلنا نجد في هذا الجب ما فذلك قوله تعالى **فارسلوا
واردهم** ذكر على المعنى والوارد هو الذي يرد الما ليستقي للقوم
وكان اسمه فيما ذكره بعضهم مالك بن زعر الخزاعي **فادلى دلوه**
اي ارسلها يقال ادلى دلوه ارسلها ليملاها ودلاها اذا اخرجها عن
الاصمعي وغيره وروي ان جبريل قال ليوسف قم قال الى اين
قال اتذكر يوم اذ نظرت في المراة فقلت في نفسك لو كنت مملوكا
ما قام احد بثمني اطلع حتى ترى ثمنك فاذا قوم العبد نفسه فليس
له قدر ولا قيمة قال عليه الصلاة والسلام ان الله تعالى لا ينظر
الى صوركم ولا الى اجسادكم ولا الى اعمالكم ولا الى اقوالكم ولكن
ينظر الى قلوبكم ونياتكم فتعلق يوسف بالحبل فلما بلغ راس
البير اذا غلام كانه القمر ليلة البدر احسن ما يكون من الغلمان
وفي صحيح مسلم في حديث الاسرا فاذا انا بيوسف اذا هو قد
اعطي شطر الحسن وقال كعب الاحبار كان يوسف حسن الوجه جعد

الشعر ضخم العينين مستوي الخلق ابيض اللون غليظ الساعدين والعضدين
خميص البطن اذا تبسم رايت النور يخرج من ضوء حنكه واذا تكلم
رايت في كلامه شعاع الشمس كان حسنه ضوء النهار عند الليل لا
يستطيع احد وصفه فلما راه مالك **قال يا بشراي هذا غلام** نادى
البشرى بشارة لنفسه او لقومه كانه قال تعالى فهذا اوانك وقيل
هو اسم لصاحب له ناداه ليعينه على اخراجه وقرئ يا بشرى غير مضاف
قال قتادة بشر اصحابه بانه وجد عبدا ومعنى النداء هنا التنبيه اي
انتبهوا لفرحتي وسروري **واسروه بضاعة** اي الوارد واصحابه
من سائر الرفقة وقيل اخفوا امره وقالوا دفعه الينا اهل الماء لنبيعه
بمصر وقيل الضمير لاخوة يوسف وذلك ان يهوذا كان ياتيه كل يوم
بالطعام الى البئر فاتاه يومئذ فلم يجده فيها فاخبر اخوته فاتوا
الرفقة وقالوا هذا غلامنا ابق منا فاشتروه وقالوا ليوسف بالعبرانية
اما ان تقر لنا بالعبودية فنبيعك من هولاء واما ان تاخذك فنقتلك
فقال انا اقر لكم بالعبودية فاقر لهم وروي ان مالكا قال لهم والله
ما هذه سيمة العبيد قالوا هو تربى في حجورنا وتخلق باخلاقنا
وتادب باداابنا فقال ما تقول يا غلام قال صدقوا تربيت في حجورهم
وتخلقت باخلاقهم فقال مالك ان بعتموه مني اشتريته منكم فقالوا
ان اشتريته بعيوبه بعناك قال وما عيوبه قالوا سارق كذاب
يرى الرؤيا الكاذبة فقال مالك بكم تبيعونه على هذه العيوب
ويوسف ينظر اليهم ويقول ما اظن انه يقوم بثمني لانهم يطلبون
اموالا كثيرة ثم قال مالك ان معي قليل دراهم تعد ولا توزن

وبضاعة نصب على الحال اي اخفوه متاعا للتجارة **والله عليم بما يعملون**
اي لم يخف عليه اسرارهم او صنيع اخوة يوسف بابيهم واخيهم
وشروه اي باعوه او اشتروه من اخوته يقال شريت بما اشتريت
وشريت بمعنى بعت **بثمن بخس** مبخوس لزيفه او نقصه ولم يكن
قصد اخوته ما يستفيدونه من ثمنه وانما كان قصدهم ما يستفيدونه
من ثمنه وانما كان قصدهم من خلو وجه ابيهم عنه وقال قتادة
بخس ظلم الضحاك وغيره حرام عكرمة قليل **دراهم** بدل من ثمن
معدودة اي قليلة فانهم كانوا يزنون ما بلغ الاوقية وهي
اربعون درهما ويعدون ما دونها ابن عباس وابن مسعود باعوه
بعشرين درهما اخذ كل واحد من اخوته درهمين وقيل بسبعة عشر
درهما وقيل غير ذلك هذا جزاء من فوت نفسه ولم يعلم ان المدار
على القلوب ذكر ان رجلا صحب ذا النون وانفق عليه اموالا وذو
النون لم يلتفت اليه فشكى ذلك يوما الى بعض اصحابه فبلغ ذا النون
فاستدعاه واعطاه خاتمه وقال له اذهب به الى السوق وعرضه
للبيع فلم يزد ثمنه على عشرة دراهم فرجع واخبره بذلك فقال
علي من عرضته قال على البقالين والاساكفة فاخذه منه ودفعه
الى تلميذ له وقال اذهب فبعه فذهب به الى الجوهريين فشروه
بثمانين دينارا فقال ذو النون للاول معرفتك في التصوف
كمعرفة الاساكفة في الخاتم كذلك من اشترى يوسف لم يعرفه
ولو عرفه لم يشتره بالدنيا **وكانوا فيه** اي في يوسف **من الزاهدين**
اي الراغبين عنه والضمير في كانوا ان كان للاخوة فظاهر

لان المقصود زواله عن ابيه لا ماله وان كان للرفقة وكانوا بايعين فزهدهم
فيه لانهم التقطوه والملتقط للشي متهاون به خايف من انتزاعه مستعجل
في بيعه وان كانوا مبتاعين فلانهم اعتقدوا انه ابق والزهد قلة الرغبة
وقيل وكانوا في حسنه من الزاهدين لان الله تعالى وان اعطى يوسف شطر
الحسن صرف عنه دواعي نفوس القوم اليه اكراما له وقيل ان يوسف
ما رام على صورته الا يعقوب وزليخا فيعقوب ذهبت عيناه وزليخا
ذهب مالها وجمالها او كانوا فيه ابى في الثمن وقال الذي اشتراه من مصر
وهو العزيز الذي كان على خزاين مصر واسمه قطفير وكان الملك يومئذ
الريان بن الوليد العمليقي وقد امن بيوسف ومات في حياته وقيل هو
فرعون موسى عاش اربعمايه سنة بدليل قوله تعالى ولقد جاكم يوسف
من قبل بالبينات والمشهور انه من اولاد فرعون يوسف والاية من
قبيل خطاب الاولاد باحوال الابا قيل والاشترا معناه ههنا الاستبدال
اذ لم يكن ذلك عقدا صحيحا او انهم ظنوه في ظاهر الحال اشترا فجرى هذا
اللفظ على ظاهر الظن قيل اشتراه وهو ابن سبع عشرة سنة ولبث في
منزله ثلاث عشرة سنة واستوزره الريان وهو ابن ثلاث وثلاثين
سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين واختلف بكم اشتراه به فقيل
بعشرين دينارا وزوجي نعل وثوبين ابيضين وقيل تزايد في ثمنه
فبلغ اضعاف وزنه مسكا وعنبرا وحريرا وذهبا وورقا ولالي وجواهر
لا يعلم قيمتها الا الله تعالى قال وهب ولما اشتراه مالك بن زعر الخزاعي
من اخوته كتب بينه وبينهم هذا ما اشترى مالك بن زعر من بني يعقوب
وهم فلان وفلان مملوكا لهم بعشرين درهما وقد شرطوا له انه ابق

وانه لا ينقلب به الا مقيدا مسلسلا واعطاهم على ذلك عهد الله قال
فودعهم يوسف وجعل يقول حفظكم الله وان ضيعتموني نصركم
الله وان خذلتموني رحمكم الله وان لم ترحموني فيقال ان الاغنام
القت ما في بطونها دما عبيطا لشدة هذا التوديع فندم اخوة يوسف
على ما فعلوا وبكوا على ما اجرموا فالمومن يندم على اساته والمنافق
لا يحزن على جريرته فلما رجع يوسف الى عند مالك شدوا يديه
ورجليه وحملوه على قتب بلا غطا ولا وطا مقيدا مسلسلا وسلمه
الى عبد اسود فمروا في طريقهم على مقبرة ال كنعان فراى قبر امه راحيل
فطرح نفسه عليه وجعل يبكي ويتمرغ ويعتنق القبر ويقول يا
اماه لو رايتني لبكيت علي يا اماه فرقوا بيني وبين ابي يا اماه
لطموني وجروا برجلي يا اماه القوني في الجب فريدا وحيدا يا اماه
باعوني بيع العبيد فسمع انينا من داخل القبر وا ولداه وا قرة
عيناه وا ثمرة فواداه فوقع مغشيا عليه فافتقده العبد الموكل
به فلم يجده فصاح يا سيداه هرب الغلام ثم قال للسيارة
قفوا ثم رجع يقص اثره فوجده على القبر فلطمه وركزه برجله
وسحبه على وجهه فجعل يوسف يقول يا رب اعف عنه بحق ابائي
فانهم ما عصوك ثم قال للعبد لا تفعل فوالله ما هربت ولا ابقت
وانما مررت بقبر امي فاحببت ان اودعها ولن اعود الى ما تكرهون
فقال العبد والله انك لغلام سو تدعوا اباك مرة وامك اخرى فهلا
كان هذا اذ كنت عند مواليك فرفع يوسف يديه الى السما وقال
اللهم ان كانت لي خطية اخلقت وجهي فاسالك بحق ابائي ابراهيم

واسحق ويعقوب ان تغفر لي وترحمني فضجت الملايكة في السما ونزل
جبريل فقال يا يوسف غض صوتك فقد ابكيت ملايكة السماء
افتريد ان اقلب الارض فاجعل عاليها سافلها قال تثبت يا جبريل فضرب
جبريل الارض بجناحه فاظلم الجو وارتفع الغبار وكسفت الشمس
وبقيت القافلة لا يعرف بعضهم بعضا وطلعت غمامة امطرت بردا
مثل بيض النعام وايقنوا بالهلاك فقال رييس القافلة من احدث
منكم حدثا واذنب ذنبا فليتب فقال الاسود انا لطمت ذلك
الغلام العبراني فرفع يده الى السما وتكلم بكلام لا اعرفه فقال
له ما اردت الا هلاكنا ثم قال يا غلام لقد لطمك هذا الاسود فجاءنا
ما رايت فان كنت تقتص فاقتص ممن شيت وان كنت تعفو فهو الظن
بك فقال يوسف قد عفوت رجا ان يعفو الله عني فانا من اهل بيت
لا تنتقم ولكن نعفو ونصفح فدعا الله تعالى فانجلت الغبرة وظهرت
الشمس واضات الارض وجعل التاجر يزوره بالغداة والعشي ويكرمه
حتى وصلوا مصر فادخل مالك يوسف في النيل وغسله واذهب عنه
كابة السفر والبسه ثيابا حسنة وزينه باحسن الزينة ورد
الله عليه حسنه وجماله ودخل به البلد نهارا فسطع نوره على
الجدران ونادى مناد يا اهل مصر قد جاكم فتى لا يلقاه احد الا سعد
ولا ينظر اليه احد الا فرح فلما سمعوا النداء اخذهم الوسواس ثم
توددوا اطلبوه في دار مالك بن زعر ولما دخل يوسف البلد
تحركت الاشجار وترنمت الاطيار وطابت الثمار وذهب القرار
وما ذاق احد من اهل مصر في تلك الليلة طعاما ولا شرابا

شوقا الي يوسف قال بعضهم هذا اطلعهم على لذة الخبر فكيف يكون
عند النظر اشتاقوا اليه في الغيبة فكيف اذا نظروا اليه في الحضرة
قال بعض الصالحين رايت شابا نحيفا في الطواف يبكي ويقول واشوقاه
الي من يراني ولا اراه فقلت من هو فصاح صيحة فارق الدنيا قال فلما
اصبح القوم اجتمعوا على باب دار مالك حيارى فاطلع مالك على السطح
وقال يا قوم ما تريدون قالوا نريد من انت فيه متحير فقال واعجباه
واي عجب ترون فيه فاني ما ارى فيه زيادة على ساير الصور ثم
قال من اشتهى رويته فليات بدينار فقالوا افتح ولا يدخل منا
احد الا ومعه دينار قال فدخلوا ورمى كل واحد منهم دينارا فبلغ
ذلك ستماية الف دينار وما راه احد الا تحير اذا كان هذا في حب
مخلوق فكيف يكون حال من احب مولاه قال بعضهم رايت شيخا
بين يديه غلام وهو يقول اي شي تريد مني قلت لي افعل كذا ففعلت
ولا تفعل كذا فما فعلت وقلت لا تنام ولا تنساني ففعلت فماذا
تريد قال اريد ان تموت فجلس ومد رجليه وقال ها انا قد مت فظننت
انه يمزح وذهب الغلام فحركت الشيخ فاذا هو ميت فنتفت لحيتي
وقلت واكذب دعواي هذا حال من يدعي محبة مخلوق فكيف محبة
الخالق فاذا كان يوم القيمة تسود وجوه الكذابين ثم نادى مناد
الا من احب ان يشتري الغلام فليحضر فما بقي احد الا طمع في شراه واجتمع
القوم واعرضوا جميع ما يملكون فنودوا هذا عزيز ولا يشتريه الا
عزيز فاشتراه عزيز مصر لامراته قال بعض اهل العلم لما اشتراه
العزيز انشقت مرارة عشرة الاف انسان ممن طمع في شراه هذا

حال من فاته قرب مخلوق فكيف بمن فاته قرب مولاه ولما اشترى العزيز
يوسف قال **لامراته اكرمي مثواه** اسم امراته راعيل وقيل زليخا
والمعنى اجعلي مقامه عندنا كريما اي حسنا وفي سبب ذلك اوجه
احدها ان للمملوك فراسة فتفرس فيها فعلم انها تحبه فلذلك
قال اكرمي مثواه الثاني انه علم شرفه عند الله وفضله وقال هذا
عزيز ولا يخدمه الا عزيز وليس عندي اعز منك فاكرمي مثواه
الثالث قيل راى في المنام لا تفرق بين يوسف وزليخا فانها له وهو
لها فلذلك قال اكرمي مثواه الرابع ان زليخا قالت بقيت فريدة وحيده
بلا ولد فقال اكرمي مثواه الخامس انه قال ان هذا كريم ونحن كرام
ولا يعرف قدر الكريم الا الكريم وقيل المعنى اجعلي له اشرف
مكان من دارنا مثواه قال اهل المعاني ما وجدت زليخا اجل من
قبلها فجعلته مثواه **عسى ان ينفعنا** في ضياعنا واموالنا ونستظهر
به في مصالحنا وعسى ان يقوم مقامنا فما لنا احد سواه وكان الامر
كما قال **او نتخذه ولدا** اي نتبناه وكان العزيز عقيما لما تفرس
فيه من الرشد ولذلك قال عبد الله بن مسعود افرس الناس ثلاثة
عزيز مصر وابنة شعيب التي قالت يا ابت استاجره وابو بكر حين
استخلف عمر فان قيل كيف قال او نتخذه ولدا وهو ملكه فقيل
يعتقه ثم يتخذه ولدا بالتبني في الامم معلوما عندهم وكذا
كان في اول الاسلام **وكذلك مكنا ليوسف في الارض** اي
وكما مكنا محبته في قلب العزيز او كما مكناه في منزله او كما انجيناه
من اخوته ومن الجب وعطفنا عليه العزيز مكنا له فيها حتى يمكن

من الامر والنهي في البلد الذي الملك مستول عليه قال كعب الاحبار
لما اخذ العزيز يوسف واتى به زليخا وقال لها اكرمي مثواه اكرمه
الله بالايمان بعد ذلك وكانت زليخا من بنات الملوك فلما حصل
عندها اشتغلت بذكره لا تذكر سواه ولا يخطر ببالها الا اياه والبسته
ثوبا ملكيا ابيض عليه الف حبة من اللولو ومنطقة ملكية عليها
من الياقوت والزبرجد ما ليس له قيمة فقال يوسف كيف يكون
للعبد مثل هذا والسيد في ثياب دونها فقالت انت السيد ونحن
العبيد الى ان قال اكرمي مثواه ويقال انها هيات له من الثياب ثلثماية
وستين حسنا لكل يوم بدلة فكانت تزينه كل يوم بزينة
جديدة لا تشبه الاخرى كذلك الباري جل جلاله اذا احب عبدا
نظر اليه في كل يوم ثلثماية وستين نظرة يعطيه بها حظه من
الكرامة والقربة والوصلة والتسليم والرضى والمعرفة **ولنعلمه
من تاويل الاحاديث** عطف على مضمر تقديره ليتصرف فيها بالعدل
ولنعلمه اي الذي كان القصد في انجائه وتمكينه الى ان يقيم
العدل ويدبر امور الناس ويعلم معاني كتاب الله واحكامه
فينفذها او تعبير المنامات المنبهة على الحوادث الكائنة ليستعد
لها ويشتغل بتدبيرها قبل ان يحل وقيل فعلنا ذلك تصديقا
لقول يعقوب ويعلمك من تاويل الاحاديث وقيل الواو زايدة **والله
غالب على امره** لا يرده شي ولا ينازعه شي فيما يشا فالهاء راجعة
الى الله تعالى اي هو الغالب على امر نفسه فيما يريد وقيل ترجع
الى يوسف اي الله غالب على امر يوسف فيما يريد ويحوطه ولا

يكله الى غيره حتى لا يصل اليه كيد كايد ولكن اكثر الناس لا يعلمون
ان الامر كله بيده او لطايف صنعه وخفايا لطفه وقيل المراد
بالاكثر الجميع لان احدا لا يعلم الغيب وقيل على ظاهره اذ قد
يطلع الله من يويد على بعض غيبه قال الحكما في هذه الاية والله
غالب على امره حيث امره يعقوب ان لا يقص رؤياه على اخوته
فغلب امر الله حتى قص عليهم ثم اراد اخوته قتله فغلب امر الله
حتى قص عليهم صار ملكا وسجدوا له ثم ترووا ان يكونوا من بعده
قوما صالحين فغلب امر الله حتى نسوا الذنب واصروا عليه حتى اقروا
به بين يديه بعد سبعين سنة ثم ارادوا ان يخدعوا اباهم بالبكا
والقميص فغلب امر الله فلم تخدع وقال بل سولت لكم انفسكم ثم
دبرت امراة العزيز انها اذا ابتدرته بالكلام غلبت فغلب امر الله
حتى قال العزيز استغفري لذنبك انك كنت من الخاطيين ثم دبر
يوسف ان يتخلص من السجن فذكر الساقي فغلب امر الله فنسي الساقي
وغير ذلك ولما بلغ اشده اي منتهى اشتداد جسمه وقوته وهو
سن الوقوف ما بين الثلاثين والاربعين وقال زيد بن اسلم وغيره
الاشد بلوغ الحلم والاشد عند سيبويه جمع واحده شده
وزعم ابو عبيدة انه لا واحد له من لفظه اتيناه حكما اي حكمة
وهو العلم المويد بالعمل او حكما بين الناس وعلما يعني علم تاويل
الاحاديث وقيل علم الدين قبل ان يبعث نبيا مجاهد العقل
والفهم والنبوة وكذلك كما جزيناه نجزي المحسنين يعني المومنين
وقيل الصابرين على النوايب كما صبر يوسف وفيه تنبيه على انه

الله

الله تعالى انما اتاه ذلك جزاء على احسانه في عمله واتقانه في عنفوان
امره وراودته التي هو في بيتها عن نفسه طلبت منه وتحيلت
ان يواقعها من راود يراود اذا جاء وذهب لطلب شي ومنه الرائد
واصل المراودة الارادة والطلب برفق ولين وكان المعنى خادعته
وفعلت فعل المخادع لصاحبه وعدل عن قوله امراة العزيز او
زليخا الى قوله التي هو في بيتها لانه اذا كان في بيتها وتمكن من نيل
المراد منها ولم يفعل كان في غاية النزاهة فالغرض المسوق له
الكلام نزاهة يوسف وطهارة ذيله وفيه ايضا ستر عليها اذ لم يصرح
باسمها وغلقت الابواب قيل كانت سبعة والتشديد للتكثير
او للمبالغة في الايثاق ولا يقال غلق الباب واغلق يقع للقليل
والكثير قال ابن عباس غلقت عن نفسها باب كل شي سوى يوسف
وقال الحسن غلقت ابواب المدح والذم من شدة محبتها ودعته
الى نفسها وكذلك من احب الله فيغلق عن نفسه باب جميع المقالات
وفي القصة انها لما عيل صبرها اظهرت امرها لدايتها وقالت اني قد
غرقت في حب هذا الغلام فقالت لها تزيني بكل زينة وادعوه
ففعلت وجا يوسف في وقت الظهيرة فلما دخل عليها ونظرها في
حالة عجيبة من الزينة فقال الهي لا ينجو منها الا معصوم
فاعصمني برحمتك يا ارحم الراحمين قالت زليخا يا حبيبي وريحان
قلبي هذا البيت من اجلك قد بنيته وكان بيتا من احسن البيوت
قد بنت حيطانه من الزجاج وفيه من انواع المقاصير والاسرة
والفرش ما لا يوصف فقال ان الله تعالى قد بنى لي بيتا في الجنة

احسن من هذا ولا يجرب ابدا فقالت يا يوسف اطعني فيما امرك به
فقال اخاف الله ان يخسف بنا الارض قالت ما اطيب ريحك قال لو اطلعت
على قبري بعد ثلاث لوليت هاربة قالت ما احسن عينيك قال انهما
اول ما يسيلان على خدي قالت ما اعجب شعرك قال انه اول شي يتناثر
مني قالت ما احسن صورتك قال الله خلقني وصورني ثم قال ذريني
فقالت لم تعرض عني قال اريد رضا ربي قالت انا ابذل له خزايني
على عبيده حتى يرضى عنك قال ان ربي لا يقبل الرشوة قالت سمعت
انه يقبل مثقال ذرة ويثيب عليها الجزيل قال انما يتقبل الله من
المتقين فقالت انظر لي نظرة واحدة فقال اخاف ان احشر يوم
القيمة اعمى فقالت ادنو منك وتتباعد عني قال اريد بذلك القرب
من ربي قالت ادخل معي القيطون قال انه لا يسترني من ربي جل
وعلا الى غير ذلك من كلامها قال بعضهم ما زال النسا يملن الى يوسف
ميل شهوة حتى نباه الله فالقى عليه هيبة النبوة فشغلت هيبته
كل من راه عن حسنه وقالت هيت لك اي اقبل وبادر او تهيات لك
والكلمة على الوجهين اسم فعل بني على الفتح كاين واللام للتبيين
كالتي في سقيا لك وقري هيت بالضم تشبيها بحيث وقري بكسر الها
وفتح التا وقال ابن عباس والحسن هيت كلمة بالسريانية تدعوه الى
نفسها وقال السدي معناها بالقبطية هلم لك ذكر الله تعالى من
زليخا ثلاثة اشيا من المعاصي المراودة والتغليق وهيت لك ولم
يذكر من يوسف شيا ليعلم انه يستر المحسن قال معاذ الله اي
اعوذ بالله معاذا اي استجير به مما دعوتني اليه وهو مصدر اعوذ

حذف الفعل ونصب المصدر بالفعل المحذوف انه ربي احسن مثواي
اي سيدي قطفير العزيز احسن مقامي اذ قال اكرمي مثواه فما جزاوه
ان اخونه في اهله قاله مجاهد وغيره ليعلم ان الاحسان عند
كل اصيل محفوظ ويضيع عند كل من لا اصل له فاذا كان الاحسان
لا يضيع عند مخلوق فكيف يضيع عند الله تعالى وفي الحديث
حرام على كل نفس خبيثة تخرج من الدنيا حتى تسي لمن احسن اليها
وقال الزجاج الضمير لله اي ان الله ربي تولاني بلطفه فلا اركب
ما حرمه انه اي الشان لا يفلح الظالمون اي المجازون الحسن
بالسي وقيل الزناة فان الزنا ظلم على الزاني والمزني باهله كان
احسان زليخا اكثر من احسان العزيز الا ان احسانها كان مشوبا ن
بالمعصية والفساد يورث في الدنيا صاحبه المذمة وفي الاخرة
الحسرة وفي الحديث اعظم الكباير ثلاث الشرك بالله وعقوق
الوالدين وان يزني الرجل بحليلة جاره وقال عليه الصلاة والسلام
يحشر الزاني يوم القيمة في تابوت من نار قال بعض الصالحين
رايت امراة جميلة في طريق مكة وقد نظرت الي وقالت هل
تحسن شيا من القران قلت نعم قالت قل فقرات قل للمومنين
يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم فقالت هل تحسن شيا
من الشعر قلت نعم فقلت ٭ ولست من النسا ولسن مني ٭ ولا ابغي
الفجور الى الممات ٭ فان الله ينظر فوق عرش ٭ ويبغض من فعال
المقتات ٭ قال فتاخرت عني وتباعدت عنها ثم جاورت بمكة
سبع سنين فلما رجعت اجتزت بذلك المكان فاذا انا بشيخ

من بعيد فلما دنوت منه تباعد عني فقلت بمعبودك الا ما
وقفت ثم دنوت منه وقلت من انت فقالت انا المراة التي دللتني
عليه فعرفته وهربت منك اليه **ولقد همت به وهم بها** اي قصدت
مخالطته وقصد مخالطتها والهم بالشي قصده والمراد بهمه ميل الطبع ومنازعة الشهوة
لا القصد الاختياري وذلك مما لا يدخل تحت التكليف بل الحقيق
بالمدح والاجر الجزيل من الله من يكف نفسه عن الفعل عند قيام
هذا الهم او مشارفة الهم كقولك قتلته لو لم اخف الله ولاخلاف
ان همها به كان المعصية واما يوسف فقيل المعنى وهم بها
لولا ان راي برهان ربه ولكن لما راي البرهان ما هم وهذا لوجوب
العصمة للانبيا فيكون في الكلام تقديم وتاخير وقال احمد بن يحيى همت
زليخا بالمعصية وكانت مصرة وهم يوسف ولم يواقع ما هم به
فبين الهمتين فرق قال الشاعر همت ولم افعل وكدت وليتني تركت
على عثمان تبكي حلايله فهو حديث نفس وقيل ان يوسف جلس منها مجلس
الرجل من المراة والى هذا القول ذهب معظم المفسرين فيما ذكر القشيري
وابن الانباري والنحاس والماوردي قال ابن عباس حل الهميان وجلس
مجلس الخاتن وعنه استلقت على قفاها وقال ابن جبير اطلق تكة سراويله
وقال مجاهد حل السراويل حتى بلغ الاليتين قالوا والانكفاف في مثل
هذه الحالة دال على الاخلاص واعظم للثواب وجواب لولا على هذا
محذوف اي لامضى ما هم به وقيل انه حركة طبع من غير تصميم على الفعل
وما كان من هذا القبيل فلا يواخذ به العبد وقد يخطر بقلب المرء
وهو صايم شرب الما البارد وتناول الطعام اللذيذ فاذا لم ياكل

ولم

ولم يشرب لم يواخذ بما هجس في النفس القرطبي وهذا قول حسن وممن
قال به الحسن وقيل غير ذلك والانبيا معصومون لا يقع عنهم
كبيرة ولا صغيرة لا عمدا ولا سهوا عند المحققين وما ورد عنهم
مما ظاهره انه ذنب فهو من قبيل حسنات الابرار سيات المقربين
لولا ان راي برهان ربه اي في قبح الزنا وسوئه واختلف في
البرهان فعن علي رضي الله عنه انها قامت الى صنم لها في زاوية البيت
فسترته بثوب فقال ما تصنعين فقالت استحي منه ان يرانا
على هذه الحالة فقال يوسف انا اولى ان استحي من الله وقيل راي
مكتوبا في سقف البيت ولا تقربوا الزنا وقال ابن عباس بدت
كف مكتوب فيها وان عليكم لحافظين وقيل نودي انت مكتوب في
ديوان الانبيا وتعمل عمل السفها وقيل راي صورة يعقوب على الجدار
عاضا على اصبعه يتوعده وقيل راي الجب بحذائه وعليه ملك
وهو يقول انسيت هذا **كذلك** اي مثل ذلك التثبيت ثبتناه او
كذلك اريناه البرهان **لنصرف عنه السو** خيانة السيد **والفحشا**
الزنا وقيل السو الشهوة والفحشا المباشرة **انه من عبادنا المخلصين**
بفتح اللام اي الذين اخلصهم الله لطاعته وقرى بكسر اللام اي
الذين اخلصوا دينهم لله **واستبقا الباب** اي تسابقا الى الباب فحذف
الجار او ضمن الفعل معنى الابتدار والاستباق طلب السبق الى
الشي وحذفت الالف من استبقا في اللفظ لسكونها وسكون اللام
بعدها كما يقال جاني عبد الله في التثنية وذلك ان يوسف فر منها
ليخرج واسرعت خلفه لتمنعه الخروج حين هرب منها تعلقت به

كذلك العبد المحب لله تعالى ينبغي له ان يهرب من الشيطان ويتعلق
بعصمة الرحمن قال بعضهم رايت في حال شبابي امراة في بعض
الخلوات فقصدت اليها وكانت ليلة مظلمة فقالت الا تستحيي
ممن يرانا فقلت ما يرانا سوى الكواكب فقالت واين مكوكبها فرجعت
تائبا فنوديت جعلناك من المخلصين وقدت قميصه من دبر
اي اجتذبته من ورائه فانقد قميصه وتخرق وهو له التخريق
الى اسفل والقد القطع واكثر ما يستعمل فيما كان طويلا والقط
بالطا يستعمل فيما كان عرضا تعلقت بذيله وهو مخلوق فخاب
ظنها ووصلت اليه بعد ذلك كذلك العبد اذا تعلق بكتاب
الله يصل قال الله تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا تخرق القميص
الفوقاني الذي البسته اياه ولم تصل يدها الى التحتاني الذي البسه
اياه يعقوب كذلك على العبد قميصان قميص الطاعة وقميص المعرفة
فالشيطان اذا مزق مزق قميص الطاعة ولا تصل يده الى قميص المعرفة
والفيا سيدها اي صادفا ووجدا زوجها لدا الباب اي عنده والقبط
يسمون الزوج سيدا وقال وقيل انما قال سيدها لان يوسف لم
يدخل تحت رق احد فلما رات زوجها طلبت وجها للحيلة وكادت
قالت ما جزا من اراد باهلك سوا اي زنا الا ان يسجن اي يحبس
او عذاب اليم اي يضرب ضربا وجيعا ايهاما بانها فرت منه تبرية
لساحتها عند زوجها واغرايه به انتقاما منه وما نافية او
استفهامية بمعنى اي شي جزاوه الا السجن ولم تقل يقتل لان
الحبيب وان عذب حبيبه لا يقتله فلا عجب ان يعذب الله عبده

المومن

المومن بالسجن في الدنيا ولا يحرقه بالنار قال يوسف هي راودتني
عن نفسي اي طالبتني بالمواتاة وانما قال ذلك دفعا لما عرضته له
من السجن والعذاب ولو لم تكذب عليه ما قاله قال العلما لما برات
نفسها ولم تكن صادقة في حبه لان من شان المحب ايثار المحبوب
قال هي راودتني نطق بالحق في مقابلة بهتها وكذبها عليه وروي
ان العزيز قال له هذا جزاي منك حيث منحتك واكرمتك وفي
العين عظمتك ومن الملك ادنيتك وعلى الاجناد اخترتك وابحت
لك ملكي وجزاني هممت بالخيانة في اهلي فقال هي راودتني
عن نفسي فقال له هل لك من شاهد فقال نعم فذلك قوله وشهد
شاهد من اهلها قيل ابن عمها وقيل ابن خال لها وكان صبيا في
المهد وعن النبي صلى الله عليه وسلم تكلم اربعة صغار ابن ماشطة
فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى وانما القى الله الشهادة
على لسان اهلها ليكون الزم لها قال بعض اهل العلم ولما تعارضا
في القول احتاج العزيز الى شاهد ليعلم الصادق من الكاذب
فشهد شاهد من اهلها اي حكم لانه حكم منه وليس بشهادة وقيل
الشاهد قد القميص روي عن مجاهد وهو مجاز صحيح فان لسان
الحال افصح وابلغ من لسان المقال الا ان قوله تعالى من اهلها
يبطل ان يكون القميص وقيل الشاهد اصفرار لونها لان المحب
يري على وجهه اثر المحبة وروي ان الغلام كان ابن اربعة
يوما وان يوسف قال ايها العزيز اساله ينطق فقال العزيز
يا رضيع بم تشهد قال انا لا اشهد ولا يليق بي الغزل لان

الله تعالى يبغض الغماز ولكن انظروا الى القميص وروي انه لما كبر
الرضيع امر يوسف باكرامه لاجل شهادته فمن شهد لله بالوحدانية
فلا عجب ان يكرمه الله في الدارين وقيل انه رجل حكيم ذو عقل كان
يستشيره في اموره وكان من جملة اهل المراة وكان مع زوجها
فقال قد سمعنا الجلبة من ورا الباب وشق القميص فلا ندري ايكما كان
قدام صاحبه فان كان شق القميص من قدامه فانت صادقة وان كان
من خلف فهو صادق هذا قول الحسن وغيره فذلك قوله ان كان قميصه
قد من قبل قدام فصدقت وهو من الكاذبين لانه يدل على انها
قدت قميصه من قدامه بالدفع عن نفسها او انه اسرع خلفها فتعثر
بذيله فانقدت جيبه وان كان قميصه قد من دبر خلف فكذبت وهو
من الصادقين لانه يدل على انها تبعته فاجتذبته بثوبه فقدته
والشرطية محكية على ارادة القول وكان في موضع جزم بالشرط
وفيه اشكال لان حروف الشرط ترد الماضي الى المستقبل وليس هذا
في كان قال المبرد هذا لقوة كان وانه يعبر بها عن جميع الافعال
وقال الزجاج المعنى ان يكن اي ان يعلم والعلم لم يقع وكذا الكون
لانه يودي عن العلم البيضاوي والجمع بين ان وكان على تاويل
ان يعلم انه كان ونحوه ونظيره قولك ان احسنت الي فقد احسنت
اليك من قبل فان معنى ان تمنن علي باحسانك امنن عليك باحساني
السابق فلما راى زوجها قميصه قد من دبر قال انه اي قولك ما
جزا من اراد باهلك سوا وان هذا الامر من كيدكن اي من حيلتكن
والكيد المكر والحيلة والخطاب لها ولامثالها او لسائر النسا ان

كيدكن عظيم لان كيد النسا الطف واعلق بالقلب واشد تاثيرا في
النفس ولانهن يواجهن به الرجال والشيطان يوسوس يوسف حذفه
منه حرف الندا القربه ويقظته للحديث اعرض عن هذا اي اكتمه ولا
تذكره قيل القايل هذا الشاهد وقيل العزيز اي لا تذكر قصتها
لاحد ولا تهتك سترها ولا تفش سرها فانها حبيبتك والحبيب
لا يهتك ستر حبيبه ثم التفت اليها واقبل عليها وقال واستغفري
لذنبك يا راعيل انك كنت من الخاطيين اي من القوم المذنبين
ولم يقل من الخاطيات لانه قصد الاخبار عن المذكر والمونث
فغلب المذكر قيل وان العزيز لم يكن غيورا فلذلك لم يغضب وعدم
الغيرة في كثير من اهل مصر وقيل ان الله تعالى سلبه الغيرة لطفا
بيوسف حتى كفي بادرته وحلم عليها وقال نسوة هو اسم جمع امراة
وتانيثه بهذا الاعتبار غير حقيقي ولذلك جرد فعله في المدينة
مدينة مصر ظرف لقال اي اشعن الحكاية في مصر وذلك انه لما
انتشر الصيت في اهل مصر تحدث النسا وكن خمسة زوجة الحاجب
والساقي والخباز والسجان وصاحب الدواب امراة العزيز تراود
فتاها عن نفسه اي تطلب مواقعة غلامها والعزيز بلسان
المغرب الملك والفتى الشاب والمراة فتاة ولم يقع عليه اسم الفتوة
حتى تجنب المخالفة وابراهيم حتى كسر الاصنام وكذلك اصحاب الكهف
حتى اعرضوا عن الكفر والعصيان سيل بعضهم عن علامة الفتوة
قال اذا احتمل مال المرء لم تحتمل مروته وقيل من استوى ظاهره
وباطنه وقال فتاها وهو فتى زوجها لان يوسف كان عندهم

في حكم المماليك وكان ينفذ امرها فيه وقيل انه وهبه لها **قد شغفها**
حبا اي قد شق شغاف قلبها وهو حجابه حتى وصل الى فوادها حبا وقيل
غلبها وقال الحسن الشغاف باطن القلب وقيل هو داخل الطحته
جميع بدنها لحمها وعظمها وعروقها وقيل وصل الى موضع الروح ولم
يتعلق حب يوسف خشية منها ونصب حبا على التمييز **انا لنراها في**
ضلال مبين اي في ضلال عن الرشد وبعد عن الصواب بحبها اياه
قيل من احب احدا فليجعل معه اربعة اشيا يطلب رضاه ويقسم
بحياته ويحب احباه ويبغض اعداه **فلما سمعت بمكرهن** اي
باغتيابهن وانما سماه مكرا لانهن اخفينه كما يخفي الماكر مكره او قلن
ذلك ليرين يوسف او لانها استكتمتهن سرها فافشينه عليها
ارسلت اليهن تدعوهن قيل دعت اربعين امراة فيهن الخمس وفي
الكلام حذف اي ارسلت اليهن تدعوهن الى وليمة لتوقعهن فيما
وقعت فيه وعن ابن عباس ان امراة العزيز قالت لزوجها اني اريد
ان اتخذ طعاما وادعو هولا النسوة فاتخذت طعاما وهيات البيوت
لهن اي زينتها بانواع الزينة وبسطت فرشا من الديباج المذهب
ونصبت الكراسي من الذهب والفضة فقالت لها جاريتها انهن قد
وقعن فيك ومزقن عرضك وتفعلين لهن هذا فقالت لا اعذبهن
بالضرب ولا بالسجن ولكن برؤية يوسف اعرضه عليهن حتى يرينه
ثم احجبه عنهن حتى يمتن من عشقهن فذلك قوله **واعتدت لهن**
متكا اي ما يتكين عليه من الوسايد وقال ابن جبير جعلت في كل
مجلس جاما فيه عسل واترج وسكين حادة وقيل المتكا هو الاترج

وقيل

وقيل الرمان وقيل الخبز الحواري فيه اللحم المدقوق **واتت كل واحدة**
منهن سكينا اي فلما دخلن عليها امرت كل واحدة منهن ان تجلس على سرير
واعطت كل واحدة سكينا وقالت لهن لا تقطعن حتى امركن ثم زينت
يوسف بانواع الزينة ووضعت على راسه تاجا مكللا بالدر والياقوت
والبستة قميصا مرصعا بانواع الجواهر ومنطقته بمنطقة من
ذهب وطيبته باحسن الطيب وارسلت ذوايبه على كتفيه **وقالت**
اخرج عليهن وذلك انها قالت لخادمها اذا قلت لك ادع ايلا فادع
يوسف وايل صنم كانوا يعبدونه فلما جلسن واتكين على المساند
قالت له ادع ايلا فعجبن النسوة وقلن كيف يجي فدعا الغلام
يوسف فلما اقبل قالت لهن اقطعن ما معكن **فلما راينه اكبرنه**
اي اعظمنه وبهتن حسنه الفايق وفي الحديث رايت يوسف كانه
القمر ليلة البدر وقيل كان يرى تلالا وجهه على الجدران
وقيل اكبرن بمعنى حضن من اكبرت المراة اذا حاضت لانها تدخل
الكبر بالحيض وقد تدهش المراة فتسقط حبلها او تحيض والها
ضمير المصدر او ليوسف على حذف اللام اي حضن له من شدة
الحيرة كما قال المتنبي ٭ خف الله واستر ذا الجمال ببرقع ٭ فان
لحت حاضت في الخدور العواتق ٭ وعن ابن عباس انهن امنين
وامذين من الدهش وقال وهب عشقنه حتى مات منهن عشر
نسوة دهشا **وقطعن ايديهن** اي جرحنها بالسكاكين من فرط
الدهش وقال مجاهد قطعنهن حتى القينها فما وجدن الما في
القطع والجرح لشغل قلوبهن بيوسف فمن يجد لذة كلام الباري

عند الموت كيف يجد الم السكرات والتقطيع يشير الى الكثرة اي ان
كل واحدة جرحت يدها في مواضع ويمكن ان يرجع الى عدد من
قيل وانما قطعن ايديهن وخرج الدم لكي يختلط الدم بالدم لئلا
يفتضحن وانما لم تقطع زليخا يدها لانها منذ احبته لم تمس بيدها
سكينا وقالت لا يليق بالاحباب ان ياخذوا بايديهم شيا يقطع وقيل
لما رات يوسف ذهبت منها القوة والحركة وقيل لانها تعودت لقاه
وقلن حاش لله تنزيها لله من صفات العجز وتعجبا من قدرته على
خلق مثله وحاشا حرف يفيد معنى التنزيه واللام للبيان كما في قولك
سقيا لك قال الزجاج واصل الكلمة من الحاشية والحشا بمعنى الناحية
والاستثنا اخراج وتنحية عن جملة المذكورين ما هذا اي يوسف
بشرا لان هذا الجمال غير معهود للبشر وهو لغة اهل الحجاز في اعمال
ما عمل ليس لمشاركتهما في نفي الحال ان هذا الا ملك كريم فان الجمع
بين الجمال الرايق والكمال الفايق والعصمة البالغة من خواص الملايكة
او ان جماله فوق جمال البشر لا يفوقه فيه الا الملك قال القشيري
وذكرت النسوة ان يوسف احسن من صورة البشر بل هو في صورة
الملك وقد قال تعالى ولقد خلقنا الانسان في احسن تقويم والجمع
بين الايتين ان قولهن تبرية ليوسف عما رمته به امراة العزيز
من المراودة اي بعد يوسف عن هذا وقولهن لله اي لخوفه اي براة
لله من هذا اي قد نجى يوسف من ذلك فليس هذا من الصورة في شيء
والمعنى انه في التنزيه عن المعاصي كالملايكة فعلى هذا لا تناقض
وقيل انما قلن ذلك ظنا منهن ان صورة الملك احسن وما بلغهن

قوله

قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان في احسن تقويم فانه من كتابنا
قالت امراة العزيز لما رات ما حل بهن فذلكن الذي لمتنني فيه
اي هو ذاك العبد الكنعاني الذي لمتنني بالافتتان به قبل
ان تتصورنه حق تصوره ولو صورتنه بما عاينتن لعذرتنني
او فهذا الذي لمتنني فيه فوضع ذلك موضع هذا رفعا لمنزلته
المشار اليها ودل العقل على ان هنا حذف لان يوسف لا يصح
ان يكون ظرفا فيحتمل ان يكون المعنى لمتنني في حبه لقوله قد
شغفها حبا او في مراودته لقوله تراود فتاها والعادة دلت
على الثاني لان الحب المفرط لا يلام صاحبه عليه عادة لانه ليس
اختياريا بخلاف المراودة للقدرة على دفعها ثم اقرت على نفسها
بما فعلت فقالت ولقد راودته عن نفسه فاستعصم اي فامتنع
طالبا للعصمة اقرت حين عرفت انهن تعذرنها كي يعاونها على
الانة عريكته ولين لم يفعل ما امره اي ما امره به فحذف الجار
او امري اياه بمعنى موجب امري فيكون الضمير ليوسف ليسجنن
وليكونا من الصاغرين اي الاذلا وهو من صغر بالكسر يصغر صغرا
وصغارا والصغر من صغر بالضم صغرا وقيل المعنى اجعله فقيرا
حقيرا واسلبه ما وهبته من الاموال وقالت ليسجنن ولم
تقل اسجنه لانها لم ترد حبسه وان كان قد خالف لانها كانت
تحبه قال يوسف رب السجن احب الي مما يدعونني اليه اي
اثر عندي من اتيانها نظرا الى العاقبة وان كان هذا مما تشتهيه
الانفس وذلك مما تكرهه واسناد الدعوة اليهن جميعا لانهن

خوفته من مخالفتها وزين له مطاوعتها اودعونه الى انفسهن وقيل انما
ابتلي بالسجن لقوله رب السجن احب الي وكان الاولى به ان يسال الله تعالى
العافية وروي ان جبريل قال له يا يوسف انت الذي سجنت نفسك
بقولك رب السجن احب الي ولو سالت الله تعالى العافية لعافاك منه
واعلم ان في الاختيارات افات لان الاختيار للمولى لا للعبد ما اختار
احد شيا الا كان وبالا عليه اختار يعقوب يوسف فكان ما كان
واختار موسى قومه فاحترقوا واختار نوح ابنه كنعان فغرق واختار
ادم ابنه قابيل فكفر واختار يوسف السجن فبقي فيه فدع اختيارك
على الله فانك لا تدري في اي شي فايدتك والا تصرف عني اي وان
لم تصرف عني كيدهن في تحبيب ذلك الي وتحسينه عندي بالتثبت
على العصمة اصب اليهن امل الى جانبهن اي الى انفسهن بطبعي ومقتضى
شهوتي والصبوة الميل الى الهوى ومنه الصبا لان النفوس تستطيبها
وتميل اليها واكن من الجاهلين اي من السفها بارتكاب ما يدعونني
فان الحكيم لا يفعل القبيح او من الذين لا يعملون بما يعلمون فانهم
والجهال سوا وقيل من الجاهلين من الزناة فاستجاب له ربه اي فاجاب
الله دعاه الذي تضمنه قوله والا تصرف وكانه قال اللهم اصرف عني
كيدهن فصرف عنه كيدهن واجاب دعاه وعصمه عن الوقوع في
الزنا حتى وطن نفسه على مشقة السجن واثرها على اللذة المتضمنة
للعصيان انه هو السميع للقول العليم بالفعل وقال كيدهن
لانهن جميعا قدرا ودنه عن نفسه وقيل عنا كيد النسا ثم بدا لهم
من بعد ما راوا الايات ثم ظهر للعزيز واهل مشورته من بعد ما

راوا الشواهد الدالة على براة يوسف كشهادة الطفل وقد القميص
وقطع النسا ايديهن واستعصامه عنهن وفاعل بدا مضمر يفسره
ليسجننه وقيل ليسجننه في موضع الفاعل اي بدا لهم السجن
وقال المبرد ولا يكون الفاعل جملة ولكن الفاعل ما دل عليه بدا
وهو المصدر اي بدا لهم بدا اي راي لم يكونوا يعرفونه حتى حين
وذلك انها خدعت زوجها وحملته على سجنه زمانا طويلا حتى تبصر
ما يكون منه او يتحدث الناس انه المجرم وروي ان الملك قال قد
صح عندي ان الذنب لها ولكنها ابتلى واريد ان اضع ذنبها عليه لئلا
تفتضح وقيل لما علم براته واطاع زوجته في سجنه قيل له ما غرضك
في ذلك قال اردت ان اودبها بالعذاب فما وجدت لها عذابا اشد
من الحجاب احبسه كي لا تراه اشد العذاب على الاحباب حجاب الحبيب
وقيل ان السبب في حبس يوسف ان امراة العزيز شكت اليه انه
شهرها ونشر خبرها فالجاها الخجل من الناس والوجل من الباس
الى ان رضيت بالحجاب وكان خوف الذهاب لتشتفي اذا منعت من
نظره وقوله حتى حين اي الى مدة غير معلومة وقال ابن عباس الى
انقطاع ما شاع في المدينة وقال ابن جبير ستة اشهر قال وهب
لبث في السجن اثنتي عشرة سنة وقيل سبع سنين وجعل الله
الحبس تطهيرا ليوسف ودخل معه السجن فتيان اي ادخل يوسف
السجن واتفق ان ادخل حينئذ اخران من عبيد الملك شرابيه وخبازه
للاتهام بانهما يريدان ان يسماه وقال وهب حمل يوسف الى السجن
معتقدا على حمار وطيف به هذا جزا من يعصي سيدته وهو يقول

بهذا البشر من مقطعات النيران وسرابيل القطران وشرب الحميم
واكل الزقوم فلما انتهى يوسف الى السجن وجد اقواما قد انقطع
رجاوهم واشتد بلاوهم فجعل يقول لهم اصبروا وابشروا وقال
ابن عباس كان يوسف في السجن يعزي الحزين ويعود فيه المريض
ويداوي فيه الجريح ويصلي الليل كله ويبكي حتى بكى معه جدر
البيوت والابواب واستانس به اهل السجن فكان الرجل اذا خرج
من السجن يرجع اليه حتى يكون مع يوسف واحبه صاحب السجن
ووسع عليه فيه وكان في السجن الى ان غضب الملك على خبازه
وصاحب شرابه وذلك ان الملك عمر فيهم فملوه فدسوا الى خبازه
وصاحب شرابه ان يسماه جميعا فاجاب الخباز وابى صاحب الشراب
واخبر الملك بذلك فامر بحبسهما فاستانسا بيوسف واسم الساقي
منجا والخباز مجلث ذكره الثعلبي وسماهما فتيين لانهما كانا
عبدين والعبد يسمى فتى صغيرا كان او كبيرا وقيل لصحبتهما مع يوسف
كما يسمى يوشع فتى لصحبته مع موسى ومن صحب ذكر الموالي اولى ان
يبقى عليه اسم الفتوه ولما حبس يوسف في السجن وتبهت اليه
زليخا قالت يا يوسف لا تزعم انك معذب بل انت مقرب وقيل
ارسلت الى السجان تقول اضربه فاني مشتاقة اليه ولا سبيل
اليه فاذا ضرب صاح فاسمع صوته وقيل ان يوسف حبس لانه
راى يوما صورته في المراة فاعجبته نفسه قال عليه الصلاة
والسلام افة الجمال الخيلا وافة الحسب الفخر وافة الشجاعة
البغي وافة العلم النسيان وافة الجود السرف وافة السماحة

المن

المن وافة العبادة الفترة وافة الدين الهوى **قال احدهما** يعني
الشرابي **اني اراني** في المنام وهو حكاية حال ماضية **اعصر خمرا**
اي عنبا سماه بما يوول اليه وقيل المعنى اعصر عنب خمر فحذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه مثل واسال القرية وقيل اعصر عنبا
بلغة عمان قاله الضحاك **وقال الاخر** اي الخباز **اني اراني احمل**
فوق راسي خبزا تاكل الطير منه اي تنهش منه **نبئنا بتاويله**
اي اخبرنا بتعبيره **انا نراك من المحسنين** اي من الذين يحسنون
تاويل الرويا او من العالمين وقيل احسانه انه كان يعود المريض
ويداوي الجرحى ويعزي الحزانا وقال الضحاك كان اذا مرض
الرجل من اهل السجن قام عليه حتى يبرا واذا ضاق على احد وسع
له واذا احتاج جمع له وسال له فقال ما رايتما قال الشرابي
رايت كاني اخذت ثلاث عناقيد من عنب فعصرتهن في ثلاث
اواني ثم صفيته فسقيت الملك كعادتي فيما مضى وقال الخباز
رايت كاني اختبزت في ثلاثة تنانير وجعلت الخبز في ثلاث
سلال ثم وضعته على راسي فجا الطير فاكل منه فعند ذلك **قال**
يوسف **لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نباتكما بتاويله** اي
بتاويل ما قصصتما علي والمعنى لا ياتيكما طعام ترزقانه في منامكما
الا نباتكما بتاويله في اليقظة او المعنى بتبيين ماهية الطعام
وكيفيته فانه يشبه تفسير المشكل كانه اراد ان يدعوهما
الى التوحيد ويرشدهما الطريق القويم قبل ان يسعف الى ما سالا
منه كما هو طريقة الانبيا والمنزل منازلهم من العلماء في

الهداية والارشاد فقدم ما يكون معجزة له من الاخبار بالغيب
ليدلهما على صدقه في الدعوة والتعبير قبل ان ياتيكما تاويله وروي
انه كان يقول لهما يجيئكما كذا وكذا فيكون على ما قال وذلك من علم الغيب
كما قال ذلكما مما علمني ربي بالالهام والوحي وليس من قبيل التكهن
والتنجم اني تركت ملة دين قوم لا يؤمنون بالله وهم بالاخرة
هم كافرون تعليل لما قبله اي علمني ذلك لاني تركت ملة اولئك
واتبعت ملة اباي ابراهيم واسحق ويعقوب والمعنى عندي العلم
بتاويل رؤياكما والعلم بما ياتيكما من طعامكما والعلم بدين الله
فاستمعوا اولا ما يتعلق بالدين لتهتدوا ولهذا لم يعبر لهما حتى
دعاهما الى الاسلام وقيل ان يوسف كره ان يعبر لهما ما سالاه لما
علمه من المكروه على احدهما فاعرض عن سوالهما واخذ في غيره فقال لا
ياتيكما طعام ترزقانه الا نباتكما بتفسيره فقالا هذا من فعل العرافين
والكهنة فقال لهما ما انا بكاهن وانما ذلك العلم مما علمني ربي
وتكرير الضمير للدلالة على اختصاصهم وتاكد كفرهم بالاخرة ما
كان لنا اي ما صح لنا معاشر الانبيا ان نشرك بالله من شيء اي شيء كان
لعصمتنا ذلك اي التوحيد من فضل الله علينا بالوحي وعلى الناس
اي وعلى ساير الناس ببعثنا لارشادهم وتنبيههم عليه ولكن اكثر الناس
اي المبعوث اليهم لا يشكرون هذا الفضل فيعرضون عنه وهم الكفار
او من فضل الله علينا وعليهم بنصب الدلايل وانزال الايات ولكن
اكثر الناس لا ينظرون اليها ولا يستدلون بها فيلغونها بكفر النعمة
يا صاحبي السجن اي يا ساكنيه وذكر الصحبة لطول مقامهما فيه كقوله

اصحاب الجنة واصحاب النار او يا صاحبي فيه فاضافهما اليه على الاتساع
كقولهم يا سارق الليلة اهل الدار ارباب متفرقون شتى متعددة
متساوية لا تنفع ولا تضر خير استفهام تقرير ام الله الواحد
المتوحد بالالوهية القهار الغالب الذي لا يغالب ولا يقاومه غيره
ما تعبدون من دونه اي غيره خطاب لهما ولمن على دينهما من اهل
مصر الا اسماء سميتموها من تلقاء انفسكم انتم واباؤكم ما انزل
الله بها من سلطان اي الا اشيا باعتبار اسامي اطلقتم عليها من
غير حجة تدل على تحقيق مسمياتها فكانهم لا يعبدون الا الاسماء المجردة
والمعنى انكم سميتم ما لم يدل على استحقاقه الالهية عقل ولا نقل
الهة ثم اخذتم تعبدونها باعتبار ما تطلقون عليها وقيل عنى
بالاسماء المسميات اي ما تعبدون الا اصناما ليس لها من الالهية شيء
الا الاسم لانها جمادات وقال سميتموها اي سميتموها الهة فحذف
المفعول الثاني ومعنى من سلطان من حجة ان ما الحكم اي القضا
في امر العبادة الا لله فانه المستحق لها بالذات من حيث انه الواجب لذاته
الموجد للكل والمالك له لا راد لامره ولا معقب لحكمه امر على لسان
انبيائه ان لا تعبدوا الا اياه الذي دلت عليه الحجج ذلك التوحيد
الدين القيم اي الحق وانتم لا تميزون المعوج عن القويم وهذا من
التدرج في الدعوة والزام الحجة بين لهم اولا رجحان التوحيد على
اتخاذ الالهة على الطريق الخطابية ثم برهن على ان ما يتخذونها
الهة ويعبدونها لا تستحق الالهية فان استحقاق العبادة اما
بالذات واما بالغير وكلا القسمين منتف عنها ثم نص على ما هو

الحق القويم والدين المستقيم الذي لا يقتضي العقل غيره ولا يرتضي
العلم دونه ولكن اكثر الناس الكفار لا يعلمون فيخبطون
في جهالاتهم يا صاحبي السجن اما احدكما يعني الشرابي فيخرج بعد
ثلاث فيسقي ربه سيده خمرا كما كان يسقيه قبل ويعود الى ما
كان واما الاخر يريد الخباز فيخرج بعد ثلاث فيصلب فتاكل
الطير من راسه فقالا كذبنا فقال قضي الامر الذي فيه تستفتيان
اي قطع الامر الذي تستفتيان فيه وهو ما يؤول اليه امركما ولذلك
وحده فانهما وان استفتيا في امرين لكنهما ارادا استبانة عاقبة
ما نزل بهما وقيل ان الخباز هو الذي قال ما رايت شيا فقال
يوسف رايت او لم تر قضي الامر قال العلماء ان قيل من كذب في روياه
ففسرها العابر له ايلزمه حكمها قلنا لا يلزمه وانما كان ذلك
في يوسف لانه نبي وتعبير النبي حكم وقد قال انه يكون كذا فاوجد
الله تعالى ما اخبر كما قال تحقيقا لنبوته وقال للذي ظن انه ناج
منهما ظن بمعنى ايقن في قول الاكثر وفسره قتادة على الظن الذي
هو خلاف اليقين والاول اصح واشبه بحال الانبيا وما قاله ٥
للفتيين في تعبير الرويا كان عن وحي وانما يكون ظنا في حكم
الناس واما في حق الانبيا فان حكمهم حق كيفما وقع اذكرني عند
ربك اي اذكر حالي عند سيدك يعني الملك كي يخلصني واذكر له
ما رايته مني وما انا عليه واخبره اني مظلوم فانساه الشيطان
ذكر ربه اي فانسا الشرابي ان يذكر لربه فاضاف اليه المصدر
لملابسته له او على تقدير ذكر اخبار ربه وقيل المعنى انسى

يوسف

يوسف ذكر الله تعالى حتى استعان بغيره ويؤيده قوله عليه الصلاة
والسلام رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك لما لبث
في السجن سبعا بعد الخمس والاستعانة بالعباد في كشف الشدايد
وان كانت محمودة في الجملة لكنها لا تليق بمنصب الانبيا ويؤيد
القول الاول وقال الذي نجا منهما وادكر بعد امة مع قوله تعالى
ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فلا يصح ان يضاف نسيانه الى
الشيطان وليس له على الانبيا سلطنة وقال عبد العزيز بن عمير
دخل جبريل على يوسف في السجن فعرفه فقال يا اخا المنذرين
ما لي اراك بين الخاطيين فقال جبريل يا طاهر ابن الطاهرين
يقريك السلام رب العالمين ويقول لك اما استحييت اذ استغثت
بالادميين وعزتي لالبثنك في السجن بضع سنين فقال يا
جبريل اهو عني راض قال نعم قال لا ابالي وروي ان جبريل
عاتب يوسف في ذلك وقال له من خلصك من القتل من ايدي اخوتك
قال الله قال فمن اخرجك من الجب قال الله قال فمن عصمك من
الفاحشة قال الله قال فمن صرف عنك كيد النسا قال الله قال
فكيف وثقت بمخلوق وتركت ربك ولم تساله قال كلمة زلت مني
ثم قال يوسف اسالك يا اله ابراهيم واسحق والشيخ يعقوب
الا رحمتني فقال له جبريل ان عقوبتك ان تلبث في السجن
بضع سنين فذلك قوله فلبث في السجن بضع سنين البضع ما
بين الثلاث الى التسع من البضع وهو القطع وهو يذكر مع العشرة
والعشرين الى التسعين ولا يذكر بعد الماية قيل لبث يوسف

في السجن سبع سنين وقيل اثنتي عشرة سنة قاله ابن عباس الضحاك
اربع عشرة سنة وقال الملك اني ارى اي رايت سبع بقرات
سمان ياكلهن سبع من البقر عجاف وسبع سنبلات خضر واخر
اي سبع سنبلات يابسات لما دنا فرج يوسف راى الملك رؤيا
فنزل جبريل على يوسف وبشره بالفرج وقال ان الله مخرجك من
سجنك وممكن لك في الارض تذل لك ملوكها وتطيعك جبابرتها
ومعطيك الكلمة العليا على اخوتك بسبب رؤيا يراها الملك وهي
كيت وكيت وتاويلها كذا وكذا فما لبث في السجن اكثر مما راى الملك
الرؤيا حتى خرج فجعل الله الرؤيا اولا ليوسف بلاء وشدة وجعلها
اخرا بشرى ورحمة وذلك ان الملك الاكبر الريان بن الوليد راى في
نومه كانما خرج من نهر النيل سبع بقرات سمان ثم خرج في اثرهن
سبع بقرات عجاف اي مهازيل وقد اقبلت العجاف على السمان
فاخذن باذنابهن فاكلهن الا القرنين وراى سبع سنبلات خضر
قد اقبل عليهن سبع يابسات فالتوين عليهن حتى اتين عليهن فلم
يبق منهن شيء فهاله الرؤيا وانما استغنى عن بيان حال السنبلات
بما نص من حال البقرات واجرى السمان على المميز لان التمييز بها ووصف
السبع الثاني بالعجاف لتعذر التمييز بها مجردا عن الموصوف فانه
لبيان الجنس وقياسه عجف لانه جمع عجفا لكنه حمل على سمان لانه
نقيضه فلما راى الملك تلك الرؤيا ارسل الى الناس واهل العلم منهم
والبصر بالكهانة والنجامة واشراف قومه فقال يا ايها الملا افتوني
في رؤياي اي عبروها لي ان كنتم للرؤيا تعبرون اي ان كنتم

عالمين

عالمين بعبارة الرؤيا فاعبروها وهي الانتقال من الصور الخيالية
الى المعاني النفسانية التي هي من العبور وهو المجاوزة واللام
للبيان او لتقوية العامل فان الفعل لما اخر عن مفعوله ضعف
فقوي باللام قالوا اضغاث احلام اي هذه اضغاث احلام وهي
تخاليطها جمع ضغث واصله ما جمع من اخلاط النبات وحزم
فاستعير للرؤيا الكاذبة وعن ابن عباس ان الرؤيا منها حق ومنها
اضغاث احلام يعني به الكاذبة وقال ابو عبيدة الاضغاث ما لا
تاويل له من الرؤيا وانما جمعوا للمبالغة في وصف الحلم بالبطلان
كقولهم فلان يركب الخيل او لتضمنه اشيا مختلفة وما نحن
بتاويل الاحلام بعالمين يريدون بالاحلام المنامات الباطلة
اي ليس لها تاويل عندنا وانما التاويل للمنامات الصادقة قال
الزجاج المعنى بتاويل الاحلام المختلطة نفوا عن انفسهم علم ما لا
تاويل له لا انهم نفوا عن انفسهم علم التاويل وقيل نفوا عن
انفسهم علم التعبير والاضغاث على هذا الجماعات من الرؤيا
التي منها صحيحة ومنها باطلة ولهذا قال الساقي انا انبئكم
بتاويله فعلم ان القوم عجزوا عن التاويل لا انهم ادعوا ان
لا تاويل لها وقيل انهم لم يقصدوا تفسيرا وانما ارادوا محوها
عن صدر الملك حتى لا يشتغل باله وعلى هذا فعندهم علم والاحلام
جمع حلم وهو بالضم ما يراه النايم وقال الذي نجا منهما من صاحبي
السجن وهو الشرابي وادكر بعد امة اي وتذكر يوسف بعد جماعة
من الزمان مجتمعة اي مدة طويلة وعن ابن عباس بعد حين ومنه

الى امة معدودة وقال ابن درستويه والامة لا تكون الحين الا على
حذف مضاف واقامة المضاف اليه مقامه كانه قال وادكر بعد حين
امة او زمن امة حال يوسف ثم قيل نسي الساقي يوسف لقضا الله تعالى
في بقايه في السجن مدة وقيل ما نسي ولكنه خاف ان يذكر الملك الذنب
الذي بسببه حبس فقوله وادكر اي واخبر والجملة اعتراض ومقول
المقول انا انبيكم بتاويله اي انا اخبركم فارسلون اي من عنده علمه
او الى السجن وخاطب الملك بلفظ التعظيم او خاطب الملك واهل مجلسه
يوسف نداء مفرد ايها الصديق ايها الكثير الصدق وصفه بالمبالغة
في الصدق لانه جرب احواله وعرف صدقه من قبل افتنا في الكلام
حذف اي فارسلوه فجا الى يوسف فقال ايها الصديق افتنا في سبع
بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات
اي في رؤيا ذلك لعلي ارجع الى الناس اي اعود الى الملك ومن عنده
او الى اهل البلد اذ قيل ان السجن لم يكن فيه لعلهم يعلمون تاويله
او فضلك او مكانك من العلم ويحتمل ان يريد بالناس الملك وحده
تعظيما له قال تزرعون سبع سنين دابا اي عادتكم المستمرة
وانتصابه على الحال بمعنى دايبين او المصدر باضمار فعله اي تدابون
دابا كعادتكم في الزراعة سبع سنين متوالية متتابعة وذلك
انه لما اعلمه بالرؤيا جعل يفسرها له فقال السبع بقرات السمان
والسبع سنبلات الخضر سبع سنين مخصبات واما البقرات
العجاف والسنبلات اليابسات فسبع سنين مجدبات وقوله تزرعون
امر اخرجه في صورة الخبر مبالغة لقوله فما حصدتم فذروه اي اتركوه

في

في سنبله لئلا ياكله السوس وليكون ابقى وقيل الاول خبر نعيمه
خارجة عن العادة الا قليلا مما تاكلون في تلك السنين فادرسوه
ثم ياتي من بعد ذلك اي السبع المخصبات سبع شداد يعني السنين
المجدبات ياكلن مجاز والمعنى ياكل اهلهن وقال ذلك تطبيقا بين
المعبر والمعبر به ما قدمتم لهن اي ما ادخرتم لاجلهن وحكى زيد بن
اسلم عن ابيه ان يوسف كان يصنع طعام اثنين فيقربه الى رجل
فياكل نصفه حتى اذا كان يوما قربه له فاكله كله فقال يوسف
هذا اول يوم من السبع الشداد الا قليلا مما تحصنون اي مما تحبسون
للزراعة لان في استبقا البذر تحصين الاقوات قتادة تحصنون
تدخرون ثم ياتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس اي يمطرون
من الغيث او يغاثون من القحط من الغوث وفيه يعصرون ما يعصر
كالعنب والزيتون لكثرة الثمار وقيل يحلبون الضروع وهذا اخبر
من يوسف عما لم يكن في رؤيا الملك ولكنه من علم الغيب قال قتادة
زاده الله علم سنة لم يسالوه عنها اظهارا لفضله واعلاما بمكانه
من العلم وقري يعصرون بالياء وبالتاء على تغليب المستفتي والمفعول
محذوف وقري بالبنا للمفعول اي ينجون من العصرة وهي النجاة
وقيل غير ذلك وقال الملك ايتوني به بعد ما جاء الرسول بالتعبير
فلما جاءه الرسول ليخرجه قال ارجع الى ربك فاساله ما بال النسوة
اي ما حال النسوة اللاتي قطعن ايديهن انما تاني في الخروج وقدم
سؤال النسوة وتفحص حالهن ليظهر براءة ساحته للملك مما قذف
به ويعلم انه سجن ظلما فلا يقدر الحاسد ان يتوسل به الى

تقبيح امره وفيه دليل على انه ينبغي ان يجتهد في نفي التهم ويتقي
مواقعها وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت مكانه
ولبثت في السجن ما لبث لاسرعت الاجابة قال ابن عطية كان
هذا الفعل من يوسف اناة وصبرا وطلبا لبراة الساحة وذلك
انه خشي ان يخرج وينال من الملك مرتبة ويسكت عن امر ذنبه
صفحا فيراه الناس بتلك العين فيقولون هذا الذي راود امراة
العزيز واراد يوسف ان يبين براته ويحقق منزلته من
العفة والخير وحينئذ يخرج للاحظا والمنزلة فلهذا قال للرسول
ارجع الى ربك فاساله ما بال النسوة ولم يقل سله ان يفتش
عن حالهن ومقصود يوسف التهييج له على الفحص البحث وتحقيق
الحال والمعنى قل له يستقصي عن ذنبي وينظر في امري هل سجنت
بحق او بظلم وانما لم يتعرض لسيدته مع ما صنعت كرما ومراعاة
للادب وذكر النسا جملة لتدخل فيها مدخل العموم بالتلويح حتى
لا يقع عليها تصريح وذلك لحسن العشرة ان ربي اي سيدي
بكيدهن عليم حين قلن لي اطع مولاتك قال ما خطبكن
في الكلام حذف قال ابن عباس فارسل الملك الى النسوة وفيهن
امراة العزيز وكان قد مات العزيز فدعاهن فقال ما خطبكن اي
شانكن والخطب امر يحق ان يخاطب فيه صاحبه وهو مصدر يسمى به
الامر العظيم اذ راودتن يوسف عن نفسه هل وجدتن منه ميلا
اليكن قلن حاش لله تنزيه له وتعجب من قدرته على عفيف مثله
ما علمنا عليه من سوء اي من ريب قالت امراة العزيز الان حصحص

الحق

الحق اي ثبت واستقر والمعنى ظهر الحق وتبين لما رات اقرارهن
ببراة يوسف وخافت ان يشهدن عليها ان انكرت اقرت هي ايضا
وكان ذلك لطفا من الله تعالى بيوسف انا راودته عن نفسه وانه
لمن الصادقين في قوله هي راودتني عن نفسي وهذا منها اظهار
لتوبتها وتحقيق لصدق يوسف لان اقرار المقر على نفسه اقوى
من الشهادة عليه فجمع الله تعالى ليوسف في اظهار صدقه بين
الشهادة والاقرار حتى لا يخامر نفسا ظن ولا يخالطها شك ذلك
ليعلم قاله يوسف لما عاد اليه الرسول واخبره بكلامهن اي
ذلك التثبت او طلب البراة ليعلم العزيز اني لم اخنه في اهله
بالغيب اي بظهر الغيب وهو حال من الفاعل او المفعول اي لم اخنه
وانا غائب عنه او وهو غائب عني او ظرف اي بمكان الغيب
وراء الاستار والابواب المغلقة وان الله لا يهدي كيد
الخائنين اي لا ينفذه ولا يسدده او لا يهدي الخائنين
لكيدهم فاوقع الفعل على الكيد مبالغة وفيه تعريض لراعيل
في خيانتها زوجها وتوكيد لامانته ولذلك عقبه بقوله
وما ابرئ نفسي اي لا انزهها عن الزلل تنبيها على انه لم يرد
بذلك تزكية نفسه والعجب بحاله بل اظهار ما انعم الله عليه
من العصمة والتوفيق وعن ابن عباس انه لما قال ليعلم اني لم اخنه
بالغيب قال له جبريل ولا حين هممت فقال وما ابرئ نفسي وقيل
ليعلم اني لم اخنه بالغيب من قول امراة العزيز وهو متصل بقولها
الان حصحص الحق اي ليعلم اني لم اخن يوسف بالكذب عليه

ولم اذكره بسوء وهو غايب ثم قالت وما ابرئ نفسي بل انا راودته وعلى
هذا كانت معترفة بالصانع ولهذا قالت ان ربي لغفور رحيم ان النفس
الجنس لامارة اي كثيرة الامر بالسوء من حيث انها بالطبع مايلة الى
الشهوات فتهتم بها وتستعمل القوى والجوارح في اثرها كل الاوقات
ووضع الظاهر موضع المضمر قصد للعموم لانه لو قال انها اوهم تخصيص
ذلك بنفسه الا ما رحم ربي اي الا وقت رحمة ربي او الا ما رحمه الله
من النفوس فعصمه من ذلك وقيل ما بمعنى من وقيل الاستثنا منقطع
اي ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الاساة ان ربي غفور رحيم
يغفر هم النفس ويرحم من يشا بالعصمة او يغفر للمستغفر لذنبه
المعترف على نفسه ويرحمه ما استرحمه مما ارتكبه وقال الملك
ايتوني به استخلصه لنفسي اي اجعله خالصا لها دون شريك لما
ثبت للملك براته مما نسب اليه وتحقق امانته وفهم ايضا صبره
وجلده عظمت منزلته عنده وتيقن حسن خلاله قال ايتوني به ثم
ان الملك امر بتزيين مصر بانواع الزينة وارخاء الستور على الحيطان
وارسل الملك جواري معهن المجامر وعسكرا لاستقبال يوسف وكان بين
السجن ومصر على ما قيل اربع فراسخ وارسل اليه بخلعة فقال يوسف
لا اخرج من السجن وفيه مسجون فامر الملك باطلاق كل من في السجن
قال وهب ولما دعي يوسف وقف بالباب فقال حسبي ربي من خلقه
عز جاره وجل ثناوه ولا اله غيره ويقال ان يوسف كتب على باب
السجن هذا قبر الاحيا وشماتة الاعدا وتجربة الاصدقا وروي
انه اغتسل وتنظف ولبس ثيابا جددا ثم دخل على الملك وقال

عند

عند دخوله اللهم اني اسالك بخيرك من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك
من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرية فقال ما هذا اللسان قال
لسان ابائي وكان الملك يعرف سبعين لسانا فكلمه بها فاجابه عن
جميعها فتعجب منه فلما كلمه اي فلما اتوا به فكلمه وشاهد منه الرشد
والدها قال له انك اليوم لدينا مكين اي ذو مكانة ومنزلة امين
اي موتمن على كل شي قال اجعلني على خزاين الارض اي ولني امرها
والارض ارض مصر اني حفيظ لها ممن لا يستحقها عليم بوجوه التصرف
فيها وقيل حافظ للحساب عليم بالالسن قيل وهو اول من كتب في القراطيس
وانما طلب يوسف الولاية وان كان ورد النهي عن طلبها لان يوسف
علم انه لا احد يقوم مقامه في العدل والاصلاح فراى ان ذلك
فرض عليه فانه لم يكن هناك غيره وهكذا الحكم اليوم ولانه لم يقل
اني حسيب كريم وان كان كذلك انما قال اني حفيظ عليم فسالها
بالحفظ والعلم لا بالنسب والجمال اولانه قال ذلك عند من لا يعرفه
فاراد تعريف نفسه وصار ذلك مستثنى من قوله تعالى فلا تزكوا
انفسكم وفي الحديث يرحم الله اخي يوسف لو لم يقل اجعلني على
خزاين الارض لاستعمله من ساعته ولكن اخر ذلك سنة وفيه
دليل على جواز طلب التولية واظهار انه مستعد لها والتولي من يد
الكافر اذا علم انه لا سبيل الى اقامة الحق وسياسة الخلق الا
بالاستظهار به وعن مجاهد ان الملك اسلم على يده وروي
ان الملك قال اني احب ان اسمع منك رؤياي فقال يوسف ايها
الملك رايت سبع بقرات سمان غرا حسانا كشف لك عنهن النيل

فطلعن عليك من شاطيه تسحب اخلافها لبنا فبينا انت تنظر اليهن وتتعجب
من حسنهن اذ ذهب النيل وغار ماوه وخرج من وحله سبع بقرات
عجاف شعث غبر ليس لهن ضروع ولا اخلاف لهن انياب واضراس
واكف كاكف الكلاب وخراطيم كخراطيم السباع فافترسن السمان واكلتهن
اكل السباع ثم لم يظهر منهن سمن ولا زيادة بعدا كلهن واذا بسبع
سنابل خضر طريات ناعمات والي جانبهن سبع يابسات ليس فيهن
ما ولا خضرة فبينا تنظر اليهن اذ هبت ريح ندرت اوراق اليابسات
على الخضر فاشتعلت فيهن النار فاحرقتهن فانتبهت مدعورا فقال
الملك والله ما شان هذه الرويا وان كانت عجبا باعجب مما حدثت فما ترى
ايها الصديق فقال يوسف اري ان تجمع الطعام وتزرع زرعا
كثيرا في هذه السنين الخصبة ثم ترفع الزرع في سنبله وتبني له
المخازن العظيمة فيكون السنبل علفا للدواب وحبه للناس وتامر
الناس فيرفعون من طعامهم الي اهرامك الخمس فيكفيك من الطعام
الذي تجمعه لاهل مصر ومن حولها ويا تيك الخلق من ساير النواحي
يمتارون منك ويجتمع عندك من الكنوز ما لا يجتمع لاحد قبلك
فقال الملك ومن لي بتدبير هذه الامور فقال يوسف عند ذلك
اجعلني على خزاين الارض اي ارض مصر او ارضك فاللام عوض
عن الاضافة قال مالك مصر خزانة الارض اما سمعت قول يوسف
اجعلني على خزاين الارض اي اجعلني على حفظها فحذف المضاف
وكذلك مكنا ليوسف في الارض اي ارض مصر اي ومثل ذلك
الانعام الذي انعمنا عليه في تقريبه الي قلب الملك واجتبايه

من

من السجن اقدرناه على ما يريد يتبوا منها حيث يشا اي ينزل بلادها
حيث يهوى وقري نشا بالنون قال ابن عباس فلما انصرفت السنة
من يوم سال الامارة دعاه الملك فتوجه بتاجه ورداه بسيفه
ووضع له سريرا من ذهب وضرب عليه حلة من استبرق وكان
طول السرير ثلاثين ذراعا في عشرة اذرع عرضا عليه ثلاثون
فراشا وستون مرفقة فجلس على السرير ودانت له الملوك ودخل
الملك بيته مع نسايه وفوض اليه امر مصر وهلك الملك في تلك
المدة وتزوج يوسف امراة العزيز فلما دخل عليها قال اليس هذا
خيرا مما كنت تريدين فقالت ايها الصديق لا تلمني فاني كنت
امراة حسنا ناعمة كما ترى وكان صاحبي لا ياتي النسا وكنت كما
جعلك الله عليه من الحسن فغلبتني نفسي فاصابها يوسف عذرا وولدت
له افرايم ومنشا وقال وهب انما كان تزويجه زليخا بين رحلتي
الاخوة وذلك انه مات زوجها وذهب مالها وعمي بصرها وكانت
تكفف الناس وكان يوسف يركب كل اسبوع في موكب زها مايه
الف فقيل لها لو تعرضت له لعله يسعفك بشي فلما ركب في
موكبه تعرضت له ونادت باعلى صوتها سبحان من جعل الملوك عبيدا
بالمعصية وجعل العبيد ملوكا بالطاعة فقال يوسف ما هذه
فاتوا بها فقالت انا التي كنت اخدمك على صدور قدمي وارجل
جمتك بيدي وربيت في بيتي واكرمت مثواك لكن فرط ما فرط
من جهلي فذقت وبال امري وذهب مالي وتضعضع حالي وبعد
ما كنت مغبوطة اهل مصر صرت مرحومهم وهذا جزا المفسدين

فبكا يوسف ثم قال لها هل تجدين ما كان في نفسك من حبك قالت
والله لنظرة في وجهك احب الي من الدنيا بحذافيرها لكن ناولني
صدر سوطك سوطك فناولها فوضعته على صدرها فوجد للسوط
في يده اضطرابا وارتعاشا من خفقان قلبها فبكا يوسف ثم مضى
الى منزله وارسل اليها ان كنت ايما تزوجناك وان كنت ذا بعل
اغنيناك فقالت للرسول اعوذ بالله من ان يستهزي بي لم يرض
بي ولم يردني في ايام شبابي وغناي افيريدني اليوم وانا عجوز عميا
فقيرة فلما كان في الموكب الثاني تعرضت له فقال لها الم يبلغك
الرسول قالت قد اخبرتك ان نظرة واحدة في وجهك احب الي
من الدنيا فامر بها فاصلح من شانها وهيئت وزفت اليه فقام يوسف
يصلي ويدعو وقامت خلفه فرد الله عليها شبابها وبصرها وجمالها
احسن ما كانت يوم راودته اكراما ليوسف فاصابها فاذا هي عذرا
وروي ان الله تعالى القى في قلب يوسف من محبتها اضعاف ما
كان في قلبها فقال ما شانك لا تحبيني كما كنت اول مرة فقالت لما
ذقت محبة الله شغلني ذلك عن كل شي ولما فوض الملك امر مصر الى
يوسف تلطف بالناس وجعل يدعوهم الى الاسلام حتى امنوا به
واقام فيهم العدل فاحبه الناس قال ابن عباس وغيره ثم دخلت
السنين المخصبة فامر يوسف باصلاح المزارع وان يوسعوا في
الزراعة فلما ادركت الغلة امر بها فجمعت ثم بنى الاهرام فجمعت
فيها حتى ضاقت عنها المخازن لكثرتها ثم في كل سنة حتى انقضت
السبع المخصبة وجاءت السنون المجدبة فنزل جبريل وقال يا

اهل مصر جوعوا فان الله تعالى قد سلط عليكم الجوع سبع سنين قال
بعض اهل الحكمة للقحط علامتان احداهما ان النفس تحب الطعام اكثر
من العادة ويسرع اليها الجوع خلاف ما كانت عليه قبل ذلك وتاخذ
من الطعام فوق الكفاية والثانية ان يفقد الطعام فلا يوجد راسا
فاجتمعت هاتان العلامتان في عهد يوسف فانتبه الرجال والنسا
والصبيان ينادون الجوع الجوع ويأكلون فلا يشبعون وانتبه الملك
ينادي الجوع الجوع فدعا له يوسف فابراه الله ثم نادى يوسف
معاشر الناس لا يزرع احد زرعا فيضيع البذر وجاءت تلك السنون
بهول عظيم وجعل اهل مصر يبتاعون الطعام من يوسف فاشتروا
منه اول سنة بالدراهم والدنانير حتى لم يبق بمصر دينار ولا درهم
الا قبضه وفي السنة الثانية بالحلي والجواهر وفي السنة الثالثة
بالمواشي والدواب وفي الرابعة بالعبيد والاما وفي الخامسة
بالعقار والضياع وفي السادسة باولادهم ونسائهم وفي السابعة
برقابهم حتى لم يبق بمصر مما ذكر شي لا ملكه ثم ان يوسف اعتق اهل
مصر عن اخرهم ورد عليهم اموالهم واملاكهم وقال اني لم اعتقهم
من الجوع لاستعبدهم وروي انه كان لا يشبع من الطعام في تلك
السنين فقيل له اتجوع وبيدك خزاين الارض فقال اخاف اذا
شبعت ان انسى الجايع نصيب برحمتنا من نشا في الدنيا والاخرة
والرحمة النعمة والاحسان ولا نضيع اجر المحسنين بل نوفي اجورهم
عاجلا واجلا وقال ابن عباس وغيره المحسنين الصابرين يوسف لصبره
في الجب وفي الرق وفي السجن وصبره على محارم الله وقيل كان

من احسان يوسف انه ما اكل وحده قط وكان يكرم الضيف فسماه الله
محسنا وكان ابراهيم الخليل عليه السلام اذا اراد ان ياكل يخرج ميلا
يطلب من ياكل معه قيل لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه اي الاعمال احب
اليك قال اكرام الضيف والضرب بالسيف والصوم في الصيف ولاجر
الاخرة خير للذين امنوا وكانوا يتقون الشرك والفواحش وقيل المعنى
ما نعطيه في الاخرة خير واكبر مما اعطيناه في الدنيا لان اجر الاخرة
عظيم دايم واجر الدنيا قليل منقطع وجا اخوة يوسف اي جاوا الى
مصر لما اصابهم القحط ليمتاروا وهذا من اختصار القران قال ابن
عباس وغيره لما اصاب الناس القحط ونزل ذلك بارض كنعان بعث
يعقوب عليه السلام بنيه غير بنيامين للميرة وذاع امر يوسف في
الافاق للينه ورحمته وعدله وسيرته وكان يوسف عليه السلام
حين نزلت الشدة بالناس يجلس للناس عند البيع بنفسه ويعطيهم
من الطعام على عدة روسهم لكل راس وسقا وفي القصة ان اولاد
يعقوب قالوا يا ابانا منذ سنين ما كلمتنا ولا التفت الينا ولا دعوت
لنا ولا تبسمت في وجوهنا ذنبنا انا عصيناك وقد اتيناك مضطرين
مستغيثين بابينا وقد اصابنا ما اصاب الناس من الجوع فادع لنا
ربك ان يرزقنا فقال يعقوب ادلكم على من عنده الكرامة والنعم
تقصده العرب والعجم ويثنون عليه باحسن الثنا وجهه صبيح وكلامه
مليح ودينه صحيح قريب من الناس وحشمة وباس له العز والجلال
والخزاين والمال اخلاقه سمحة واوصافه بهية قالوا يا ابانا
من اين علمت ذلك قال من اهل الشام طلاب الميرة ينزلون تحت

بيتي

بيتي ويذكرون محاسنه فاقصدوه فانه كريم واقروه مني السلام
قالوا يا ابانا ما لنا بضاعة تصلح للعزيز فقال معشر السامعين
هل فيكم من معه ما يصلح للعزيز الذي يعز به كل عزيز هل فيكم من
له قيام يعرضه على الملك العلام هل فيكم من عاش يوما على القضا
هل فيكم من رضي بالقضا يا اهل الذنوب امشوا اليه باقدام الفاقة
وابذلوا بين يديه الجهد والطاقة قال اولاد يعقوب يا ابانا نحن
عراة حفاة فقرا ما لنا شي يصلح لحضرته وان الناس يحملون اليه الاشيا
الغالية من الجواهر واليواقيت والديباج فقال يعقوب سمعت بانه كريم
والكريم يقبل اليسير ويعطي الجزيل قالوا وان كان كريما فانا نستحيي ان
نحمل اليه الدراهم السود والصوف بها كل الف درهم واربعماية بدينار
فكيف نصنع اذا لم يقبلها فقال اعرضوا عليه نسبكم وقولوا نحن بنو يعقوب
ابن اسحاق بن ابراهيم عسى ان يرحمكم قالوا فان لم يقبل نسبنا قال
اعرضوا عليه الفاقة والحاجة ثم اخذ يوصيهم فقال يا بني انظروا الى
حضرة من تدخلون احفظوا ادابكم البحر لا جار له والسلطان لا
صديق له والعافية لا قيمة لها من صحب الملوك بغير علم قاده الجهل
الى القتل قالوا ما حضرنا قط مجلس ملك فكيف نعمل اذا دخلتم اليه
فلا تدخلوا الا باذنه واذا وقفتم عنده فلا تلتفتوا فمن سوء الادب
الالتفات بحضرة الملوك وفي الخبر ان المصلي اذا التفت يقول الله
تعالى الى من تنظر الى من هو خير مني فالغافل الخاطي كيف لا يحسن
الادب بين يدي مولاه يا بني اذا حضرتم فاثنوا عليه واذا امركم بالجلوس
فاجلسوا والا فقفوا الا ان ياذن لكم واذا اجلستم فلا تتمددوا وه

بالكلام حتى يوذن لكم او بيا لكم ولا تطيلوا الجلوس عنده واذا امركم
بالانصراف فلا تولوا ظهوركم اليه واذا خرجتم من عنده فلا تذكروا
لاحد ما جرى بينكم وبينه كيلا تسقطوا من عينه واذا افشى اليكم
سرا فاكتموه فخرجوا من عنده وقصدوا مصر وكان يوسف قد اتخذ
شبكة على ساحل البحر الى الجبل من حديد عليها باب واحد ووكل عليه
حاجبه ومعه جماعة وكلما مر به رجل ساله عن قصته وعن بلده
وبضاعته ثم يرسل رسولا الى الملك يوسف بكتاب فيه صفة الرجل
والقافلة والبضاعة التي معه وانما اراد يوسف بذلك ليعلم مجي
اخوته فان جبريل اخبره بانهم سيجيئون فلما وصلوا الى الباب
نظر اليهم الحاجب وقال من انتم ومن اين انتم وما تريدون
قالوا نحن قوم من الشام من وادي كنعان من اولاد الانبيا يعقوب
اسرايل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله فقال انسابكم
مليحة واقوالكم صحيحة ووجوهكم صبيحة فاين قصدكم قالوا حضرة
العزيز قال فما بضاعتكم فنكسوا روسهم وقالوا لا تسال عن بضاعتنا
روي في الخبر انه اذا دخل منكر ونكير على العبد المومن في قبره يقول
الله تعالى لهما سلاه عن ربه وعن نبيه وعن دينه ولا تسالاه عن
عمله فانه مخلط فكتب الحاجب الى يوسف ايها العزيز انه قد نزل
بنا قوم من الشام احسابهم مليحة ووجوههم صبيحة والسنتهم
فصيحة وذكروا انهم من اولاد الانبيا وقصدهم حضرة الملك واساميهم
كذا وكذا فلما نظر يوسف في الكتاب دمعت عيناه ثم قال متى قدم
هذا القوم فقال منذ خمسة ايام وثيابهم رثة فبكى يوسف فقال

له وزيره اصلح الله الملك مم تبكي فقال قدم اخوتي الذين القوني في الجب
وباعوني قال فلم تبكي قال ابكي لحالين احدهما حيا منهم حيث عصوا الله
بسببي والثاني لفقرهم وفاقتهم ثم كتب للحاجب ان ضيفهم ثلاثة
ايام واطعمهم اللحم والفواكه والحلاوات ثم امر برفع الشبكة وانما
كان جعلها لاجلهم وكذلك الله تعالى اذا امات بني ادم جميعهم ونقلهم
الى الاخرة رفع السموات والارض والشمس والقمر والنجوم واخرب هذا
العالم لانه انما خلقه لاجلهم قال ففعل الحاجب ما امره يوسف
ثم دعاهم وانزلهم قريبا منه وبسط لهم الفرش ونصب لهم الوسائد
وجعل ينظر اليهم من كوة ويامر الخادم بلسان القبط ان يفعل كذا
وهم لا يفهمون فلما جا الليل وضع بين ايديهم الموايد والجام فنظروا
من كوة الى دار الغربا وهم يدفعون الى كل ضيف قرصة من شدة
الوقت وضيق الزمان وكان كل جمل بالف ومايتي دينار فلما راوا ذلك
قال بعضهم لبعض قد اكرمنا الملك بكرامة لم يكرم بها غيرنا فنخشى
انه ظن ان معنا بضاعة سنية لها قيمة وقال بعضهم لعل الملك سمع
بذكر ابينا فاكرمنا لاجله وقال اخر لعله نظر الى صورنا فعلم اننا
من قوم كرام وقال اخر لعله رحم فقرنا ويوسف يسمع ما يقولون
ثم التفت الى ولده افرايم وقال له شد وسطك بالمنطقة الملكية
والبس لباس الملوك وضع التاج على راسك واملا من الما واسق
القوم فقال يا ابت من هولا فقال اعمامك فقال الذين باعوك
فقال نعم يا بني لقد احسنوا الي فيما فعلوا فقد كانوا سببا
لهذا الملك فذلك قوله فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون

اي عرفهم يوسف ولم يعرفوه لطول المدة وهي اربعون سنة ومفارقتهم
اياه في سن الحداثة ولتوهمهم انه هلك وقلة تاملهم في حاله
من التهيب والاستعظام ولم يتوهموا انه بعد العبودية يبلغ
الي تلك الحال مع طول العهد وقيل راوه لابس حرير وطوقا من
ذهب وعلي راسه تاجا وقد تزيا بزي اهل مصر واما يوسف فانه
راهم علي ما فارقهم عليه فلما دخلوا عليه سالهم عن حالهم ومكانهم
ونسبهم فقالوا نحن من الشام من اولاد يعقوب النبي عليه السلام
ولما جهزهم بجهازهم اي اصلحهم بعدتهم واوقر ركابهم بما جاوا
به لاجله والجهاز ما يعد من الامتعة للنقلة لعدد السفر وما
يحمل من بلد الي اخري وما تزف به المراة الي زوجها والجهاز في هذه
الاية الطعام الذي امتاروه من عنده قال السدي كان مع اخوة
يوسف احد عشر بعيرا وهم عشرة فقالوا ان لنا اخا تخلف عنا وبعيره
معنا فقال لم تخلف فقالوا لمحبة ابيه اياه فقال اردت ان
اري اخاكم هذا الذي ذكرتم لاعلم وجه محبة ابيكم واعلم صدقكم
وقال ايتوني باخ لكم من ابيكم وروي انهم لما دخلوا عليه قال من
انتم وما امركم ولعلكم عيون قالوا معاذ الله نحن بنو اب واحد
وهو شيخ صديق نبي من انبيا الله تعالى قال كم انتم قالوا كنا
اثني عشر فذهب احدنا الي البرية فهلك فقال فكم انتم هاهنا
قالوا عشرة قال فاين الحادي عشر قالوا عند ابينا يتسلي به من
الهالك قال فمن يشهد لكم قالوا لا يعرفنا هاهنا احد يشهد لنا قال
تدعوا بعضكم عندي رهينة وايتوني باخيكم من ابيكم حتي اصدقكم

فاقترعوا فاصابت شمعون وقيل غير ذلك الا ترون اني اوفي الكيل
اي اتمه ولا ابخسه وازيدكم حمل بعير لاخيكم وارخص لكم في السعر
فيصير زيادة في الكيل وانا خير المنزلين للضيف لانه احسن ضيافتهم
قاله مجاهد فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي اي فلا ابيعكم شيا
فيما بعد لانه قد وفاهم كيلهم في هذه الحالة ولا تقربون نهي
او عطف علي فلا كيل اي لا انزلكم عندي منزلة القريب ولم يرد
انهم يبعدون منه ولا يعودون اليه لانه علي العود حثهم
قاله السدي قالوا سنراود عنه اباه اي سنجتهد في طلبه من ابيه
وانا لفاعلون ذلك لا نتواني فيه او انا لضامنون المجي به ومحتالون
في ذلك فان قيل كيف استجاز يوسف ادخال الحزن علي ابيه بطلب
اخيه عنه اجوبة احدها ان الله تعالي اذن له في ذلك ابتلا ليعقوب
ليعظم له الثواب الثاني يجوز ان يكون اراد بذلك ان ينبه يعقوب
علي حال يوسف الثالث لتتضاعف المسرة ليعقوب برجوع ولديه
عليه الرابع ليقدم سرور اخيه بالاجتماع عليه قبل اخوته لميل
كان منه اليه والاول اظهر والله اعلم وقال لفتيته اي لغلمانه
الكيالين جمع فتي وقري فتيانه علي الكثرة اجعلوا بضاعتهم في
رحالهم اوعيتهم وذلك انه وكل بكل رحل واحدا يعبي فيه
بضاعتهم التي شروا بها الطعام وكانت نعالا وادما وقيل
كانت دراهم وانما فعل ذلك توسعا وتفضلا عليهم وترفعا
من ان ياخذ ثمن الطعام من اخوته او خوفا من ان لا يكون عند
ابيه ما يرجعون به وامتعة المسافر تسمي رحالا لعلهم يعرفونها

اي لعلهم يعرفون حق ردها او لكي يعرفوها اذا انقلبوا الى اهلهم
وفتحوا اوعيتهم لعلهم يرجعون اي لعل معرفتهم ذلك تدعوهم
الى الرجوع وقال لعلهم يعرفونها لجواز ان لا تسلم في الطريق
وقيل انما فعل ذلك ليرجعوا لعلمه انهم لا يقبلون الطعام الا
بثمن فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل اي حكم بمنعه
بعد هذا ان لم نذهب ببنيامين اي فلما رجعوا الى ابيهم واخبروه
بما كان من امرهم واكرام العزيز اياهم وان شمعون مرتهن حتى
يعلم صدق قولهم وانه قال لهم فان لم تاتوني به فلا كيل لكم
عندي ولا تقربون قالوا عند ذلك فارسل معنا اخانا نكتل اي
نرفع المانع ونكتل ما نحتاج اليه وقرئ بالياء على اسناده للاخ اي يكتل
لنفسه فينضم اكتياله الى اكتيالنا وانا له لحافظون عن ان يناله مكروه
قال هل امنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه يوسف من قبل وقد
قلتم في يوسف وانا له لحافظون وفعلتم به ما فعلتم فالله خير حفظا
فاتوكل عليه وافوض امري اليه وهو ارحم الراحمين فارجو ان يرحمني
بحفظه ولا يجمع علي مصيبتين وانتصاب حفظا على التمييز وقرئ حافظا
وهو يحتمل التمييز والحال ومعنى الاية حفظ الله له خير من حفظكم اياه
وقال كعب لما قال يعقوب فالله خير حفظا قال الله تعالى وعزتي وجلالي
لاردن عليك ابنيك كليهما بعد ما توكلت علي وفي هذا دليل على انه
اجابهم الى ارساله معهم ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت
اليهم وقرئ ردت بنقل كسرة الدال المدغمة الى الراء نقلها في بيع
وقيل قالوا يا ابانا ما نبغي اي ما نطلب هل من مزيد على ذلك اكرمنا

واحس

واحسن مثوانا وباع منا ورد علينا متاعنا فالاستفهام في موضع نصب
والمعنى اي شيء نطلب وراء هذا وذلك ان يطيبوا نفس ابيهم وقرئ
بالفوقانية خطابا ليعقوب وقيل ما نافية ونبغي نطلب حذف
مفعوله اي لا نطلب منك دراهم ولا بضاعة بل تكفينا بضاعتنا
هذه الذي ردت الينا ويجوز ان يكون نبغي بمعنى نتعدى فهو لازم
وقيل لا نبغي في القول ولا نزيد فيما حكينا لك من احسانه هذه
بضاعتنا ردت الينا استيناف موضح لقولهم ما نبغي ونمير اهلنا
معطوف على محذوف اي ردت الينا فنستظهر بها ونمير اهلنا اي نجلب
لهم الطعام بالرجوع الى الملك ونحفظ اخانا من المخاوف في ذهابنا
وايابنا ونزداد كيل بعير اي وسق بعير باستصحاب اخينا ذلك
كيل يسير اي مكيل قليل لا يكفينا استقلوا ما كيل لهم فارادوا
ان يضاعفوه بالرجوع الى الملك او يزدادوا اليه ما يكال لاخيهم
ويجوز ان تكون الاشارة الى كيل بعير اي ذلك شيء قليل سهل على الملك
لا يضايقنا ولا يتعاظمه لسخائه وقيل انه من كلام يعقوب ومعناه
ان حمل بعير شيء يسير لا يخاطر لمثله بالولد قال يعقوب لن ارسله
معكم اذ رايت منكم ما رايت حتى تؤتون موثقا من الله اي حتى
تعطوني ما اتوثق به من عند الله او عهدا موكدا بذكر الله قال السدي
حلفوا بالله ليردنه اليه ولا يسلمونه واللام في لتاتنني به لام
القسم اذ المعنى حتى تحلفوا بالله لتاتنني به الا ان يحاط بكم اي
الا ان تغلبوا عليه فلا تطيقوا ذلك او الا ان تهلكوا جميعا وهو
استثناء مفرغ من اعم الاحوال والتقدير لتاتنني به على كل حال

الاحال الاحاطة بكم وقيل هو استثنا من غير الجنس **فلما اتوه موثقهم**
اي عهدهم بذلك **قال الله على ما نقول** انا وانتم من طلب الموثق واعطائه
وكيل رقيب مطلع وقيل حفيظ للعهد قايم بالتدبير والعدل
فارسله معهم **وقال يا بني لا تدخلوا** مصر **من باب واحد وادخلوا**
من ابواب متفرقة لما عزموا على الخروج خشي عليهم العين لانهم
كانوا ذوي جمال وكمال وبسطة وابهة مشتهرين بالمعرفة والكرامة
في مصر عند الملك فخاف عليهم ان يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا
ولعله لم يوصهم بذلك في الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين
حينيذ او كان الداعي اليها خوفه على بنيامين وكانت مصر لها
اربعة ابواب وللنفس اثار منها العين وفي هذا دليل على التحرز
من العين والعين حق وقد قال صلى الله عليه وسلم ان العين
لتدخل الرجل القبر والجمل القدر وفي تعوذه عليه الصلاة والسلام
بقوله اعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل
عين لامة ما يدل على ذلك وروى مالك عن محمد بن ابي امامة بن
سهل انه سمع اباه يقول اغتسل ابي سهل بالخرار فنزع جبة كانت
عليه وعامر بن ربيعة ينظر قال وكان سهل رجلا ابيض حسن الجلد
فقال عامر ما رايت كاليوم ولا جلد عذرا فوعك سهل مكانه واشتد
وعكه فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان سهلا وعك وانه
غير رايح معك يا رسول الله فاتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاخبره سهل بالذي كان من شان عامر فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم علام يقتل احدكم اخاه الا باركت ان العين حق

توضا له فتوضا له عامر فراح سهل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليس به باس وفي رواية اغتسل له فغسل له عامر وجهه ويديه
ومرفقيه وركبتيه واطراف رجليه وداخل ازاره في قدح ثم
صب عليه فراح سهل مع الناس ليس به باس وركب سعد بن
ابي وقاص يوما فنظرت اليه امراة فقالت ان اميركم هذا ليعلم
انه اهضم الكشحين فرجع الى منزله فسقط فبلغه ما قالت المراة
فارسل اليها فغسلت له ففي هذين دليل ان العين حق وانها
تقتل وهو قول علما الامة ومذهب اهل السنة وانكرته طوايف
من المبتدعة وهم محجوجون بالسنة واجماع علما هذه الامة
وبما يشاهد من ذلك لكن ذلك بمشية الله كما قال وما هم بضارين
به من احد الا باذن الله قال الاصمعي رايت رجلا عيونا سمع بقرة
تحلب فاعجبه شخبها فقال ايتهن هذه فقالوا له الفلانية لبقرة
غيرها يورون عنها فهلكتا جميعا الموري بها والموري عنها قال
الاصمعي وسمعته يقول اذا رايت الشي يعجبني وجدت حرارة تخرج
من عيني ويجب على كل مسلم اعجبه شي ان يبرك عليه فانه اذا دعا
بالبركة صرف المحذور لا محالة الا ترى الى قوله في الحديث الا بركت
والتبريك ان يقول تبارك الله احسن الخالقين اللهم بارك فيه
واذا اصاب بعينه ولم يبرك فانه يومر بالاغتسال ويجبر على
ذلك ان اباه لان الامر على الوجوب ومن عرف بالعين منع من
مداخلة الناس دفعا لضرره وقال بعض العلما يامره الامام بلزوم
بيته وان كان فقيرا رزقه ما يقوم به وحديث مالك يخالف

مذا فانه لم يامره بحبس ولا نفي بل قد يكون الرجل الصالح عاينا
ولا يفسق به ومن قال يحبس ويومر بلزوم بيته فذلك احتياط
ودفع ضرر واذا عرف العاين يجيبه امرنا لاغتسال او الوضوء
وان لم يعرف فان المعيون يسترقي له فان الرقي مما يستدفع به
البلا ويقال ان العين الى الصغار اسرع منها الى الكبار وما اغني
ادفع عنكم من الله من زايدة شيء مما قضي عليكم بما اشرت به اليكم
فان الحذر لا يمنع القدر ان الحكم اي ما الامر والقضا الا لله يصيبكم
لا محالة ان قضي عليكم ولا ينفعكم ذلك عليه توكلت اي اعتمدت
ووثقت وعليه فليتوكل المتوكلون جمع بين الحرفين في عطف الجملة
على الجملة لتقدم الصلة للاختصاص لان الواو للعطف والفاء
لافادة السبب فان فعل الانبيا سبب لان تقتدي بهم ولما دخلوا
من حيث امرهم ابوهم من ابواب متفرقة في البلد ما كان يغني
عنهم راي يعقوب واتباعهم له من الله من شي مما قضيه عليهم
كما قال يعقوب فسرقوا واخذ بنيامين بوجدان الصاع في رحله
وتضاعفت المصيبة على يعقوب الا حاجة في نفس يعقوب
استثنا منقطع اي ولكن حاجة في نفسه يعني شفقته عليهم وحذرا
من ان يعانوا قضاها اي اظهرها ووصى بها وقيل لئلا يرى الملك
عددهم وقوتهم فيبطش بهم حسدا او حذرا وفي هذا دليل
على ان المسلم يجب عليه ان يحذر اخاه مما يخاف عليه ويرشده الى
ما فيه طريق السلامة والنجاة فان الدين النصيحة وانه يعني
يعقوب لذو علم لما علمناه بالوحي ونصب الحجج ولذلك قال ما اغني

عنكم

عنكم من الله من شي ولم يغتر بتدبيره ولكن اكثر الناس لا يعلمون
سر القدر وانه لا يغني عنه الحذر او لا يعلمون ما يعلم يعقوب
من امر دينه وقيل لذو عمل فان العلم اول اسباب العمل ○
ولما دخلوا على يوسف اوى اليه اخاه قال قتادة ضمه اليه
وانزله معه وقيل امران ينزل كل اثنين في منزل فبقي اخوه
منفردا فضمه اليه وقال اشفقت عليه من الوحدة وروي
انه اضافهم فاجلسهم مثنى مثنى فبقي بنيامين وحيدا فبكى
وقال لو كان اخي يوسف حيا لجلس معي فاجلسه على مايدته
ثم قال لينزل كل اثنين بيتا وهذا لا ثاني له فيكون معي
فبات عنده وقال اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك
قال من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب وراحيل قال
له سرا اني انا اخوك فلا تبتئس اي فلا تحزن بما كانوا
يعملون في حقنا وامره ان لا يخبرهم وتواطا معه على انه
سيحتال على ان يحبسه عنده فلما جهزهم بجهازهم جعل
السقاية اي المشربة في رحل اخيه بنيامين قيل كانت مشربة
جعلت صاعا يكال بها الطعام وقيل كانت يسقى بها الدواب
ويكال فيها وكانت من فضة وقيل من ذهب والسقاية والصواع
شي واحد وقيل كان له راسان وفي وسطه مقبض كان
الملك يشرب منه من راس ويكال الطعام بالراس الاخر
قاله النقاش وعن ابن عباس صواع الملك شي من فضة يشبه
المكوك مرصع بالجواهر يجعل على الراس وكان للعباس واحد

في الجاهلية وهو يذكر ويونث وروي انه لما عرف بنيامين يوسف
قال له لا تردني اليهم فقال قد علمت اغتمام يعقوب فيزداد
غمه فابي بنيامين الخروج فقال يوسف لا يمكن حبسك الا بعد
ان انسبك الي ما لا يجمل بك فقال لا ابالي فدس الصواع
في رحله ثم اذن موذن اي نادي مناد بعد انفصالهم عن
مجلس يوسف ايتها العير انكم لسارقون العير ما امتير عليه من
الابل والحمير والبغال وقال مجاهد كان عيرهم حميرا وقال
ابو عبيدة العير الابل المرحولة المركوبة وهو في الاصل اسم
للابل التي عليها الاحمال لانها تعير اي تتردد والمراد اصحابها
كقوله تعالى واسئل القرية وقوله عليه الصلاة والسلام
يا خيل الله اركبي والمعنى يا اصحاب العير وتجوز لقافلة الحمير
ثم استعير لكل قافلة فان قيل كيف رضي بنيامين بالقعود
طوعا وفيه عقوق الاب بزيادة الحزن وكيف وافقه على ذلك
يوسف وكيف نسب يوسف السرقة الي اخوته وهم براء فالجواب
عن الاول ان الحزن كان قد غلب علي يعقوب بحيث لا يوثر فيه
فقد بنيامين كل التاثير اولا تراه لما فقده قال وا اسفا علي
يوسف ولم يعرج علي بنيامين ولعل يوسف انما وافقه
علي القعود بوحي فلا اعتراض واما نسبة يوسف السرقة
الي اخوته فان القوم كانوا قد سرقوه من ابيه والقوه
في الجب ثم باعوه فاستحقوا هذا الاسم بذلك الفعل او
اراد ايتها العير حالكم حال السراق وقيل معنى الكلام الاستفهام

والغرض ان لا يعزى الي يوسف الكذب قالوا وقد اقبلوا عليهم
ماذا تفقدون المعنى اي شيء ضاع لكم والفقد غيبة الشيء
عن الحس بحيث لا يعرف مكانه قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء
به حمل بعير من الطعام جعلا له والبعير هنا في قول الجمهور الجمل وقيل
الحمار قاله مجاهد واختاره وهي لغة لبعض العرب وانا به اي الحمل
زعيم اي كفيل اوديه الي من رده وفيه دليل علي جواز الجعالة قبل
تمام العمل قال مجاهد الزعيم هو الموذن وحمل البعير كان معلوما عندهم
ولهذا صح ضمانه غير انه بذل مال للسارق ولا يحل للسارق ذلك
فلعله كان يجوز في شرعهم او كان جعلا لمن يفتش ويطلب قالوا
تالله قسم فيه معنى التعجب والتاء بدل من الباء مختصة باسم الله لقد
علمتم ما جئنا لنفسد في الارض روي انهم كانوا لا ينزلون علي احد
ظلما ولا يرعون زرع احد وانهم جعلوا علي افواه ابلهم الاكمة
حتى لا تعبث في زرع الناس وما كنا سارقين ما سرقنا قط يروى
انهم ردوا البضاعة التي جعلت في رحالهم اي فمن رد ما وجد
فكيف يكون سارقا استشهدوا بعلمهم علي براءة انفسهم لما عرفوا
منهم في كرتي مجيئهم ومداخلتهم للملك مما يدل علي فرط امانتهم
قالوا اي الموذن واصحابه فما جزاؤه اي فما جزاء السارق او الصاع علي
حذف المضاف ان كنتم كاذبين في ادعائكم البراءة والمعنى فما
جزاء الفاعل ان بان كذبكم فاجاب اخوة يوسف قالوا جزاؤه
من وجد في رحله فهو جزاؤه اي جزاء سرقته اخذ من وجد في
رحله واسترقاقه هكذا كان في شرع يعقوب وقوله فهو جزاؤه

تقرير الحكم والزام له او خبر من والفا لتضمنها معنى الشرط او جواب
لها على انها شرطية والجملة كما هي خبر جزاوه على اقامة الظاهر
فيها مقام المضمر كانه قيل جزاوه من وجد في رحله فهو هو **كذلك**
نجزي الظالمين بالسرقة اي مثل ذلك نفعل بالسارقين اذا سرقوا
ان يسترقوا وكان حكم السارق عند اهل مصر ان يغرم ضعفي ما اخذ
فبدا باوعيتهم اي فبدا المؤذن وقيل يوسف لانهم ردوا اليه
قبل وعا اخيه بنيامين وانما بدا برحالهم لنفي التهمة والريبة
من قلوبهم والوعا بكسر الواو وضمها ما يحفظ فيه المتاع ويصونه
ثم استخرجها اي السقاية او الصواع لانه يذكر ويونث **من وعا**
اخيه يعني بنيامين وكرر لفظ الوعا ولم يقل منه لئلا يتوهم عود
الضمير الى الاخ فيصير كانه مباشر لطلب خروجها وليس كذلك لما في
المباشرة من الاذى الذي تاباه النفوس الابية ولم يقل من وعايه
لئلا يتوهم عود الضمير الى يوسف لانه العايد اليه استخرجها وفي
القصة انهم لما خرجوا وبلغوا اول منزل ارسل يوسف وراءهم
خمسماية فارس فناداهم المنادي وقال ايتها العير انكم لسارقون
فوقفوا وقالوا اي شي ضاع لكم قالوا صواع الملك ومن رده فله حمل
بعير وكان ثمنه الفا وماتي دينار ثم امرهم بالرجوع فرجعوا
وجلس يوسف على السرير وارخا الستر ثم قال لغلمانه ابدوا
برحالهم ففتشوا اوعاءهم فلم يجدوا فيها شيا فقال يوسف ليس
معهم شي خلوا سبيلهم ولا تفتشوا رحل هذا قالوا ليس هذا بانصف
منا فتشوه كما فتشتم اوعيتنا فانه اطيب لنفوسكم قال ففتشوا

فاذا

فاذا الصاع فقالوا ايها الملك قد وجدناه في رحل اصغرهم فنكس
القوم رؤسهم وبنيامين بفرح فظنوا الظنون واقبلوا عليه وقالوا
ويلك يا بنيامين ما راينا كاليوم قط ولدت امك راحيل اخوين
لصين فقال والله ما سرقته فقالوا من جعل الصواع في رحلك
قال الذي جعل البضاعة في رحالكم ويروى ان المفتش كان
يوسف وكان اذا فتش رحل رجل استغفر الله وقيل ان جميع ذلك
كان بامر من الله ويقوي ذلك قوله تعالى **كذلك** الكيد **كدنا ليوسف**
اي صنعنا عن ابن عباس المعنى دبرنا ابن الانباري اردنا وفي
هذا دليل على جواز التوصل الى الاغراض بالحيل اذا لم يخالف
الشريعة ولا هدمت اصلا خلافا لابي حنيفة في تجويزه الحيل
وان خالفت الاصول والمعنى علمناه الاحتيال في اخذ اخيه **ما كان**
يوسف **لياخذ اخاه** رقيقا عن السرقة **في دين الملك** ملك
مصر اي سلطانه وقيل بظلم بلا حجة مجاهد في حكمه وهو استرقا ق
السراق **الا ان يشا الله** اخذه بحكم ابيه اي لم يتمكن من اخذه
الا بمشية الله بالهامه سوال اخوته وجوابهم بسنتهم وذلك
بان يجعل السقاية في رحله تعلة وعذرا له وقال قتادة
كان حكم الملك الضرب والغرم مرتين ولكن الله اجرى على السنتهم
حكم بني اسرايل **نرفع درجات من نشا** بالعلم والايمان كما رفعنا
درجته **وفوق كل ذي علم عليم** اي ارفع درجة منه عن ابن
عباس يكون ذا اعلم من ذا وذا اعلم من ذا والله فوق كل عالم
واحتج به من زعم انه عالم بذاته اذ لو كان ذا علم لكان فوقه

من هو اعلم منه والجواب ان المراد كل ذي علم من الخلق لان الكلام
فيهم ولان العليم هو الله تعالى ومعناه الذي له العلم البالغ
لغة قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل يعنون يوسف
والمعنى اقتدى باخيه ولو اقتدى بنا ما سرق وانما قالوا ذلك
ليتبرؤا من فعله وانه ان سرق فقد جذبه عرق اخيه السارق
لان الاشتراك في الانساب تشاكل في الاخلاق واختلف في
السرقة التي نسبت الى يوسف فعن مجاهد وغيره ان عمة يوسف
بنت اسحاق كانت اكبر من يعقوب وكانت قد صار اليها منطقة
اسحاق لسنها لانهم كانوا يتوارثون بالسن وكان شرعهم من سرق
استعبد وكانت عمة يوسف قد حضنته واحبته حبا شديدا
فلما ترعرع وشب طلبه يعقوب منها فاشفقت من فراقه ثم عمدت
الى منطقة اسحق فحزمتها على يوسف من تحت ثيابه ثم قالت فقدت
منطقة اسحق فانظروا من اخذها فالتمست فوجدت مع يوسف
فقالت انه لي سلم اصنع فيه ما شئت فامسكته حتى ماتت فلذلك
عيره اخوته ومن هنا تعلم يوسف وضع السقاية في رحل اخيه
وقال سعيد بن جبير انما امرته ان يسرق صنما كان لجده ابي امه
قيل كان من ذهب فسرقه وكسره والقاه على الطريق وكان ذلك
منهما تغييرا للمنكر فعيروه بالسرقة وقيل انه كان يسرق من طعام
المائدة للمساكين وقيل غير ذلك فاسرها يوسف في نفسه ولم
يبدها لهم اي اكنها ولم يظهرها لهم والضمير للاجابة او المقالة
او نسبة السرقة اليه وقيل انها كناية على شريطة التفسير

ويفسرها

ويفسرها قوله انتم شر مكانا فانه بدل من اسرها والمعنى قال
في نفسه انتم شر مكانا اي منزلة في السرقة لسرقتكم اخاكم
وتانيثها باعتبار الكلمة او الجملة وفيه نظر اذ المفسر بالجملة لا
يكون الا ضمير الشان والله اعلم بما تصفون اي تذكرون في امره
وهو يعلم ان الامر ليس كما تصفون قالوا يا ايها العزيز ان له
ابا شيخا كبيرا في السن او القدر وانه يحبه اكثر منا ويتسلى به
عن ولده الهالك ويحزنه فراقه وذكروا له حاله استعطافا له
عليه وخاطبوه باسم العزيز اذ كان في ملكه بعزل الاول او
موته فخذ احدنا مكانه اي بدله فان اباه ثكلان على اخيه
الهالك مستانس به ويعيد عليهم وهم انبيا ان يروا استرقاقه
حتى فلم يبق الا ان يريدوا بذلك طريق الحمالة ومقصودهم
بذلك ان يصل بنيامين الى ابيه ويعرف يعقوب جلية الامر
فمنع يوسف من ذلك اذ الحمالة في الحدود ونحوها على ان يلزم الحميل
من العقوبة ما يلزم المضمون من العقوبة لا يجوز انا نراك من
المحسنين الينا فاتمم احسانك او من المتعودين الاحسان فلا
تغير عادتك قال معاذ الله نصب على المصدر وحذف فعله
واضيف الى الفاعل اي نعوذ بالله من ان ناخذ الا من وجدنا
متاعنا عنده لم يقل سرق تحرزا من الكذب فان اخذ غيره ظلم
على فتواكم فلو اخذنا احدا مكانه انا اذا لظالمون في مذهبكم
فمعاذ الله ان اخذ البري بالمجرم فلما استيأسوا منه اي يئسوا
من يوسف واجابته اياهم وزيادة السين والتاء للمبالغة

كاستعجب بمعنى عجب واليأس عدم توقع الشي خلصوا اي انفردوا
واعتزلوا نجيا اي متناجين وانما وحد لانه مصدر يؤدي عن
جمع كما في هذه الاية وعن واحد كما في قوله وقربناه نجيا اي فلما
يئسوا من رد اخيهم اليهم تشاوروا فيما بينهم لا يخالطهم غيرهم
من الناس يتناجون فيما عرض لهم قال كبيرهم قتادة هو روبيل
كان اكبرهم سنا مجاهد هو شمعون كان اكبرهم رايا الكلبي
هو يهوذا كان اعقلهم محمد بن كعب وابن اسحق هو لاوي وهو ابو
الانبيا الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله اي عهدا
وثيقا في حفظ ابنه ورده اليه وانما جعل حلفهم بالله موثقا
منه لانه باذن منه وتاكيد من جهته ومن قبل اي من قبل هذا
ما فرطتم في يوسف اي قصرتم في شانه وما مزيدة ومن متعلقة
بالفعل اي وفرطتم من قبل ويجوز ان تكون مصدرية في موضع نصب
بالعطف على مفعول تعلموا تقديره الم تعلموا اخذ ابيكم عليكم الميثاق
وتفريطكم في يوسف ولا باس بالفصل بين العاطف والمعطوف بالظرف
او على اسم ان وخبره في يوسف او من قبل او الرفع بالابتدا والخبر
من قبل اي وتفريطكم في يوسف من قبل واقع وفيه نظر لان قبل
اذا كان خبرا او صلة لا تقطع عن الاضافة حتى لا تبقى ناقصة
فلن ابرح الارض اي فلن افارق ارض مصر حتى ياذن لي ابي
في الرجوع اليه او يحكم الله لي وهو خير الحاكمين اي يقضي لي
بالخروج او بخلاص اخي منهم او بالمقاتلة معهم لتخليصه فاحاربهم
واخذ اخي او اعجز فانصرف وذلك ان يعقوب قال لما تبين به

الا ان يحاط بكم ومن حارب فعجز فقد حيط به قال ابن عباس
وكان يهوذا اذا غضب واخذ السيف فلا يرد وجهه مائة الف
ويقوم شعره في صدره مثل المسال فتنفذ منها به وجاء في
الخبر ان يهوذا قال لاخوته اما ان تكفوني الملك ومن معه وانا
اكفيكم اهل مصر واما ان تكفوني اهل مصر اكفيكم الملك ومن
معه قالوا اكفنا الملك ومن معه نكفك اهل مصر فعدوا اسواق
مصر فوجدوها تسعة اسواق فاخذ كل واحد منهم سوقا ثم ان
يهوذا دخل على يوسف وقال ايها الملك لئن لم تخل معنا اخانا
لا صيحن صيحة لا تبقى حامل الا اسقطت وكان ذلك خاصا
فيهم عند الغضب فاغضبه يوسف فغضب يهوذا وكان من
شانهم اذا غضب احدهم اقشعر جلده وظهرت شعرات جسده
من تحت الثوب حتى يقطر الدم من كل شعرة واذا ضرب برجله الارض
تزلزلت ويهدم البنيان ولا يهدي غضبه الا ان يسفك دما
او يمسه احد من اولاد يعقوب فلما علم يوسف ان اخاه غضب
كلم ولدا له صغيرا بالقبطية وامره ان يضع يده على يهوذا من
حيث لا يراه ففعل فسكن غضبه والقى السيف من يده والتفت
يمينا وشمالا فلم ير احدا من اخوته فخرج مسرعا اليهم وقال
هل حضرني احد منكم قالوا لا فقال لقد مسني كف من نسل يعقوب
ثم دخلوا على يوسف وكان يوسف اشدهم بطشا فقال يا معشر
العبرانيين اتظنون انه ليس احد اشد منكم قوة ثم عمد الى
صخرة عظيمة فركزها برجله فدحا بها من خلف الجدار ثم

امسك يهوذا باحدى يديه فصرع لجنبه ثم قال ادع الحداد من اقطع ايديهم
وارجلهم واضرب اعناقهم ثم صعد على سريره وامر بصواعه فوضع بين
يديه ثم نقره فطن طنينا ثم انصت اليه ثم قال اتدرون ما يقول
الصواع قالوا لا قال انه يقول ليس على ابي هولاء هم ولا كرب الا بسببهم
ثم نقره ثانيا وقال انه يخبرني ان هولاء اخذوا اخا لهم صغيرا فحسدوه
ونزعوه من ابيهم ثم القوه في جب فقالوا يا ايها العزيز استر علينا
ستر الله عليك وامنن علينا من الله عليك ثم نقره ثالثا فقال انه يقول
انه خرج من الجب ثم باعوه بيع العبيد بثمن بخس ثم زعموا لابيهم ان
الذيب اكله ثم نقره فقال انه يخبرني ان اخاهم الذي زعموا انه هلك
لن تذهب الايام حتى يرجع فيخبر الناس بما صنعوا فعند ذلك تضرعوا
وبكوا واضمروا التوبة وقالوا لين اصبنا اخانا يوسف لنكونن طوع يده
فلما راى يوسف ذلك من اخوته قال قد خليت سبيلكم اكراما لابيكم
ارجعوا الى ابيكم قاله الذي قال لن ابرح الارض فقولوا يا ابانا ان
ابنك سرق على ما شاهدنا من ظاهر الامر سُرِّق اي نسب الى السرقة وما شهدنا
عليه الا بما علمنا بان راينا الصواع استخرج من وعائه وما كنا للغيب
اي لباطن الحال حافظين فلا ندري اسرق او سُرِّق ودس الصاع في رحله
او ما شهدنا قط الا بما علمنا واما الان فقد شهدنا بالظاهر وكانه وقعت
لهم تهمة من قول بنيامين دس هذا في رحلي من دس بضاعتكم في
رحالكم او المعنى ما كنا للعواقب عالمين فلم ندر حين اعطيناك الموثق
انه سيسرق وانك تصاب به كما اصبت بيوسف وقيل المعنى ما شهدنا
عند يوسف بان السارق يسترق الا بما علمنا من دينك قاله ابن زيد

واسئل القرية التي كنا فيها يعنون مصر او قرية بقربها لحقهم المنادي
فيها والمعنى ارسل الى اهلها واسئلهم عن القصة فحذف اهل او المعنى
واسال القرية وان كانت جمادا فانك نبي والله ينطق لك الجماد وعلى
هذا فلا حاجة الى اضمار والعير التي اقبلنا فيها اي اصحاب العير التي
توجهنا فيهم وكنا معهم وهم قوم من كنعان والقول في العير كالقول
في القرية ان اريد بالعير الابل وان اريد القافلة وهم الراجعون
من السفر فلا حذف فيه وانا لصادقون في قولنا وهو تاكيد في محل
القسم قال بل سولت اي فلما رجعوا الى ابيهم وقالوا له ما قال لهم
اخوهم قال بل سولت اي زينت وسهلت لكم انفسكم امرا فعلتموه
او قلتم ان ابني سرق وما سرق وانما ذلك لامر يريده الله فصبر
جميل اي امري صبر جميل او فصبر جميل اجمل بي عسى الله ان ياتيني
بهم جميعا بيوسف وبنيامين واخيهما الذي توقف بمصر القايل
فلن ابرح الارض وكان عند يعقوب ان يوسف لم يمت وانما غاب
عنه خبره فلذلك قال بهم انه هو العليم بحالي وحالهم الحكيم
في تدبيره وتولى عنهم اي اعرض عنهم كراهة لما صادف منهم وقال
يا اسفى على يوسف اي يا اسفى تعال فهذا اوانك والاسف اشد
الحزن والحسرة والالف بدل من يا المتكلم لخفة الفتحة ولكون الصوت
فيها اتم وانما تاسف على يوسف دون اخويه لان رزاه كان قاعدة
المصيبات وكان غضا اخذا بمجامع قلبه لانه كان واثقا بحياتهما دون
حياته قال ابن جبير لم يكن عند يعقوب ما في كتابنا من الاسترجاع
ولو كان عنده ما قال يا اسفى على يوسف وفي الحديث لم تعط امة

من الامر انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة الا امة محمد **وابيضت**
عيناه من الحزن عليه لكثرة بكايه كان العبرة محقت سوادهما وقيل
ضعف بصره وقيل عمي قال مقاتل لم يبصر بهما ست سنين ولما كان
سبب البكا الحزن قال من الحزن وروي ان يعقوب كان يصلي ويوسف
نايم معترضا بين يديه فغط في نومه فالتفت يعقوب اليه
سوورابه فاوحي الله تعالى الي ملايكته انظروا الي صفيي وابن خليلي
قايما في مناجاتي يلتفت الي غيري وعزتي لانزعن الحدقتين اللتين
التفت بهما ولا فرقن بينه وبين من التفت اليه ثمانين سنة ليعلم
العالمون انه من قام بين يدي يجب عليه مراقبة نظري قال النحاس
فان قيل ما معنى شدة حزن يعقوب ففيه اجوبة الاول ان يعقوب
لما علم ان يوسف حي خاف على دينه فاشتد حزنه لذلك وقيل انما
حزن لانه سلمه اليهم صغيرا فندم على ذلك والثالث وهو ابينها
ان الحزن ليس بمحظور وانما المحظور الوله وشق الثياب والكلام بما لا
ينبغي وفيه دليل على جواز التاسف والبكا عند التفجع ولعل امثال
ذلك لا يدخل تحت التكليف فانه قل من يملك نفسه عند الشدايد
وقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابراهيم وقال تدمع العين
ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون
فهو كظيم اي مملو من الحزن ممسك عليه لا يبثه ومنه كظم الغيظ
وهو اخفاوه وقيل مملو من الغيظ على اولاده ممسك له في قلبه لا
يظهره فعيل بمعنى مفعول كقوله وهو مكظوم من كظم السقا اذا شده
او بمعنى فاعل لقوله والكاظمين الغيظ من كظم الغيظ اذا اجترعه

واصله كظم البعير جرته ردها في جوفه وعن ابن عباس كظيم مغموم
وقيل مكروب وقيل كمد يعلم ان يوسف حي ولا يدري اين هو **قالوا**
تالله قال له ولده **تفتو تذكر يوسف** اي لا تفتو ولا تزال تذكره
تفجعا فحذف لا كقوله ٭ فقلت يمين الله ابرح قاعدا ٭ لانه لا يلتبس
بالاثبات فان القسم اذا لم يكن معه علامة الاثبات كان على النفي
حتى تكون حرضا اي قالها مجاهد وغيره دنفا من المرض وهو دون
الموت الفرا الحارض الفاسد العقل والجسم قال ٭ امن ذكر ليلى ان
نات غربة بها ٭ كانه غم للاطبا محرض ٭ وقيل ذايبا من الهم الاخفش
ذاهبا وهو في الاصل مصدر ولذلك لا يونث ولا يجمع والنعت بالكسر
كدنف **او تكون من الهالكين** اي من الميتين وغرضهم منع يعقوب
من البكا والحزن شفقة عليه وان كانوا السبب في ذلك **قال انما اشكو**
بثي حقيقة البث ما يرد على الانسان من الاشيا المهلكة التي لا
يتهيا له ان يخفيها وهو من بثثته اذا فرقته فسميت المصيبة بثا
مجازا وقال ابن عباس بثي همي اي الذي لا اقدر على الصبر عليه الحسن
حاجتي **وحزني** معطوف عليه اعاده بغير لفظه **الى الله** لا الى احد
منكم ومن غيركم فخلوني وشكايتي **واعلم من الله** من صنعه ورحمته
وانه لا يخيب داعيه ولا يدع الملتجي اليه او من الله بنوع من الالهام
ما لا تعلمون من حياة يوسف قيل راى ملك الموت فساله عنه فقال
هو حي وقيل علم من رويا يوسف انه لا يموت حتى يخر له اخوته
سجدا وقال السدي انه لما اخبره ولده بسيرة الملك وعدله وخلقه
احست نفس يعقوب انه ولده وقال لا يكون في الارض صديق

الابني وقيل اعلم من اجابة دعا المضطر ما لا تعلمون يا بني اذهبوا
فتحسسوا من يوسف واخيه اي فتعرفوا منهما وتفحصوا عن حالهما
والتحسس طلب الشي بالحواس وهذا يدل على انه تيقن حياة يوسف
اما بالرويا او بانطاق الله الذيب له او باخبار ملك الموت اياه
والمعنى اذهبوا الى هذا الذي طلب منكم اخاكم واحتال عليكم في
اخذه فاسئلوا عنه وعن مذهبه ويروى ان ملك الموت قال له
اطلبه من هاهنا واشار الى ناحية مصر ولا تياسوا من روح الله
اي لا تقنطوا من فرجه وتنفيسه انه لا يياس من روح الله الا القوم
الكافرون بالله وصفاته فانه لا يقنط المسلم من رحمته في شي من
الاحوال فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز بعد ما رجعوا الى مصر
رجعة ثانية مسنا واهلنا الضر اي اصابنا شدة الجوع والحاجة
وفي هذا دليل على جواز الشكوى عند الضر بل واجب اذا خاف على
نفسه الضر من الفقر وغيره ان يبدي حاله الى من يرجو منه النفع
كما واجب عليه ان يشكو ما به الى الطبيب ليعالجه ولا يكون ذلك
قدحا في التوكل وهذا ما لم يكن التشكي على سبيل السخط والصبر والتجلد
في النوايب احسن والتعفف عن المسئلة افضل واحسن الكلام في
الشكوى سوال المولى زوال البلوى وذلك لقول يعقوب عليه السلام
انما اشكو بثي وحزني الى الله وجئنا ببضاعة مزجاة اي ردية
او قليلة ترد وتدفع رغبة عنها من ازجيته اذا دفعته والبضاعة
القطعة من المال يقصد بها شرا شي ومزجاة صفة لها قيل كانت
قديدا وحيسا ذكر الواقدي عن علي وعن ابن عباس خلق الغرايروالحبال

وقيل

وقيل صوف وسمن وقيل الحبة الخضرا او الصنوبر والحبة الخضرا حبة
البطم وهو شجر بالشام يوكل ويعصر الزيت منه لعمل الصابون وقيل
كانت دراهم زيوفا وقيل غير ذلك فاوف لنا الكيل اي فاتمم لنا الكيل
يريدون كما تبيع بالدراهم الجياد لا تنقصنا لمكان دراهمنا هذا
قول الاكثر ابن جريج يريدون الكيل الذي كان قد كاله لاخيهم
وتصدق علينا برد اخينا او بالمسامحة وقبول المزجاة ابن جبير
تفضل علينا بما بين سعر الجياد والردية لان الصدقة تحرم على
الانبيا وقيل المعنى تصدق علينا بالزيادة على حقنا قاله ابن
عيينة قال مجاهد ولم تحرم الصدقة الا على نبينا عليه افضل
الصلاة والسلام ان الله يجزي المتصدقين احسن الجزا والتصدق
التفضل مطلقا ومنه قوله عليه الصلاة والسلام في القصر هذه
صدقة تصدق الله بها علينا فاقبلوا صدقته لكنه اختص عرفا بما
يبتغى به ثوابه من الله تعالى وقيل هذا من معاريض الكلام لانه لم يكن
عندهم انه على دينهم ولذلك لم يقولوا ان الله يجزيك بصدقتك
فقالوا لفظا يوهمه انهم ارادوه فرق عليهم وادركته الرحمة
ورفع الحجاب بينه وبينهم ثم قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف
واخيه اي هل علمتم قبحه فتبتم منه وفعلهم باخيه افراده عن
يوسف واذلاله حتى كان لا يستطيع ان يكلمهم الا بعجز وذلة وهو
استفهام بمعنى التذكير وهو الذي قال الله تعالى لتنبئنهم بامرهم
هذا اذ انتم جاهلون قبحه فلذلك اقدمتم عليه او عاقبة امر يوسف
وانما قال ذلك تحريضا لهم على التوبة وشفقة عليهم لما راى

من عجزهم وتمسكنهم لا معاتبة وتثريبا وقيل اعطوه كتاب يعقوب في
تخليص بنيامين وذكروا له ما هو فيه من الحزن على فقد يوسف واخيه
فقال لهم ذلك وانما جهلهم لان فعلهم كان فعل الجهال او لانهم
كانوا حينئذ صبيانا غير انبيا لانه لا يوصف بالجهل الا من كانت هذه
صفته قال معناه ابن عباس والحسن قالوا اينك لانت يوسف
استفهام تقرير ولذلك حقق بان واللام وقرئ على الايجاب وذلك
انهم لما دخلوا عليه فقالوا مسنا واهلنا الضر وخضعوا وتواضعوا
رق عليهم وعرفهم بنفسه قيل عرفوه بروائه وشمائله حين كلمهم
وقيل تبسم فعرفوه بثناياه وكان اذا تبسم كان ثناياه اللولو المنظوم
فشبهوه بيوسف وعن ابن عباس ان اخوته لم يعرفوه حتى وضع التاج
عن راسه وكان في قرنه علامة تشبه الشامة البيضا وكان ليعقوب
مثلها وقال ابن عباس كتب يعقوب اليه من يعقوب صفي الله بن
اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله الى عزيز مصر اما بعد فانا
اهل بيت بلا ونحن ابتلى الله جدي ابراهيم بنمرود وناره ثم ابتلى
ابي اسحق بالذبح ثم ابتلاني بولدي كان احب اولادي الي حتى كف
بصري من البكا واني لم اسرق ولم الد سارقا والسلام فلما قرا يوسف
الكتاب ارتعدت مفاصله واقشعر جلده وعيل صبره فباح بالسر
قال انا يوسف اي انا المظلوم ولم يقل انا هو تعظيما للقصة وهذا
اخي من ابي وامي ذكره تعريفا لنفسه به وتفخيما له وادخالا له في قوله
قد من انعم الله علينا اي بالسلامة والكرامة وقيل بالملك انه من
يتق اي من يتق الله ويصبر على البليات او على الطاعات او عن المعاصي

فان الله لا يضيع اجر المحسنين اي الصابرين في بلائه القايمين
بطاعته ووضع المحسنين موضع المضمر للتنبيه على ان المحسن من
جمع بين التقوى والصبر وقرئ باثبات اليا على جعل من بمعنى الذي
ويرفع ويصبر ويجوز ان يجزم ويصبر على ان يجعل يتق في موضع
جزم ومن للشرط وتثبت اليا ويجعل علامة الجزم حذف الضمة
التي كانت في اليا على الاصل والها كناية عن الحديث والجملة الخبر
والعايد من الخبر محذوف تقديره المحسنين منهم ويجوز ان يكون
وضع الظاهر موضع المضمر اي لا يضيع اجرهم قالوا تالله لقد اثرك
الله علينا اي فضلك واختارك علينا بحسن الصورة وكمال السيرة
وقيل بالعقل والملك والعلم والحلم وان مخففة كنا لخاطئين
اي والحال ان شاننا انا كنا مذنبين بما فعلنا وفي ضمن هذا سوال
العفو قيل لابن عباس كيف قالوا كنا خاطئين وقد تعمدوا ذلك
قال ما تعمدوا حتى اخطاوا الحق وكذا كل من اتى ذنبا تخطى المنهاج الذي
عليه من الحق حتى يقع في الشبهة والمعصية قال لا تثريب عليكم
اي لا عتب ولا تانيب عليكم تفعيل من الثرب وهو الشحم الذي يغشى
الكرش للازالة كالتجليد فاستعير للتقريع الذي يمزق العرض ويذهب
ماء الوجه وقيل معناه التعيير والتوبيخ اي لا تعيير ولا توبيخ ولا لوم
عليكم وقال الزجاج المعنى لا افساد لما بيني وبينكم من الحرمة وحق
الاخوة ولكم عندي العفو والصفح اليوم متعلق بالتثريب او بقوله
يغفر الله لكم لانه صفح عن جريمتهم حينئذ واعترفوا بها حينئذ
ومعنى اليوم الوقت وعلى الاول فيغفر مستقبل فيه معنى الدعا

سال الله ان يستر عليهم وفي الوقف على عليكم والا بتدا باليوم يغفر
الله لكم جزم بالمغفرة في اليوم وذلك لا يكون الا عن وحي **وهو
ارحم الراحمين** فانه يغفر الصغاير والكباير ويتفضل على التايب
ومن كرم يوسف انهم لما عرفوه ارسلوا اليه وقالوا انك تدعوننا
بالبكرة والعشي الى الطعام ونحن نستحي منك لما فرط منا فيك فقال ان
اهل مصر كانوا ينظرون الي بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا
بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت بكم وعظمت في عيونهم حيث
علموا انكم اخوتي واني من حفدة ابراهيم عليه السلام وسالهم عن
ابيه فقالوا ذهبت عيناه فقال **اذهبوا بقميصي هذا** القميص الذي
كان عليه وقيل القميص المتوارث الذي كان في التعويذ قال مجاهد
كان ذلك قميص ابراهيم الذي البسه الله اياه في النار من حرير
الجنة وكان كساه اسحق واسحاق يعقوب وكان يعقوب ادرج ذلك
القميص في قصبة من فضة وعلقه في عنق يوسف لما كان يخاف
عليه العين فقال له جبريل ارسل قميصك فان فيه ريح الجنة لا
يقع على سقيم ولا مبتلى الا عوفي وكان الذي حمل قميصه يهوذا
وقال ليوسف انا الذي حملت قميصك بدم كذب فاحزنته وانا
الذي احمله الان لاسره وبقميصي يجوز ان يكون مفعولا به اي احملوا
قميصي وان يكون حالا اي اذهبوا وقميصي معكم وهذا نعت للقميص
فالقوه على وجه ابي يات بصيرا اي يرجع بصيرا **واتوني** انتم وابي
باهلكم اجمعين نساءكم وذراريكم واهاليكم ليتمتعوا بمصر قال
قال مسروق كانوا ثلاثة وستين بين رجل وامراة وقد قيل ان

القميص

القميص الذي بعثه هو القميص الذي قد من دبر ليعلم يعقوب
انه عصم من الزنا **ولما فصلت العير** اي خرجت منطلقة من مصر
الى الشام **قال ابوهم** لمن حضره ممن لم يخرج الى مصر من ولده ولد ولده **اني
لاجد ريح يوسف** اوجد الله ريح ما عبق بقميصه من ريحه حين
اقبل اليه يهوذا من ثمانين فرسخا وقال ابن عباس هاجت ريح
فحملت ريح قميص يوسف اليه وبينهما ثمان ليال الحسن عشر ليال
وقال مجاهد فاحت روايح الجنة في الدنيا واتصلت بيعقوب
فعلم انه ليس في الدنيا من ريح الجنة الا ما كان من ذلك القميص
فعند ذلك قال اني لاجد ريح يوسف اي اشمه فهو وجود بحاسة
الشم **لولا ان تفندون** اي تنسبوني الى الفند وهو نقصان
عقل يحصل من هرم ولذلك لا يقال عجوز مفندة لان نقصان
عقلها ذاتي ابن عباس لولا ان تسفهوني ابن جبير والضحاك
لولا ان تكذبون ابن اسحق لولا ان تضعفون رايي الاخفش
تلومون وجواب لولا محذوف تقديره لصدقتموني او لقلت
انه قريب **قالوا** اي الحاضرون **تالله انك لفي ضلالك القديم**
اي لفي ذهابك عن الصواب قدما بالافراط في محبة يوسف والاكثار
ذكره والتوقع للقايه ابن جبير لفي جنونك القديم قتادة وسفيان
لفي محبتك القديمة **فلما ان** زايدة **جاء البشير** يهوذا **القاه
على وجهه** اي طرح البشير القميص على وجه يعقوب او يعقوب
نفسه **فارتد بصيرا** اي عاد بصيرا وعن سفيان لما جاء البشير
قال له يعقوب على اي دين تركت يوسف قال على الاسلام

قال الان تمت النعمة وقال الحسن لما ورد البشير لم يجد يعقوب
شيا يثيبه فقال والله ما اصبت عندنا شيا ولكن هون الله عليك
سكرات الموت قال الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون من حياة
يوسف وانزال الفرج او ذكرهم قوله انما اشكو بثي وحزني الى الله الاية
وقيل اني اعلم كلام مبتدا والمقول لا تياسوا من روح الله او اني
لاجد ريح يوسف قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطين
ومن حق المعترف بذنبه ان يصفح عنه ويسال له المغفرة وانما
سالوه المغفرة لانهم ادخلوا عليه من الم الحزن ما لا يسقط عنهم
الماثم الا باحلاله قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور
الرحيم اخره الى السحر او الى صلاة الليل او الى ليلة الجمعة تحريا
لوقت الاجابة وعن ابن جبير الى الليالي البيض فان الدعا فيها مستجاب
او الى ان يستحل لهم من يوسف او يعلم انه عفى عنهم فان عفو
المظلوم شرط في المغفرة ويؤيده ما روي انه استقبل القبلة قايما
يدعو وقام يوسف خلفه يومن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين
حتى نزل جبريل وقال ان الله قد اجاب دعوتك في ولدك وعقد
مواثيقهم بعدك على النبوة فلما دخلوا على يوسف روي انه
وجه اليه رواحل واموالا ليتجهز اليه بمن معه واستقبله يوسف
والملك باهل مصر وروي ان يعقوب لما شارف اهل مصر تلقاه
يوسف والملك الريان معه في اربعة الاف من الامرا مع كل امير خلق
الله اعلم بهم وكان يعقوب يمشي متوكا على يد يهوذا فنظر الى الخيل
والناس والعساكر فقال يا يهوذا هذا ملك مصر قال هذا ابنك يوسف

وكان

وكان اولاده الذين دخلوا معه مصر اثنين وسبعين رجلا وامراة
وكانوا حين خرجوا مع موسى ستماية الف وخمسماية وبضعة وسبعين
رجلا سوى الذرية والهرمى اوى اليه ابويه اي ضم اليه اباه وخالته
واعتنقهما نزلها منزلة الام تنزيل العم منزلة الاب في قوله واله
ابابك ابرهيم واسمعيل واسحق او لان يعقوب تزوجها بعد امه
والرابة تدعى اما وكانت امه قد ماتت في ولادة اخيه بنيامين
وقيل احيا الله له امه تحقيقا للرويا حتى سجدت له قال الحسن
وقد احيا الله لنبينا صلى الله عليه وسلم اباه وامه فامنا به
وقال ادخلوا مصر ان شا الله امنين من القحط واصناف المكاره
وقيل امنين من فرعون وكانوا لا يدخلونها الا بجوازه والمشية متعلقة
بالدخول المكتنف بالامن او الدخول الاول كان في موضع خارج البلد
حين استقبلهم ورفع ابويه على العرش قال قتادة يريد السرير
وخروا له سجدا سجودا اغنا لا وضع جبهة تحية وتكرمة له او ان
السجود عندهم كان يجري مجراها وقيل المعنى خروا لاجله سجدا لله
شكرا وقيل الضمير لله والواو لابويه واخوته والرفع موخر عن
الخرور وان قدم لفظا للاهتمام بتعظيمه لهما وقال يا ابت هذا
تاويل روياي من قبل رايتها ايام الصبا وكان بين رويا يوسف
وتاويلها اثنان وعشرون سنة وقال سلمان الفارسي وغيره
اربعون سنة قال عبد الله بن سداد وذلك اخر ما تبطي الرويا قد
جعلها ربي حقا صدقا وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن لم يذكر
الجب ليلا يكون تثريبا على اخوته استعمالا للكرم لئلا يذكر

اخوته صنيعهم بعد عفوه عنهم وقيل لان دخوله السجن كان باختياره
لقوله رب السجن احب الي وكان في الجب بارادة الله تعالى وقيل لانه
كان في السجن مع اللصوص والعصاة وفي الجب مع الله تعالى وقيل غير
ذلك والبا بمعنى الي وبعضهم ضمن احسن معنى لطف وجاء بكم
من البدو اي من البادية لانهم كانوا اصحاب مواشي ويروى ان مسكن
يعقوب كان بارض كنعان وتحول الى بادية وسكنها ولم يبعث الله
نبيا من البادية من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي
اي افسد بيننا وحرش من نزغ الرايض الدابة اي نخسها وحملها على الجري
احال ذنبهم على الشيطان تكرما منه ان ربي لطيف لما يشا اي لطيف
التدبير لما اذ ما من صعب الا وتنفذ فيه مشيئته ويتسهل دونها
وقيل المعنى رفيق بعباده وقال الخطابي اللطيف هو البر بعباده
الذي يلطف بهم من حيث لا يعلمون ويسبب لهم مصالحهم
من حيث لا يحتسبون وقيل هو العالم بدقايق الامور والمراد
هنا الاكرام والرفق انه هو العليم بوجوه المصالح والتدابير الحكيم
الذي يفعل كل شي في وقته على وجه الحكمة وروي ان يوسف طاف
بابيه في خزاينه فلما دخل خزانة القرطاس قال يا بني ما عندك
هذه القراطيس وما كتبت الي على ثمان مراحل قال امرني جبريل
قال او ما تساله قال انت ابسط مني اليه فساله قال جبريل الله
امرني بذلك لقولك واخاف ان ياكله الذيب قال فهلا خفتني رب
قد اتيتني من الملك اي بعض الملك وهو ملك مصر وعلمتني من
تاويل الاحاديث اي الكتب والرويا ومن ايضا للتبعيض لانه لم

يوت

يوت كل التاويل فاطر السموات والارض اي مبدعهما وانتصابه على
انه صفة المنادي او منادي براسه انت وليي في الدنيا والاخرة
اي الذي يتولاني بالنعمة فيهما توفني مسلما اي اقبضني والحقني
بالصالحين من اباي او بعامة الصالحين في الرتبة والكرامة فعاش
بعد ذلك اسبوعا او اكثر قال قتادة لم يتمن الموت احد نبي ولا غيره
الا يوسف حين تكاملت عليه النعم وجمع له الشمل اشتاق الى لقا
ربه وقيل انما تمنى الموافاة على الاسلام والمعنى اذا جا اجلي توفني
مسلما وقال سهل بن عبد الله لا يتمنى الموت الا ثلاثة رجل جاهل
بما بعد الموت او رجل يفر من اقدار الله او مشتاق يحب لقا الله وفي
الصحيح لا يتمنين احدكم الموت لضر نزل به فان كان لا بد متمنيا فليقل
اللهم احيني ما كانت الحياة خيرا لي وتوفني اذا كانت الوفاة خيرا لي وتوفى
الله يوسف طيبا طاهرا بمصر ودفن بالنيل في صندوق من رخام
وذلك انه لما مات تشاح الناس فيه وطلب كل احد ان يدفن في محلته
لما يرجون من بركته فاجمع رايهم ان يدفنوه في النيل من حيث
يفترق الما فيمر عليه ثم يفترق في جميع نواحي مصر فلما خرج موسى
من مصر ببني اسرايل اخرجه من النيل ونقل تابوته بعد اربعماية
سنة الى بيت المقدس فدفنه مع ابايه لدعوته قال الزهري
وولد له افرايم ولافرايم نون وولد لنون يوشع وهو فتى
موسى وكان عمر يوسف مائة وعشرين سنة وقد ولد من راحيل
افرايم ومنشا وقيل غير ذلك قال اهل التاريخ واقام يعقوب
بمصر اربعا وعشرين سنة ومات بها واوصى الى ابنه يوسف

ان يحمل جسده حتى يدفنه عند ابيه اسحق بالشام ففعل وكان عمر يعقوب
مائة وتسعًا واربعين سنة ذلك من انبا الغيب ذلك اشارة الى
ما ذكر من نبا يوسف والخطاب فيه للرسول نوحيه اليك اي نعلمك
بوحي هذا اليك وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم اي وما كنت مع اخوة
يوسف اذ اجمعوا امرهم اي عزموا عليه على القا يوسف في الجب وهم
يمكرون بيوسف وقيل بيعقوب حين جاوا بالقميص ملطخا بالدم
اي ما شاهدت تلك الاحوال ولكن الله اطلعك عليها ومن المعلوم
الذي لا يخفى على مكذبيك انك ما لقيت احدا سمع ذلك فتعلمته
منه وانما حذف هذا الشق استغنا بذكره في غير هذه القصة كقوله
ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا وما اكثر الناس اهل مكة
ولو حرصت على ايمانهم وبالغت في اظهار الايات عليهم بمومنين
لعنادهم وتصميمهم على الكفر ظن صلى الله عليه وسلم ان العرب
لما سالته عن هذه القصة واخبرهم يومنون فلم يومنوا فنزلت
الاية تسلية له صلى الله عليه وسلم والحرص طلب الشي باحتيال
وما تسالهم عليه من اجر اي ما تسالهم عن الانبا او القران جعلا
تاخذه كما يفعله حملة الاخبار ان هو اي ما هو القران الا ذكر
اي عظة من الله للعالمين عامة وكاين من اية اي وكم من اية
قال الخليل وسيبويه هي اي دخلت عليها كاف التشبيه فصارت بمعنى
كم والمعنى وكاين عدد كثير من الدلايل الدالة على وجود الصانع
وحكمته وكمال قدرته وتوحيده في السموت والارض يمرون
عليها اي على الايات ويشاهدونها وهم عنها معرضون لا يتفكرون

فيها

فيها ولا يعتبرون بها وقيل الايات اثار عقوبات الامم السالفة وما
يومن اكثرهم بالله في اقرارهم بوجوده وخالقيته الا وهم
مشركون بعبادة غيره او نسبة التبني اليه او القول بالنور والظلمة
او النظر الى الاسباب ونحو ذلك وقيل هي في مشركي مكة وقيل في
المنافقين فالمعنى وما يومن اكثرهم باللسان الا وهو كافر بقلبه
وقيل في اهل الكتابين امنوا بالله وكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم
وقال ابن عباس نزلت في تلبية مشركي العرب لبيك لا شريك لك
الا شريكا هو لك تملكه وما ملك وقيل غير ذلك افامنوا ان
تاتيهم غاشية من عذاب الله اي عقوبة تغشاهم وتشملهم
او تاتيهم الساعة بغتة فجاة من غير سابقة علامة وهم لا يشعرون
باتيانها غير مستعدين لها قال ابن عباس تصيح الصيحة بالناس
وهم على اسواقهم قل لهم هذه سبيلي يعني الدعوة الى التوحيد
اي هذه طريقتي وسنتي فسرها بقوله ادعوا الى الله الى الجنة على
بصيرة اي بيان وحجة واضحة غير عميا وقيل على يقين وحق انا
توكيد للمستتر في ادعوا ومبتدا خبره على بصيرة ومن اتبعني
امن بي عطف عليه وسبحان الله اي وقل سبحان الله وما انا من
المشركين الذين يتخذون من دون الله اندادا والمعنى انزهه
من الشركا وما ارسلنا من قبلك الا رجالا رد لقولهم لو شا
ربنا لانزل ملايكة يوحى وفي قراة بالنون وكسر الحا اليهم
لا ملايكة كما يوحى اليك تميزوا بذلك عن غيرهم من اهل القرى
الامصار لان اهلها اعلم واعقل وافضل واحكم بخلاف اهل البوادي

فلم يبعث الله نبيا من اهل البادية لغلبة الجفا والجهل عليهم وشدة القسوة
فيهم افلم يسيروا اي اهل مكة في الارض فينظروا كيف كان عاقبة
الذين من قبلهم اي اخرامهم من الهلاك بتكذيبهم الرسل والايات
فيحذروا تكذيبك او من المشغوفين بالدنيا المتهالكين عليها فيقلعوا
عن حبها ولدار الاخرة اي ولدار الحال الاخرة اوالساعة او الحياة الاخرة
وزعم الفرا ان الدار هي الاخرة واضاف الشي الي نفسه لاختلاف اللفظ
كيوم الخميس واحتج الكسائي بقولهم صلاة الاولى والاخفش بمسجد الجامع
قال النحاس واضافة الشي الي نفسه محال لانه انما يضاف الشي الي غيره
ليتعرف ومن قال صلاة الاولى فمعناه عند صلاة الفريضة الاولى وهو
قول البصريين والمراد بهذه الدار الجنة خير للذين اتقوا الله افلا يعقلون
فيستعملون عقولهم فيعلمون انها خير فيؤمنون وقرئ بالفوقانية
حملا على قوله قل هذه سبيلي حتى غاية لما دل عليه وما ارسلنا من قبلك
الا رجالا اي لا يتراخى نصرهم حتى اذا استياس الرسل اي يئس الرسل
وظنوا اي ايقنوا انهم قد كذبوا بالتشديد تكذيبا لا ايمان بعده
والتخفيف اي ظن الامم ان الرسل اخلفوا ما وعدوا به من النصر فالضمير
للمرسل اليهم او ظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوهم بالدعوة والوعيد
وما روي عن ابن عباس من ان الرسل قد كذبوهم بالدعوة والوعيد وما
روي عن ابن عباس من ان الرسل ظنوا انهم اخلفوا ما وعدهم الله من
النصر ان صح فقد اراد بالظن ما يخطر في القلب على طريق الوسوسة
لانهم معصومون ولا يصح ذلك هذا وان المراد به المبالغة في
التراخي والامهال على سبيل التمثيل وقيل المعنى حسبوا ان من امن

بهم

بهم من قومهم كذبوهم لا ان القوم كذبوا ولكن الانبيا ظنوا وحسبوا
اي ظنوا ان يدخل قلوب اتباعهم شك فيكونون وظنوا على بابه وقيل
غير ذلك جاءهم نصرنا قال مجاهد جا الرسل نصر الله ابن عباس جاء
قومهم عذاب الله فننجي بنونين مشددا او مخففا من نشاء الانبياء
ومن امن معهم وانما لم يعينهم للدلالة على انهم هم الذين يتاملونه
ان نشا نجاتهم لا يشاركهم فيه غيرهم وقرئ بنون واحدة على لفظ
الماضي المبني للمفعول ولا يرد باسنا عذابنا عن القوم المجرمين
اي المشركين اذا نزل بهم لقد كان في قصصهم اي قصة يوسف
واخوته او في قصص الانبيا واممهم عبرة اي تذكرة وعظة لاولي
الالباب اي العقول السليمة ما كان حديثا يفترى اي ما كان
القران حديثا يفترى يختلق او ما كانت هذه القصة حديثا يفترى
ولكن كان تصديق الذي بين يديه ما كان قبله من الكتب الالهية
وتفصيل تبيين كل شيء يحتاج اليه في الدارين اذ ما من امر ديني
الا وله مستند من القران بوسط او بغير وسط وهدى من الضلالة
ورحمة ينال بها خير الدارين لقوم يؤمنون اي يصدقونه وخصوا
بالذكر لانتفاعهم به دون غيرهم سورة الرعد مدنية وقيل
مكية الا قوله ويقول الذين كفروا الاية بسم الله الرحمن الرحيم
المر قيل معناه انا الله اعلم وارى وتقدم تلك ايات الكتاب
يعني بالكتاب السورة وتلك اشارة الى اياتها اي هذه الايات ايات
السورة الكاملة او القران والاضافة بمعنى من والذي انزل اليك
من ربك هو القران كله ومحله الجر بالعطف على الكتاب عطف العام

على الخاص واجري الصفتين على الاخرى او الرفع بالابتدا وخبره
الحق والمعنى وهذا الذي انزل اليك من ربك هو الحق لا كما يقول
المشركون انك تاتي به من تلقا نفسك فاعتصم به واعمل بما فيه
ولكن اكثر الناس اهل مكة لا يؤمنون بانه من عند الله تعالى لاخلالهم
بالنظر والتامل فيه الله الذي رفع السموت مبتدا وخبره ويجوز
ان يكون الموصول صفة والخبر يدبر الامر بغير عمد اساطين جمع
عماد كاهاب واهب او عمود كاديم وادم وقرئ عمد كرسل ترونها
صفة لعمد او استيناف للاستشهاد برؤيتهم السموت كذلك وقال
قتادة وغيره انها مرفوعة بغير عمد وقيل لها عمد ولكنا لا نراها
قال ابن عباس لها عمد على قاف ويمكن ان يقال العمد قدرته التي يمسك
بها السموت والارض وهي غير مرئية ذكره الزجاج وهو دليل على وجود
الصانع الحكيم فان ارتفاعهما على ساير الاجسام المساوية لها في الحقيقة
الجرمية واختصاصها بما يقتضي ذلك لا بد وان يكون بمخصص ليس
بجسم ولا جسماني يرجح بعض الممكنات على بعض بارادته وعلى هذا
المنهاج ساير ما ذكر من الايات ثم استوى على العرش بالحفظ والتدبير
استوا يليق به وسخر الشمس والقمر ذللهما لما اراد منهما كالحركة المستمرة
على حد من السرعة لمنافع خلقه ومصالح عباده كل منهما يجري في
الفلك لاجل مسمى لمدة معينة يتم فيها ادواره او لغاية مضروبة
ووقت معلوم وهو فنا الدنيا وقيام الساعة التي عندها تكور الشمس
ويخسف القمر وتنتثر الكواكب وقال ابن عباس اراد بالاجل المسمى
درجاتهما ومنازلهما التي ينتهيان اليها لا يجاوزانها يدبر الامر

اي

اي امر ملكوته من الايجاد والاعدام والاحيا والاماتة وغير ذلك
على ما يريد يفصل الايات ينزلها ويبينها مفصلة او يحدث الدلايل
واحدا بعد واحد لعلكم يا اهل مكة بلقا ربكم بالبعث توقنون
اي لكي تتفكروا فيها وتتحققوا كمال قدرته فتعلموا ان من قدر
على خلق هذه الاشيا وتدبيرها قدر على الاعاده والجزا وهو الذي
مد الارض اي بسطها طولا وعرضا لتثبت عليها الاقدام ويتقلب
عليها الحيوان وجعل خلق فيها رواسي جبالا ثوابت من رسى الشيء
اذا ثبت جمع راسية والتا للتانيث على انه صفة اجبل او للمبالغة
قال ابن عباس وعطا اول جبل وضع على الارض ابو قبيس وفي الاية
رد على من زعم ان الارض تهوي ابدا بما عليها وزعم ابن الراوندي
ان تحت الارض جسما صعادا كالريح الصعادة والارض منحدرة
فاعتدل الهاوي والصعادي في الجرم والقوة فتوافقا وزعم اخرون
ان الارض مركبة من جسمين احدهما منحدر والاخر صاعد فاعتدلا
فلذلك وقفت والذي عليه المسلمون واهل الكتاب القول بوقوف
الارض وسكونها ومدها وان حركتها انما تكون في العادة بزلزلة
تصيبها وانهارا اي مياها جارية ضمها الى الجبال وعلق بهما فعلا
واحدا من حيث ان الجبال اسباب لتولدها ومن كل الثمرات متعلق
بقوله جعل فيها زوجين اثنين اي وجعل فيها من جميع انواع
الثمرات صنفين اثنين كالحلو والحامض والابيض والاسود والصغير
والكبير والرطب واليابس يغشي الليل النهار اي يلبسه مكانه
فيصير الجو مظلما بعد ما كان مضيئا وقرئ يغشي بالتشديد ان

في ذلك لايات اي دلالات وعلامات **لقوم يتفكرون** فيها فان تخصيصها
بوجه دون وجه دليل على وجود صانع حكيم دبر امرها وهيا اسبابها
وفي الارض قطع بفتح **متجاورات** متلاصقات بعضها طيبة وبعضها
سبخة وبعضها رخوة وبعضها صلبة وبعضها يصلح للزرع دون الشجر
وبعضها بالعكس قيل وفي الكلام حذف والمعنى وفي الارض قطع متجاورات
وغير متجاورات وقيل المتجاورات المدن وما كان عامرا وغير المتجاورات
الصحاري وما كان غير عامر اي قرى متدانيات ترابها واحد وماؤها
واحد وفيها زرع وجنات ثم تتفاوت في الثمار فيكون البعض حلوا
والبعض حامضا والغصن الواحد من الشجر قد يختلف الثمر فيه من الصغر
والكبر واللون والطعم وان انبسط الشمس والقمر على الجميع ونبه بقوله
يسقى بماء واحد على ان ذلك كله الا بمشيئته وارادته وانه مقدور
بقدرته وهذا ادل دليل على بطلان القول بالطبع اذ لو كان ذلك
بالماء والتراب والفاعل له الطبيعة لما وقع الاختلاف وقيل وجه
الاحتجاج انه انبت التفاوت بين البقاع فمن تربة عذبة ومن
تربة سبخة مع تجاورها وهذا ايضا من دلالات كمال قدرته وذهب
الكفرة الى ان كل حادث يحدث بنفسه لا من صانع وادعوا ذلك في الثمار
الخارجة من الاشجار وقد اقروا بحدوثها وانكروا محدثها وانكروا
الاعراض وقالت فرقة بحدوث الثمار لا من صانع واثبتوا للاعراض
فاعلا والدليل على ان الحادث لا بد له من محدث انه يحدث في وقت
ويحدث ما هو من جنسه في وقت اخر فلو كان حدوثه في وقته لاختصاصه
به لوجب ان يحدث في وقته كلما هو من جنسه واذا بطل اختصاصه

بوقت صح ان اختصاصه به لاجل مخصص خصصه به لولا تخصيصه اياه
به لم يكن حدوثه في وقته اولى من حدوثه قبل ذلك او بعده واستيفاء
هذا في علم الكلام **وجنات من اعناب** بالرفع على تقدير وبينهما جنات
وزرع ونخيل اي وبساتين فيها انواع الاشجار والزروع وتوحيد
الزرع لانه مصدر **صنوان** نخلات اصلها واحد **وغير صنوان** متفرقات
مختلفة الاصول مثل قنوان واحدها قنو وعن البراء الصنوان المجتمع
وغير الصنوان المفترق والصنو المثل ومنه الحديث عم الرجل صنو ابيه
ولا فرق فيهما بين التثنية والجمع الا بالاعراب فتعرب نون الجمع وتكسر
نون التثنية قال الشاعر العلم والحلم خلتا كرم ۝ للمرء زين اذا هما اجتمعا
صنوان لا يستتم حسنهما ۝ الا بجمع لذا وذاك معا ۝ **تسقى بماء واحد ونفضل**
بعضها على بعض في الاكل بضم الكاف وسكونها اي في الثمر شكلا وقدرا
ورائحة وطعما كصالح بني ادم وخبيثهم ابوهم واحد قاله البخاري وذلك
ايضا مما يدل على الصانع الحكيم فان اختلافها مع اتحاد الاصول والاسباب
لا يكون الا بتخصيص قادر مختار وقرئ يسقى بالتذكير على تاويل ما
ذكر وبالتانيث على معنى تسقى هذه الاشيا وقرئ ويفضل بالياء ليطابق
قوله يدبر الامر **ان في ذلك** المذكور **لايات لقوم يعقلون** يستعملون
عقولهم بالتفكر **وان تعجب** يا محمد من انكارهم البعث **فعجب قولهم**
اي حقيق بان يتعجب منه فان من قدر على انشاء ما قص عليك كانت
الاعادة ايسر شي عليه والايات المعدودة كما هي دالة على وجود المبدا
فهي دالة على امكان الاعادة من حيث تدل على كمال قدرته وقبول
المواد لانواع تصرفاته وقيل المعنى وان تعجب من تكذيبهم لك بعد

ما كنت عندهم الصادق الامين فاعجب منه تكذيبهم بالبعث والله
تعالى لا يتعجب ولا يجوز عليه التعجب لانه تغيير النفس بما تخفى
اسبابه وانما ذكر ليتعجب منه نبيه والمومنون وقيل الاية في
منكري الصانع اي ان تعجب من انكارهم الصانع مع الادلة الواضحة
فهو محل التعجب ونظم الاية يدل على الاول لقوله ائذا كنا ترابا
ائنا لفي خلق جديد بدل من قولهم او مفعول له والعامل في اذا محذوف
اي انبعث اذا كنا ترابا دل عليه ائنا لفي خلق جديد اولئك الذين
كفروا بربهم لانهم كفروا بقدرته على البعث واولئك الاغلال
في اعناقهم اي مقيدون بالضلال لا يرجى خلاصهم او يغلون يوم
القيمة والاغلال جمع غل وهو طوق تشد به اليد الى العنق وقيل
الاغلال اعمالهم السيئة التي هي لازمة لهم واولئك اصحاب النار
هم فيها خالدون لا ينفكون عنها ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة
اي بالعقوبة قبل العافية وذلك انهم استعجلوا بما هددوا به
من عذاب الدنيا استهزاء لفرط انكارهم وقيل هو قولهم اللهم ان
كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السما وقد خلت
من قبلهم المثلات اي عقوبات امثالهم من المكذبين فما لهم
لم يعتبروا بها ولم يجوزوا حلول مثلها عليهم واحدها مثلة بفتح الثا
وضمها كالصدقة والصدقة وهي العقوبة لانها مثل المعاقب عليه
وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم اي مع ظلمهم انفسهم
والا لم يترك على ظهرها دابة ومحله النصب على الحال والعامل
فيه المغفرة والتقييد به دليل على جواز العفو قبل التوبة وان

التايب

التايب ليس على ظلمه ومن منع ذلك خص الظلم بالصغاير المكفرة لمجتنب
الكباير او اول المغفرة بالستر والامهال وقيل المعنى لذو تجاوز عن
المشركين اذا امنوا وعن المذنبين اذا تابوا وان ربك لشديد العقاب
للكفار او لمن شا وفي الحديث لولا عفو الله وتجاوزه ما هنا احدا العيش
ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد ويقول الذين كفروا لولا اي
هلا انزل عليه على محمد اية من ربه كالعصا واليد والناقة وذلك
لعدم اعتنايهم بالايات المنزلة عليه واقتراحا لنحو ما اوتي موسى وعيسى
عليهما السلام فلما اقترحوا الايات وطلبوها قال الله تعالى لنبيه انما
انت منذر اي مخوف مرسل للانذار كغيرك من الرسل وما عليك الا
الاتيان بما تصح به نبوتك من جنس المعجزات لا بما يقترح عليك ولكل
قوم هاد اي نبي مخصوص بمعجزات من جنس ما هو الغالب عليهم يهديهم
الى الحق ويدعوهم الى الصواب او قادر على هدايتهم وهو الله تعالى
لكن لا يهدي الا من يشا هدايته بما ينزل من الايات ثم اردف ذلك
بما يدل على كمال علمه وقدرته وشمول قضايه وقدره تنبيها على انه
تعالى قادر على انزال ما اقترحوه وانما لم ينزل لعلمه بان اقتراحهم
للعناد دون الاسترشاد وانه قادر على هدايتهم وانما لم يهدهم
لسبق قضايه عليهم بالكفر فقال الله يعلم ما تحمل كل انثى اي حملها
من ذكر وانثى صبيح وقبيح صالح وطالح وما تغيض الارحام وما
تزداد اي وما تنقصه وما تزداده في الجثة والمدة والعدد قتادة
المعنى وما تسقط قبل التسعة اشهر وما تزاد فوقها وكذا قال
ابن عباس ومجاهد اذا حاضت المراة في حملها كان ذلك نقصانا في

ولدها فان زادت على العشرة كان تماما لما نقص وقيل الغيض والزيادة
يرجعان الى الولد كنقصان اصبع او غيرها او زيادة اصبع او
غيرها وقيل الغيض انقطاع دم الحيض وما تزداد بدم النفاس
بعد الوضع واقصى مدة الحمل اربع سنين عند الشافعي وخمس عند
مالك وسنتان عند ابي حنيفة وست سنين او سبع عند الزهري
وسنة عند ابن عبد الحكم وثلاث عند الليث وعند داود تسعة
اشهر واقل الحمل ستة اشهر وروي ان الضحاك ولد لسنتين
وهرم ابن حيان لاربع سنين واعلا عدده لاحد له وقيل اربعة
واليه ذهب ابو حنيفة وقال الشافعي اخبرنا شيخ باليمن ان امراته
ولدت بطونا في كل بطن خمسة وغاض جا متعديا ولازما وكذا ازداد
قال تعالى وازدادوا تسعا فان جعلتهما لازمين تعين ما ان يكون
مصدرية واسنادهما الى الارحام على المجاز وكل شي عنده بمقدار
اي بقدر وحد لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله انا كل شي خلقناه
بقدر فانه تعالى خص كل حادث بوقت وحال معينين وهيأ له
اسبابا مسوقة اليه تقتضي ذلك وقال قتادة في الرزق والاجل والاية
عامة في كل حادث عالم الغيب اي الغايب عن الحس والشهادة
الحاضر له وهما مصدران بمعنى الغايب والشاهد الكبير اي العظيم
الشان الذي كل شي دونه المتعال بالياء ودونها اي المستعلي على كل شي
بقدرته او الذي كبر عن نعت المخلوقين وتعالى عنه سوا منكم من
اسر القول في نفسه ومن جهر به لغيره والمراد بذلك ان الله تعالى
يعلم ما يسره الانسان من الخير والشر كما يعلم ما يجهر به من ذلك ومن

هو

هو مستخف مستتر بالليل بظلامه او طالب للخفا بالليل وسارب
اي بارز بالنهار يراه كل احد من سرب سروبا اذا برز وهو عطف
على من او مستخف على ان من في معنى الاثنين كقوله • نكن مثل من
يا ذيب يصطحبان • كانه قال سوا منكم اثنان مستخف بالليل وسارب
بالنهار والاية متصلة بما قبلها مقررة لكمال علمه وشموله اي
يستوي في علمه الستر والجهر والظاهر في الطرقات والمستخفي في
الظلمات وقال الاخفش وقطرب المستخفي بالليل الظاهر ومنه
خفيت الشي واخفيته اظهرته والسارب المتواري اي الداخل
سربا وقال القتيبي سارب بالنهار متصرف في حوائجه وقيل
غير ذلك له اي للانسان او لمن اسر او جهر واستخفى او سرب
معقبات ملايكة تتعقب في حفظه جمع معقبة من عقب
مبالغة من عقبه اذا جا على عقبه لان بعضهم يعقب بعضا
او لانهم يعقبون اقواله وافعاله فيكتبونه وقيل الضمير لله
اي لله ملايكة يتعاقبون بالليل والنهار فاذا صعدت ملايكة
الليل اعقبتها ملايكة النهار من بين يديه ومن خلفه اي من
جوانبه او من الاعمال ما قدم واخر يحفظونه من امر الله من باسه
متى اذنب بالاستمهال او الاستغفار او يحفظونه من المضار كالهوام
والوحوش لطفا من الله تعالى به فاذا جا القدر خلوا بينه وبينه
قاله ابن عباس او يراقبون احواله من اجل امر الله وقيل من بمعنى
البا وقيل من امر الله صفة ثانية لمعقبات وقيل يحفظونه من
الجن قال كعب لولا ان الله وكل بكم ملايكة يذبون عنكم في

مطعمكم ومشربكم وعوراتكم لتخطفكم الجن وقيل الضمير للنبي صلى
الله عليه وسلم اي ان الملائكة تحفظه من اعدائه وقد جرى ذكره
في قوله لولا انزل عليه اية من ربه اي سوا منكم من اسر القول ومن
جهر به في انه يضر النبي صلى الله عليه وسلم بل لله معقبات من بين
يديه ومن خلفه يحفظونه صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يرجع
الى جميع الرسل لانه قال ولكل قوم هاد اي يحفظون الهادي وقال
ابن زيد المعقبات ما يتعاقب من امر الله تعالى وقضايه في عباده
قال الماوردي ومن قال بهذا القول ففي تاويل قوله يحفظونه وجهان
احدهما يحفظونه من الموت ما لم يات اجل قاله الضحاك الثاني يحفظونه
من الجن والهوام الموذي ما لم يات قدر والصحيح ان المعقبات
الملائكة وروي عن عثمان رضي الله عنه انه دخل على النبي صلى الله عليه
وسلم فقال يا رسول الله اخبرني عن العبد كم معه من ملك قال
ملك عن يمينك يكتب الحسنات واخر عن الشمال يكتب السيات وملكان
من بين يديك ومن خلفك وملكان على شفتيك وليس يحفظان
عليك الا الصلاة على محمد واله وملك قايم على فيك لا يدع ان تدخل
الحية في فيك وملكان على عينيك فهولا عشرة املاك على كل ادمي
يتداولون ملايكة الليل على ملايكة النهار فهولا عشرون ملكا
وقيل غير ذلك ان الله لا يغير ما بقوم من العافية والنعمة حتى
يغيروا ما بانفسهم من الاحوال الجميلة بالاحوال القبيحة او من
مو عنهم بسبب كما غير الله بالمنهزمين يوم احد بسبب تغيير الرماة
بانفسهم الى غير هذا من امثلة الشريعة فليس معنى الاية

وملك قابض على ناصيتك فاذا تواضعت لله رفعك واذا تجبرت على الله قصمك صح
در منثور

انه ليس تنزل باحد عقوبة الا بان يتقدم منه ذنب بل قد ينزل
المصاب بذنوب الغير كما جا انهلك يا رسول الله وفينا الصالحون
قال نعم اذا كثر الخبث واذا اراد الله بقوم سوا اي بلا او عذابا
وقيل بلا من امراض واسقام فلا مرد له اي فلا رد له قال العلما
ان الله سبحانه جعل اوامره على وجهين احدهما قضا بحلوله ووقوعه
بصاحبه فذلك لا يدفعه احد ولا يغيره والاخر قضى بمجيه ولم
يقض بحلوله ووقوعه بل قضى صرفه بالتوبة او الدعا او الصدقة
او بالحفظ وقيل المعنى اذا اراد الله بقوم سوا اعمى ابصارهم حتى يختاروا
ما فيه البلا فيمشون الى هلاكهم باقدامهم ويبحث احدهم عن حتفه
بكفه والعامل في اذا ما دل عليه الجواب وما لهم من دونه اي
غيره من وال اي ممن يلي امرهم فيدفع عنهم السو السدي من وال من
ملجا وقيل من ناصر وفيه دليل على ان خلاف مراد الله محال هو الذي
يريكم البرق خوفا من اذاه وطمعا في الغيث اي يريكم البرق في
السما خوفا للمسافر فانه يخاف اذاه لما يناله من المطر والهول وطمعا
للحاضر ان يكون عقبه مطر وخصب قال معناه قتادة ومجاهد وغيرهما
الحسن خوفا من صواعق البرق وطمعا في غيثه المزيل للقحط وانتصابهما
على العلة بتقدير المضاف اي اراده خوف وطمع او التاويل بالاخافة
والاطماع او الحال من البرق او المخاطبين على اضمار ذوي او اطلاق
المصدر بمعنى المفعول او الفاعل للمبالغة وينشي يخلق السحاب
اي الغيم المنسحب في الهوا الثقال بالما جمع ثقيلة وانما وصف به
السحاب لانه اسم الجنس في معنى الجمع ويسبح الرعد قيل المراد

سامعوه متلبسين **بحمده** فيقولون سبحان الله والحمد لله او يدل الرعد
نفسه على وحدانية الله وكمال قدرته متلبسا بالدلالة على فضله
ونزول رحمته ومن قال ان الرعد صوت السحاب فيجوز ان يسبح الرعد
بتقدير خلق الحياة فيه ودليل صحة هذا القول قوله **والملائكة من
خيفته** فلو كان الرعد ملكا لدخل في جملة الملائكة ومن قال انه ملك
قال معنى من خيفته اي من خيفة الله وجلاله قاله الطبري وغيره
قال ابن عباس ان الملائكة خايفون من الله ليس كخوف ابن ادم لا يعرف
احدهم من على يمينه ومن على يساره لا يشغلهم عن عبادة الله
طعام ولا شراب وعنه قال الرعد ملك يسوق السحاب وان بخار الماء
لفي نقرة ابهامه وانه موكل بالسحاب يصرفه حيث يومر وانه يسبح
الله فاذا سبح الرعد لم يبق ملك في السما الا رفع صوته بالتسبيح
فعندها ينزل المطر وعنه ايضا كان اذا سمع صوت الرعد قال سبحان
الذي سبحت له وعن عامر بن عبد الله عن ابيه كان اذا سمع صوت
الرعد قال سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ثم
يقول ان هذا وعيد لاهل الارض شديد وقيل الضمير للرعد **ويرسل
الصواعق** نار تخرج من السحاب **فيصيب بها من يشا** فيهلكه روي
انها نزلت في يهودي قال للنبي صلى الله عليه وسلم اخبرني من اي
شي ربك امن لولو ام من ياقوت فجاته صاعقة فاحرقته ذكره الماوردي
وقيل نزلت في اربد بن ربيعة وعامر بن الطفيل قال ابن عباس
اقبل عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة يريدان النبي صلى الله عليه
وسلم وهو في المسجد جالس في نفر من اصحابه فدخل عليه فاستشرف

الناس

الناس لجمال عامر وكان اعور فقال رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
هذا يا رسول الله عامر بن الطفيل قد اقبل نحوك فقال دعه فان يرد
الله به خيرا يهده فاقبل حتى قام عليه فقال يا محمد ما لي ان اسلمت
فقال لك ما للمسلمين وعليك ما على المسلمين فقال اتجعل لي الامر
من بعدك قال ليس ذلك الي انما ذلك الى الله قال افتجعلني على
الوبر وانت على المدر قال لا قال فما تجعل لي قال اجعل لك اعنة الخيل
تغزو عليها في سبيل الله قال اوليس لي اعنة الخيل اليوم قم معي اكلمك
فقام معه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عامر اومى الى اربد
اذا رايتني اكلمه فدر من خلفه واضربه بالسيف فجعل يخاصم النبي
صلى الله عليه وسلم ويراجعه فاخترط اربد من سيفه شبرا ثم
حبسه الله فلم يقدر على سله ويبست يده عليه وارسل الله صاعقة
في يوم صايف صاح فاحرقته وولى عامر هاربا وقال يا محمد دعوت
ربك على اربد حتى قتله والله لاملأنها عليك خيلا جردا وفتيانا
مردا فقال عليه الصلاة والسلام يمنعك الله من ذلك وابنا قيلة
يعني الاوس والخزرج فنزل عامر ببيت امراة سلولية واصبح وهو
يقول والله لين اصحر محمد وصاحبه يريد ملك الموت لانفذنهما
برمحي فارسل الله ملكا فلطمه بجناحه فادراه في التراب وخرجت
على ركبته غدة عظيمة فعاد الى بيت السلولية وهو يقول غدة كغدة
البعير وموت في بيت سلولية ثم ركب فرسه حتى مات على ظهره
وهم يجادلون في الله حيث يكذبون رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيما يصفه به من كمال العلم والقدرة والتفرد بالالوهية واعادة

الخلق ومجازاتهم والجدال التجرد التشدد في الخصومة من الجدل وهو
الفتل والواو اما لعطف الجملة على الجملة اي الكفار يجادلون النبي او
للحال لما روي في القصة من ارسال الصاعقة على اربد ومجادلة عامر
وهو شديد المحال اي المماحلة والمكايدة لاعدايه من محل بفلان
اذا كاده وعرضه للهلاك تمحل اذا تكلف الحيلة ولعل اصله المحل
بمعنى القحط ابن الاعرابي المحال المكر والمكر من الله تعالى التدبير
بالحق النحاس المكر من الله ايصال المكروه الى من يستحقه من حيث لا
يشعر وقيل شديد المحال شديد النقمة او القوة والشدة قاله الازهري
ابن عرفة المحال الجدال او شديد العداوة قاله ابن عباس وقيل
شديد الاخذ قاله علي بن ابي طالب وقيل شديد الغضب قاله وهب
ابن منبه وقيل غير ذلك له دعوة الحق اي لله الدعا الحق فانه الذي
يحق ان يعبد او يدعى الى عبادته دون غيره او له الدعوة المجابة
فانه من دعاه اجابه ويؤيده ما بعده والحق على الوجهين ما يناقض
الباطل واضافة الدعوة اليه لما بينهما من الملابسة او على تاويل دعوة
المدعو وقيل الحق هو الله وكل دعا اليه دعوة الحق وقال ابن عباس
دعوة الحق لا اله الا الله وقيل الاخلاص في الدعا وقيل دعاوه عند
الخوف فانه لا يدعى فيه الا اياه قال الماوردي وهو اشبه بسياق
الاية لانه قال والذين يدعون من دونه اي غيره يعني الاصنام
اي والاصنام الذين يدعوهم المشركون فحذف الراجع وجمعهم
جمع من يعقل على اعتقادهم فيها او والمشركون الذين يدعون الاصنام
فحذف المفعول لدلالة من دونه عليه لا يستجيبون لهم بشيء مما

يطلبونه او لا يجيبون لهم دعا ولا يسمعون لهم ندا الا كباسط كفيه
اي الا استجابة كاستجابة من بسط كفيه الى الما ليبلغ فاه يطلب
منه ان يبلغه وما هو ببالغه لانه جماد لا يشعر بدعايه ولا يقدر
على اجابته والاتيان بغير ما جبل عليه وكذلك الهتهم فضرب الله
الما مثلا لاياسهم من الاجابة لدعايهم لان العرب تضرب لمن سعى
فيما لا يدركه مثلا بالقابض الما باليد قيل وفي معنى هذا المثل
اوجه احدها ان الذي يدعو الها من دون الله كالظمان الذي يدعو
الما الى فيه بلسانه ويشير اليه بيده فلا ياتيه ابدا قاله مجاهد
الثاني انه كالظمان الذي يرى خياله في الما من بعيد يريد تناوله
ولا يقدر عليه وقد بسط كفيه فيه ليبلغ فاه وما هو ببالغه لكذب
ظنه وفساد توهمه قاله ابن عباس الثالث انه كباسط الى الماء
ليقبض عليه فلا يحصل في كفه شي منه وزعم الفرا ان المراد بالما
هاهنا البير لانها معدن الما وان المثل كمن مد يده الى البير
بغير رشا وقال علي رضي الله عنه هو كالعطشان على شفة البير
فلا هو يبلغ قعر البير ولا الما يرتفع اليه وما هو ببالغه كناية عن
الما اي وما الما ببالغ فاه ويجوز ان يكون كناية عن الما اي وما الما
ببالغ فاه ويجوز ان يكون كناية عن الفم اي ما الفم ببالغ الما
وما دعا الكافرين الا في ضلال اي في ضياع وباطل والمعنى ليست
عبادة الكافرين الا في باطل وقال ابن عباس اصوات الكافرين
محجوبة عن الله فلا يسمع دعاوهم ولله يسجد من في السموات
والارض طوعا وكرها يحتمل ان يكون السجود على حقيقته فان

الملايكة والمومنين من الثقلين يسجدون طوعا حالتي الشدة والرخا
والكفرة كرها حال الشدة والضرورة وقال الحسن وقتادة المومن يسجد
طوعا والكافر كرها بالسيف وقال الزجاج سجود الكافر كرها ما فيه
من الخضوع واثر الصنعة قال القشيري وفي الاية مسلكان احدهما
انها عامة والمراد بها التخصيص فالمومن يسجد طوعا وبعض الكفار يسجد
كرها خوفا كالمنافقين والمسلك الثاني وهو الصحيح اجرا الاية على
التعميم وعلي هذا طريقان احدهما ان المومن يسجد طوعا واما الكافر
فامور بالسجود مواخذ به والثاني وهو الحق ان المومن يسجد طوعا ببدنه
وكل مخلوق من المومن والكافر يسجد من حيث انه مخلوق مربوب فسجود
كل مخلوق بسجود دلالة وحاجة الي الصانع وظلالهم بالغدو والاصال
اي ظلال الخلق ساجدة لله تعالى في هذين الوقتين فهما ظرفان ليسجد
او حال والمراد بهما الدوام وتخصيص الوقتين لان الامتداد والتقلص
فيهما اظهر والغدو جمع غداة والاصال جمع اصيل وهو ما بين العصر
والمغرب وقال مجاهد ظل المومن يسجد طوعا وهو طايع وظل الكافر
يسجد طوعا وهو كاره قال ابن الانباري يجعل للظلال عقول تسجد
بها وتخشع كما جعل للجبال افهام حتى خاطبت وخوطبت قال القشيري
وفي هذا نظر لان الجبل عين فيمكن ان يكون له عقل بشرط تقدير
الحياة لها والسجود بمعنى الميل فسجود الظلال ميلها من جانب الي جانب
قل يا محمد لقومك من رب السموات والارض اي خالقهما ومتولي
امرهما قل الله اي اجب عنهم بذلك اذ لا جواب لهم سواه ولانه
البين الذي لا يمكن المراقبة او لقنهم الجواب به قل لهم افاتخذتم

من

من دونه اي غيره اوليا اصناما تعبدونها الزمهم بذلك ان اتخاذهم
منكر بعيد عن مقتضى العقل لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا
اي لا يقدرون ان يجلبوا اليها نفعا او يدفعوا عنها ضرا فكيف يستطيعون
انفاع الغير ودفع الضر عنه وهو دليل ثان علي ضلالهم وفساد رايهم
في اتخاذهم اوليا رجا ان يشفعوا لهم وفي هذا دليل على اعترافهم
بان الله هو الخالق اذ لو لم يكونوا مقرين بان الله هو الخالق لم يكن
للاحتجاج بقوله قل افاتخذتم من دونه اوليا معنى اي فاذا اعترفتم
فلم تعبدون غيره وذلك الغير لا ينفع ولا يضر وهو الزام صحيح
وهو استفهام توبيخ ثم ضرب لهم مثلا فقال قل هل يستوي الاعمى
والبصير فكذلك لا يستوي المومن الذي يبصر الحق والمشرك الذي
لا يبصر الحق وقيل الاعمى مثل لما عبدوه من دون الله والبصير مثل
لله تعالى اي المعبود الغافل عنكم والمعبود المطلع على احوالكم
ام هل تستوي الظلمات والنور اي الشرك والتوحيد لا ام جعلوا
لله شركاء اي بل اجعلوا والهمزة للانكار وقوله خلقوا كخلقه صفة
لشركاء داخلة في حكم الانكار فتشابه الخلق عليهم اي خلق الله وخلقهم
فلا يدرون خلق الله من خلقهم والمعنى انهم ما اتخذوا لله شركاء
خالقين مثله حتى تشابه عليهم الخلق فيقولوا هولاء خلقوا كما
خلق الله فاستحقوا العبادة كما استحقها ولكنهم اتخذوا شركا عاجزين
لا يقدرون علي ما يقدر عليه الخلق فضلا عما يقدر عليه الخالق
قل الله خالق كل شي لا خالق غيره فيشاركه في العبادة جعل
الخلق موجب العبادة ولازم استحقاقها ثم نفاه عمن سواه ليدل

على قوله **وهو الواحد** اي المتوحد في الوهيته **القهار** الغالب على كل شي
قال القشيري ولا يبعد ان تكون الاية واردة فيمن لا يعترف بالصانع
اي سلهم عن خلق السموات والارض فانه يسهل تقرير الحجة فيه عليهم
ويقرب الامر من الضرورة فان عجز الجماد وعجز كل مخلوق عن خلق السموات
والارض معلوم واذا تقرر هذا وبان الصانع وهو الله فكيف يجوز
اعتقاد الشريك له وبين في اثنا الكلام انه لو كان للعالم صانعان
لاشتبه الخلق ولم يتميز فعل هذا عن فعل ذلك فبم يعلم ان
الفعل من اثنين ثم ضرب مثلا للحق والباطل فقال تعالى **انزل من
السما ما** اي من السحاب او من جانب السما او من السما نفسها فان المبادي
منها **فسالت اودية** اي انهار جمع واد وهو الموضع الذي يسيل فيه
الما بكثرة فاتسع فيه واستعير للما الجاري فيه اي سال ماوها
وتنكيرها لان المطر ياتي على تناوب بين البقاع **بقدرها** اي بمقدارها
الذي علم انه نافع غير ضار او بمقدارها في الصغر والكبر **فاحتمل
السيل زبدا** اي رفعه والزبد ما ارتفع على وجه الما من غليانه
رابيا عاليا مرتفعا فوق الما وتم الكلام قاله مجاهد ثم قال **ومما
توقدون** بالياء والتا **عليه في النار** مثلثات وهو تعم الفلزيات
من الذهب والفضة والحديد والنحاس والفلز بالكسر وتشديد الزاي
ما ينفيه الكير مما يذاب من جواهر الارض **ابتغا حلية** اي طلب
زينة من الذهب والفضة **او متاع** كالاواني والات الحرب والمقصود
من ذلك بيان منافعها **زبد مثله** اي ومما توقدون عليه زبد مثل
زبد الما وهو خبثه ومن للابتدا او للتبعيض وانما احتمل السيل

الزبد

الزبد لان الما خالطه تراب الارض فصار ذلك زبدا كذلك ما
يوقد عليه في النار من الذهب والفضة انما ينبت من الارض في المعادن
فقد خالطه التراب وانما يوقد عليه ليذوب فيزايله تراب الارض
كذلك المذكور **يضرب الله الحق والباطل** اي مثل الحق والباطل
فانه مثل الحق في افادته وثباته بالما الذي ينزل من السماء
فتسيل به الاودية على قدر الحاجة والمصلحة فينتفع به انواع
المنافع ويمكث في الارض بان يثبت بعضه في منابعه ويسلك
بعضه في عروق الارض الى العيون والابار وبالفلز الذي ينتفع
به في صوغ الحلي واتخاذ الامتعة ويدوم ذلك مدة متطاولة والباطل
في قلة نفعه وسرعة زواله وبين ذلك بقوله **فاما الزبد** من
السيل وما اوقد عليه **فيذهب جفا** يجفى به اي يرمي به السيل
والفلز المذاب قال ابو عمرو اجفات القدر اذا غلت حتى ينصب
زبدها واذا جمد في اسفلها والجفا ما اجفاه الوادي اي رمى به
وانتصابه على الحال **واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض** قال
مجاهد هو الما الخالص الصافي وما خلص من الذهب والفضة والحديد
والنحاس ونحوها وهذان مثلان ضربهما الله للحق في ثباته والباطل
في اضمحلاله فالباطل وان علا في بعض الاحوال فانه يضمحل كاضمحلال
الزبد والخبث وقيل هو مثل للقران وما يدخل منه القلوب فشبه
القران بالمطر لعموم خيره وبقا نفعه وشبه القلوب بالاودية
يدخل فيها من القران مثل ما يدخل في الاودية بحسب سعتها وضيقها
قال ابن عباس انزل من السما ما قرانا فسالت اودية بقدرها الاودية

قلوب العباد وقيل الزبد مخايل النفس وغوايل الشك ترتفع من حيث
ما فيها فتضطرب من سلطان نافيها كما ان ما السيل يجري صافيا فيرفع
ما يجد في الوادي نافيا واما حلية الذهب والفضة فمثل الاحوال
السنية والاخلاق الزكية التي بها جمال الرجال وقوام صالح الاعمال
كما ان من الذهب والفضة زينة النسا وبها قيمة الاشيا وقوله
في النار متعلق بمحذوف وهو في موضع الحال وذو الحال الها التي
في عليه التقدير ومما توقدون عليه ثابتا في النار او كاينا وقوله
ابتغا حلية مفعول له كذلك المذكور يضرب الله الامثال لايضاح
المشتبهات اي كما بين لكم هذه الامثال فلذلك يضرب بها بينات قيل
وتم الكلام للذين استجابوا اي للمومنين الذين اجابوا لربهم
اي الى ما دعاهم اليه من التوحيد الحسنى اي الاستجابة الحسنى
او الجنة لانها في نهاية الحسن وقيل من الحسنى النصر في الدنيا والنعيم
المقيم غدا والذين لم يستجيبوا له اي لم يجيبوا الى الايمان به
وهم الكفرة والذين لم يستجيبوا مبتدا اخبره لو ان لهم ما في الارض
من الاموال جميعا ومثله معه ملكا لهم لافتدوا به من عذاب يوم
القيمة اولئك لهم سوء الحساب وهو المناقشة فيه بان يحاسب الرجل
بذنبه كله لا يغفر منه شي وقيل لا يقبل لهم حسنة ومأواهم
اي مسكنهم ومرجعهم جهنم وبئس المهاد اي المستقر والفراش الذي
مهدوا لانفسهم والمخصوص بالذم محذوف اي هي افمن يعلم انما
انزل اليك من ربك الحق فيستجيب كمن هو اعمى عمي القلب لا يستبصر
فيستجيب والهمزة للانكار ان تقع شبهة في تشابههما بعد ما ضرب

من

من المثل وروي انها نزلت في حمزة وابي جهل والجاهل بالدين اعمى
القلب انما يتذكر يتعظ اولوا الالباب ذووا العقول المبراة عن
شايبة الالف ومعارضة الوهم الذين يوفون بعهد الله ما عقدوه
على انفسهم من الاعتراف بربوبيته حين قالوا بلى او ما عهد الله
عليهم في كتبه من اوامره ونواهيه التي وصى بها عبيده ويدخل
في هذه التزام جميع الفروض وتجنب جميع المعاصي ولا ينقضون
الميثاق اي ما وثقوه من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد
وهو تعميم بعد تخصيص والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل
من الرحم وموالاة المومنين والايمان بجميع الانبيا ويندرج
في ذلك مراعاة حقوق جميع الناس ويخشون ربهم في جميع
المعاصي وقيل في قطع ويخافون سوء الحساب اي الاستقصا فيه
والمناقشة ومن نوقش الحساب عذب وقيل يخشون وعيده عموما
ويخافون سوء الحساب خصوصا فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا
والذين صبروا على ما تكرهه النفس ومخالفة الهوى ابتغاء وجه
ربهم اي طلبا لرضاه لا لتجود او سمعة ونحوهما قيل وهو مستانف
لان صبروا ماض فلا يعطف على يوفون وقيل هو من وصف من تقدم
ويجوز الوصف تارة بلفظ الماضي وتارة بلفظ المستقبل لان
المعنى من يفعل كذا فله كذا ولما كان الذي يتضمن معنى الشرط
والماضي في الشرط كالمستقبل جاز ذلك واقاموا الصلاة ادوها
بفرضها وخشوع عمل في مواقيتها وانفقوا مما رزقناهم اي بعضه

الذي وجب عليهما انفاقه وعن ابن عباس الزكاة المفروضة سرا
لمن لم يعرف بالمال وعلانية لمن عرف به ويدرؤن بالحسنة السيئة
اي ويدفعونها بها فيجازون الاساءة بالاحسان او يتبعون الحسنة
السيئة فتمحوها ابن عباس يدفعون بالعمل الصالح السيء من الاعمال
وقيل يدفعون الظلم بالعفو والذنب بالتوبة وسفه الجاهل
بالحلم اولئك لهم عقبى الدار اي عاقبة الدنيا وما ينبغي ان
يكون مال اهلها او عقبى الاخرة وهي الجنة بدل النار والدار غدا
داران الجنة للمطيع والنار للعاصي فلما ذكر المطيعين فدارهم
الجنة لا محالة والجملة خبر الموصولات ان رفعت بالابتدا وان
جعلت صفات لاولي الالباب فاستيناف بذكر ماله بتلك الصفات
جنات عدن بدل من عقبى الدار او مبتدا خبره يدخلونها والعدن
الاقامة اي جنات يقيمون فيها وقيل هي بطنان الجنة اي وسطها
وقصبتها وسقفها عرش الرحمن قاله القشيري وفي صحيح البخاري
ان سالتم الله فاسئلوه الفردوس فانه اوسط الجنة واعلا الجنة
وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر انهار الجنة فيحتمل ان تكون جنات
عدن كذلك ومن صلح امن من ابائهم وازواجهم وذرياتهم عطف
على المرفوع في يدخلون وانما ساغ للفصل بالضمير او مفعول معه
والمعنى انه يلحق بهم من صلح من اهلهم وان لم يبلغ مبلغ فضلهم
تبعا لهم وتعظيما لشانهم وهو دليل على ان الدرجة تعلو بالشفاعة
والتقييد بالصلاح دلالة على ان مجرد الانساب لا ينفع والمعنى
ان النعمة غدا تتم عليهم بان يجعلهم مجتمعين مع قراباتهم في

الجنة

الجنة والملائكة يدخلون عليهم من كل باب من ابواب المنازل او من
ابواب الفتوح بالتحف والهدايا من الله تكرمة لهم قائلين سلام
عليكم بشارة بدوام السلامة بما صبرتم اي بصبركم والبا متعلقة
بمحذوف اي هذه الكرامة بصبركم على امر الله ونهيه وقيل على الفقر
في الدنيا الحسن بما صبرتم عن فضول الدنيا والبا للسببية او البدلية
فنعم عقبى الدار التي كنتم فيها وقيل الجنة عن النار او عن الدنيا
والذين ينقضون عهد الله يعني مقابلي الاولين من بعد ميثاقه
من بعد ما اوثقوه من الاقرار والقبول ونقض الميثاق ترك امره وقيل
اهمال عقولهم فلا يتدبرون بها ويقطعون ما امر الله به ان
يوصل من الارحام والايمان بجميع الانبيا ويفسدون في الارض
بالظلم وتهييج الفتن وقيل بالكفر وارتكاب المعاصي اولئك لهم
اللعنة اي الطرد والابعاد من الرحمة ولهم سوء الدار عذاب جهنم
او سوء عاقبة الدنيا لانه في مقابلة عقبى الدار الله يبسط الرزق
لمن يشا ويقدر اي يوسعه ويضيقه ولما ذكر عاقبة المومن وعاقبة
المشرك بين انه الذي يبسط الرزق ويقدره في الدنيا فبسط
الرزق فيها على الكافر لا يدل على كرامته والتقدير على بعض المومنين
لا يدل على اهانتهم وقيل يقدر يعطي بقدر الكفاية وفرحوا
اي اهل مكة فرح بطر بالحياة الدنيا اي بما يبسط فيها ولم يعرفوا
غيرها وجهلوا ما عند الله وهو معطوف على ويفسدون في الارض
ففي الاية تقديم وتاخير والتقدير والذين ينقضون
ويفسدون وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا في الاخرة

أي في جنب حياة الاخرة الا متاع الامتعة لا تدوم كعجالة الراكب
وزاد الراعي وقال مجاهد شيء قليل من متع النهار اذا ارتفع فلا بد
له من زوال وقيل ما يتزود منها الى الاخرة ويقول الذين كفروا لولا
هلا انزل عليه على محمد اية من ربه كالعصا واليد والناقة والقايل
عبد الله بن امية واصحابه حين طالبوا النبي صلى الله عليه وسلم
بالايات قل ان الله يضل من يشاء باقتراح الايات بعد ظهور المعجزات
ويهدي اليه من اناب اي اقبل على الحق ورجع عن العناد والهاء في
اليه للحق او للاسلام او لله عز وجل على تقدير ويهدي الى جنبه وطاعته
وقيل هي للنبي صلى الله عليه وسلم وهذا الجواب يجري مجرى التعجب
من قولهم كانه قال قل لهم ما اعظم عنادكم ان الله يضل من يشا ممن
كان على صفتكم فلا سبيل الى اهتدائهم وان انزلت كل اية ويهدي
اليه من اناب بما جئت به بل بادني منه من الايات الذين امنوا
بدل من من او خبر مبتدا محذوف وتطمئن تسكن قلوبهم بذكر الله
انسا به واعتمادا عليه ورجاء منه او بذكر رحمته بعد القلق من خشيته
او بذكر دلايله الدالة على وجوده ووحدانيته او بكلامه يعني
القران الذي هو اقوى المعجزات الا بذكر الله تطمئن القلوب اي
تسكن قلوب المومنين قال ابن عباس هذا في الحلف فاذا حلف خصمه
بالله سكن قلبه وقيل بذكر الله بطاعة الله وقيل بوعد الله الذين
امنوا وعملوا الصالحات مبتدا خبره طوبى لهم وهو فعلى من
الطيب قلبت ياؤه واوا للضمة ما قبلها مصدر لطاب كبشرى وزلفى
عن ابي امامة الباهلي قال طوبى شجرة في الجنة ليس منها دار الا وفيها

غصن

غصن منها ولا طير حسن الا هو فيها ولا ثمرة الا فيها وقد قيل ان اصلها
في قصر النبي صلى الله عليه وسلم ثم تنقسم فروعها على منازل اهل
الجنة كما انتشر منه العلم والايمان على جميع اهل الدنيا وعن ابي سعيد
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال طوبى شجرة في الجنة مسيرة مائة عام
ابن عباس طوبى لهم فرح وقرة عين وعنه ايضا طوبى اسم الجنة بالحبشية
القرطبي والصحيح انها شجرة في الجنة للحديث المرفوع وعن معاوية بن
قرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال طوبى شجرة في الجنة غرسها الله
بيده تنبت الحلي والحلل وان اغصانها لترى من وراء سور الجنة وحسن
ماب مرجع كذلك اي مثل ذلك يعني ارسال الرسل قبلك ارسلناك
في امة قد خلت من قبلها امم ارسلوا اليهم فليس ببدع ارسالك
اليها لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك اي لتقرا عليهم الكتاب الذي
اوحيناه اليك وهم يكفرون بالرحمن اي وحالهم انهم يكفرون
بالبليغ الرحمة الذي احاطت بهم نعمته ووسعت كل شيء رحمته
فلم يشكروا نعمه وخصوصا ما انعم عليهم بارسالك اليهم وانزال
القران الذي هو مناط المنافع الدينية والدنياوية عليهم وقيل
نزلت في مشركي مكة حين قيل لهم اسجدوا للرحمن فقالوا وما الرحمن
وقال مقاتل وابن جريج نزلت في صلح الحديبية حين ارادوا ان يكتبوا
كتاب الصلح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي اكتب بسم الله
الرحمن الرحيم فقال سهيل بن عمرو والمشركون ما نعرف الرحمن الا صاحب
اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب اكتب باسمك اللهم الخ فنزلت قل
هو ربي اي الرحمن خالقي ومتولي امري لا اله الا هو لا يستحق العبادة

سواه فهو واحد في ذاته وان اختلفت اسماء صفاته **عليه توكلت**
اي اعتمدت ووثقت به في نصرتي عليكم **واليه متاب** اي مرجعي
ومرجعكم **ولو ان قرانا سيرت به الجبال** شرط حذف جوابه والمراد
منه تعظيم شان القران او المبالغة في عناد الكفرة وتصميمهم
اي ولو ان كتابا زعزعت به الجبال عن مقارها **او قطعت به الارض**
تصدعت من خشية الله عند قراته او شققت فجعلت انهارا
وعيونا **او كلم به الموتى** فتقراه فتسمع وتجيب عند قراته لكان
هذا القران لانه الغاية في الاعجاز والنهاية في التذكير والانذار
او لما امنوا به لقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملايكة وكلمهم الموتى
الاية وقال قتادة لو فعل هذا قران قبل قرانكم لفعله قرانكم
وقيل الجواب مقدم وهو قوله وهم يكفرون بالرحمن وما بينهما
اعتراض وروى ان نفرا من مشركي مكة فيهم ابو جهل وعبد الله بن
امية جلسوا خلف الكعبة ثم ارسلوا الى النبي صلى الله عليه وسلم
فاتاهم فقال له عبد الله ان سرك ان نتبعك فسير لنا جبال مكة
بالقران فاذهبها عنا حتى تنفسح فانها ارض ضيقة واجعل لنا فيها
عيونا وانهارا حتى نغرس ونزرع ونتخذ فيها بساتين وقطايع فلست
كما زعمت باهون على ربك من داود حيث سخرت له الجبال تسبح معه
او سخر لنا الريح فنركبها الى الشام نقضي عليها ميرتنا وحوايجنا
ونرجع من يومنا فقد كان سليمان سخرت له الريح كما زعمت فلست
باهون على ربك من سليمان او احي لنا قصيا جدك او من شيت انت
من موتانا نساله احق ما تقوله ام باطل فان عيسى كان يحيي الموتى

ولست

ولست باهون على الله منه فنزلت وكلم خاصة لاشتمال الموتى على
المذكر الحقيقي **بل لله الامر جميعا** اي بل لله لا لغيره القدرة على كل
شيء وهو اضراب عما تضمنه من معنى النفي اي بل الله قادر على الاتيان
بما اقترحوه من الايات لكن الارادة لم تتعلق بذلك لعلمه بانه لا
تلين شكيمتهم ويويد ذلك قوله **افلم ييأس الذين امنوا** عن ايمانهم
مع ما راوا من احوالهم وقيل نزلت لما اراد الصحابة اظهار ما اقترحوا
طمعا في ايمانهم وذهب الاكثر الى ان معناه افلم يعلم لما روي
ان عليا وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين قرءوا افلم
يتبين وهو تفسيره وهو لغة النخع قال مالك بن عوف لقد ييأس
الاقوام اني انا ابنه ۞ وان كنت عن ارض العشيرة نائيا وانما استعمل
الياس بمعنى العلم لانه مسبب عن العلم فان المايوس عنه لا يكون
الا معلوما ولذلك علقه بقوله **ان** مخففة اي انه **لو يشاء الله لهدى
الناس جميعا** فان معناه نفي هدى بعض الناس لعدم تعلق المشية
باهتدايهم وهو على الاول متعلق بمحذوف وتقديره افلم ييأس
الذين امنوا من ايمانهم علما منهم ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا الى
الايمان من غير اية او بامنوا **ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما
صنعوا** من الكفر وسوء الاعمال **قارعة** اي داهية تقرعهم وتقلقهم
يقال قرعه الامر اذا اصابه والجمع قوارع والاصل في القرع الضرب
اي لا يزال الكافرون تصيبهم داهية مهلكة من صاعقة كما اصابت
اربد او من قتل او اسر او جدب او غير ذلك من العذاب والبلا كما
نزل بالمستهزيين وهم رؤسا المشركين وقيل القارعة الطلايع

والسرايا التي كان ينفذها رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم
فتغير حواليهم وتختطف مواشيهم او تحل اي القارعة قريبا
من دارهم فيفزعون منها ويتطاير اليهم شررها وقيل الخطاب في تحل
للرسول صلى الله عليه وسلم اي تحل بجيشك قريبا من دارهم مكة وقد
حل بهم قريبا عام الحديبية حتى ياتي وعد الله اي الموت او القيمة
او فتح مكة ان الله لا يخلف الميعاد لامتناع الكذب في كلامه
ولقد استهزئ برسل من قبلك كما استهزئ بك فامليت للذين
كفروا اي امهلتهم وهو تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيد
للمستهزئين به والمقترحين عليه والاملاء ان يترك ملاوة من الزمان
في دعة وامن فاخذتهم فكيف كان عقاب اي عقابي اياهم والمعنى
فكيف رايت ما صنعت بهم وكذلك اصنع بمشركي قومك افمن
هو قائم على كل نفس اي رقيب عليها بما كسبت من خير او شر لا يخفى عليه
شيء من اعمالهم وهو الله والخبر محذوف تقديره كمن ليس كذلك
وجعلوا لله شركا استيناف او عطف على كسبت ان جعلت ما مصدرية
او لم يوحدوه وجعلوا عطف عليه ويكون الظاهر فيه موضع المضمر
للتنبيه على انه المستحق للعبادة وقوله قل سموهم تنبيها على ان
هؤلاء الشركا لا يستحقونها والمعنى صفوهم فانظروا هل لهم ما
يستحقون به العبادة ويستاهلون الشركة ام تنبئونه اي بل اتنبئونه
بما لا يعلم في الارض شركا يستحقون العبادة لا يعلمهم او بصفات
لهم يستحقونها لاجلها لا يعلمها وهو العالم بكل شيء ام بظاهر من
القول اي ام تسمونها شركا بظاهر من القول من غير حقيقة واعتبار

معنى

معنى كتسمية الزنجي كافورا قتادة بظاهر بباطل ويحتمل ان يكون
الظاهر حجة يظهرونها بقولهم ويكون معنى الكلام اتخبرونه
بذلك مشاهدين ام تقولونه محتجين وهذا احتجاج بليغ على اسلوب
عجيب وقيل الواو للحال اي وقد جعلوا او معطوف على استهزئ اي
استهزؤا وجعلوا اي سموا قل سموا اي بينوا اسماءهم على جهة التهديد
او هو استفهام توبيخ وانكار اي لا شريك له اذ لو كان لعلمه تعالى
عن ذلك وانما خص الارض بنفي الشريك فيها وانه لم يكن له شريك
في غير الارض لانهم ادعوا له شركا فيها بل زين للذين كفروا مكرهم
اي تمويههم وبل استدراك اي ليس لله شريك لكن زين للذين
كفروا كفرهم وسماه مكرا لان مكرهم بالرسول كان كفرا وصدوا
عن السبيل قرئ بضم الصاد اي صدهم الله عن سبيل الحق وقرئ
بالفتح اي صدوا غيرهم عن الايمان ومن يضلل الله اي يخذله فما
له من هاد يوفقه للهدى لهم عذاب في الحياة الدنيا بالقتل
والاسر وسائر ما يصيبهم من المصائب ولعذاب الاخرة اشق
لشدته ودوامه وما لهم من الله اي من عذابه من واق اي مانع
يمنعهم او من حافظ مثل الجنة التي وعد المتقون اي صفتها
التي هي مثل في الغرابة وهو مبتدا خبره محذوف عند سيبويه اي فيما
قصصنا عليكم مثل الجنة وقيل خبره تجري من تحتها الانهار على
طريقة قولك صفة زيد اسمر او على حذف موصوف اي مثل الجنة
جنة تجري من تحتها الانهار او على زيادة المثل وهو على قول سيبويه
حال من العائد المحذوف من الصلة قال الزجاج مثل الله لنا ما

غاب عنا بما نراه أكلها دائم لا ينقطع ثمرها وظلها أي وظلها كذلك
لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس لعدمها فيها تلك أي الجنة الموصوفة
عقبى الذين اتقوا الشرك أي مآلهم ومنتهى أمرهم وعقبى الكافرين
النار لا غير وفي ترتيب النظمين إطماع للمتقين وإقناط للكافرين
والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك يعني المسلمين من
أهل الكتاب كابن سلام وأصحابه ومن آمن من النصارى وهم ثمانون
رجلا أربعون بنجران وثمانية باليمن واثنان وثلاثون بالحبشة
أو عامتهم فإنهم كانوا يفرحون بما يوافق كتبهم وقال قتادة هم أصحاب
محمد يفرحون بنزول القرآن ومن الأحزاب يعني مشركي مكة ومن
لم يؤمن من اليهود والنصارى الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالعداوة من ينكر بعضه وهو ما يخالف شرايعهم أو لا يوافق
ما حرفوه منها وقيل لأن فيهم من كان يعترف بأن الله خالق السموات
والأرض ومنهم من يعترف ببعض الأنبيا قل إنما أمرت أن أعبد الله
ولا أشرك به جواب للمنكرين أي قل لهم إني أمرت فيما أنزل إلي بأن
أعبد الله وأوحده وهو العمدة في الدين ولا سبيل لكم إلى إنكاره
وأما ما تنكرونه لما يخالف شرايعكم فليس ببدع مخالفة الشرايع
والكتب الإلهية في جزئيات الأحكام وقرئ ولا أشركُ بالرفع على
الاستيناف إليه أدعو لا إلى غيره وإليه مآب أي وإليه مرجعي
للجزاء لا إلى غيره وهذا هو القدر المتفق عليه بين الأنبيا فأما ما عدا
ذلك من التفاريع مما يختلف بالأعصار والأمم فلا معنى لإنكاركم
المخالفة فيه وكذلك أي ومثل ذلك الإنزال المشتمل على أصول

الديانات

الديانات المجمع عليها أنزلناه حكما يحكم في القضايا والوقايع بما
تقتضيه الحكمة عربيا مترجما بلسان العرب ليسهل لهم فهمه
وحفظه وانتصابه على الحال ولئن اتبعت أهواءهم أي الكفار فيما
يدعونك إليه فرضا كتقرير دينهم والصلاة إلى قبلتهم بعدما
حولت عنها بعدما جاءك من العلم بنسخ ذلك ما لك من الله من
ولي ولا واق ينصرك ويمنع العقاب عنك وهو حسم لأطماعهم
وتهييج للمؤمنين على الثبات في دينهم وقيل الخطاب للنبي صلى
الله عليه وسلم والمراد أمته ولقد أرسلنا رسلا من قبلك
بشرا مثلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية نساء وأولادا يقضون
ما أحل الله لهم من شهوات الدنيا وإنما التخصيص في الوحي وأنت
مثلهم قيل إن اليهود عابوا على النبي صلى الله عليه وسلم الأزواج
وعيروه بذلك وقالوا ما نرى لهذا الرجل همة إلا النسا
والنكاح ولو كان نبيا لشغله أمر النبوة عن النسا فنزلت وما
كان لرسول منهم أي وما صح له ولم يكن في وسعه أن يأتي بآية
تقترح عليه أو حكم يلتمس منه إلا بإذن الله فإنه المليء بذلك
وظاهر الكلام مخطر ومعناه النفي لأنه لا يخطر على أحد ما لا يقدر
عليه لكل أجل كتاب أي لكل وقت وأمد حكم يكتب على العباد
على ما يقتضيه استصلاحهم وقال الحسن لكل أمر قضاه الله
كتاب عند الله وقيل فيه تقديم وتأخير أي لكل كتاب أجل
قاله الفراء والضحاك أي لكل أمر كتبه الله أجل مؤجل ووقت
معلوم فبين أن المراد ليس على اقتراح الأمم في نزول العذاب

بل لكل اجل كتاب يمحوا الله منه ما يشاء اي ينسخ ما يتصوب نسخه وجملة الناسخ والمنسوخ عنده في ام الكتاب ويثبت من الشرايع والفرايض ما تقتضيه حكمته وقيل يمحو سيات التايب ويثبت الحسنات مكانها او يمحو من كتاب الحفظة ما لا يتعلق به جزا ويترك غيره مثبتا او يمحو قرنا ويثبت اخرين وقال ابن عمر سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول يمحو الله ما يشا ويثبت الا السعادة والشقاوة والموت وقال ابن عباس يمحو الله ما يشا ويثبت الا اشيا الخلق والخلق والرزق والاجل والسعادة والشقاوة وعنه هما كتابان سوى ام الكتاب يمحو منهما ما يشا ويثبت وعنده ام الكتاب الذي لا يتغير منه شي وهو الذي كتبه في الازل وما في الصحيحين من سره ان يبسط له في رزقه وينسا له في اثره فليصل رحمه فيه تاويلان احدهما معنوي وهو ما يبقى بعده من الثنا الجميل والذكر الحسن والاجر المتكرر فكانه لم يمت والاخر يوم اجله المكتوب في اللوح المحفوظ والذي في علم الله ثابت لا يتبدل والعقيدة انه لا تبديل لقضا الله وان من القضا ما يكون واقعا محتوما وهو الثابت ومنه ما يكون مصروفا باسباب من صدقة وصلة رحم وغير ذلك وهو المحو وقال القرنوي وعندي ان ما في اللوح خرج عن الغيب لاطلاع بعض الملايكة عليه فيحتمل التبديل لان احاطة الخلق بجميع علم الله محال وما في علم الله من تقدير الاشيا

لا يبدل ومعنى ام الكتاب اصل ما كتب من الاجال وغيرها وقال كعب الاحبار ام الكتاب علم الله تعالى بما خلق وما هو خالق وقيل ام الكتاب اللوح المحفوظ اذ ما من كاين الا وهو مكتوب فيه واما نرينك بعض الذي نعدهم ما صلة اي وان نرينك بعض الذي نعدهم من العذاب في حياتك كقوله لهم عذاب في الحياة الدنيا وقوله تصيبهم بما صنعوا قارعة وجواب الشرط محذوف اي فذاك او نتوفينك قبله فانما عليك البلاغ التبليغ لا غير وعلينا الحساب للمجازاة لا عليك فلا تحتفل باعراضهم ولا تستعجل بعذابهم فانا فاعلون له اولم يروا يعني اهل مكة انا نأتي الارض اي نقصدها والمراد ارض الكفرة ننقصها من اطرافها بما نفتحه على المسلمين منها وقال ابن عباس ومجاهد نقصها من اطرافها موت علمايها وصلحايها قال القشيري وعلى هذا فالاطراف الاشراف قال ابن الاعرابي الطرف والطرف الرجل الكريم ولكن هذا القول بعيد لان مقصود الاية انا اريناهم النقصان في امورهم ليعلموا ان تاخير العذاب ليس عن عجز الا ان يحمل قول ابن عباس على موت احبار اليهود والنصارى وقيل هو خراب الارض حتى يكون العمران في ناحية منها وقيل انه نقص بركات الارض وثمارها واهلها او نقصها بجور ولاتها القرطبي وهذا صحيح معنى فان الجور والظلم يخرب البلاد بقتل اهلها واجلايهم عنها وترفع البركة من الارض والله يحكم في خلقه ما يشا لا معقب لحكمه اي لا رادة

وحقيقته الذي يعقب الشي بالابطال اي ليس يتعقب حكمه
احد بنقض ولا تغيير والمعنى انه حكم للاسلام بالاقبال
وعلى الكفر بالادبار وذلك كاين ومحل لا مع النفي النصب
على الحال اي يحكم نافذا حكمه **وهو سريع الحساب** فيحاسبهم
في الاخرة بعد ما عذبهم بالقتل والاجلا في الدنيا او المعنى
سريع الانتقام من الكافرين سريع الثواب للمومنين وقيل
غير ذلك وتقدم **وقد مكر الذين من قبلهم** اي من قبل مشركي
قومك بانبيايهم والمومنين منهم كما مكروا بك **فلله المكر**
جميعا اذ لا يوبه بمكر دون مكره فانه القادر على ما هو
المقصود منه دون غيره اذ مكر الماكرين مخلوق له فلا يضر
الا باذنه وقيل المعنى فلله خير المكر ليس مكرهم كمكره لانه
يعلم ما تكسب كل نفس من خير وشر فيجازيها عليه وهذا
هو المكر كله **وسيعلم الكافر** قيل عني به ابا جهل وقيل
على ارادة الجنس وقرى الكفار بالجمع **لمن عقبى الدار** من الحزبين
حينما ياتيهم العذاب المعد لهم وهم في غفلة منه وهذا
كالتفسير لمكر الله بهم واللام تدل على ان المراد بالعقبى
العاقبة المحموده **ويقول الذين كفروا لست مرسلا** انما انت
متقول قيل المراد بهم روسا اليهود وقال قتادة هم مشركوا
العرب **قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم** فانه اظهر من الادلة
على رسالتي ما يغني عن شاهد يشهد عليها **ومن عنده علم**
الكتاب اي علم القران وما الف عليه من النظم المعجز او علم
التوراه

التوراه وهو ابن سلام واضرابه وقيل هو جبريل وهو
قول ابن عباس لان السورة مكيه وابن سلام اسلم بالمدينه
وقال الحسن هو الله تعالى وقيل علي بن ابي طالب وقيل
جميع المومنين **سورة ابرهيم عليه السلام** مكيه وقيل
الا اثنين او ثلاثا الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا الى قوله
ان مصيركم الى النار **بسم الله الرحمن الرحيم**
الر كتاب اي هذا كتاب **انزلناه اليك لتخرج الناس** بدعايك
اياهم الى ما تضمنه **من الظلمات** من انواع الضلال **الى النور** الى
الهدى **باذن ربهم** اي بتوفيقه وتسهيله مستعار من الاذن
الذي هو تسهيل الحجاب وهو صلة لتخرج او حال من فاعله
او مفعوله واضيف الفعل الى النبي صلى الله عليه وسلم لانه
الداعي والمنذر والهادي **الى صراط العزيز** اي الذي لا مثل له
او الذي لا يغلب وقيل المنيع في ملكه وسلطانه **الحميد**
اي المحمود بكل لسان والى صراط العزيز بدل من قوله الى النور
بتكرير العامل او استيناف على انه جواب لمن يسال عنه
وتخصيص الوصفين للتنبيه على ان هذا الصراط لا يذل
سالكه ولا يخيب سابله **الله الذي له ما في السموات وما**
في الارض ملكا وخلقا قرى بالرفع مبتدا وخبره محذوف
والذي صفته وقرى بالخفض عطف بيان للعزيز لانه كالعلم
لاختصاصه او البدل لان نعت المعرفة اذا تقدم عليها اعرب
بحسب العوامل واعربت المعرفة بدلا وصار المتبوع تابعا

ووبل للكافرين من عذاب شديد وعيد لمن كذب بالكتاب
ولم يخرج به من الظلمات الى النور والويل نقيض النجاه ٥
واصله النصب لانه مصدر والا انه لم يشتق منه لكنه وقع
لافادة الثابت الذين يستحبون الحياة الدنيا على الاخره
اى يختارونها عليها فان المختار للشي يطلب من نفسه ان
يكون احب اليه من غيره ويصدون عن سبيل الله بتعويق
الناس عن الايمان وكل من اثر الدنيا وزهرتها واستحب
البقا فى نعيمها على النعيم فى الاخره وصد عن سبيل الله
وهو دين الله الذى جات به الرسل فى قول ابن عباس وغيره
فهو داخل فى هذه الايه وفى الحديث ان اخوف ما اخاف
على امتى الايمة المضلون وقيل يستحبون يلتمسون الدنيا
من غير وجهها ويبغونها عوجا اى يطلبون لها زيغا وميلا
عن الحق ليقدحوا فيه فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير
او يطلبونها معوجه والسبيل يذكر ويونث والموصول
بصلته يحتمل الجر صفة للكافرين والنصب على الذم والرفع
على انه مبتدا خبره اولئك فى ضلال بعيد اى ضلوا عن الحق
ووقفوا عنه بمراحل والبعد فى الحقيقة للضال فوصف به
فعله للمبالغه او للامر الذى به الضلال فوصف به
للملابسه وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه اى الا
بلغة قومه الذى هو منهم وبعث فيهم وبلسان فى موضع
نصب على الحال اى متكلما بلغتهم وهو من باب تسمية الشى
بايم

باسم الته ومثله واجعل لى لسان صدق اى ثنا حسنا لان
اللسان التة ووحد اللسان وان اضافه الى القوم لان المراد
اللغة فهو اسم جنس يقع على القليل والكثير ليبين لهم امر
دينهم فيفقهوه عنه بتيسير وسرعه ثم ينقلوه لغيرهم فانهم
اولى الناس اليه بان يدعوهم واحق بان ينذرهم ولذلك
امر النبى صلى الله عليه وسلم بانذار عشيرته اولا ولا حجة
للعجم وغيرهم فى هذه الايه لان كل من ترجم له ما جاء به
النبى صلى الله عليه وسلم ترجمة يفهمها لزمته الحجه وفى الحديث
والذى نفسى بيده لا يسمع بى احد من هذه الامة يهودى ولا نصرانى
ثم لم يومن بالذى ارسلت به الا كان من اصحاب النار خرجه مسلم
فيضل الله من يشا اى يخذله عن الايمان ويهدى من يشا بالتوفيق
له وهو مستانف وليس بمعطوف على ليبين لان الارسال
انما وقع للتبيين لا للاضلال وهو العزيز فلا يغلب على
مشيته الحكيم الذى لا يضل ولا يهدى الا لحكمة ولقد ارسلنا
موسى باياتنا يعنى اليد والعصا وساير معجزاته ان اخرج قومك
بنى اسرايل من الظلمات الكفر الى النور الايمان وان بمعنى اى كقوله
وانطلق الملا منهم ان امشوا لان فى الارسال معنى القول او
المعنى بان اخرج وذكرهم بايام الله اى بوقايعه التى وقعت
على الامم الدارجة وايام العرب حروبها يقال فلان عالم
بايام العرب اى بوقايعها اى قل لهم قولا يتذكرون به
ايام الله وقال ابن عباس وغيره بايام الله بنعمه عليهم اى

بما انعم عليهم من النجاه من فرعون ومن التيه ان في ذلك اى
في التذكير بايام الله لايات دلالات لكل صبار كثير
الصبر على طاعة الله وعن معصية الله شكور لنعم الله وقا
قتادة هو العبد اذا اعطى شكر واذا ابتلى صبر وفي الحديث
الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر وخص الايات
بكل صبار شكور لانه المنتفع بها كما قال انما انت منذر من
يخشاها وان كان منذرا للجميع وقيل المراد لكل مومن وانما
عبر عنهم بذلك تنبيها على ان الصبر والشكر عنوان المومن
واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجاكم من
ال فرعون اى اذكروا نعمته عليكم وقت انجايه اياكم ويجوز
ان يكون بدلا من نعمة الله بدل اشتمال يسومونكم سوء العذاب
ويذبحون ابناكم ويستحيون نساكم احوال من ال فرعون او
من ضمير المخاطبين والمراد بالعذاب هنا غير المراد به في سورة
البقرة لانه مفسر بالتذبيح والقتل ثم ومعطوف عليه التذبيح
هاهنا وهو اما جنس العذاب واما استعبادهم واستعمالهم
الاعمال الشاقه وفي ذلكم من حيث انه باقدار الله اياهم
وامهالهم فيه بلاء من ربكم عظيم اى ابتلاء منه ويجوز ان
تكون الاشارة الى الانجا والمراد بالبلا النعمة واذ تاذن
ربكم هو ايضا من كلام موسى اى اعلم او اذن كتوعد واوعد
غير انه ابلغ لما في التفعل من معنى التكلف والمبالغة وكان
ابن مسعود يقرا واذ قال ربكم والمعنى ولحد لين شكرتم ه
يا بني

يا بني اسرايل ما انعمت عليكم من الانجا وغيره بالايمان والعمل
الصالح لازيدنكم نعمة الى نعمة قال ابو بكر الوراق شكر النعمة
مشاهدة المنه وحفظ الحرمه وقال ابو عثمان الشكر معرفة
العجز عن الشكر وفي الحديث من اعطى الشكر لم يحرم الزياده ه
وقال بعضهم الشكر ان لا يتقوى بنعم الله على معاصيه ه
القرطبي حقيقة الشكر الاعتراف بالنعمة للمنعم وان لا يصرفها
في غير طاعة الله والاية نص في ان الشكر سبب للمزيد قال
بعضهم قطع الله بالمزيد مع الشكر ولم يستثن فقال لين
شكرتم لازيدنكم واستثنى في خمسة في الاغنا والاجابة
والرزق والمغفرة والتوبه فقال فسوف يغنيكم الله من
فضله ان شا فيكشف ما تدعون اليه ان شا ويرزق من يشا
ويغفر ما دون ذلك لمن يشا ويتوب الله على من يشا ولين
كفرتم ان عذابي لشديد اى ولين جحدتم حقي او كفرتم نعمي
والمعنى فلعلي اعذبكم على الكفران اذ من عادة اكرم الاكرمين
ان يصرح بالوعد ويعرض بالوعيد والجمله مفعول قول مقدر
او مفعول تاذن على انه يجري مجرى قال لانه ضرب منه وقال
موسى لقومه ان تكفروا انتم ومن في الارض جميعا من
الثقلين فان الله لغني عن شكركم حميد مستحق الحمد في ذاته
فما ضررتم بالكفران الا انفسكم حيث حرمتموها مزيد
الانعام وعرضتموها للعذاب الشديد الم ياتكم نبؤ اى
خبر الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود من كلام موسى

او كلام مبتدا من الله وخبر قوم وما بعدهم مشهور قصه الله
في كتابه والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جملة وقعت
اعتراضا والذين من بعدهم عطف على ما قبله والمعنى انهم
لكثرتهم لا يعلم عددهم الا الله ولذلك قال ابن مسعود كذب
النسابون جاتهم رسلهم بالبينات اي بالحجج والدلالات
فردوا ايديهم في افواههم اي فعضوا عليها غيظا مما جاءت به
الرسل اذ فيه تسفيه احلامهم وشتم اصنامهم كقوله عضوا
عليكم الانامل من الغيظ او المعنى وضعوها عليها تعجبا منه
او استهزا عليهم كمن غلبه الضحك او اسكاتا للانبيا وامرا لهم
باطباق الافواه او اشاروا بها الى السنتهم وما نطقت به من
قولهم انا كفرنا تنبيها على انه لا جواب لهم سواه او ردوها
في افواه الانبيا يمنعونهم من الكلم وعلى هذا يحتمل ان يكون
تمثيلا وقيل الايدي بمعنى الايادي اي ردوا ايادي الانبيا
التي هي مواعظهم وما اوحي اليهم من الحكم والشرايع في افواههم
لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكانهم ردوها الى حيث
جاءت منه ومجي الرسل بالشرايع نعم وقالوا انا كفرنا بما
ارسلتم به اي بالارسال على زعمكم لا انهم اقروا انهم ارسلوا
وانا لفي شك مما تدعوننا اليه من الايمان مريب موقع في
الريبة او ذي ريبة وهي قلق النفس وان لا تطمين الى الشيء
اي نظن انكم تطلبون الملك والدنيا قالت رسلهم افي الله
شك ادخلت همزة الانكار على الظرف لان الكلام

في المشكوك فيه لا في الشك اي انما ندعوكم الى الله وهو لا يجهل
لكثرة الادلة وظهورها لا لتهاعليه واشاروا الى ذلك
بقولهم فاطر السموات والارض خالقهما ومخترعهما بعد العدم
وهو صفة او بدل وشك مرتفع بالظرف يدعوكم الى الايمان
ببعثه ايانا ليغفر لكم او يدعوكم الى المغفرة كقولك دعوته
لينصرني على اقامة المفعول له مقام المفعول به من ذنوبكم
بعض ذنوبكم وهو ما بينكم وبينه لان الاسلام يجبه دون
المظالم وقيل جي بمن في خطاب الكفرة دون المومنين
في جميع القران تفرقة بين الخطابين ولعل المعنى فيه ان المغفرة
حيث جاءت في خطاب المومنين مشفوعة بالطاعة والتجنب
عن المعاصي فيتناول الخروج من المظالم وقيل من زايده
وقيل للبدل اي يدعوكم لتكون المغفره بدلا من الذنوب
ويوخركم الى اجل مسمى اي الى وقت سماه الله وجعله اخر
اعماركم وقيل هو الموت فلا يعذبكم في الدنيا قالوا ان ما
انتم الا بشر مثلنا في الصورة والهيئة تاكلون مما ناكل وتشربون
مما نشرب لا فضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا تريدون
ان تصدونا عما كان يعبد اباونا من الاصنام بهذه الدعوى
فاتونا بسلطان مبين اي بحجة ظاهرة تدل على فضلكم واستحقاقكم
لهذه المزيه او على صحة ادعايكم النبوة كانهم لم يعتبروا
ما جاوا به من البينات والحجج واقترحوا عليهم اية اخرى
تعنتا قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم اي في الصورة

والهيئة كما قلتم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده بالنبوة ٥
وقيل بالتوفيق سلموا اشتراكهم في الجنس وجعلوا الموجب
لاختصاصهم بالنبوة فضل الله ومنته عليهم وفيه دليل
على ان النبوة عطائية وان ترجيح بعض الجايزات على بعض
بمشيئته تعالى وما كان ينبغي لنا ان ناتيكم بسلطان الا
باذن الله اي ليس لنا الاتيان بالايات ولا تستبد به استطاعتنا
حتى ناتي بما اقترحتموه لانا عبيد مرقوقون وانما هو امر ٥
يتعلق بمشيئة الله تعالى فيخص كل نبي بنوع من الايات وعلى
الله فليتوكل المومنين اي فلنتوكل عليه في الصبر على معاندتكم
ومعاداتكم عمموا الامر للاشعار بما يوجب التوكل وقصدوا
به انفسهم الا ترى قولهم وما لنا ان لا نتوكل على الله اي اي
عذر لنا في ان لا نتوكل وقد هدانا سبلنا التي بها نعرفه
ونعلم ان الامور كلها بيده ولنصبرن على ما اذيتمونا
جواب قسم محذوف اكدوا به توكلهم وعدم مبالاتهم بما
يجري عليهم من الكفار وعلى الله فليتوكل المتوكلون اي
فليثبت المتوكلون على ما استحدثوه من توكلهم المسبب عن ايمانهم
وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا اللام
للقسم اي والله لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا
دينا حلفوا على ان يكون احد الامرين اما اخراجهم الرسل
او عودهم الى ملتهم وهو بمعنى الصيرورة لانهم لم يكونوا
على ملتهم قط فاوحى اليهم ربهم اي الى رسلهم لنهلكن الظالمين

الكافرين

الكافرين على اضمار القول واجرا الايحا مجراه لانه نوع منه
ولنسكننكم الارض من بعدهم اي ارضهم وديارهم ذلك اشارة
الى الموحى به وهو اهلاك الظالمين واسكان المومنين لمن خاف
مقامي اي موقفه بين يدي وهو الموقف الذي يقيم فيه العباد
للحكومة يوم القيمة او قيامي عليه وحفظي لاعماله كما قال
افمن هو قايم على كل نفس بما كسبت وقيل المقام مقحم وخاف
وعيد اي وعيدي بالعذاب وعذابي الموعود للكفار وقيل
هو القران وزواجره واستفتحوا سالوا من الله النصر على اعدائهم
وقيل سالوا القضا بينهم وبين اعاديهم من المفاتحة كقوله
ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وهو معطوف على فاوحى
فالضمير للانبيا وقيل للكفرة قال ابن زيد استفتحت الامم
بالدعا كما قالت قريش اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك
الاية وقيل للفريقين فان كلا منهم سال ان ينصر المحق ٥
ويهلك المبطل وخاب خسر كل جبار عنيد اي ففتح لهم فافلح
المومنون وخاب كل عات متكبر على الله معاند للحق فلم يفلح
وقيل الجبار المتكبر الذي لا يرى لاحد عليه حقا ذكره النحاس
والعنيد الذي ابى ان يقول لا اله الا الله من ورايه جهنم
اي من بين يديه فانه مرصد لها واقف على شفيرها في الدنيا
مبعوث اليها في الاخرة وقيل من وراء حياته وحقيقته
ما توارى عنك ويسقى فيها من ماء صديد عطف على محذوف
تقديره من ورايه جهنم يلقى ما يلقى وصديد عطف بيان

لما قيل وهو ما يسيل من جلود اهل النار وقيل من ماء كراهته
تصدعنه وفي الحديث يقرب اليه فيتكرهه فاذا ادني منه
شوى وجهه ووقعت فروة راسه واذا شربه قطع امعاءه
حتى يخرج من دبره **يتجرعه** اي يتحساه ويتكلف جرعه جرعا
لا مرة واحدة لمرارته وحرارته وهو صفة لماء او حال من الضمير
في يسقى **ولا يكاد يسيغه** اي ولا يقارب ان يسيغه فكيف يسيغه
بل يغص به فيطول عذابه والسوغ جواز الشرب على الحلق بسهولة
وقبول نفس يقال ساغ الشراب اذا كان سلسا **وياتيه الموت**
من كل مكان ابن عباس تاتيه اسباب الموت من كل جهة وقال
ابرهيم التيمي ياتيه الموت من كل مكان من جسده حتى من
اصول شعره **وما هو بميت** قال الضحاك لا يموت فيستريح
ومن ورائه اي من بين يديه او من بعد ذلك العذاب **عذاب**
غليظ اي يستقبل في كل وقت عذابا اشد مما هو عليه وقيل
هو حبس الانفاس وقيل شديد متواصل الالام **مثل**
الذين كفروا بربهم مبتدا خبره محذوف اي فيما يتلى عليكم
صفتهم التي هي مثل في الغرابة او قوله **اعمالهم كرماد**
وهي على الاول جملة مستانفة لبيان مثلهم وقيل اعمالهم بدل
من المثل والخبر كرماد **اشتدت به الريح** اي حملته واسرعت
الذهاب به وقرئ الرياح **في يوم عاصف** العصف اشتداد
الريح وصف به زمانه للمبالغة وان كان للريح لان الريح
يكون فيه فجاز ان يقال يوم عاصف كما يقال يوم حار

ويوم

ويوم بارد والحر والبرد فيهما ويحتمل ان يكون المعنى في
يوم عاصف ريحه وان يكون من نعت الريح وخفض للمجاورة
كقولهم جحر ضب خرب شبه الله تعالى صنايعهم من الصدقة
وصلة الرحم واغاثة الملهوف وعتق الرقاب ونحو ذلك
من مكارمهم في حبوطها لبنائها على غير اساس من معرفة
الله والتوجه بها اليه او اعمالهم للاصنام برماد طيرته
الريح العاصفة **لا يقدرون** يوم القيمة **مما كسبوا** من
اعمالهم في الدنيا **على شيء** لحبوطه فلا يرون له اثرا من
الثواب **ذلك** اشارة الى ضلالهم مع حسبانهم انهم محسنون
هو الضلال البعيد اي الخسران الكبير وانما جعله بعيدا
لفوات استدراكه بالموت وذلك هو الغاية في البعد **الم تر**
خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به امته وقيل
لكل واحد من الكفرة على التلوين والمعنى يا مخاطب **ان الله**
خلق السموات والارض بالحق اي بالحكمة والوجه الذي يحق
ان يخلق عليه ليستدل بذلك على كمال قدرته **ان يشا**
يذهبكم ايها الناس **ويات بخلق جديد** اي يعدمكم ويخلق
خلقا اخر مكانكم افضل منكم واطوع اذ لو كانوا مثل الاولين
فلا فايدة في الابدال ورتب ذلك على كونه خالق السموات
والارض استدلالا به عليه فان من خلق اصولهم وما يتوقف عليه
تخليقهم ثم كونهم بتبديل الصور وتغيير الطبايع قدر ان
يبدلهم بخلق اخر ولم يمتنع عليه ذلك كما قال **وما ذلك على الله**

بعزيز اى بمتعذر او متعسر فانه قادر على ذلك لذاته
لا اختصاص له بمقدور دون مقدور ومن كان هذا شانه
كان حقيقا بان يؤمن به ويعبد رجا ثوابه وخوف عقابه
يوم الجزا وبرزوا اى الخلايق لله جميعا اى ويبرزون
من قبورهم يوم القيمة لامر الله ومحاسبته وقيل المعنى
وبرزوا لله على ظنهم فانهم كانوا يخفون ارتكاب الفواحش
ويظنون انها تخفى على الله فاذا كان يوم القيمة انكشفوا
لله عند انفسهم وانما ذكر بلفظ الماضي وهو مستقبل
لتحققه فقال الضعفا يعني الاتباع جمع ضعيف يريد به
ضعاف الراى وانما كتب بالواو على لفظ من يفخم الالف قبل
الهمزه فيميلها الى الواو للذين استكبروا روسا وهم
والقاده منهم الذين استتبعوهم واستغووهم انا كنا لكم
تبعا في تكذيب الرسل والاعراض عن انبياعهم وتبعا يجوز
ان يكون جمع تابع كخدم وخادم وحرس وحارس وان يكون
مصدرا للمبالغه وان يكون على اضمار مضاف اى ذا تبع فهل
انتم مغنون اى دافعون عنا من عذاب الله من شي من الاولى
للبيان والثانيه للتبعيض وقيل الثانيه صله اى شيا
يقال اغنى اى دفع عنه واغناه اذا اوصل اليه النفع قالوا
اى الذين استكبروا جوابا عن معاتبة الاتباع واعتذارا عما
فعلوا بهم لو هدانا الله للايمان ووفقنا اليه لهديناكم
ولكن ضللنا فاضللناكم اى اخترنا لكم ما اخترنا لانفسنا او لو

هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم اليها سواء
علينا اجزعنا ام صبرنا اى مستوعلينا الجزع والصبر ما لنا
من زايده محيص اى مهرب وملجا من الحيص وهو العدول
على جهه الفرار وهو يحتمل ان يكون مكانا كالمبيت وان يكون
مصدرا كالمغيث ويجوز ان يكون قوله سوا علينا من كلام
الفريقين ويويده ما روى انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون
خمسماية عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون
كذلك ثم يقولون سوا علينا وقال الشيطان لما قضي الامر
اى الحكم وفرغ منه ودخل اهل الجنة الجنه واهل النار النار
قال الحسن يقوم ابليس يوم القيمة خطيبا في جهنم على منبر
من نار يسمعه الخلايق جميعا يقول للاشقيا من الثقلين
ان الله وعدكم وعد الحق يعني البعث وثواب المطيع وعقاب
العاصي فصدقكم وعده ووعدتكم وعد الباطل وهو ان لا بعث
ولا حساب وان كانا فالاصنام تشفع فاخلفتكم جعل تبين
خلف وعده كالاخلاف منه وقوله وعد الحق من اضافة
الشي الى نعته اى وعدكم الوعد الحق وقال البصريون المعنى
وعد اليوم الحق وما كان لي عليكم من زايده سلطان من
تسلط فالجاتكم الى الكفر والمعاصي الا ان دعوتكم اى الا دعاى
اياكم بتسويلي وليس هو من جنس السلطان ولكنه على طريقه
تحية بينهم ضرب وجيع ويجوز ان يكون الاستثنا منقطعا
فاستجبتم لي اى اسرعتم اجابتي باختياركم فلا تلوموني بوسوستي

فان من صرح بالعداوة لا يلام بامثال ذلك **ولوموا انفسكم**
حيث طعنتموني او دعوتكم ولم تطيعوا ربكم لما دعاكم واحتجت
المعتزلة بامثال ذلك على استقلال العبد بافعاله وليس
فيها ما يدل عليه اذ يكفي لصحتها ان يكون لقدرة العبد مدخل
ما في فعله وهو الكسب الذي يقوله اهل السنة **ما انا بمصرخكم**
اي بمغيثكم من العذاب **وما انتم بمصرخي** اي بمغيثي والصارخ
والمستصرخ هو الذي يطلب النصرة والاغاثة والمصرخ المغيث
وقرأة العامة مصرخي بفتح اليا وقرئ بالكسر على الاصل في
التقا الساكنين والاصل بمصرخيني فذهبت النون للاضافة
وادغمت يا الجماعة في يا الاضافة فمن فتح فلاجل التضعيف
ولان يا الاضافة اذا سكن ما قبلها تعين الفتح نحو عصاي وهواي
وان تحرك ما قبلها جاز الفتح والاسكان مثل غلامي وغلامي
ومن كسر فلالتقا الساكنين على الاصل وهو اصل مرفوض في مثله
لما فيه من اجتماع يائين وثلاث كسرات واذا لم تكسر وقبلها
الف فبالحري ان لا تكسر وقبلها يا او هو على لغة من يزيد
يا على يا الاضافة اجراها مجرى الها والكاف وحذف اليا
اكتفا بالكسرة **اني كفرت بما اشركتموني من قبل** ما يجوز ان تكون
مصدرية ومن متعلقة باشركتموني اي كفرت اليوم باشراككم
اياي من قبل هذا اليوم اي في الدنيا بمعنى تبرات منه واستنكرته
لقوله تعالى ويوم القيمة يكفرون بشرككم ويجوز ان تكون
موصولة بمعنى من مثل ما في قولهم سبحان ما سخركن لنا ومن متعلقة

بكفرت

بكفرت اي كفرت بالذي اشركتمونيه وهو الله تعالى بطاعتكم
اياي فيما دعوتكم اليه من عبادة الاصنام وغيرها من قبل اشراككم
حين رددت امره بالسجود لادم واشرك منقول من شركت زيدا
للتعدية الى مفعول ثان **ان الظالمين الكافرين لهم عذاب اليم**
تتمة كلامه او ابتدا كلام من الله تعالى وفي حكاية امثال ذلك
لطف للسامعين وايقاظ لهم حتى يحاسبوا انفسهم ويتدبروا
عواقبهم **وادخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري**
من تحتها الانهار اي ادخلوا في جنات لان دخل لا يتعدى كما
لا يتعدى نقيضه وهو خرجت **خالدين** حال مقدرة **فيها باذن**
ربهم اي بامر الله وتيسيره والمدخلون لهم الملائكة **تحيتهم فيها**
سلام اي تحييهم الملائكة بالسلام او التحية من الله او فيما بينهم
الم تر كيف ضرب الله مثلا اي وصفه ثم فسره بقوله **كلمة**
طيبة كشجرة طيبة اي جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة ويجوز ان
تكون كلمة بدلا من مثلا وكشجرة صفتها وخبر مبتدا محذوف اي
هي كشجرة وان تكون اول مفعولي ضرب اجراها مجرى جعل **اصلها**
ثابت في الارض ضارب بعروقها فيها **وفرعها** اي اعلاها **في السما**
ويجوز ان يريد وفروعها اي افنانها على الاكتفا بلفظ الجمع لاكتسابه
الاستغراق من الاضافة **توتي اكلها** اي تعطي ثمرها **كل حين** اقته الله
لاثمارها وقال الربيع غدوة وعشية **باذن ربها** بارادة خالقها
وتكوينه **ويضرب الله الامثال** اي الاشباه **للناس لعلهم يتذكرون**
لان في ضربها زيادة افهام وتذكير فانه تصوير للمعاني وادنا لها

من الحسن ومثل كلمة خبيثة كشجرة اى كمثل شجرة خبيثة اجتثت من
فوق الارض اى استوصلت واخذت جثتها بالكليه والجثة شخص
الانسان ابن عباس اقتلعت من اصلها فليس لها اصل راسخ ما لها
من قرار اى استقرار واختلف فى الكلمة والشجرة ففسرت الكلمة الطيبة
بكلمة التوحيد ودعوة الاسلام ابن عباس هى لا اله الا الله
مجاهد وعكرمه هى الايمان فيكون المعنى اصل الكلمه وقيل
القران والكلمة الخبيثه الاشراك بالله والدعا الى الكفر وتكذيب
الحق ولعل المراد بهما ما يعم ذلك فان الكلمة الطيبة ما اعرب
عن حق او دعى الى صلاح والكلمة الخبيثة ما كان على خلاف ذلك
وفسرت الشجرة الطيبة بالنخلة قاله مجاهد وعكرمه وروى
ابن عباس مرفوعا هى شجرة جوزة الهند لا تتعطل من ثمرة كذلك
تحمل فى كل شهر كذلك كلمة الايمان ثابتة فى قلب المومن وعمله
يصعد الى السما وينا له بركته وثوابه فى كل وقت والخبيثة
بالحنظل وهو قول ابن عباس او الكشوت وهى شجرة لا ورق لها
ولا عروق فى الارض وقيل الثوم وعن ابن عباس ايضا هى شجرة
لم تخلق فى الارض ولعل المراد بهما ايضا ما يعم ذلك يثبت الله
الذين امنوا بالقول الثابت الذى ثبت بالحجة عندهم وتمكن فى
قلوبهم فى الحياة الدنيا فلا يزلون اذا افتتنوا فى دينهم كزكريا
ويحيى وجرجيس والذين فتنهم اصحاب الاخدود وفى الاخرة فلا
يتلعثمون اذا سيلوا عن معتقدهم فى الموقف قاله ابن عباس
القول الثابت لا اله الا الله وعن البرا نزلت الاية فى سوال القبر

يقال

يقال من ربك فيقول ربى الله ودينى دين محمد فذلك قوله
يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الاخرة
وقال القفال وجماعة فى الحياة الدنيا فى القبر لان الموتى فى الدنيا
الى ان يبعثوا وفى الاخرة عند الحساب وقيل سبب نزول الاية
ما روى انه عليه الصلاة والسلام لما وصف مسايلة
منكر ونكير وما يكون من جواب الميت قال عمر يا رسول الله ايكون
معى عقلى قال نعم قال كفيت اذا فنزلت ويضل الله الظالمين
الذين ظلموا انفسهم بالاقتصار على التقليد فلا يهتدون الى
الحق ولا يثبتون فى مواقف الفتن وقيل المعنى يضلهم الله عن حجتهم
فى قبورهم كما ضلوا فى الدنيا بكفرهم فلا يلقنهم كلمة الحق فاذا
سيلوا فى قبورهم قالوا لا ندرى وقيل المعنى يمهلهم حتى يزدادوا
ضلالا فى الدنيا ويفعل الله ما يشا من تثبيت بعض واضلال
اخرين من غير اعتراض الم تر تنظر الى الذين بدلوا نعمة الله
كفرا اى شكر نعمته كفرا بان وضعوه مكانه او بدلوا نفس النعمة
كفرا فانهم لما كفروها سلبت منهم فصاروا تاركين لها محصلين
للكفر بدلها كاهل مكة خلقهم الله تعالى واسكنهم حرمه وجعلوا
اقوام بيته ووسع عليهم ابواب رزقه وشرفهم بمحمد صلى الله عليه
وسلم فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين واسروا وقتلوا يوم بدر
وصاروا اذلا فبقوا مسلوبى النعمة متصفين بالكفر واحلوا قومهم
الذين تابعوهم فى الكفر دار البوار اى دار الهلاك بحملهم على الكفر
ابن عباس هم قادة المشركين يوم بدر احلوا قومهم دار البوار جهنم

عطف بيان لها **يصلونها** حال منها او من القوم اى داخلين فيها مقاسين لحرها **وبئس القرار** اى وبئس المقر جهنم ونسب الاحلال اليهم لتسببهم فى الكفر **وجعلوا لله اندادا** شركاء اى اصناما عبدوها **ليضلوا** بفتح اليا **عن سبيله** الذى هو التوحيد وقرى بضم اليا اى ليضلوا الناس وليس الضلال ولا الاضلال غرضهم فى اتخاذ الانداد ولكن لما كانت نتيجته جعل كالغرض **قل** لهم **تمتعوا** بشهواتكم او بعبادة الاوثان فانها من قبيل الشهوات التى يتمتع بها وفيه اشارة الى تقليل ماهم فيه اذ هو منقطع وهو وعيد لهم وقيل انذار ويفارق التهديد بوجوب اقترانه بالوعيد كما فى هذه الايه وقيل هو تهديد وفى التهديد بصيغة الامر ايذان بان المهدد عليه كالمطلوب لافضائه الى المهدد به وان الامرين كائنان لا محالة ولذلك علله بقوله **فان مصيركم الى النار** اى مردكم ومرجعكم الى عذاب جهنم **قل لعبادى الذين امنوا** خصهم بالاضافة تنويها بهم وتنبيها على انهم المقيمون لحقوق العبوديه ومفعول قل محذوف يدل عليه جوابه اى قل لعبادى الذين امنوا اقيموا الصلاة وانفقوا **يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم** فيكون ايذانا بانهم لفرط مطاوعتهم الرسول بحيث لا ينفك فعلهم عن امره وانه كالسبب الموجب له ويجوز ان يقدر بلام الامر ليصح تعلق القول بهما وانما حسن ذلك هاهنا ولم يحسن قوله

محمد تفد نفسك كل نفس ⁂ اذا ما خفت من امر تبالا

لدلالة

لدلالة قل عليه وقيل هما جوابا اقيموا وانفقوا مقامين مقامهما وهو ضعيف لانه لابد من مخالفة ما بين الشرط وجوابه ولان امر المواجهة لا يجاب بلفظ الغيبه اذا كان الفاعل واحدا **سرا وعلانية** منصوبان على المصدر اى انفاق سر وعلانية او على الحال اى ذوى سر وعلانية او على الظرف اى وقتى سر وعلانية والاحب اعلان الواجب واخفا المتطوع به **من قبل ان ياتى يوم لا بيع** فيبتاع المقصر ما يتدارك به تقصيره او يفدى نفسه **ولا خلال** اى ولا مخالة فيشفع الخليل لخليله او ياتى يوم لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالة وانما ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله وقرى بالفتح فيهما على النفى العام **الله الذى خلق السموات والارض** مبتدا وخبر **وانزل من السما ما فاخرج به من الثمرات رزقا لكم** تعيشون به وهو يشمل المطعوم والملبوس مفعول به ومن الثمرات بيان له او حال منه ويحتمل عكس ذلك ويجوز ان يراد به المصدر فينتصب بالعلة او المصدر لان اخرج فى معنى رزق **وسخر لكم الفلك** السفن **لتجرى فى البحر** بالركوب والحمل **بامره** اى بمشيئته الى حيث توجهت **وسخر لكم الانهار** فجعلها معدة لانتفاعكم وتصرفكم وقيل تسخير هذه الاشيا تعليم كيفية اتخاذها **وسخر لكم الشمس والقمر دائبين** يدابان فى سيرهما يجريان فى فلكهما الى يوم القيمة لا يفتران وانارتهما واصلاح ما يصلحانه من المكونات **وسخر لكم الليل والنهار** لسباتكم ومعاشكم **واتاكم من كل ما سالتموه** اى بعض جميع ما سالتموه يعنى

من كل شي سالتموه شيا فان الموجود في كل صنف بعض ما في قدرة
الله ولعل المراد بما سالتموه ما كان حقيقا بان يسال لاحتياج
الناس اليه سيل او لم يسال وقيل المعنى واتاكم من كل ما سالتموه
ومن كل ما لم تسالوه فحذف فلم نساله شمسا ولا قمرا ولا كثيرا من
نعمه التي ابتدانا بها وما يحتمل ان تكون موصوله وموصوفة
ومصدريه ويكون المصدر بمعنى المفعول وقرى من كل بالتنوين
اي واتاكم من كل شي احتجتم اليه وسالتموه بلسان الحال ويجوز ان
يكون ما نافيه في موضع الحال اي واتاكم من كل شي غير سايليه
وان تعدوا نعمة الله بمعنى انعامه لا تحصوها اي لا تحصروها
ولا تطيقوا عد انواعها فضلا عن افرادها فانها غير متناهيه
وفيه دليل على ان المفرد يفيد الاستغراق بالاضافه ان الانسان
لظلوم يظلم النعمه باغفال شكرها او يظلم نفسه بان يعرضها
للحرمان كفار اي شديد الكفران والانسان اسم جنس والمراد
الخصوص وقال ابن عباس اراد ابا جهل وقال هنا ان الانسان
لظلوم كفار وفي النحل ان الله لغفور رحيم قال ابن المنير كانه
يقول اذا حصلت النعم الكثيره فانت اخذها وانا معطيها فحصل
لك عند اخذها وصفان كونك ظلوما وكفارا يعني لعدم وفايك
ولي عند اعطايها وصفان اني غفور رحيم اقابل ظلمك بغفراني
وكفرانك برحمتي وقيل انها هنا جات في سياق وصف الانسان
وفي النحل في سياق وصف الله تعالى واذ قال ابرهيم رب
اجعل هذا البلد آمنا اي ذا امن لمن فيها اي بلدة مكة فاجاب الله
تعالى

تعالى دعاه وجعلها حرما آمنا لا يظلم فيه احد ولا يصاد
صيده ولا يختلى خلاوه والفرق بينه وبين قوله اجعل هذا
بلدا امنا ان المسيول في الاول ازالة الخوف عنه وتصييره امنا
وفي الثاني جعله من البلاد الامنه واجنبني وبني اي بعدني
واباهم عن ان نعبد الاصنام واجعلنا منها في جانب وفيه
دليل على ان عصمة الانبيا بتوفيق الله تعالى وحفظه اياهم وهو
بظاهره لا يتناول احفاده وجميع ذريته وانما اراد بنيه من
صلبه وكانوا ثمانية فما عبد احد منهم صنما وقيل هو دعا لمن
اراد الله في ان يدعو له رب انهن اي الاصنام اضللن كثيرا من
الناس بعبادتهم لها فلذلك سالت منك العصمة واستعذت
بك من اضلالهن واسناد الاضلال اليهن باعتبار السببيه
كقوله وغرتهم الحياة الدنيا فمن تبعني على ديني فانه مني اي بعضي
لا ينفك عني في امر الدين ومن عصاني فانك غفور رحيم تقدر ان
تغفر له وترحمه ابتدا او بعد التوفيق للتوبه وفيه دليل على ان
كل ذنب فلله ان يغفره حتى الشرك الا ان الوعيد فرق بينه
وبين غيره قال مقاتل ومن عصاني فيما دون الشرك وقيل
قال هذا قبل ان يعرفه الله ان الله لا يغفر ان يشرك به ربنا
اني اسكنت من ذريتي اي بعض ذريتي او ذرية من ذريتي فحذف
المفعول وهو اسمعيل ومن ولد منه فانه اسكانه متضمن لاسكانهم
بواد غير ذي زرع يعني وادي مكة فانها حجريه لا تنبت عند
بيتك المحرم الذي حرمت التعارض له والتهاون به او الذي

لم يزل محرما معظما ممنعا نفايه لجبابره اوالذى منع منه وروى
انها الطوفان فلم يستولوا عليه ولذلك سمى عتيقا اى اعتق منه
وروى ان هاجر كانت لسارة فوهبتها من ابرهيم عليه السلام
فولدت منه اسمعيل فغارت عليهما فناشدته ان يخرجهما من عندها
فاخرجهما الى ارض مكة فاظهر الله عين زمزم ثم ان جرهم راوا ثم
طيرا فقالوا لا طير الا على الما فقصدوه فراوها وعندها عين
فقالوا اشركينا فى مايك نشركك فى البانتا ففعلت وروى
البخارى عن ابن عباس اول من اتخذ المناطق من النسا ام اسمعيل
اتخذت منطقا لتعفى اثرها على سارة ثم جا بها ابرهيم وبابنها
اسمعيل وهى ترضعه عند البيت عند دوحة فوق زمزم فى اعلا
المسجد وليس بمكة يومئذ احد وليس بها ما فوضعهما هنالك ووضع
عندهما جرابا فيه تمر وسقا فيه ما ثم قفا منطلقا فتبعته ام
اسمعيل فقالت يا ابرهيم اين تذهب وتتركنا بهذا الوادى
قالت ذلك مرارا وجعل ابرهيم لا يلتفت اليها فقالت آلله
امرك بهذا قال نعم قالت اذا لا يضيعنا ثم رجع حتى كان عند
البيت حيث لا يراه احد فاستقبل بوجهه البيت ثم دعا بهذه
الدعوات ورفع يديه فقال رب انى اسكنت من ذريتى حتى
بلغ يشكرون الى اخره واضاف البيت اليه لانه لا يملكه غيره
ربنا ليقيموا الصلاة اللام لام كى وهى متعلقة باسكنت اى
ما اسكنتهم بهذا الوادى البلقع من كل مرتفق ومرتزق الا لاقامة
الصلاة عند بيتك المحرم وتكرير الندا وتوسيطها للاشعار

بانها

بانها المقصودة بالذات من اسكانهم ثم والمقصود من الدعاء
توفيقهم لها وقيل لام الامر والمراد الدعا لهم باقامة الصلاة
كانه طلب منهم الاقامة وسال الله ان يوفقهم لها فاجعل
افيدة من الناس اى افيدة من افيدة الناس ومن للتبعيض
ولذلك قيل لو قال افيدة الناس لازدحمت عليه فارس والروم
والجنه اليهود والنصارى او للابتدا كقولك القلب منى سقيم
اى افيدة ناس والافيدة جمع فواد وهى القلوب وقيل جمع
وفود والاصل وفدة فقدمت اللام وقلبت الواو يا فكانه
قال واجعل وفودا من الناس تهوى اليهم ان تفزع شوقا ووددا
يقال هوى نحوه اذا مال وارزقهم من الثمرات مع سكناهم واديا
لا نبات فيه لعلهم يشكرون تلك النعمة فاجاب الله تعالى
دعوته فجعله حرما امنا يجبى اليه ثمرات كل شى حتى توجد
فيه الفواكه الربيعيه والصيفيه والخريفيه فى يوم واحد وقيل
فعل ذلك بنقل الطايف اليه ربنا انك تعلم ما نخفى وما نعلن
اى تعلم سرنا كما تعلم علننا والمعنى انك اعلم باحوالنا ومصالحنا
وارحم بنا منا بانفسنا فلا حاجة لنا الى الطلب لكننا ندعوك
اظهارا لعبوديتك وافتقارا الى رحمتك واستعجالا لنيل
ما عندك وقيل ما نخفى من وجد الفرقه وما نعلن من التضرع
اليك والتوكل عليك ابن عباس تعلم جميع ما اخفيه وما اعلنه
من الوجد باسمعيل وامه حيث اسكنتهما بواد غير ذى زرع
وتكرير الندا للمبالغة فى التضرع واللجا الى الله وما يخفى على الله

من زايدة شي في الارض ولا في السما لانه العالم بعلم ذاتي تستوي
نسبته الى كل معلوم ومن للاستغراق قيل وهو من قول ابرهيم وقيل
من قول الله تعالى الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اي اعطاني وانا
كبير ايس عن الولد وقيد الهبه بحال الكبر استعظاما للنعمة
واستظهارا لما فيه من الآيه اسمعيل واسحق ابن عباس ولد له
اسمعيل وهو ابن تسع وتسعين سنه واسحق وهو ابن مائة
واثنتي عشرة سنه ان ربي لسميع الدعا اي لمجيبه من قولك سمع
الملك كلامي اذا اعتدّ به وهو من ابنية المبالغة العاملة عمل
الفعل اضيف الى مفعوله رب اجعلني مقيم الصلاة مواظبا
عليها وقيل من الثابتين على الاسلام والتزام احكامه ومن
ذريتي عطف على المنصوب في اجعلني والتبعيض لعلمه باعلام الله
تعالى او استقرا عادته في الامم الماضيه انه يكون في ذريته كفار
ربنا وتقبل دعاي اي واستجب دعاي او المعنى وتقبل عبادتي
وفي الحديث الدعا مخ العبادة ربنا اغفر لي ولوالدي استغفر
لهما ابرهيم قبل ان يثبت عنده ان اباه عدو الله قال القشيري
ولا يبعد ان تكون امه مسلمة لان الله ذكر عذره في استغفاره
لابيه دون امه القرطبي وعلى هذا تدل قراة ابن جبير اغفر لي
ولوالدي يعني اباه وقيل استغفر لهما طمعا في ايمانهما او
استغفر لهما بشرط ان يسلما وقيل اراد ادم وحوا وللمومنين
يوم يقوم الحساب اي يثبت مستعار من القيام على الرجل
كقولهم قامت الحرب على ساق او يقوم اليه اهله فحذف

المضاف

المضاف ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون الكافرون من
اهل مكة وهو خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد
تثبيته على ما هو عليه من ان الله مطلع على احوالهم وافعالهم
لا تخفى عليه خافية والوعد بانه معاقبهم على قليله وكثيره
لا محالة وقيل المعنى اصبر يا محمد كما صبر ابرهيم واعلم
ان تاخير العذاب عن المشركين ليس للرضى بافعالهم بل سنة الله
امهال العصاة مدة او الخطاب لكل من توهم غفلته سبحانه
جهلا بصفاته واغترارا بامهاله وقيل انه تسلية للمظلوم
وتهديد للظالم انما يوخرهم اي يوخر عذابهم ليوم تشخص فيه
الابصار اي تشخص فيه ابصارهم فلا تقر في اماكنها من هول
ما ترى ويقال شخص بصر فلان اذا فتحه فلم يغمضه مهطعين
اي مسرعين الى الداعي او مقبلين بابصارهم لا يطرقون هيبة
وخوفا واصل الكلمة الاقبال على الشي مقنعي روسهم اي رافعي
روسهم ينظرون في ذل ابن عرفة وغيره المقنع الذي يرفع
راسه ويقبل ببصره على ما بين يديه ومنه الاقناع في الصلاة
وقال الحسن وجوه الناس يوميذ الى السما لا ينظر احد الى احد
وقيل ناكسي روسهم قال المهدوي يقال اقنع الرجل اذا رفع
راسه واقنع اذا طاطا راسه ذلة وخضوعا والاية محتملة
للوجهين لا يرتد اليهم طرفهم بل تثبت عيونهم شاخصة
لا تطرف او لا يرجع اليهم نظرهم فينظروا الى انفسهم من شدة
النظر فهي شاخصة والطرف العين سميت به لانه يكون بها

يقال للطرف الرجل اذا اطبق جفنه على الاخر **وافيدتهم هوآ** اى
خلا اى خاليه عن الفهم لا تعى شيا لفرط الحيرة والدهشه
ابن عباس خاليه من كل خير وقيل خربه محترقه لا عقل
فيها والهوا فى اللغة المجوف الخالى وقيل فى الكلام اضمار
اى ذات هوا وقال السدى خرجت قلوبهم من صدورهم
فلنشبت فى حلوقهم **وانذر الناس** الكفار **يوم ياتيهم العذاب**
يعنى يوم القيمه او يوم الموت فانه اول ايام عذابهم وهو
مفعول ثان لانذر اى خوفهم ذلك اليوم وانما خصته
بالعذاب وان كان يوم الثواب ايضا لان الكلام خرج مخرج
التهديد للعاصى **فيقول الذين ظلموا** بالتكذيب والشرك
ربنا اخرنا الى اجل قريب اى اخر العذاب عنا وردنا الى
الدنيا وامهلنا الى حد من الزمان قريب او اخر اجالنا وابقنا
مقدار ما نومن بك ونجيب دعوتك **نجب دعوتك** الى الايمان
ونتبع الرسل وهو جواب الطلب ونظيره لولا اخرتنى الى
اجل قريب فاصدق واكون من الصالحين فيقال لهم توبيخا
اولم تكونوا اقسمتم حلفتم **من قبل ما لكم من زوال** وما لكم
جواب القسم جا بلفظ الخطاب على المطابقه دون الحكايه
والمعنى اقسمتم انكم باقون فى الدنيا لا تزالون ولعلهم اقسموا
بطرا وغرورا او دل عليه حالهم حيث بنوا مشيدا واملوا
بعيدا وقيل اقسموا انهم لا ينتقلون الى دار اخرى وانهم اذا
ماتوا لا يزولون عن تلك الحاله كقوله واقسموا بالله جهد

ايمانهم لا يبعث الله من يموت قال مجاهد هو قسم قريش
انهم لا يبعثون ولا يحشرون **وسكنتم** فى الدنيا **فى مساكن
الذين ظلموا انفسهم** بالكفر والمعاصى كعاد وثمود فهلا
اعتبرتم بمساكنهم **وتبين لكم كيف فعلنا بهم** بما تشاهدون
فى منازلهم من اثار ما نزل بهم وما تواتر عندكم من اخبارهم فلم
تنزجروا **وضربنا لكم الامثال** من القران فى احوالهم اى بينا لكم
انكم مثلهم فى الكفر واستحقاق العذاب او صفات ما فعلوا
وفعل بهم التى هى فى الغرابه كالامثال المضروبه فلم تعتبروا
وقد مكروا مكرهم المستفرغ فيه جهدهم لابطال الحق
وتقرير الباطل وقيل مكرهم بالنبى حيث ارادوا قتله او
حبسه او اخراجه **وعند الله مكرهم** اى ومكتوب عند الله
فعلهم فهو يجازيهم عليه او عند الله ما يمكرهم به جزا لمكرهم
وابطالا له **وان كان مكرهم** فى العظم والشدة **لتزول
منه الجبال** اى لا يعبا الله به ولا يضر الا انفسهم وقيل
ان نافية واللام موكدة لها كقوله وما كان الله ليعذبهم
اى وما كان مكرهم لتزول منه الجبال الضعفه ووهنه
فى قراة كسر اللام الاولى وفتح الثانية نصبا بلام كى
وقرى بفتح الاولى على انها لام الابتدا ورفع الثانية وان مخففه
من الثقيله ومعنى هذه القراه استعظام مكرهم اى ولقد
عظم حتى كادت الجبال تزول منه وينا سبه على هذه القراة
تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا

والمراد به كفرهم والجبال التي عني زوالها بمكرهم قيل جبال
الارض وقيل الاسلام والقران لانه لثبوته ورسوخه
كالجبال والمعني وان كان مكرهم في تقديرهم لتزول منه الجبال
ويوثر في ابطال الاسلام والجبال لا تزول ولكن العبارة عن
تعظيم الشي **فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله** مثل قوله
انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلي واصله مخلف رسله
وعده فقدم المفعول الثاني ايذانا بانه لا يخلف الوعد اصلا
لقوله ان الله لا يخلف الميعاد واذا لم يخلف وعده احدا فكيف
يخلف رسله **ان الله عزيز** غالب لا يماكر قادر لا يدافع **ذو
انتقام** لاوليايه من اعدايه **يوم تبدل الارض غير الارض**
بدل من يوم ياتيهم او ظرف للانتقام ولا يجوز ان ينتصب
بمخلف لان ما قبل ان لا يعمل فيما بعدها وقيل منصوب باذكر
وغير نعت لمحذوف اي ارضا غير الارض **والسموات** عطف
على الارض وتقديره والسموات غير السموات والتبديل يكون
في الذات كقولك بدلت الدرهم بالدينار وعليه قوله بدلنا
جلودا غيرها وفي الصفة كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا
اذبتها وغيرت شكلها وعليه قوله يبدل الله سياتهم حسنات
والاية تحتملها فعن علي رضي الله عنه تبدل ارضا من فضة
وسموات من ذهب وعن ابن مسعود وانس يحشر الناس على ارض
بيضا لم يخط عليها احد خطيئة وعن ابن عباس هي تلك الارض
وانما تغير صفاتها ويدل عليه ما روى ابو هريرة انه صلى الله

عليه

عليه وسلم قال تبدل الارض غير الارض فيبسط وتمد مد
الاديم العكاظي لا ترى فيها عوجا ولا امتا فتبديل الارض
يكون بتسوية اكامها ونسف جبالها ومد ارضها وتبديل
السما يكون بتكوير شمسها وقمرها وتناثر نجومها وقيل
باختلاف احوالها فمرة كالمهل ومرة كالدهان القرطبي
والصحيح ازالة عين هذه الارض حسب ما ثبت في الصحيح وفي
صحيح مسلم يحشر الناس يوم القيمة على ارض بيضا عفرا كقرصة
النقي ليس فيها علم لاحد وعن ثوبان جا حبر من اليهود الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اين يكون الناس يوم
تبدل الارض غير الارض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
هم في الظلمة دون الحشر وعن عايشة رضي الله عنها سالت
النبي صلى الله عليه وسلم عن هذه الاية يوم تبدل الارض
غير الارض اين يكون الناس يوميذ قال على الصراط **وبرزوا**
خرجوا من اجداثهم **لله الواحد القهار** لمحاسبته ومجازاته
ووصفه بالوصفين للدلالة على ان الامر في غاية الصعوبة
كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فان الامر اذا كان
لواحد غالب لا يغالب فلا مستغاث لاحد الى غيره ولا مستجار
وترى تبصر **المجرمين** اي المشركين **يوميذ مقرنين** قرن بعضهم
مع بعض بحسب مشاركتهم في العقايد والاعمال كقوله واذا
النفوس زوجت او قرنوا مع الشياطين ومع ما اكتسبوا من
العقايد الزايغة والملكات الباطلة او قرنت ايديهم وارجلهم

الى رقابهم بالاغلال وهو يحتمل ان يكون تمثيلا لمواخذتهم
على ما اقترفته ايديهم وارجلهم **في الاصفاد** متعلق بمقرنين
او حال من ضميره والصفد القيد واصله الشد **سرابيلهم**
اى قمصانهم **من قطران** وهو ما يتحلب من الابهل فيطبخ ويهنا
به الابل الجربى فيحرق الجرب بحدته وهو اسود منتن تشتعل
فيه النار بسرعة يطلى به جلود اهل النار حتى يكون طلاء
كالقمص ليجتمع عليهم لذع القطران ووحشة لونه ونتن ريحه
مع اسراع النار فى جلودهم على ان التفاوت بين القطرانين
كالتفاوت بين النارين وقيل هو النحاس والصفر المذاب
وتغشى وجوههم النار اى وتتغشاها وتعلو عليها لانهم لم
يتوجهوا الى الحق ولم يستعملوا فى تدبره مشاعرهم وحواسهم
التى خلقت فيها كما تطلع على افيدتهم لانها فارغة من المعرفة
مملوة بالجهالات ونظيره افمن يتقى بوجهه سوء العذاب
وقوله يوم يسحبون فى النار على وجوههم **ليجزى الله كل نفس**
اى يفعل بهم ذلك ليجزى كل نفس مجرمة **ما كسبت** او كل نفس من
مجرمة او مطيعة لانه اذا بين ان المجرمين يعاقبون لاجرامهم
علم ان المطيعين يثابون لطاعتهم ويتعين ذلك ان علق اللام
ببرزوا **ان الله سريع الحساب** يحاسب جميع الخلايق فى قدر
نصف نهار من ايام الدنيا لحديث بذلك لانه لا يشغله شى عن
شى **هذا** اشارة الى القران او السورة او ما فيها من العظة
والتذكير **بلاغ للناس** اى كفاية لهم فى الموعظة **ولينذروا به**

اى

اى يخوفوا به عقاب الله وهو عطف على محذوف اى لينصحوا ه
ولينذروا عند البلاغ فتكون اللام متعلقة ببلاغ ويجوز
ان يتعلق بمحذوف تقديره ولينذروا به انزل وتلى **وليعلموا
انما هو اله واحد** بالنظر والتامل فيما فيه من الايات الدالة
عليه او المنبهة على ما يدل عليه **وليذكر اولوا الالباب**
اى وليتعظ ارباب العقول واعلم انه سبحانه وتعالى ذكر لهذا
البلاغ ثلاث فوايد الغاية فى الحكمة فى انزال الكتب بتكميل
الرسل واستعمالهم القوة النظريه التى منتهى كمالها التوحيد
واستصلاح القوة العمليه الذى هو التدرع بلباس التقوى
جعلنا الله بها من الفايزين امين **سورة الحجر مكيه**
**بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك ايات الكتاب
وقران مبين** الاشاره الى ايات السوره والكتاب هو السورة
وكذا القران والاضافة بمعنى من وقران مبين عطف عليه بزيادة
وصفه وتنكيره للتفخيم اى ايات الجامع لكونه كتابا كاملا ه
وقرانا يبين الرشد من الغى بيانا عربيا وقيل الكتاب اسم
لجنس الكتب المتقدمة من التوراة والانجيل **ربما يود** يتمنى
الذين كفروا لو كانوا مسلمين حين عاينوا حال المسلمين عند حلول
النصر او حلول الموت قال الضحاك هذا التمنى انما هو عند المعاينة
فى الدنيا حين يتبين لهم الهدى من الضلال او يوم القيمة قال
الحسن اذا راى المشركون المسلمين وقد دخلوا الجنة وما راوهم
فى النار تمنوا انهم كانوا مسلمين ورب حرف جر لا يعمل فيها الا ما بعد

والعامل هنا محذوف وقرئ بالتخفيف وبالتشديد وهما
لغتان ولا تدخل على الفعل فاذا دخل عليها ما هياها
للدخول على الفعل وما كافه تكف عن الجر وحقها ان تدخل
على الماضي لكن لما كان المترقب في اخبار الله تعالى كالماضي
في تحققه اجرى مجراه وقيل ما نكره موصوفه كقوله
ربما تكره النفوس من الامر ما له فرجة كحل العقال
واصلها ان تستعمل في القليل وقد استعمل في الكثير كما
هنا وقال بعضهم هي للتقليل كما في هذا الموضع لانهم
قالوا ذلك في بعض الاحيان لشغلهم بالعذاب وما
يدهشهم من اهوال القيمه فاذا حانت منهم افاقة
في بعض الاوقات تمنوا ذلك **ذرهم** اي دعهم **ياكلوا
ويتمتعوا** بدنياهم **ويلههم الامل** اي يشغلهم توقعهم لطول
الاعمار واستقامة الاحوال عن الاستعداد للمعاد
فسوف يعلمون سوء صنيعهم اذا راوا وعاينوا في القيمه
جزاه وذاقوا وبال ما صنعوا والغرض اقناط الرسول
صلى الله عليه وسلم من ارعوايهم وايذانه بانهم من
اهل الخذلان وهذا قبل الامر بالقتال وفيه الزام الحجه
وتحذير عن ايثار التنعم وما يودي اليه طول الامل وفي
الحديث اربعة من الشقا جمود العين وقسا القلب
وطول الامل والحرص على الدنيا وطول الامل دا عضال
ومرض مزمن ومتى تمكن من القلب فسد مزاجه وصعب علاجه
ولم

ولم يفارقه دا ولا ينجع فيه دوا بل اعيى الاطبا وييس
من برئه الحكما والعلما وحقيقه الامل الحرص على الدنيا
والانكباب عليها والحب لها والاعراض عن الاخره وفي
الحديث نجا اول هذه الامه باليقين والزهد ويهلك
اخرها بالبخل والامل **وما اهلكنا من** زايده **قريه** اريد
اهلها **الا ولها كتاب معلوم** اي اجل مقدر لهلاكها كتب
في اللوح المحفوظ والمستثنى جملة واقعة صفه لقريه
والاصل ان لا تدخلها الواو كقوله تعالى الا لها منذرون
ولكن لما شابهت صورتها صورة الحال دخلت عليها
تاكيد اللصوقها بالموصوف **ما تسبق من** زايده **امة
اجلها وما يستاخرون** اي لا يتجاوز اجلها فتزيد ولا
تتقدم قبله وتذكير ضمير امة فيه للحمل على المعنى **وقالوا
يايها الذي نزل عليه الذكر** نادوا به النبي صلى الله عليه
وسلم على وجه التهكم الا ترى ما نادوه له وهو قولهم **انك
لمجنون** ونظير ذلك قول فرعون ان رسولكم الذي ارسل
اليكم لمجنون والمعنى انك لتقول قول المجانين حين تدعي ان الله
نزل عليك الذكر اي القران وقايله كفار قريش **لوما** اي
هلا **تاتينا** ركب لو مع ما كما ركب مع لا لمعنيين امتناع
الشي لوجود غيره والتحضيض **بالملايكة** ليصدقوك ويعضدوك
على الدعوه كقولهم لولا انزل عليه ملك فيكون معه نذيرا
او للعقاب على تكذيبنا لك كما كانت لامم المكذبه قبلك

للملائكة اى تذهب وتجى اى لو كشف لهم حتى يعاينوا ابوابا
فى السما تصعد فيها الملائكة وتنزل لقالوا من غلوهم فى العناد
وتشكيكهم فى الحق انما سكرت ابصارنا اى سدت عن الابصار
بالسحر قاله ابن عباس وغيره الحسن سحرت الكلبى اغشيت قتادة
اخذت وقيل دير بنا من الدوران اى صارت ابصارنا سكرى
وقيل خدعت وقرئ بالتخفيف والتشديد قال المهدوى
والتشديد للتكثير وقيل بالتخفيف سحرت وبالتشديد
اخذت وقيل غير ذلك والمعنى لو اجيبوا الى ما اقترحوا من
الايات لاصروا على الكفر وتعللوا بالخيالات كما قالوا للقران
المعجز سحر بل نحن قوم مسحورون قد سحرنا محمد بذلك كما قالوا
عند ظهور غيره من الايات وفى الاضراب دلالة على البت
بان ما يرونه لا حقيقة له بل هو باطل يخيل ما يخيل اليهم بنوع
من السحر ولقد جعلنا فى السما بروجا اثنى عشر مختلفة الهيات
والخواص على ما دل عليه الرصد وتقدم ذكر اسمايها ابن عباس
هى منازل الشمس والقمر وقيل الكواكب العظام وهى السبعة
السيارة وقيل البروج القصور والمنازل وزيناها بالكواكب
للناظرين اى للمعتبرين المستدلين بها على قدرة مبدعها
وتوحيد صانعها وحفظناها بالشهب من كل شيطان رجيم
فلا يقدر ان يصعد اليها ويوسوس اهلها ويتصرف فى امرها
ويطلع على احوالها ورجيم معناه مرجوم والرجم الرمى بالحجارة
واللعن والطرد الا من استرق السمع بدل من كل شيطان وقيل

المعنى

المعنى لكن من استرق فالاستثنا منقطع واستراق السمع اختلاسه
سرًا شبه خطفتهم اليسيره من قطان السما لما بينهم من المناسبة
فى الجوهر او بالاستدلال من اوضاع الكواكب وحركاتها وعن
ابن عباس انهم كانوا لا يحجبون من السموات فلما ولد عيسى عليه
السلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه
وسلم منعوا من كلها بالشهب وقيل المعنى وحفظناها من
الشياطين ان تسمع من الوحى وغيره الا من استرق السمع فانا لم
نحفظها منه ان تسمع الخبر من اخبار السما سوى الوحى فلا تسمع
منه شيا لقوله تعالى انهم عن السمع لمعزولون فاتبعه اى تبعه
ولحقه شهاب مبين اى كوكب مضئ ظاهر للمبصرين يحرقه او
يثقبه او يخبله واصل الشهاب شعلة نار ساطعة وقد
تطلق للكوكب والسنان لما فيهما من البريق وقيل هو شعلة
نار تبين لاهل الارض ولا تعود اذا احرقت بخلاف الكوكب
فاذا احرق عاد الى مكانه وقال ابن عباس الشهاب يحرق
ويخبل ولا يقتل وقال الحسن وطايفة يقتل فعلى هذا القول
قيل انهم يقتلون قبل القا ما استرقوه من السمع الى غيرهم
فلا تصل اخبار السما الى غير الانبيا ولذلك انقطعت الكهانه
وقيل يقتلون بعد القايهم ما استرقوه ولا يعودون ولو
لم يصل لانقطع الاستراق والاحراق ذكره الماوردى ولا يقدح
فى ذلك كونها قبل المولد لجواز ان يكون لها اسباب اخر
وقال الزجاج والرمى بالشهب من ايات النبى صلى الله عليه وسلم

للملايكة اى تذهب وتجى اى لو كشف لهم لاحتى يعاينوا ابوابا
فى السما تصعد فيها الملايكه وتنزل لقالوا من غلوهم فى العناد
وتشكيكهم فى الحق انما سكرت ابصارنا اى سدت عن الابصار
بالسحر قاله ابن عباس وغيره الحسن سحرت الكلبى اغشيت قتادة
اخذت وقيل ديرنا من الدوران اى صارت ابصارنا سكرى
وقيل خدعت وقرى بالتخفيف والتشديد قال المهدوى
والتشديد للتكثير وقيل بالتخفيف سحرت وبالتشديد
اخذت وقيل غير ذلك والمعنى لو اجيبوا الى ما اقترحوا من
الايات لاصروا على الكفر وتعللوا بالخيالات كما قالوا للقران
المعجز سحر بل نحن قوم مسحورون قد سحرنا محمد بذلك كما قالوا
عند ظهور غيره من الايات وفى الاضراب دلالة على البت
بان ما يرونه لا حقيقة له بل هو باطل يخيل ما خيل اليهم بنوع
من السحر ولقد جعلنا فى السما بروجا اثنى عشر مختلفة الهيات
والخواص على ما دل عليه الرصد وتقدم ذكر اسمايها ابن عباس
هى منازل الشمس والقمر وقيل الكواكب العظام وهى السبعة
السيارة وقيل البروج القصور والمنازل وزيناها بالكواكب
للناظرين اى للمعتبرين المستدلين بها على قدرة مبدعها
وتوحيد صانعها وحفظناها بالشهب من كل شيطان رجيم
فلا يقدر ان يصعد اليها ويوسوس اهلها ويتصرف فى امرها
ويطلع على احوالها ورجيم معناه مرجوم والرجم الرمى بالحجارة
واللعن والطرد الا من استرق السمع بدل من كل شيطان وقيل

المعنى

المعنى لكن من استرق فالاستثنا منقطع واستراق السمع اختلاسه
سرا شبه خطفتهم اليسيره من قطان السما لما بينهم من المناسبة
فى الجوهر او بالاستدلال من اوضاع الكواكب وحركاتها وعن
ابن عباس انهم كانوا لا يحجبون من السموات فلما ولد عيسى عليه
السلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه
وسلم منعوا من كلها بالشهب وقيل المعنى وحفظناها من
الشياطين ان تسمع من الوحى وغيره الا من استرق السمع فانا لم
نحفظها منه ان تسمع الخبر من اخبار السما سوى الوحى فلا تسمع
منه شيا لقوله تعالى انهم عن السمع لمعزولون فاتبعه اى تبعه
ولحقه شهاب مبين اى كوكب مضى ظاهر للمبصرين يحرقه او
يثقبه او يخبله واصل الشهاب شعلة نار ساطعة وقد
تطلق للكوكب والسنان لما فيهما من البريق وقيل هو شعلة
نار تبين لاهل الارض ولا تعود اذا احرقت بخلاف الكوكب
فاذا احرق عاد الى مكانه وقال ابن عباس الشهاب يحرق
ويخبل ولا يقتل وقال الحسن وطايفة يقتل فعلى هذا القول
قيل انهم يقتلون قبل القا ما استرقوه من السمع الى غيرهم
فلا تصل اخبار السما الى غير الانبيا ولذلك انقطعت الكهانه
وقيل يقتلون بعد القايهم ما استرقوه ولا يعودون ولو
لم تصل لانقطع الاستراق والاحراق ذكره الماوردى ولا يقدح
فى ذلك كونها قبل المولد لجواز ان يكون لها اسباب اخر
وقال الزجاج والرمى بالشهب من ايات النبى صلى الله عليه وسلم

مما حدث بعد مولده ولا يبعد ان يقال انقضاض الكوكب
كان في قديم الزمان ولكنه لم يكن رجوما للشياطين ثم صار
رجوما حين ولد النبي صلى الله عليه وسلم **والارض مددنا**[ها]
اي بسطناها على وجه الما قال ابن عباس قيل وهو يرد على
من زعم ان الارض كره ويأتي ما فيه في سورة الغاشيه **والقينا**
فيها رواسي اي جبالا ثوابت لئلا تتحرك باهلها **وانبتنا فيها**
اي في الارض او فيها وفي الجبال **من كل شي موزون** اي مقدر
بمقدار معين تقتضيه حكمته او مستحسن مناسب من قولهم
كلام موزون او المعنى من كل شي يوزن او له وزن في ابواب
النعمة والمنفعة وقال قتادة موزون مقسوم والمقصود
من الانبات الانشا والايجاد وقيل الضمير للجبال اي انبتنا
في الجبال من كل شي يوزن كالذهب والفضه والنحاس
والرصاص والقزدير حتى الكحل والزرنيخ روي معناه
للحسن وغيره **وجعلنا لكم فيها معايش** بالياء تعيشون بها
من المطاعم والملابس وقيل هي التصرف في اسباب الرزق
مدة الحياة **ومن لستم له برازقين** عطف على معايش او على محل
لكم او وجعلنا لكم و يريد به العيال والخدم والمماليك
وسائر ما يظنون انهم يرزقونهم ظنا كاذبا فان الله يرزقكم
واياهم وقال مجاهد يريد الدواب والانعام وقيل الوحش
وقيل الملايكة **وان من** زايده **شي الا عندنا خزاينه** اي وما
شي الا نحن قادرون على ايجاده وتكوينه اضعاف ما وجد منه

فقدر

فضرب الخزاين مثلا لاقتداره او شبه مقدوراته بالاشيا
المخزونه التي لا يحوج اخراجها الى كلفة واجتهاد وعن جعفر بن
محمد عن ابيه عن جده انه قال في العرش مثال كل شي خلقه الله في
البر والبحر وهو تاويل قوله وان من شي الا عندنا خزاينه وقيل
وان من شي من ارزاق الخلق ومنافعهم الا عندنا خزاينه يعني المطر
المنزل من السما لان به نبات كل شي قال الحسن المطر خزاين كل شي
وروي عن ابن مسعود وغيره انه ليس عام باكثر مطرا من عام لكن الله
يقسمه كيف شا فيمطر قوم ويحرم اخرون وربما كان المطر
في البحار والقفار والانزال بمعنى الانشا والايجاد وقال الكلبي
الخزاين المفاتيح اي في السما مفاتيح الارزاق **وما ننزله الا بقدر**
معلوم اي ولكن لا ننزله الا على حسب مشيئتنا وعلى حسب
حاجة الخلق اليه وتخصيص بعضها بالايجاد في بعض الاوقات
مشتملا على بعض الصفات والحالات لا بد له من مخصص حكيم
وارسلنا الرياح لواقح اي حوامل شبه الريح التي جاءت بخير
من انشا سحاب ماطر بالحامل كما شبه ما لا يكون كذلك بالعقيم
او ملقحات للشجر او السحاب فتمتلي ما **فانزلنا من السما** اي
السحاب وكل ما علاك فاظلك يسمى سما وقيل المعنى من جهة
السما **ما** اي مطرا **فاسقيناكموه** اي جعلناه لسقياكم ولشرب
مواشيكم وارضكم **وما انتم له بخازنين** اي قادرين متمكنين
من اخراجه او ليست خزاينه بايديكم نفى عنهم ما اثبته لنفسه
وقيل حافظين له في الغدران والابار والعيون وذلك ايضا

يدل على المدبر الحكيم كما تدل حركة الهوا في بعض الاوقات من
بعض الجهات على وجه ينتفع به الناس فان طبيعة الماء
تقتضي الغور فوقوفه دون حد لابد له من سبب مخصص
وقال سفيان لستم بما نعين المطر **وانا لنحن نحيي** بايجاد الحياه
في بعض الاجسام القابلة لها **ونميت** بازالتها وقد اول الحياة
بما يعم الحيوان والنبات وتكرير الضمير للدلالة على الحصر
ونحن الوارثون اي الباقون اذا مات الخلايق كلها وملك
كل شي لله تعالى ولكن ملك عباده املاكا فاذا ماتوا انقطعت
الدعاوي فكان تعالى وارثا من هذا الوجه **ولقد علمنا
المستقدمين منكم ولقد علمنا المستاخرين** اي من استقدم
ولادة وموتا ومن استاخر او من خرج من اصلاب الرجال ومن لم
يخرج او من تقدم في الاسلام والجهاد وسبق الى الطاعة او تاخر
لا يخفى علينا شي من احوالكم وهو بيان لكمال علمه بعد
الاحتجاج على كمال قدرته فان ما يدل على قدرته دليل على
علمه وقال مجاهد المستقدمين من تقدم امة محمد والمستاخرين
امة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل في صفوف الصلاة
فقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رغب في الصف
الاول فازدحموا عليه فنزلت وقيل ان امراة حسنا كانت
تصلي خلف النبي صلى الله عليه وسلم فتقدم بعض القوم
لئلا ينظر اليها فنزلت وقيل غير ذلك وكل هذا معلوم لله
تعالى الا ان القول الاخير هو سبب نزول الاية كما رواه الترمذي
والنسائي

والنسائي عن ابن عباس **وان ربك هو يحشرهم** لا محالة للجزاء
وتوسط الضمير للدلالة على انه القادر والمتولي لحشرهم لا غيره
وتصدير الجملة بان لتحقيق الوعد والتنبيه على ان ما سبق من
الدلالة على كمال قدرته وعلمه بتفاصيل الاشيا يدل على صحة
الحكم كما صرح به في قوله **انه حكيم** باهر الحكمة متقن في افعاله
عليم وسع علمه كل شي **ولقد خلقنا الانسان** يعني ادم **من
صلصال** من طين يابس يصلصل اي يصوت اذا جف ونقر فاذا
طبخ بالنار فهو الفخار قال مجاهد الصلصال الطين المنتن
واختاره الكسائي قال وهو من قول العرب صل اللحم واصل
اذا انتن مطبوخا كان او نيا فكان اولا ترابا متفرق الاجزا ثم
بل فصار طينا ثم ترك حتى انتن فصار حما مسنونا كما قال **من
حما** اي طين اسود من طول مجاورة الما وهو صفة صلصال
اي كاين من حما **مسنون** مصور اخذ من سنة الوجه وهو صورته
قاله سيبويه وقيل متغير او مصبوب كالجواهر المذابة
تصب في القوالب من السن وهو الصب كانه افرغ الحما فصور
منها تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم
غير ذلك طورا بعد طور حتى سواه ونفخ فيه من روحه
والجان يعني ابا الجن وقيل ابليس ويجوز ان يراد به الجنس
كما هو الظاهر من الانسان لان تشعب الجنس لما كان من
شخص واحد خلق من مادة واحدة كان الجنس باسره مخلوقا
منها وانتصابه بفعل يفسره **خلقناه من قبل** اي من قبل خلق

الانسان **من نار السموم** اى من نار الحر الشديد النافذ فى المسام
ولا يمتنع خلق الحياة فى الاجرام البسيطة كما لا يمتنع خلقها
فى الجواهر المجردة فضلا عن الاجساد المولفة التى الغالب فيها
الجزء الارضى وقوله من نار السموم باعتبار الغالب كقوله
تعالى خلقكم من تراب وقال ابن مسعود نار السموم التى خلق
منها الجان جزء من سبعين جزءا من نار جهنم وقال ابن عباس السموم
الريح الحارة التى تقتل وعنه انها نار لا دخان لها والصواعق
تكون منها وهى نار تكون بين السما والحجاب فاذا احدث الله
امرا احرقت الحجاب فهوت الصاعقة فالهدة التى تسمعون
خرق ذلك الحجاب **واذ قال ربك** اى واذكر وقت قوله **للملايكة**
انى خالق بشرا من صلصال من حما مسنون فاذا سويته اى
عدلت خلقته وهياته **ونفخت** اجريت **فيه من روحى** حتى
جرى اثاره فى تجاويف اعضايه فيحيى واصل النفخ اجرا الريح
فى تجويف جسم اخر ولما كان الروح يتعلق اولا بالبخار اللطيف
المنبعث من القلب ويفيض عليه القوة الحيوانيه فيسرى
حاملا لها فى تجويف الشرايين الى اعماق البدن جعل تعليقه
بالبدن نفخا والروح جسم لطيف جرى الله العادة بان
يخلق الحياة فى البدن مع ذلك الجسم وحقيقته اضافة
خلق الى خالق وهو خلق من خلقه واضافه الى نفسه
تشريفا وتكريما كقوله ارضى وسماى وبيتى وناقة الله
وشهر الله ومثله وروح منه والروح والنفس اسمان
لمسمى

لمسمى واحد ومن قال الروح هى الحياة قال اراد فاذا ركبت فيه
الحياه **فقعوا له** اى فاسقطوا له **ساجدين** هو سجود تحيه
لا سجود عبادة ولله ان يفضل من يشا ففضل الانبيا على
الملايكة وقيل امروا بالسجود لله عند اده وكان ادم قبلة
لهم **فسجد الملايكة كلهم اجمعون** اكد بالكل للاحاطة قيل
وباجمعين للدلالة على انهم سجدوا مجتمعين دفعة وفيه نظر
اذ لو كان كذلك كان الثانى حالا لا تاكيدا بل هو تاكيد
ايضا **الا ابليس ابى ان يكون مع الساجدين** لا شك ان ابليس
كان مامورا بالسجود لقوله ما منعك ان لا تسجد اذ امرتك
وانما منعه من ذلك الاستكبار ثم قيل كان من الملايكه فهو
استثنا من الجنس وقال قوم لم يكن منهم فهو استثنا منقطع
والمعنى لكن ابليس ابى قال ابن عباس الجان ابو الجن وليسوا
شياطين والشياطين ولد ابليس لا يموتون الا معه والجن
يموتون ومنهم المومن والكافر فادم ابو الانس والجان
ابو الجن وابليس ابو الشياطين **قال يا ابليس مالك ان لا تكون** اى
ما المانع لك فى ان لا تكون ولا زايده **مع الساجدين** لادم
قال لم اكن لاسجد اللام لتاكيد النفى اى لا يصح منى وينافى حالى
ان اسجد **لبشر** جسمانى كثيف وانا ملك روحانى **خلقته من**
صلصال من حما مسنون وهو اخس العناصر وخلقتنى من نار
وهى اشرفها استنقص ادم باعتبار النوع والاصل واستبعد
ان يكون مثله مامورا بالسجود لمثله فكانه قال المانع انى خير منه

ولا يحسن للفاضل ان يسجد للمفضول وقد غلط في ذلك بان
راى الفضل كله باعتبار العنصر وغفل عما يكون باعتبار
الفاعل كما اشار اليه بقوله ما منعك ان تسجد لما خلقت
بيدى اى بغير واسطة وباعتبار الصوره كما نبه عليه بقوله
ونفخت فيه من روحى وباعتبار الغايه وهو ملاكه ولذلك
امر الملايكة بالسجود له لما بين لهم انه اعلم منهم وان له خواص
ليست لغيره قال فاخرج منها اى من السما والجنه او زمر
الملايكه فانك رجيم اى مطرود من الخير والكرامه فان من
يطرد يرجم بالحجر او انك شيطان ترجم بالشهب وهو وعيد
يتضمن الجواب عن شبهته وان عليك اللعنة اى لعنتى كما في ص
واللعنة الطرد والابعاد الى يوم الدين اى الجزا قيل انما
حد اللعن به لانه ابعد غاية يضربها الناس او لانه يعذب
فيه بما ينسى اللعن معه فيصير كالزايل قال رب فانظرنى اى
فاخرنى والفا متعلقة بمحذوف دل عليه فاخرج منها
فانك رجيم الى يوم يبعثون اى الناس لم يكن هذا السوال
من ابليس ثقة منه بمنزلته عند الله ولكن ساله تاخير
عذابه زيادة في بلايه واراد بسواله الانظار الى يوم يبعثو
ان لا يموت فاجابه تعالى قال فانك من المنظرين يعنى من المؤجلين
الى يوم الوقت المعلوم قال ابن عباس اراد به النفخة الاولى
حين تموت الخلايق وهذه المخاطبة من الله تعالى قيل على لسان
رسول وقيل بغير واسطه فان كان كذلك لم تدل على ه

منصب

منصب ابليس لان خطاب الله تعالى له على سبيل الاهانه والاذلال
قال رب بما اغويتنى الباء للقسم وما مصدريه وجوابه لازينن
لهم في الارض والمعنى اقسم باغوايك اياى لازينن لهم المعاصى في الدنيا
التى هى دار الغرور وفي انعقاد اليمين بافعال الله خلاف وقيل
الباء للسببيه وتزيينه يكون بالمعاصى او يشغلهم بزينة الدنيا
عن فعل الطاعة ولاغوينهم اجمعين اى لاحملنهم جميعا على الغواية
الا عبادك منهم المخلصين قرى بالفتح اى الذين اخلصتهم لطاعتك
وطهرتهم فلا يعمل فيهم كيدى وقرى بالكسر اى لخلصوا نفوسهم
لله وهم المومنون وروى ان الحواريين سالوا عيسى عليه السلام
عن المخلص لله فقال الذى يعمل ولا يحب ان يحمده الناس قال تعالى
هذا صراط على مستقيم الاشارة الى ما تضمنه الاستثنا وهو
تخلص المخلصين من اغوايه او الاخلاص على معنى انه طريق على يودى
الى من غير اعوجاج وضلال وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه
هذا صراط يستقيم بصاحبه حتى يهجم به على الجنه وقال الحسن على
بمعنى الى وقال مجاهد والكساى هذا على معنى الوعيد والتهديد
كقولك لمن تهدده طريقك على ومصيرك الى فكان المعنى
هذا طريق مرجعه الى فاجازى كلا بعمله وقيل المعنى على ان
ادل على الصراط المستقيم بالبيان والبرهان وقرى على من علو
الشرف ان عبادى ليس لك عليهم سلطان قوة قال العلما يعنى
على قلوبهم وموضع ايمانهم ثم ان قوله ليس لك عليهم سلطان ه
يحتمل ان يكون خاصا فيمن حفظه الله وان يكون في اكثر الاوقات

والاحوال الا من اتبعك من الغاوين اى الضالين المشركين وهو تصديق
لابليس فيما استثناه او تكذيب له فيما اوهم ان له سلطانا
على من ليس بمخلص من عباده فان منتهى تزيينه التحريض والتدليس
كما قال وما كان لى عليكم من سلطان وعلى هذا يكون استثنا
منقطعا وعلى الاول يدفع قول من شرط ان يكون المستثنى اقل
من الباقى لافضايه الى تناقض الاستثناءين وان جهنم لموعدهم
اى لموعد الغاوين او المتبعين لك اجمعين اى ابليس ومن تبعه
لها سبعة ابواب يدخلون فيها لكثرتهم او طبقات ينزلونها
بحسب مراتبهم فى المتابعة وهى جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم
السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية وقيل فى ترتيبها
غير هذا القرطبى وجهنم اعلى الدركات وهى مختصة بالعصا
من امة محمد صلى الله عليه وسلم وهى التى تخلى من اهلها
فتصفق الرياح ابوابها وقال الضحاك فى الدرك الاعلى ٥
المحمديون وفى الثانى النصارى وفى الثالث اليهود وفى
الرابعة الصابيون وفى الخامس المجوس وفى السادس مشركوا
العرب وفى السابع المنافقون وآل فرعون ومن كفر من اهل
المايده انتهى وكل باب اشد حرا من الذى يليه بسبعين ضعفا
لكل باب منهم اى من الاتباع جزء مقسوم اى حظ معلوم
افرز له وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى قوله لكل باب منهم جزء مقسوم قال جزء اشركوا بالله وجزء
شكوا فى الله وجزء غفلوا عن الله ان المتقين من اتباعه فى الكفر

والفواحش

فان غيرها مكفرة فى جنات بساتين وعيون لكل واحد جنة
وعين او لكل عدة منهما لقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان
وقوله مثل الجنة التى وعد المتقون فيها انهار من ماء الاية
ادخلوها على ارادة القول بسلام اى بسلامة من كل داء وآفة
وقيل بتحية من الله لهم وهو امر اكرام آمنين اى من الموت
والعذاب والعزل والزوال ونزعنا فى الدنيا بما الف بين
قلوبهم او فى الجنة بتطييب نفوسهم ما فى صدورهم من غل
من حقد كان فى الدنيا وعن على رضى الله عنه ارجو ان اكون
انا وعثمان وطلحة والزبير منهم او من التحاسد على درجات الجنة
ومراتب القرب وعن ابن عباس اول ما يدخل اهل الجنة الجنة
تعرض لهم عينان فيشربون من احدى العينين فيذهب الله
ما فى قلوبهم من غل ثم يدخلون العين الاخرى فيغتسلون فيها
فتشرق الوانهم وتجرى عليهم نضرة النعيم اخوانا حال من الضمير
فى آمنين او فاعل ادخلوها او الضمير المضاف اليه والعامل فيها
معنى الاضافة وكذا قوله على سرر متقابلين وقيل غير ذلك
وفى التفسير لا ينظر بعضهم الى قفا بعض تواصلا وتحابيا وقيل
ان الاسرة تدور بهم كيف ما شاؤا ابن عباس على سرر مكللة
بالياقوت والزبرجد والدر السرير ما بين صنعا الى الجابية
وما بين عدن الى ايله او المعنى قد اقبلت عليهم الازواج ٥
واقبلوا عليهم بالود لا يمسهم فيها نصب استينافا وحال
بعد حال والنصب الاعيا والتعب وما هم منها بمخرجين اى هم

فيها باقون دايمون فان تمام النعمة بالخلود نبّئ اي خبر يا محمد
عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم
هذه الايه وزان قوله عليه الصلاة والسلام لو يعلم المومن
ما عند الله من العقوبه ما طمع بجنته احد ولو يعلم الكافر
ما عند الله من الرحمه ما قنط من رحمته احد اخرجه مسلم
من حديث ابي هريرة فينبغي للانسان ان يذكر نفسه وغيره ض
فيخوف ويرجي ويكون الخوف في الصحه اغلب عليه منه في المر
وفي ذكره تعالى المغفره دليل على انه لم يرد بالمتقين من يتق
الذنوب باسرها صغيرها وكبيرها وفي وصف ذاته بالغفران
والرحمة دون التعذيب ترجيح الوعد وتاكيده ونبيهم عن ضيف
ابرهيم ضيف ابرهيم الملايكه الذين بشروه بالولد وبهلاك
قوم لوط وكانوا اثني عشر او عشره او ثلاثه منهم جبريل وكان
ابرهيم عليه السلام يكنى ابا الضيفان وكان لقصره اربعة
ابواب لكي لا يفوته احد وسمي الضيف ضيفا لاضافته اليك
ونزوله عليك من اضافه مال اليه واضافه اماله اذ دخلوا
عليه جمع لان الضيف يصلح للواحد والجمع والمذكر والمونث
فقالوا سلاما اي نسلم عليك سلاما وسلمنا سلاما قال انا
منكم وجلون اي خايفون فزعون وقال وجلون والوجل
صفة القلب لكنه من باب وصف البعض بصفة الكل وذلك لانهم
دخلوا بغير اذن وقيل انما قال هذا بعد ان قرب اليهم العجل ؕ
وراهم لا ياكلون على ما تقدم في هود والوجل اضطراب لنفس
لتوقع

لتوقع ما تكره قالوا لا توجل اي قالت الملايكة لا تخف انا نبشرك
استينافٌ في معنى التعليل للنهي عن الوجل فان المبشر لا يخاف
منه بغلام هو اسحق لقوله تعالى في هود فبشرناها باسحق
عليم اذا بلغ ذي علم كثير وقال مقاتل عليم حليم قال ابشرتموني على
ان مسني الكبر تعجب من ان يولد له مع مس الكبر اياه فبم تبشرون
اي فباي اعجوبة او فباي شي تبشرون فان البشارة بما لا يتصور
وقوعه عادة بشارة بغير شي قرئ بكسر النون مشددة في كل القران
على ادغام نون الجمع في نون الوقايه على اليا وقرئ بفتح النون
بغير اضافه لانها علامة لرفع الفعل قالوا بشرناك بالحق اي
بما يكون لا محالة او باليقين الذي لا لبس فيه فلا تكن من القانطين
اي من الايسين من ذلك فانه تعالى قادر على ان يخلق بشرا من
غير ابوين فكيف من شيخ فانٍ وعجوز عاقر وكان استعجاب ابرهيم
عليه السلام باعتبار العاده دون القدره ولذلك قال ومن
يقنط اي لا يقنط من رحمة ربه الا الضالون اي المخطيون ؕ
طريق المعرفه فلا يعرفون سعة رحمة الله وكمال علمه وقدرته
وقرئ يقنط بالفتح وبالكسر وماضيهما بالفتح فقط قال فما
خطبكم ايها المرسلون الخطب الامر العظيم اي فما شانكم الذي
ارسلتم لاجله سوى البشاره ولعله علم ان كمال المقصود ليس
البشارة لانهم كانوا عددا والبشارة لا تحتاج الى عدد ولذلك
اكتفي بالواحد في بشارة زكريا ومريم وقيل لانهم بشروه في
تضاعيف الحال لازالة الوجل ولو كانت تمام المقصود لابتدوا

بها قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين اى مشركين والمراد قوم لوط
وفى الكلام اضمار اى انا ارسلنا الى قوم مجرمين لنهلكهم الا ال لوط
استثنا من غير الجنس لانهم لم يكونوا مجرمين والمراد اتباعه
واهل دينه انا لمنجوهم اجمعين اى مما يعذب به القوم بايمانهم
وقرى بالتخفيف من انجا وبالتشديد من نجا الا امراته استثنا
من ال لوط والاستثنا اذا جا بعد الاستثنا كان الثانى مضافا
الى الاول كقولك له عندى عشرة الا اربعه الا درهما فان الدرهم
مستثنى من الاربعه ومضافا الى العشره فكانك قلت احد عشر
الا اربعه او عشره الا ثلاثه وقيل مستثنى من ضمير المفعول
فى منجوهم وكانت امراة لوط كافره فالحقت بالمجرمين فى الهلاك
قدرنا انها لمن الغابرين اى الباقين مع الكفرة لتهلك معهم
وقرى قدرنا بالتشديد والتخفيف واصله جعل الشى على مقدار
غيره واسنادهم اياه الى انفسهم وهو فعل الله لما لهم من القرب
والاختصاص فلما جا ال لوط اى لوطا المرسلون قال انهم
انكم قوم منكرون اى لا اعرفكم وقيل كانوا شبابا ورأى
جمالا فخاف عليهم من فتنة قومه وقيل المعنى تنكركم وتنفر
عنكم مخافة ان يطرقونى بشر قالوا بل جيناك بما كانوا اى
قومك فيه يمترون اى ما جيناك لما تنكرنا لاجله بل
جيناك بما يسرك ويشفى لك من عدوك وهو العذاب الذى
توعدتهم به وكانوا يمترون فيه اى يشكون انه نازل بهم
واتيناك بالحق باليقين من عذابهم وانا لصادقون فيما اخبرناك
به

به فأسر باهلك اى فاذهب بهم فى الليل وقرى بوصل الالف
بقطع من الليل اى فى طايفة منه وقيل فى اخره واتبع ادبارهم
اى وكن على اثرهم تذودهم وتسرع بهم وتطلع على احوالهم ولا
يلتفت منكم احد لينظر ما وراه فيرى من الهول ما لا يطيقه او
فيصيبه ما اصابهم او نهوا عن الالتفات ليوطنوا نفوسهم على
المهاجره او ليجدوا فى السير ويتباعدوا عن القريه قبل ان
يفجاهم الصبح وقيل غير ذلك وامضوا حيث تومرون اى
الى حيث امركم الله بالمضى اليه وهو الشام قاله ابن عباس او
مصر تعدى وامضوا الى حيث وتومرون الى ضميره المحذوف
على الاتساع وقضينا اى واوحينا اليه مقضيا ولذلك عدى
بالى ذلك الامر مبهم تفسيره ان دابر هولا مقطوع ومحله
النصب على البدل منه وفى ذلك تفخيم الامر وتعظيم له
والمعنى انهم يستاصلون عن اخرهم حتى لا يبقى منهم احد مصبحين
داخلين فى الصبح وهو حال من هولا او من الضمير فى مقطوع
وجمعه للحمل على المعنى فان دابر هولا فى معنى مدبرى هولا
وجا اهل المدينة مدينة سدوم وهم قوم لوط يستبشرون
حال باضياف لوط طمعا فيهم بفعل الفاحشة قال لوط ان
هولا ضيفى اى اضيافى فلا تفضحون اى تخجلون بفضيحة ضيفى
فان من اسى الى ضيفه فقد اسى اليه واتقوا الله فى ركوب الفاحشة
ولا تخزون اى ولا تذلون بسببهم من الخزى وهو الهوان او
من الخزايه وهى الحيا والخجل قالوا اولم ننهك عن العالمين اى

عن ان تجير منهم احدا وتمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرضون
لكل احد وكان لوط يمنعهم بقدر وسعه او عن ضيافة الناس
وانزالهم **قال هولا بناتي** يعني نسا القوم فان نبي كل امة بمنزلة
ابيهم من حيث الشفقه والتربيه وقيل فدى بيناته اضيافه
كرما وحمية والمعنى هولا بناتي فتزوجوهن وكانوا يطلبوهن
قبل فلا يجيبهم لخبثهم لا لحرمة المسلمات على الكفار فانه
شرع طار ومبالغة في تناهي خبث ما يرومونه حتى ان ذلك
اهون منه او اظهار الشدة امتعاضه من ذلك كي يرقوا له **ان
كنتم فاعلين** قضا الوطر او ما اقول لكم **لعمرك انهم لفي سكرتهم
يعمهون** لعمرك قسم بحياة المخاطب وهو النبي صلى الله عليه
وسلم وقيل لوط قال ابن العربي قال المفسرون باجمعهم اقسم (ها هنا)
الله بحياة محمد صلى الله عليه وسلم تشريفا له ان قومه من
قريش في سكرتهم يعمهون اي في حيرتهم يترددون وكذا قال
القاضي عياض واصله ضم العين من العمر ولكنها فتحت لكثرة
الاستعمال ومعناه وبقايك وحياتك وطيب عيشك وهذا
نهاية التعظيم وغاية التشريف وقال ابن عباس ما خلق الله وما
ذرا وما برا نفسا اكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم وما
سمعت الله تعالى اقسم بحياة احد غيره وقال ابو الجوزا ما اقسم
الله بحياة احد غير محمد صلى الله عليه وسلم لانه اكرم البرية
عنده قال ابن العربي وما الذي يمنع ان يقسم الله سبحانه بحياة
لوط ويبلغ به من الشرف ما شا واذا اقسم بحياة لوط فحياة
محمد

محمد ارفع ولا يخرج من الكلام الى كلام لم يجر له ذكر لغير ضرورة
القرطبي وما قاله حسن فانه كان يكون قسمه بحياة محمد
صلى الله عليه وسلم كلاما معترضا في قصة لوط ولعمرك
رفع بالابتدا وخبره محذوف والمعنى لعمرك قسمي ومعنى في سكرتهم
في غوايتهم او شدة غلمتهم التي ازالت عقولهم وتمييزهم بين
خطاهم والصواب الذي يشار به اليهم ويعمهون يتحيرون
فكيف يسمعون نصحك **فاخذتهم الصيحة** يعني صيحة هايلة
مهلكة وقيل صيحة جبريل **مشرقين** داخلين في وقت شروق
الشمس **فجعلنا عاليها** اي عالي المدينه او عالي قراهم **سافلها**
فصارت منقلبة بهم وذلك ان جبريل رفعها الى السما واسقطها
مقلوبة الى الارض **وامطرنا عليهم حجارة من سجيل** اي من طين
متحجر او طين طبخ بالنار او طين عليه كتاب من السجل **ان في ذلك**
المذكور **لايات** لدلالات على وحدانية الله **للمتوسمين** اي المتفكرين
المتفرسين الذين يتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشيء
بسمته وفي الحديث اتقوا فراسة المومن فانه ينظر بنور الله ثم
قرا ان في ذلك لايات للمتوسمين قال الضحاك المتوسمين الناظرين
قتادة المعتبرين ابو عبيده المتبصرين وفي الحديث ان لله
عبادا يعرفون الناس بالتوسم قال العلما والتوسم تفعل من الوسم
وهو العلامة التي يستدل بها على مطلوب غيرها يقال توسمت
فيه الخير اذا رايت ميسم ذلك فيه واصل التوسم التثبت ماخوذ
من الوسم وهو التاثير بحديده في جلد البعير او غيره وذلك يكون

بجودة القريحة وحدة الخاطر وصفا الفكر زاد غيره وتفريغ القلب
من حشو الدنيا وتطهيره من ادناس المعاصي وكدورة الاخلاق
وفضول الدنيا وعن ابن عباس للمتوسمين لاهل الصلاح والخير ٥
وقالت الصوفية انها كرامة وهي على حسب قوة الايمان فكل
من كان اقوى ايمانا كان احد فراسة قال شاه الكرماني من غض بصره
عن المحارم وامسك نفسه عن الشهوات وعمر باطنه بدوام
المراقبة وظاهره باتباع السنه وتعود اكل الحلال لم تخط فراسته
وانها اي وان المدينة او القرى لبسبيل مقيم اي ثابت يسلكه
الناس ويرون اثارها وهي على طريق قومك يا محمد الى الشام
افلا يعتبرون بهم ان في ذلك لاية لعبرة للمومنين بالله
ورسله وان مخففه اي انه كان اصحاب الايكة لظالمين فانتقمنا
منهم هم قوم شعيب بعث الله اليهم شعيبا فكذبوه فاهلكوا
بالظلة والايكه الغيضه وهي جماع الشجر ابو عبيدة الايكه ٥
وليكه مدينتهم وقيل اسم القرية او البلد فانتقمنا منهم
بالاهلاك وانهما يعني سدوم والايكه وقيل الايكة ومدين
فانه كان مبعوثا اليهما فكان ذكر احدهما منبها على الاخر لبامام
مبين اي لبطريق واضح يعتبر بهما من مر عليهما افلا يعتبر بهم
اهل مكة والامام اسم لما يوتم به فسمي به الطريق ومطر البنا
واللوح لانهما مما يوتم به ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين يعني
ثمود كذبوا صالحا ومن تقدمه من النبيين اولان من كذب نبيا
فقد كذب الانبيا لانهم على دين واحد في الاصول والحجر وادي بين

المدينه

المدينة والشام يسكنونه وهو يطلق على معان منها حجر الكعبه
والحرام قال تعالى وحجرا محجورا والعقل قال تعالى لذي حجر ٥
وحجر القميص والفتح في هذا افصح والفرس الانثى وفي البخاري
عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل الحجر في غزوة
تبوك امرهم ان لا يشربوا من ابارها ولا يستقوا فقالوا قد عجنا
واستقينا فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يهريقوا
ما استقوا ويعلفوا الابل العجين وامرهم ان يستقوا من بير
الناقه وعن ابن عمر قال مررنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
على الحجر فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدخلوا مساكن
الذين ظلموا انفسهم الا ان تكونوا باكين حذرا ان يصيبكم مثل
ما اصابهم ثم زجر فاسرع واتيناهم اياتنا يعني ايات الكتاب المنزل
على نبيهم او معجزاته كالناقة وسقيها وشربها ودرها او ما نصب
لهم من الادلة فكانوا عنها معرضين لا يتفكرون فيها وكانوا ينحتون
من الجبال بيوتا النحت البري والنجر وتعدون ما تنحتون اي
تنجرون فكانوا يتخذون من الجبال بيوتا لانفسهم لشدة قوتهم
امنين من ان تسقط عليهم او تخربها الاعدا او تنقبها اللصوص
وقيل امنين من الموت او من العذاب لفرط غفلتهم وحسبانهم
ان الجبال تحميهم منه فاخذتهم الصيحة مصبحين اي في وقت
الصبح فما اغنى دفع العذاب عنهم ما كانوا يكسبون من بنا
البيوت الوثيقه واستكثار الاموال والعدد وما خلقنا
السموات والارض وما بينهما الا خلقا متلبسا بالحق لا يلايم

استمرار الفساد ودوام الشرور فلذلك اقتضت الحكمة اهلاك
امثال هولاء وازاحة فسادهم من الارض وان الساعة لاتية
اى كاينة فيجازى كلا بعمله وينتقم الله لك فيهما ممن كذبك ٥
فاصفح يا محمد عن قومك الصفح الجميل ولا تعجل بالانتقام منهم
وعاملهم معاملة الصفوح الحليم وهذا منسوخ باية السيف
وقيل غير منسوخ وانه امر بالصفح فى حق نفسه فيما بينه وبينهم
والصفح الاعراض والصفح الجميل هو الذى لا عتاب معه ان ربك
هو الخلاق الذى خلقك وخلقهم وبيده امرك وامرهم العليم
بحالك وحالهم فهو حقيق بان تتكل عليه ليحكم بينهم او هو الذى
خلقهم وعلم الاصلح وقد علم ان الصفح اليوم اصلح ولقد
اتيناك سبعا اى سبع ايات وهى الفاتحة قاله على بن ابى طالب
وابو هريرة والربيع بن انس وابو العالية والحسن وغيرهم
وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم من وجوه ثابتة وقيل
سبع سور وهى الطوال وسابعها الانفال والتوبة فانهما
فى حكم سورة او التوبة او يونس وانكر هذا القول قوم وقال
نزلت هذه الاية بمكة ولم ينزل من الطوال شى اذ ذاك واجيب
بان الله تعالى انزل القران الى سما الدنيا ثم انزله منها نجوما
فما انزله الى السما الدنيا فكانما اتاه محمدا صلى الله عليه وسلم
وبذلك قال ابن مسعود وابن عمر وابن جبير ومجاهد
وقيل الحواميم السبع وقيل سبع صحايف من المثانى بيان
للسبع والمثانى من التثنية او الثنا لان العبر والاحكام ٥

والحدود

والحدود والقصص والمواعظ ثنيت فيها او تثنى عليه بالبلاغة
والاعجاز ومثنى على الله بما هو اهله من صفاته العظمى واسمايه
الحسنى وروى الشيخان ان السبع المثانى الفاتحة لانها تثنى فى
الصلاة ويجوز ان يراد بالمثانى القران او كتب الله كلها فتكون
من للتبعيض والقران العظيم ان اريد بالسبع الايات والسور
فمن عطف الكل على البعض او العام على الخاص وافرد الاول بالذكر
اهتماما بشانه لا تمدن عينيك اى لا تطمح ببصرك طموح راغب
الى ما متعنا به ازواجا منهم اى اصنافا من الكفار فانه مستحقر
بالاضافة الى ما اوتيته فانه كمال مطلوب بالذات مفض الى دوام
اللذات وفى حديث ابى بكر رضى الله عنه من اوتى القران فراى
ان احدا اوتى من الدنيا افضل مما اوتى فقد صغر عظيما وعظم
صغيرا وفى حديث اخر ليس منا من لم يتغن بالقران اى ليس منا
من راى انه ليس يغنى بما عنده من القران حتى يطمح ببصره الى
زخارف الدنيا وعنده معارف المولى وروى انه وافى سبع
قوافل من بصرى واذرعات ليهود بنى قريظة والنضير فى
يوم واحد فيها البز والطيب والجوهر وامتعة البحر فقال
المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها وانفقناها
فى سبيل الله فانزل الله ولقد اتيناك سبعا من المثانى اى
فهى خير لكم من القوافل السبع فلا تمدوا اعينكم اليها ولا تحزن
عليهم لانهم لم يومنوا او لا تحزن على ما متعوا به فى الدنيا فلك
فى الاخرة افضل منه وقيل لا تحزن عليهم ان صاروا الى العذاب

فهم اهل العذاب **واخفض جناحك للمومنين** اى ألن جانبك
والمعنى تواضع لهم وارفق بهم واصله الطاير اذا ضم فرخه الى
نفسه بسط جناحه ثم قبضه على الفرخ فجعل ذلك وصفا
لتقريب الانسان اتباعه ويقال فلان خافض الجناح اى وقور
ساكن والجناحان من ابن ادم جانباه **وقل انى انا النذير المبين**
انذركم ببيان وبرهان ان عذاب الله نازل بكم ان لم تومنوا
فالمفعول محذوف اذ كان الانذار يدل عليه **كما انزلنا
على المقتسمين** اى مثل العذاب الذى انزلناه عليهم فهو
وصف لمفعول النذير اقيم مقامه وقيل الكاف زايدة
اى انذرتكم ما انزلنا بالمقتسمين وقيل المعنى كما انزلنا
على المقتسمين من العذاب وكفيناك المستهزئين فاصدع
بما تومر والمقتسمون هم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل
مكة ايام الموسم لينفروا الناس عن الايمان بالرسول
صلى الله عليه وسلم اهلكهم الله يوم بدر وقال
مقاتل والفرا هم ستة عشر رجلا بعثهم الوليد بن
المغيرة ايام الموسم فاقتسموا اعقاب مكة وفجاجها
يقولون لمن سلكها لا تغتروا بهذا الخارج فينا فانه
مجنون وربما قالوا ساحر وربما قالوا شاعر او كاهن
وسموا بذلك لانهم اقتسموا هذه الطرق وكانوا نصبوا
الوليد حكما على باب المسجد فاذا سالوه عن النبى صلى الله
عليه وسلم قال صدقوا اولئك وقال قتادة هم قوم من
كفار

كفار قريش اقتسموا كتاب الله فجعلوا بعضه شعرا وبعضه
سحرا وبعضه كهانة وبعضه اساطير الاولين وقال
ابن عباس هم اهل الكتاب امنوا ببعض وكفروا ببعض وقال
زيد بن اسلم هم قوم صالح تقاسموا على قتله وقيل غير ذلك
الذين جعلوا القران عضين اى اجزا جمع عضه واصلها
عضوة من عضى الشاة اذا جعلها اعضا وقيل فعلة من
عضته اذا بهته وعن عكرمة العضه السحر وانما جمع جمع
سلامة جبرا لما حذف منه والموصول بصلته صفة
للمقتسمين او مبتدا خبره **فوربك لنسالنهم اجمعين** سوال
توبيخ اى هولا الذين جرى ذكرهم **عما كانوا يعملون** من التقسيم
او النسبة الى السحر فنجازيهم عليه وقيل عام فى كل ما عملوا
من الكفر والمعاصى **فاصدع** يا محمد **بما تومر** اى فاجهر به من
صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا او فافرق به بين الحق والباطل
واصله الابانة والتمييز وما مصدرية او موصولة والراجع
محذوف اى بما تومر به والمعنى بلغ رسالة الله جميع الخلق لتقوم
حجته عليهم فقد امرك الله بذلك وقال ابن ابى الاصبع
المعنى صرح بجميع ما انزل اليك وبلغ كلما امرت ببيانه وان
شق بعض ذلك على بعض القلوب فانصدعت والمشابهة
بينهما فيما يوثر التصريح فى القلوب فيظهر اثر ذلك على ظاهر
الوجوه من القبض والانبساط ويلوح عليها من علامات
الانكار والاستبشار كما يظهر على ظاهر الزجاجة المصدوعة

فانظر الى جليل هذه الاستعارة وعظيم ايجازها وما انطوت عليه
من المعاني الكثيره وقد حكي ان بعض الاعراب لما سمع هذه الاية
سجد وقال سجدت لفصاحة هذا الكلام **واعرض عن المشركين**
فلا تلتفت الى ما يقولون وهذا قبل الامر بالجهاد وقيل
مازال النبي صلى الله عليه وسلم مستخفيا حتى نزل فاصدع بما
تومر فخرج هو واصحابه **انا كفيناك المستهزين** بقمعهم ٥
واهلاكهم وكانوا خمسة من روسا الكفر من اهل مكة الوليد بن
المغيره والعاص بن وايل والاسود بن المطلب والاسود بن
عبد يغوث والحارث بن الطلاطله كانوا مبالغين في ايذاء
النبي صلى الله عليه وسلم والاستهزا به فقال جبريل لرسول الله
صلى الله عليه وسلم امرت ان اكفيكهم فاومى الى ساق الوليد
فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظيما لاخذه ٥
فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات واومى الى اخمص العاص
فدخلت فيها شوكة فانتفخت رجله حتى صارت كالرحا ٥
ومات واومى الى راس الحارث فامتخط قيحا فقتله والى الاسود
ابن عبد يغوث وهو قاعد في اصل شجرة فجعل ينطح براسه الشجره
ويضرب وجهه حتى مات والى عيني الاسود بن المطلب فعمي وقيل
في سبب اهلاكهم غير هذا **الذين يجعلون مع الله الها اخر** ٥
صفة او مبتدا ولتضمنه معنى الشرط دخلت الفا في خبره وهو
فسوف يعلمون عاقبة امرهم في الدارين **ولقد** للتحقيق **نعلم انك**
يضيق صدرك بما يقولون اى بما تسمعه من الشرك والطعن في

القران والاستهزا بك **فسبح بحمد ربك** اى فافزع الى ربك فيما
نابك بالتسبيح والتحميد يكفك ويكشف الغم عنك او فنزهه عما
يقولون حامدا الله على ان هداك للحق وقيل فافزع الى الصلاه
فهي غاية التسبيح ونهاية التقديس وذلك تفسير لقوله
وكن من الساجدين اى من المصلين ولا يخفا ان غاية القرب في
الصلاة حال السجود ولذلك خص السجود بالذكر وفي الحديث
انه صلى الله عليه وسلم كان اذا أحزنه امر فزع الى الصلاه
واعبد ربك حتى ياتيك اليقين اى الموت والمراد استمرار
العبادة مدة حياته **سورة النحل** مكيه غير ثلاث ايات
في اخرها وان عاقبتم الى اخرها **بسم الله الرحمن الرحيم**
اتى امر الله فلا تستعجلوه كان الكفار يستعجلون ما وعدهم
الرسول صلى الله عليه وسلم من قيام الساعة واهلاكهم كما
فعل يوم بدر استهزاء وتكذيبا ويقولون ان صح ما يقوله
فالاصنام تشفع لنا وتخلصنا منه واتى بمعنى قرب وقيل
بمعنى ياتي لان اخبار الله تعالى في الماضي والمستقبل سواء لانه
ات لا محالة قال الحسن امر الله عقابه لمن اقام على الشرك وتكذ
الرسول الضحاك امر الله ما جا به القران من الفرايض والاحكام
وفيه بعد لانه لم ينقل ان احدا من الصحابه استعجل فرايض الله
قبل ان تفرض الزجاج هو ما وعدهم به من المجازاة على كفرهم ٥
وقيل ما يدل على قيام الساعة من اشراطها وقال ابن عباس
لما نزل اقتربت الساعة وانشق القمر قال الكفار ان هذا يزعم

ان القيامة قد قربت فامسكوا عن بعض ما كنتم تعملون فامسكوا
وانتظروا فلم يروا شيا فقالوا ما نرى شيا فنزل اقترب للناس
حسابهم فاشفقوا وانتظروا قرب الساعة فامتدت الايام
فقالوا ما نرى شيا فنزل اتى امر الله فوثب رسول الله صلى الله
عليه وسلم والمسلمون وخافوا فنزل فلا تستعجلوه اي لا تطلبوه
قبل حينه فانه واقع لا محالة فاطمينوا فقال النبي صلى الله عليه
وسلم بعثت انا والساعة كهاتين واشار باصبعيه السبابة
والتي تليها يقول ان كادت لتسبقني فسبقتها **سبحانه وتعالى**
عما يشركون اي تنزيها له عما يصفونه من انه لا يقدر على قيام
الساعة وذلك انهم يقولون لا يقدر احد على بعث الاموات
وذلك شرك فرئ يشركون بالياء خطابا للمومنين او لهم ولغيرهم
وقرئ بالتاء على وفق فلا تستعجلوه **ينزل الملايكة** اي جبريل
بالروح اي بالوحي او بالقران فانه تحيى به القلوب الميتة بالجهل
او يقوم في الدين مقام الروح في البدن وذكره عقيب ذلك
اشارة الى الطريق الذي علم به الرسول ما تحقق موعدهم به
ودنوه وازاحة لاستبعادهم اختصاصه بالعلم به **من امره**
اي بارادته ابن عباس بالوحي بالنبوة وقيل بارواح الخلق مجاهد
لا ينزل ملك الا ومعه روح وقيل بالرحمة قاله الحسن وقتادة
وقال ابو عبيدة الروح هنا جبريل والباء بمعنى مع **على من يشاء**
من عباده ان يتخذه رسولا **ان انذروا انه لا اله الا انا** اي
بان انذروا خوفوا المشركين بالعذاب واعلموهم انه لا اله الا انا

فا

فاتقون تحذير من عبادة الاوثان وقوله فاتقون رجوع الى
مخاطبتهم بما هو المقصود والاية تدل على ان نزول الوحي بوساطة
الملايكة وان حاصله التنبيه على التوحيد الذي هو منتهى
كمال القوة العلمية والامر بالتقوى الذي هو اقصى كمالات القوة
العملية وان النبوة عطائية والايات التي بعدها تدل على وحدانيته
من حيث انها تدل على انه تعالى هو الموجد لاصول العالم وفروعه
على وفق الحكمة ولو كان له شريك لقدر على ذلك فيلزم التمانع
خلق السموات والارض بالحق اي وجدهما على مقدار وشكل
واوضاع وصفات مختلفة قدرها وخصصها بحكمته **تعالى**
عما يشركون من هذه الاصنام التي لا تقدر على خلق شي **خلق**
الانسان من نطفة من جماد لا حس بها ولا حراك سيالة **فاذا**
هو خصيم اي منطيق مجادل **مبين** للحجة او خصيم مكافح لخالقه
قايل من يحيي العظام وهي رميم روي ان ابي بن خلف اتى النبي
صلى الله عليه وسلم بعظم رميم وقال يا محمد اترى الله يحيي هذا
بعد ما رم فنزلت فمعنى الكلام التعجب من الانسان ان قيل ان
الفا تدل على التعقيب وكونه خصيما لا يكون عقيب خلقه
نطفة فجوابه من وجهين احدهما انه اشارة الى ما يوول حاله اليه
فاجرى المنتظر مجرى الواقع وهو من باب التعبير باخر الامر عن
اوله كقوله وينزل لكم من السما رزقا اي سبب الرزق وهو المطر
والثاني انه اشارة الى سرعة نسيانه مبدا خلقه وقيل
المعنى خلقه من مني الى ان صيره قويا شديدا فاذا هو خصيم

والانعام الابل والبقر والغنم وانتصابها بمضمر يفسره
خلقها لكم او بالعطف على الانسان وخلقها لكم بيان ما خلق
لاجله وما بعده تفصيل له **فيها دفء** اى سخانه وهو ه
ما يدفى به ويتقى البرد من الاكسية والارديه من اشعارها
واصوافها وقيل دفيها نسلها وفى الصحاح الدفء نتاج
الابل والبانها وما ينتفع به منها **ومنافع** نسلها ودرها
وظهورها **ومنها تاكلون** اى تاكلون ما يوكل منها من اللحوم
والشحوم والاسمان والالبان وتقديم الظرف للمحافظة
على روس الاى ولان الاكل منها هو المعتمد المعتاد عليه فى
المعاش واما الاكل من ساير الحيوانات الماكولة فعلى سبيل
التداوى والتفكه وقيل افرد منفعة الاكل بالذكر لانه
معظم منافعها والمعنى ومن لحومها تاكلون عند الذبح ه
ولكم فيها جمال اى زينة والجمال ما يتجمل به **حين تريحون**
اى تردونها من مراعيها الى مراحها بالعشى **وحين تسرحون** ه
تخرجونها بالغداة الى المرعى فان الانعام فيه تتزين بها فى
الوقتين وتقديم الاراحة لان الجمال فيها اظهر فانها تقبل
ملاء البطون حافلة الضروع ثم تاوى الى الحظاير حاضرة
لاهلها قال العلما والجمال يكون فى الصورة وتركيب الخلقه
ويكون فى الاخلاق الباطنه ويكون فى الافعال فاما جمال
الخلقه فهو امر يدركه البصر ويلقيه الى القلب متلايما
فتتعلق به النفس من غير معرفة بوجه ذلك ولا نسبته

لاحد من البشر واما جمال الاخلاق فكونها على الصفات
المحمودة من العلم والحلم والحكمة والعدل والعفه وكظم
الغيظ وارادة الخير لكل احد واما جمال الافعال فهو وجودها
ملايمة لمصالح الخلق وقاضية لجلب المنافع فيهم وصرف
الشر عنهم وجمال الانعام والدواب من جمال الخلقة وهو مرئى
بالابصار ومن جمالها كثرتها وقول الناس اذا راوها هذه
نعم فلان **وتحمل اثقالكم** اى احمالكم والاثقال ما يثقل الانسان
حمله من متاع وغيره **الى بلد لم تكونوا بالغيه** ببدنكم فضلا
ان تحملوها على ظهوركم اليه **الا بشق الانفس** الا بمشقة وكلفة
وشق الانفس مشقتها وغاية جهدها والشق ايضا النصف ه
وقد يكون المراد من الاية هذا المعنى اى لم تكونوا بالغيه الا بنقص
من القوه وذهاب شق منها والشق الناحية من الجبل والشق
الشقيق والشق اسم كاهن من العرب وغير ذلك فمن الله سبحانه
بالانعام عموما وخص الابل هنا بالذكر فى حمل الاثقال على ساير
الانعام فان الغنم للسرح والذبح والبقر للحرث والدر والابل
للحمل **ان ربكم لرؤف رحيم** حيث رحمكم بخلقها لانتفاعكم
وتيسير الامر عليكم **والخيل والبغال والحمير** عطف على الانعام
لتركبوها وزينة اى لتركبوها ولتزينوا بها زينة وقيل
هى معطوفة على محل لتركبوها وتغيير النظم لان الزينة بفعل
الخالق والركوب ليس بفعله ولان المقصود من خلقها الركوب
واما التزين بها فحاصل بالعرض قال مالك قال الله تعالى والخيل

والبغال والحمير لتركبوها وزينة فجعلها للركوب والزينة
ولم يجعلها للاكل ولهذا قال اصحابه لا يجوز اكل لحوم الخيل وبه
قال ابو حنيفة وقال الفقها والمحدثين هي مباحه وروي عن ابي حنيفه
القرطبي والصحيح الذي يدل عليه الخبر والنظر جواز اكل لحوم الخيل
وان الاية لا حجة فيها لازمه لانها لو دلت على تحريم الخيل
لدلت على تحريم لحوم الحمر والسوره مكيه واي حاجة كانت
الى تجديد تحريم لحوم الحمر عام خيبر وقد ثبت في الاخبار
تحليل الخيل ولما ذكر الله الانعام ذكر الاغلب من منافعها
واهم ما فيها وهو حمل الاثقال والاكل ولم يذكر الركوب ولا
الحرث بها ولا غير ذلك مصرحا به وقد تركب وتحرث بها
وقال في الخيل لتركبوها فذكر ايضا اغلب منافعها ولم يذكر
حمل الاثقال عليها وقد تحمل كما هو مشاهد فكذلك لم
يذكر الاكل ولا يلزم من كونها خلقت للركوب والزينة
ان لا تؤكل وقال في تحريم الخنزير او لحم خنزير لانه معظم
مقصوده وقد اجمعوا على تحريم شحمه وساير اجزايه وهذه
البقرة قد انطقها خالقها فقالت انما خلقت للحرث فيلزم
من علل ان الخيل لا تؤكل لانها خلقت للركوب ان لا تؤكل البقر
لانها خلقت للحرث وقد اجمع المسلمون على جواز اكلها فكذلك
الخيل بالسنة الثابته روى مسلم عن جابر نهى رسول الله صلى
الله عليه وسلم يوم خيبر عن لحوم الحمر الاهليه واذن في
لحوم الخيل فان قيل الرواية عن جابر بانهم اكلوها في خيبر

حكا

حكاية حال وقضية في عين فيحتمل ان يكونوا ذبحوا للضرورة
ولا يحتج بقضايا الاحوال قلنا الرواية عن جابر بانهم كانوا
ياكلون الخيل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيل
ذلك الاحتمال وحديث اسما قالت نحرنا فرسا على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم ونحن بالمدينة فاكلناه رواه مسلم وكل
تاويل من غير ترجيح في مقابلة النص فانما هو دعوى لا يلتفت
اليه ولا يعرج عليه واما خبر خالد في النهي عن اكل الخيل فقال
احمد وغيره منكر وقال ابو داود وغيره منسوخ قال الطبري
وفي اجماعهم على جواز ركوب ما ذكر للاكل دليل على جواز اكل ما ذكر
للركوب واما البغال فانها تلحق بالحمر لتولدها من ماكول وغيره
وقال البيضاوي واستدل بالاية على تحريم لحوم الخيل ولا دليل
فيه اذ لا يلزم من تعليل الفعل بما يقصد منه غالبا ان لا يقصد
منه اصلا غيره ويدل عليه ان الاية مكيه وعامة المفسرين
والمحدثين على ان الحمر الاهليه حرمت عام خيبر وبخلق ما لا تعلمون
من الاشيا العجيبة الغريبه ولما فصل الحيوانات التي يحتاج
اليها غالبا احتياجا ضروريا وغير ضروري اجمل غيرها ويجوز
ان يكون اخبارا بان له من الخلايق ما لا علم لنا به وان يراد
به ما خلق في الجنة والنار مما لا يخطر على قلب بشر وقيل
من انواع الحشرات والهوام في اسافل الارض والبر والبحر وقتادة
والسدي هو السوس في الثياب والدود في الفاكهه ابن عباس
عين تحت العرش وعنه ايضا عن يمين العرش نهر من النور مثل

السموات السبع والارضين السبع والبحار السبع سبعين مره يدخله
جبريل كل بحر فيغتسل فيزداد نورا على نوره وجمالا الى جماله ثم
ينتفض فيخرج الله من كل ريشة سبعين الف قطره ويخرج من كل قطرة
سبعة الاف ملك يدخل منهم كل يوم سبعون الف ملك الى البيت
المعمور وفي الكعبة سبعون الفا لا يعودون اليه الى يوم القيمه
وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ان لله ارضا بيضاء مسيرة الشمس
ثلاثين يوما مشحونة خلقا لا يعلمون ان الله تعالى يعصى في الارض
قالوا يا رسول الله من ولد ادم قال لا يعلمون ان الله خلق ادم
قالوا يا رسول الله فاين ابليس منهم قال لا يعلمون ان الله خلق ابليس
ثم تلى ويخلق ما لا تعلمون ذكره الماوردي وعن جابر بن عبد الله
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذن لي ان احدث عن
ملك من ملايكة الله من حملة العرش ما بين شحمة اذنه الى عاتقه
مسيرة سبعماية عام **وعلى الله قصد السبيل** اي بيان مستقيمه
الطريق الموصل الى الحق واقامة السبيل وتعديلها رحمة وفضلا
اي عليه بيانه بالرسل والحجج والبراهين يقال سبيل قصد وقاصد
اي مستقيم يودي الى المطلوب والمراد بالسبيل الجنس ولذلك
اضاف اليها القصد وقال **ومنها** اي ومن السبيل **جاير** اي
حايد عن المقصد او عن الله وقيل المعنى ومنهم جاير عن سبيل
الحق اي عادل عنه فلا يهتدي اليه وفيه قولان احدهما انهم
اهل الاهوا المختلفه قاله ابن عباس وقيل ملل الكفر من اليهود
والمجوسيه والنصرانيه وقيل المعنى وعنها جاير اي عن السبيل
فن

فمن بمعنى عن قال ابن عباس من اراد ان يهديه سهل له طريق الايمان
ومن اراد ان يضله ثقل عليه الايمان وفروعه والسبيل تذكر
وتونث والتانيث لغة اهل الحجاز **ولو شا لهداكم اجمعين** اي
ولو شا هدايتكم اجمعين لهداكم الى قصد السبيل فتهتدون
فحذف مفعول شا لدلالة الجواب عليه فانه لما قيل لو شا
علم السامع ان هناك شيا تعلقت به المشيه لكنه مبهم
فلما جيء بجواب الشرط صار مبينا وهذا اوقع في النفس **هو
الذي انزل من السما** اي من السحاب او من جانب السما **ما لكم منه
شراب** اي ماء تشربونه ولكم صلة انزل وخبر شراب **ومن**
تبعيضية متعلقة به **منه شجر** اي ومنه يكون شجر يعني
الشجر الذي ترعاه المواشي او كل ما نبت على الارض شجرا والمعنى
ومنه سقي الشجر **فيه تسيمون** ترعون مواشيكم من سامت
الماشيه واسامها صاحبها **ينبت لكم به الزرع** وقرئ
بالنون على التفخيم **والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات**
لعل تقديم ما يسام فيه على ما يوكل منه لانه سيصير غذاء
حيوانيا هو اشرف الاغذيه **ان في ذلك** المذكور **لاية لقوم
يتفكرون** فيستدلون على وجود الصانع وحكمته فان
من تامل ان الحبة تقع في الارض ويصل اليها نداوه تنفذ فيها
فينشق اعلاها وتخرج منه ساق الشجر وينشق اسفلها فيخرج
منه عروقها ثم ينمو وتخرج منه الاوراق والازهار والاكمام
والثمار ويشتمل كل منها على اجسام مختلفة الاشكال والطبايع

مع اتحاد المواد ونسبة الطبايع السفليه والتاثيرات الفلكيه
الى الكل علم ان ذلك ليس الا بفعل فاعل مختار مقدس عن منازعة
الاضداد والانداد فيؤمنون ولعل فصل الايه بذلك لذلك
وسخر لكم الليل والنهار للسكون والمعاش والشمس والقمر والنجوم
بان هياها لمنافعكم مسخرات بامره اى مذللات لمعرفة الاوقات
ونضج الزروع والثمار والاهتدا بالنجوم ومسخرات حال من الجميع اى
نفعكم بها حال كونها مسخرات لله خلقها ودبرها كيف شا ولما
خلق له بايجاده وتقديره او لحكمة وفيه ايذان بالجواب عما
عسى ان يقال ان المؤثر في تكوين النبات حركات الكواكب ٥
واوضاعها فان ذلك ان سلم فلا ريب في انها ممكنة الذات
والصفات واقعة على بعض الوجوه المحتملة فلا بد لها من موجد
مخصص مختار واجبا لوجود دفعا للدور والتسلسل وقرى
والنجوم مسخرات على الابتدا والخبر فيكون معها تعميما للحكم بعد
تخصيصه وقرى برفع الشمس والقمر ان في ذلك لايات لقوم يعقلون
جمع الاية وذكر العقل لانها اقتضت انواعا من الدلالة ظاهرة
لذوي العقول السليمه غير محوجة الى استيفا فكر كاحوال النبات
وما ذرا لكم في الارض عطف على الليل اى وسخر لكم ما خلق لكم
فيها من حيوان ونبات مختلفا الوانه اى اصنافه فانها تتخالف
باللون غالبا كاصفر واحمر واخضر وغير ذلك ان في ذلك لاية
لقوم يذكرون ان اختلافها في الطبايع غالبا والهيات والمناظر
ليس الا بصنع صانع حكيم وهو الذي سخر البحر جعله بحيث

تتمكنون

تتمكنون من الانتفاع به بالركوب والاصطياد والغوص وهذه
نعمة من نعم الله فلو شا لسلطه علينا واغرقنا لتاكلوا منه لحما
طريا هو السمك ووصفه بالطراوه لانه ارطب اللحوم يسرع
اليه الفساد فيسارع الى اكله ولاظهار قدرته في خلقه خلقه
عذبا طريا في ما زعاق وتمسك به مالك والثوري على ان من
حلف لا ياكل لحما حنث باكل السمك واجيب بان مبنى الايمان
على العرف وهو لا يفهم منه عند الاطلاق الا ترى ان الله تعالى
سمى الكافر دابه وسمى الشمس سراجا وسمى الارض بساطا فلا يحنث
الحالف على ان لا يركب دابة بركوب الكافر ولا الحالف على ان
لا يجلس في سراج بجلوسه في الشمس ولا الحالف على ان لا ينام
على بساط بنومه على الارض وتستخرجوا منه حلية تلبسونها
كاللولو والمرجان اى تلبسها نساكم فاسند اليهم لانهن من
جملتهم ولانهن يتزين بها لاجلهم وترى الفلك اى
السفن مواخر فيه اى جوارى فيه تشقه بحيزومها من المخر ٥
وهو شق الما وقيل هو صوت جري الفلك لحس مواخر
مواقر قتاده والضحاك تذهب وتجي مقبلة ومدبرة بريح
واحدة ولتبتغوا تطلبوا وهو عطف على تاكلوا من فضله من
سعة رزقه بركوبها للتجارة ولعلكم تشكرون اى تعرفون نعم الله
فتقوموا بحقها ولعل تخصيصه بتعقيبه الشكر لانه اقوى
في باب الانعام من حيث انه جعل المهالك سببا للانتفاع
وتحصيل المعاش والقى في الارض رواسي اى جبالا ثابتة ان

تميد بكم اى كراهة ان تميل بكم وتضطرب وذلك لان الارض
كانت قبل ان يخلق فيها الجبال كره خفيفه بسيطة الطبع
وكان من حقها ان تتحرك بالاستداره كالافلاك او ان تتحرك
بادنى سبب للتحريك فلما خلقت الجبال تفاوتت جوانبها
وتوجهت الجبال لثقلها نحو المركز فصارت كالاوتاد التى
تمنعها عن الحركه وقيل لما خلق الله تعالى الارض جعلت
تمور فقالت الملايكة ما هى بمقرة احدا على ظهرها فاصبحت
وقد ارسيت بالجبال وانهارا اى وجعل فيها انهارا او شق
فيها انهارا كالنيل وسبلا اى طرقا ومسالك لعلكم تهتدون
لمقاصدكم من البلاد وغيرها فلا تضلون ولا تتحيرون او
الى معرفة الله وعلامات اى معالم تستدل بها السابله من
جبل وسهل وغيرهما وبالنجم هم يهتدون بالليل فى البرارى
والبحار والمراد بالنجم الجنس وقال الفرا الجدى والفرقدان
وقيل الثريا وقال ابن عباس سالت رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن قوله وبالنجم هم يهتدون قال هو الجدى يا ابن عباس
عليه قبلتكم وبه تهتدون فى بركم وبحركم ولعل الضمير لقريش
لانهم كانوا كثيرى الاسفار للتجاره مشهورين بالاهتدا فى مسايرهم
بالنجوم واخراج الكلام عن سنن الخطاب وتقديم النجم واقحام
الضمير للتخصيص كانه قيل وبالنجم خصوصا هولا خصوصا
يهتدون فالاعتبار بذلك والشكر عليه الزم لهم واوجب عليهم
افمن يخلق وهو الله كمن لا يخلق انكار بعد اقامة الدلايل المتكاثره

على كمال قدرته وتناهى حكمته والتفرد بخلق ما عدد من مبدعاته
لان يساويه ويستحق مشاركته ما لا يقدر على خلق شى من
ذلك بل على ايجاد شى ما وكان مقتضى الظاهر افمن لا يخلق كمن
يخلق لان الخطاب لعبدة الاوثان التى سموها الهة تشبيها
بالله سبحانه وتعالى لكنه عكس تنبيها على انهم بالاشراك بالله
جعلوه من جنس المخلوقات العجزة شبيها بها ولانهم بالغوا فى
عبادتها وغلوا حتى صارت عندهم اصلا فى العبادة فجا
الرد على وفق ذلك والمراد بمن لا يخلق كل من عبد من دون الله
فغلب فيه اولوا العلم او الاصنام واجروها مجرى اولى العلم
لانهم سموها الهة ومن حق الاله ان يعلم او للمشاركة بينه
وبين من يخلق او للمبالغة فكانه قيل ان من يخلق ليس كمن
لا يخلق من اولى العلم فكيف بمن لا علم عنده افلا تذكرون
فتعرفون فساد ذلك فانه لجلاله كالحاصل للعقل بادنى
تذكر وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها اى لا تضبطوا عددها
فضلا ان تطيقوا القيام بشكرها ان الله لغفور حيث يتجاوز
عن تقصيركم فى ادا شكرها رحيم لا يقطعها لتفريطكم فيها ولا
يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها والله يعلم ما تسرون ما تبطنونه
وما تعلنون ما تظهرونه من عقايدكم واعمالكم وهو وعيد
وتزييف للشرك باعتبار العلم والذين تدعون من دون الله
اى والالهة الذين تعبدونهم من دونه وقرى باليا والتا لا يخلقون
شيا لما نفى المشاركة بين من يخلق وبين من لا يخلق بين انهم لا يخلق

شيا لينتج انهم لا يشاركونه ثم اكد ذلك بان اثبت لهم صفات
تنافي الالوهية فقال وهم يخلقون لانها ذوات ممكنة مفتقرة
في الوجود الى التخليق والاله ينبغي ان يكون واجب الوجود
اموات اي هم اموات لا تعتريهم الحياة وان ثبت جعلته خبرا
ثانيا اي وهم يخلقون ويموتون غير احيا بالذات ليتناول كل
معبود والاله ينبغي ان يكون حيا بالذات لا يعتريه الممات وقيل
المراد الاصنام اي لا ارواح فيها ولا تسمع ولا تبصر فكيف تعبدونها
وانتم افضل منها بالحياة وما يشعرون ايان يبعثون اي وهم
لا يعلمون وقت بعثهم او بعث عبدتهم فكيف يكون لهم وقت
جزا على عبادتهم والاله ينبغي ان يكون عالما بالغيوب مقدرا
للثواب والعقاب وقيل وهم يخلقون يصورون من الحجارة
وغيرها وعبر عنها كما عبر عن الادميين لانهم زعموا انها تعقل
عنهم وتشفع لهم عند الله تجري خطابهم على ذلك وقيل تم الكلام
عند قوله وهم يخلقون ثم ابتدا فوصفا للكفار بانهم اموات وهذا
الموت موت كفر وما يشعر الكفار وقت البعث لانهم لا يومنون
به حتى يستعدوا للقا الله وقيل المعنى وما يدريهم متى
الساعة ولعلها تكون قريبا وايان منصوب بيبعثون وهو
في معنى الاستفهام الهكم المستحق للعبادة اله واحد لا نظير له
في ذاته ولا في صفاته وهو تكرير للمدعى بعد اقامة الحجج فالذين
لا يومنون بالاخرة قلوبهم منكرة جاحدة للتوحيد لا تقبل
الوعظ ولا ينجع فيها الذكر وهم مستكبرون اي متكبرون
متعظون

متعظون عن قبول الحق فهو بيان لمقتضى اصرارهم بعد وضوح
الحق وذلك عدم ايمانهم بالاخرة فان المومن بها يكون طالبا
للدلايل متاملا فيما يسمع فينتفع به والكافر يكون حاله
بالعكس وانكار قلوبهم بما لا يعرف الا بالبرهان اتباعا للاسلاف
وركونا الى المالوف فانه ينافي النظر والاستكبار عن اتباع
الرسول وتصديقه والالتفات الى قوله لا جرم اي حقا ان الله
يعلم ما يسرون وما يعلنون من القول والعمل فيجازيهم وهو
في موضع رفع بجرم لانه مصدر او فعل وقال الخليل لا جرم
كلمة تحقيق ولا يكون الا جوابا يقال فعلوا ذلك فيقال لا جرم
وتقدم انه لا يحب المستكبرين اي لا يثيبهم ولا يثني عليهم قال
العلما كل ذنب يمكن التستر فيه واخفاوه الا التكبر فانه فسق
يلزمه الاعلان وهو اصل العصيان وفي الحديث الصحيح ان
المتكبرين يحشرون امثال الذر يوم القيمة نطاهم الناس
باقدامهم اي تصغر اجسامهم في المحشر حتى يضرهم صغرها وتعظم
في النار حتى يضرهم عظمها واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم ما
استفهامية وذا موصولة القايل بعضهم على التهكم او الوافدون
عليهم او المسلمون قالوا اساطير الاولين اي ما يدعون نزوله
او المنزل اساطير الاولين وانما سموه منزلا على التهكم او على
الفرض او على تقدير انه منزل فهو اساطير لا تحقيق فيه والقايلون
له قيل المقتسمون وقيل نزلت في النضر بن الحارث وكان
اشترى احاديث كليلة ودمنة فكان يقرا على قريش ويقول

ما يقرا محمد على اصحابه الا اساطير الاولين اي ليس هو من تنزيل ربنا
والاساطير الاباطيل والترهات ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة
اي قالوا ذلك اضلالا للناس فحملوا اوزار ضلالهم كاملة لم
يتركوا منها شيا فاللام لام كي وقيل لام العاقبة اي قولهم في النبي
والقران اداهم الى ان حملوا ذنوبهم كاملة وقيل هي لام الامر
والمعنى التهديد ومن اوزار الذين يضلونهم اي وبعض اوزار ضلال
من يضلونهم وهو حصة التسبب لانهم دعوهم الى الضلال فاتبعوهم
بغير علم حال من المفعول اي يضلون من لا يعلم انه ضلال وفايدتها
الدلالة على ان جهلهم لا يعذرهم اذ كان عليهم ان يبحثوا ويميزوا
بين المحق والمبطل وقيل المعنى يضلون الخلق جهلا منهم بما يلزمهم
من الاثام اذ لو علموا لما اضلوا فهو حال من الفاعل الا سا ما يزرون
اي بيس شيا يحملونه فعلهم قد مكر الذين من قبلهم اي سبقهم بالكفر
اقوام مع الرسل المتقدمين وذلك انهم بنوا منصوبات ليمكروا
بها رسل الله فكانت العاقبة الجميلة للرسل فاتى قصد الله
بنيانهم من القواعد واتاه امره من جهة العمد التي بنوا عليها بان
ضعضعت فخر عليهم السقف من فوقهم وصار سبب هلاكهم
واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون اي لا يحتسبون ولا
يتوقعون حيث ظنوا انهم في امان وهو على سبيل التمثيل اي فهم
بمنزلة من سقط عليه بنيانه وقال ابن عباس وغيره انه النمرود
وقومه ارادوا صعود السما وقتال اهلها فبنوا صرحا ليصعد
منه بعد ان صنع بالنسور ما صنع قال وكان طول الصرح

خم

خمسة الاف ذراع وعرضه ثلاثة الاف وقال كعب ومقاتل
كان طوله فرسخين فهبت ريح فالقت راسه في البحر وخر عليه
الباقي ولما سقط الصرح تبلبلت السن الناس من الفزع فتكلموا
بثلاثة وسبعين لسانا فلذلك سمي وما كان لسان قبل ذلك
الا السريانية وقوله من فوقهم قال ابن الاعرابي وكد ليعلمك
انهم كانوا حالين تحته فوقع عليهم فهلكوا وما افلتوا ثم
يوم القيمة يخزيهم اي يذلهم او يعذبهم بالنار لقوله من تدخل
النار فقد اخزيته ويقول الله على لسان الملايكة اين شركاي
اضاف الى نفسه استهزا او حكاية لاضافتهم زيادة في توبيخهم
الذين كنتم تشاقون فيهم اي تعادون او تخالفون المومنين
بسببها وقرئ بكسر النون على الاضافة اي تعادونني قال اي
يقول الذين اوتوا العلم اي الانبيا والعلما الذين كانوا يدعونهم
الى التوحيد فيشاقونهم ويتكبرون عليهم او الملايكة قاله
ابن عباس ان الخزي اي الهوان والذل اليوم والسوء اي العذاب
على الكافرين وفايدة قولهم اظهار الشماتة وزيادة الاهانة
الذين تتوفاهم الملايكة وقرئ بالياء وموضع الموصول يحتمل
الاوجه الثلاثة ظالمي انفسهم بالكفر بان عرضوها للعذاب المخلد
وهو نصب على الحال فالقوا السلم اي فسالموا واخبتوا حين
عاينوا الموت والمعنى استسلموا واقروا لله بالربوبية وانقادوا
عند الموت ما كنا نعمل اي قايلين ما كنا نعمل من سوء اي كفر
وعدوان ويجوز ان يكون تفسير السلم على ان المراد به القول

الدال على الاستسلام بلى اي فتجيبهم الملايكة بلى قد كنتم تعملون
السوء ان الله عليم بما كنتم تعملون فهو يجازيكم عليه وقيل
قوله فالقوا السلم الى اخر الاية استيناف ورجوع الى شرح
حالهم يوم القيمة وعلى هذا اول من لم يجوز الكذب يوميذ
ماكنا نعمل من سوء بانا لم نكن في زعمنا واعتقادنا عاملين سوا
ويحتمل ان يكون المراد عليهم هو الله تعالى واولوا العلم وقال
عكرمه نزلت هذه الاية بالمدينة في قوم اسلموا بمكة ولم يهاجروا
فاخرجتهم قريش الى بدر كرها فقتلوا بها فقال تعالى الذين
تتوفاهم الملايكة بقبض ارواحهم ظالمي انفسهم في مقامهم بمكة
وتركهم الهجرة فالقوا السلم في خروجهم مع قريش اي القوا الصلح
قاله الاخفش او الاستسلام قاله قطرب او الخضوع قاله
مقاتل ماكنا نعمل من سوء من كفر بلى ان الله عليم بما كنتم
تعملون اي اعمالكم اعمال الكفار وعلى الاول فلا يخرج كافر
ولا منافق من الدنيا حتى ينقاد ويستسلم ويخضع ويذل ولا
ينفعهم حينيذ توبة ولا ايمان وتقدم ان الكفار يتوفون
بالضرب والهوان فادخلوا ابواب جهنم اي كل صنف بابه
المعد له وقيل ابواب جهنم اصناف عذابها اي يقال لهم
ذلك عند الموت وقيل هو بشارة لهم بعذاب القبر اذ هو
باب من ابواب جهنم للكافر خالدين فيها فلبيس مثوى مقام
المتكبرين جهنم الذين تكبروا عن الايمان كما قال تعالى انهم
كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون وقيل للذين اتقوا

الشرك

الشرك يعني المومنين ماذا انزل ربكم قالوا خيرا اي انزل خيرا
وفي نصبه دليل على انهم لم يتلعثموا في الجواب واطبقوه على
السوال معترفين بالانزال على خلاف الكفرة وتم الكلام وماذا
على هذا اسم واحد وكان الرجل من العرب يرسله قومه ليأتيهم
بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فيرد مكة في ايام الموسم فيسال
المشركين المقتسمين عن النبي صلى الله عليه وسلم فيقولون ساحر
او شاعر او كاهن او مجنون ويسال المومنين فيقولون انزل الله
عليه الخير والهدى والمراد القران للذين احسنوا في هذه
الدنيا حسنة اي مكافاة في الدنيا مثل النصر والفتح والغنيمة
وقيل الحياة الطيبة ولدار الاخرة خير اي ولثوابهم في الاخرة
خير منها لفنا الدنيا وبقا الاخرة وقيل المراد بالحسنة الجنة
اي من اطاع الله في الدنيا فله الجنة غدا ولنعم دار المتقين دار
الاخرة فحذف لتقدم ذكرها وقوله جنات عدن اقامة خبر
محذوف ويجوز ان يكون المخصوص بالمدح وان يكون بدلا يدخلونها
في موضع الصفة اي مدخوله تجري من تحتها الانهار تقدم
لهم فيها ما يشاوون من انواع المشتهيات مما تمنوه وارادوه
وفي تقديم الظرف تنبيه على ان الانسان لا يجد جميع ما يريده
الا في الجنة كذلك يجزي الله المتقين اي مثل هذا الجزا يجزي
المتقين الذين تتوفاهم الملايكة طيبين طاهرين من ظلم انفسهم
بالكفر والمعاصي لانه في مقابلة ظالمي انفسهم وقيل فرحين ببشارة
الملايكة اياهم بالجنة او طيبين بقبض ارواحهم لتوجه نفوسهم

بالكلية الى حضرة القدس او تكون وفاتهم طيبة سهلة لا صعوبة
فيها ولا الم بخلاف الكافر والمخلط **يقولون سلام عليكم** لا يلحقكم
بعد مكروه وعن محمد بن كعب القرظي قال اذا استنعفت نفس المومن
جاءه ملك فقال السلام عليك يا ولي الله الله يقرا عليك السلام
ثم نزع بهذه الاية الذين تتوفاهم الملايكة طيبين يقولون
سلام عليكم **ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون** حين تبعثون فانما
معدة لكم على اعمالكم او يقال لهم في الاخرة ادخلوا الجنة وقيل
هذا التوفي وفاة الحشر لان الامر بالدخول حينيذ **هل ينظرون**
اي ما ينتظر الكفار المار ذكرهم **الا ان تاتيهم الملايكة** لقبض ارواحهم
وقري بالياء **او ياتي امر ربك** اي بالعذاب من القتل كيوم بدر والزلزلة
والخسف في الدنيا او المراد يوم القيمة لاشتمالها على العذاب
والقوم لم ينتظروا هذه الاشيا لانهم ما امنوا بها ولكن اشتغالهم
عن الايمان اوجب عليهم العذاب فاضيف ذلك اليهم اي عاقبتهم
ذلك **كذلك** اي مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب **فعل
الذين من قبلهم** فاصابهم ما اصابهم **وما ظلمهم الله** بتدميرهم
بغير ذنب **ولكن كانوا انفسهم يظلمون** بكفرهم ومعاصيهم
المودية اليه **فاصابهم سيات ما عملوا** اي جزا سيات اعمالهم
على حذف المضاف وتسمية الجزا باسمها **وحاق بهم** اي احاط بهم
ودار وهو لا يستعمل الا في الشر **ما كانوا به يستهزءون** اي جزا
استهزايهم وهو العذاب **وقال الذين اشركوا** من اهل مكة **لو شا
الله ما عبدنا من دونه من شي** من صلة اي شيا **نحن ولا اباونا**

ولا حرمنا من دونه من شيء قال الزجاج قالوا ذلك استهزاء
ولو قالوا عن اعتقاد لكانوا مومنين وقيل قالوه منعا للمشقة
والتكليف متمسكين بان ما شا الله يجب وما لم يشا يمتنع فما
الفايدة او انكار القبح ما انكر عليهم من الشرك وتحريم البحاير
ونحوها محتجين بانها لو كانت مستقبحة لما شا الله صدورها
عنهم ولو شا خلافه لالجانا اليه او لم يعتقدوا قبح اعمالهم وفيما
بعد تنبيه على الجواب من الشبهتين **فهل على الرسل الا البلاغ
المبين** اي الا الابلاغ الموضح للحق وهو لا يوثر في هدى من يشا الله
هداه ولكنه مود اليه على سبيل التوسط وما شا الله وقوعه
انما يجب وقوعه لا مطلقا بل باسباب قدرها له ثم بين ان البعثة
ظ كالعسل الصالح فانه بنوى
ينفع المزاج المستوي ويقويه ويضر المنحرف ويفنيه **ولقد
بعثنا في كل امة رسولا** كما بعثناك في هولا **ان اعبدوا الله** اي
بان اعبدوا الله وحده **واجتنبوا الطاغوت** اي اتركوا كل معبود
دون الله كالصنم والشيطان والكاهن وكل من دعى الى ضلال
اي ارسلناه بامر بعبادة الله واجتناب الطاغوت **فمنهم من
هدى الله** اي وفقهم للايمان بارشادهم **ومنهم من حقت** وجبت
عليه الضلالة اذ لم يوفقهم ولم يرد هداهم حتى ماتوا على الكفر
فسيروا في الارض يا معشر قريش **فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين**
رسلهم من عاد وثمود وغيرهم وكيف صار امرهم الى الخراب
والعذاب لعلكم تعتبرون **ان تحرص** يا محمد **على هداهم** اي

تطلب بجهدك هداهم وقد اضلهم الله لا تقدر على ذلك فان الله
لا يهدي من يضل اي من يريد ضلاله وهو المعنى بمن حقت عليه
الضلالة قرئ يهدي بفتح اليا وكسر الدال وهو فعل مستقبل
ماضيه هدى ومن في موضع نصب بيهدي ويجوز ان يكون
يهدي بمعنى يهتدي فتكون من في موضع رفع والعايد الى من
الها المحذوفة من الصلة وقرئ لا يُهدى بالبنا للمفعول
وهو ابلغ والمعنى من اضله الله لم يهده هاد فمن في موضع رفع
بمعنى الذي والعايد عليها من صلتها محذوف والعايد
على اسم ان من فان الله الضمير المستكن في يضل وما لهم من
ناصرين اي من ينصرهم بدفع العذاب عنهم واقسموا بالله جهد
ايمانهم غاية اجتهادهم فيها لا يبعث الله من يموت عطف
على وقال الذين ايذانا بانهم انكروا التوحيد انكروا البعث
مقسمين عليه زيادة في البت على فساده وفيه تعجيب من صنعهم
ووجهه انهم يظهرون تعظيم الله فيقسمون به ثم يعجزونه
عن بعث الاموات وقال ابو العالية كان لرجل من المسلمين على
مشرك دين فتقاضاه وكان في بعض كلامه والذي ارجوه
بعد الموت انه لكذا فاقسم المشرك بان الله لا يبعث من يموت
فرد الله عليهم ابلغ رد فقال بلى يبعثهم وعدا مصدر
موكد لنفسه وهو ما دل عليه بلى فان يبعث بوعد من الله
اي وعد البعث وعدا عليه انجازه لامتناع الخلف في وعده
حقا صفة اخرى للوعد ولكن اكثر الناس اهل مكة لا يعلمون

انهم

انهم يبعثون اما لعدم علمهم بانه من مواجب الحكمة التي جرت
عادته بمراعاتها واما لقصور نظرهم بالمالوف فيتوهمون
امتناعه ثم انه تعالى ميز الامرين فقال ليبين لهم اي يبعثهم
ويبين لهم الذي يختلفون فيه وهو الحق من امر البعث وليعلم
الذين كفروا انهم كانوا كاذبين فيما كانوا يزعمون وهو اشارة
الى السبب الداعي الى البعث المقتضي له من حيث الحكمة وهو
المميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل بالثواب والعقاب
وقيل المعنى ولقد بعثنا في كل امة رسولا ليبين لهم الذي
يختلفون فيه من عبادة الاصنام والبعث وغير ذلك ثم
قال انما قولنا لشيء اذا اردناه اي اردنا ايجاده وقولنا مبتدا
وخبره ان نقول له كن فيكون وهو بيان امكان البعث وتقديره
ان تكوين الله بمحض قدرته ومشيته لا توقف له على سبق المواد
والمدد والا لزم التسلسل فكما امكن له تكوين الاشيا ابتدا
بلا سبق مادة ومثال امكن له تكوينها اعادة بعده وقرئ بنصب
يكون عطفا على نقول او جوابا للامر وقرئ بالرفع على معنى فهو
يكون قال ابن الانباري اوقع لفظ الشيء على المعلوم عند الله
قبل الخلق لانه بمنزلة ما وجد وشوهد وفي الاية دليل على
ان القران غير مخلوق فانه لو كان قوله كن مخلوقا لاحتاج الى
قول كن والثاني الى ثالث ويتسلسل وهو محال وفيها دليل
على انه تعالى مريد لجميع الحوادث كلها خيرها وشرها نفعها
وضرها والارادة صفة تخصص احد طرفي الشيء من الفعل والترك

بالوقوع والمعنى اذا اردنا ان نبعث من يموت فلا تعب علينا
ولا نصب في احيايهم ولا في غير ذلك مما نحدثه لانا انما نقول
له كن فيكون والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا هم رسول الله
صلى الله عليه وسلم واصحابه المهاجرون ظلمهم قريش فهاجر
بعضهم الى الحبشة ثم الى المدينه وبعضهم الى المدينه او المحبوسون
المعذبون الى بمكة بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهم بلال وصهيب وخباب وعمار وابو جندل وسهيل
والهجرة ترك الاوطان والاهل والقرابه وقوله في الله اي في
حقه ولوجهه واقامة دينه وقيل في بمعنى اللام لنبوينهم
في الدنيا حسنه اي مباة حسنة وهي المدينه او تبويه حسنة
وقال مجاهد الرزق الحسن والنصر على عدوهم او لسان صدق
وقيل ما استولوا عليه من فتوح البلاد وصار لهم فيها من
الولايات او ما صار لاولادهم من الشرف وكل ذلك اجتمع لهم
بفضل الله ولاجر الاخرة اكبر مما نعجل لهم في الدنيا وهو الجنه
وعن عمر انه كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطا قال له
خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك في الدنيا وما ادخر
لك في الاخرة افضل لو كانوا يعلمون الضمير للكفار او المتخلفين
عن الهجرة اي لو علموا ان الله يجمع لهولا المهاجرين خير الدارين
لوافقوهم او للمهاجرين اي لو علموا ذلك لزادوا في اجتهادهم
وصبرهم وقيل المعنى لو راوا ثواب الاخرة وعاينوه لعلموا
انه اكثر من حسنة الدنيا واذا رايت ثم رايت نعيما وملكا
كبيرا

كبيرا الذين صبروا على الشدايد كاذى الكفرة ومفارقة الوطن
وعلى ربهم يتوكلون في كل امورهم منقطعين الى الله قال اهل التحقيق
خيار الخلق من اذا نابه امر صبر واذا عجز عن امر توكل ومحل الذين
الرفع او النصب على المدح وقيل بدل من الذين الاول وما ارسلنا
قبلك الا رجالا نوحي اليهم رد لقول قريش الله اعظم من ان يكون
رسوله بشرا اي جرت عادة الالهيه ان لا يبعث للدعوة العامة
الا بشرا يوحي اليه على السنة الملايكة فان شككتم فيه فاسئلوا
اهل الذكر اي اهل الكتاب او علما الاخبار وان لم يومنوا فهم معترفون
بان الرسل كانوا من البشر وانتم الى تصديقهم اقرب من تصديق
المومنين محمد ابن عباس هم اهل القران اي اسئلوهم ليعلموكم
ان كنتم لا تعلمون ذلك وفي الاية دليل على انه لم يرسل امراة ولا
ملكا للدعوة العامة واما قوله جاعل الملايكة رسلا فمعناه
رسلا الى الملايكة او الى الانبيا وقيل لم يبعثوا الى الانبيا الا
متمثلين بصورة الرجال وفي الاية دليل على وجوب المراجعة
الى العلما فيما لا يعلم بالبينات والزبر اي ارسلناهم بالمعجزات
والكتب كانه جواب قايل قال بم ارسلوا او يجوز ان يتعلق بما
ارسلنا داخلا في الاستثنا مع رجالا اي وما ارسلنا الا رجالا
بالبينات او بيوحي على المفعوليه او الحال من القايم مقام فاعله
على ان قوله فاسيلوا اعتراض او بلا تعلمون على ان الشرط للتبكيت
والالزام وانزلنا اليك الذكر اي القران وانما سمي ذكرا لانه
موعظة وتنبيه لتبين للناس ما نزل اليهم في الذكر بتوسط انزاله

البيان بقولك وفعلك مما امروا به ونهوا عنه او مما تشابه
عليهم والتبيين اعم من ان ينص بالمقصود او يرشد الى ما يدل
عليه كالقياس ودليل العقل فالرسول عليه الصلاة والسلام
مبين عن الله عز وجل مراده مما اجمله في كتابه من احكام الصلاة
والزكاة وغير ذلك مما لم يفصله **ولعلهم يتفكرون** اي وارادة
ان يتاملوا فيه فيتنبهوا للحقائق **افامن الذين مكروا السيئات**
اي المكرات السيئات وهم الذين احتالوا لهلاك الانبيا او الذين
مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم في دار الندوة بتقييده
او قتله او اخراجه كما ذكر في الانفال او الذين راموا صد اصحابه
عن الايمان **ان يخسف الله بهم الارض** كما خسف بقارون يقال
خسف المكان ذهب في الارض وخسف الله به الارض غيبه
فيها والاستفهام للانكار والمعنى يجب ان لا يامنوا عقوبة
تلحقهم كما لحقت المكذبين قبلهم **او ياتيهم العذاب من حيث
لا يشعرون** اي بغتة من جانب السما كما فعل بقوم لوط ه
وقيل يريد يوم بدر فانهم اهلكوا ذلك اليوم ولم يكن
في حسابهم **او ياخذهم في تقلبهم** اي متقلبين في مسايرهم
ومتاجرهم وتصرفهم قاله قتاده وقيل في فرشهم الضحاك
بالليل والنهار **فما هم بمعجزين** اي بسابقين الله ولا فايتيه
او ياخذهم على تخوف اي على مخافة بان يهلك قوما قبلهم
فيتخوفوا فياتيهم العذاب وهم متخوفون ابن عباس وغيره ه
على تنقص بان ينقص شيا بعد شي في انفسهم واموالهم حتى
يهلكوا

يهلكوا من تخوفته اذا تنقصته وروي ان عمر رضي الله عنه قال
على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال
هذه لغتنا التخوف التنقص فقال هل تعرف العرب ذلك في اشعارها
قال نعم قال شاعرنا ابو كبير يصف ناقته •
تخوف الرحل منها تامكا قردا • كما تخوف عود النبعة السفن
فقال عمر رضي الله عنه عليكم بديوانكم لا تضلوا قالوا وما
ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم ومعاني
كلامكم وقال الليث بن سعد على تخوف على عجل وقيل على تقريع
بما قدموه من ذنوبهم **فان ربكم لروف رحيم** حيث لا يعاجلكم
بالعقوبة **اولم يروا الى ما خلق الله من شي** استفهام انكاري
اي قد راوا امثال هذه الصنايع فما بالهم لم يتفكروا فيها
ليظهر لهم كمال قدرته وقهره فيخافوا منه وما موصولة مبهمة
بيانها **يتفيؤا** اي تتمايل **ظلاله** اي اولم ينظروا الى المخلوقات
التي لها ظلال كالاشجار والجبال متفيئة **عن اليمين والشمايل**
جمع شمال اي عن جانبي كل واحد منها استعارة من يمين الانسان
وشماله ولعل توحيد اليمين وجمع الشمايل باعتبار اللفظ
والمعنى كتوحيد الضمير في ظلاله وجمعه في قوله **سجدا لله وهم
داخرون** صاغرون وهما حالان من الضمير في ظلاله والمراد
من السجود الاستسلام سوا كان بالطبع او الاختيار يقال
سجدت النخلة اذا مالت لكثرة الحمل وسجد البعير اذا طاطا
راسه ليركب والمعنى ترجع الظلال بارتفاع الشمس وانحدارها

او باختلاف مشارقها ومغاربها بتقدير الله تعالى من جانب
الى جانب منقادة لما قدر لها من التفيؤ او واقعة على الارض
متصلة بها على هيئة الساجد والاجرام في انفسها ايضا
داخرة اي صاغرة منقادة لافعال الله تعالى فيها وجمع داخرون
بالواو لتنزيل الظلال منزلة من يعقل او لان من جملة الاجرام
من يعقل وقيل المراد باليمين والشمايل يمين الفلك وهو جانبه
الشرقي لان الكواكب تظهر منه آخذة في الارتفاع والسطوع
وشماله وهو الجانب الغربي المقابل له فان الظلال في اول النهار
تبتدي من المشرق واقعة على الربع الغربي منه من الارض وعند
الزوال تبتدي من المغرب واقعة على الربع الشرقي من الارض
ولله يسجد ما في السموات وما في الارض اي ينقاد انقيادا يعم
الانقياد لارادته وتاثيره طبعا والانقياد لتكليفه وامره
طوعا ليصح اسناده الى عامة اهل السموات والارض وقوله
من دابة بيان لهما لان الدبيب الحركة الجسمانية سوا كانت
في ارض او سما والملايكة عطف على المبين به عطف جبريل
على الملايكة للتعظيم او عطف المجردات على الجسمانيات
وبه احتج من قال ان الملايكة ارواح مجردة او بيان لما في
الارض والملايكة تكرير لما في السموات وتعيين لها اجلالا
وتعظيما او المراد بها ملايكة الارض من الحفظة وغيرهم
وقيل اخرجهم من جملة من يدب لما جعل الله لهم من الاجنحة
فلم يدخلوا في الجملة فلذلك ذكروا وانما ذكر ما دون من لانها
اعم

اعم والسجود يشمل الجميع وهم لا يستكبرون يتكبرون عن عبادة
ربهم وهذا رد على قريش الزاعمين ان الملايكة بنات الله يخافون
اي الملايكة حال من ضمير يستكبرون ربهم من فوقهم اي يخافون
ان يرسل عذابا من فوقهم او يخافونه وهو فوقهم بالقهر لقوله
وهو القاهر فوق عباده او يخافون قدرة ربهم التي هي فوق
قدرتهم وقيل المعنى ان الملايكة يخافون ربهم وهم فوق
ما في الارض من دابة اي ومع ذلك يخافون فلان يخاف من دونهم
اولى ويفعلون ما يؤمرون به من الطاعة والتدبير وفيه
دليل على ان الملايكة مكلفون مدارون بين الخوف والرجا
وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين ذكر العدد مع ان المعدود
يدل عليه لافادة ان النهي عن اتخاذ الهين انما هو لمحض كونهما
اثنين فقط او ايما بان الاثنينية تنافي الالوهية وقيل
المعنى لا تتخذوا اثنين الهين وقيل اثنين توكيد ولما كان الاله
الحق لا يتعدد وان كل من يتعدد فليس باله اقتصر على ذكر الاثنين
لانه قصد نفي التعدد انما هو اله واحد يعني ذاته المقدسة
وقد قام الدليل العقلي والشرعي على وحدانيته فاياي
فارهبون نقل من الغيبة الى التكلم مبالغة في الترهيب
وتصريحا بالمقصود كانه قال فانا ذلك الاله الواحد فاياي فارهبون
اي خافوني لا غيري وله ما في السموات والارض خلقا وملكا
وله الدين اي الطاعة والاخلاص واصبا لازما او دايما حال
والعامل فيه معنى الظرف والمعنى طاعة الله واجبة ابدا

ومنه قوله تعالى **ولهم عذاب واصب** اى دايم وقيل واصبا
اى خالصا والوصب التعب فتجب طاعة الله وان تعبا لعبد
فيها اى وله الدين ذا كلفة وقيل الدين الجزا اى وله الجزاء
دايما لا ينقطع ثوابه لمن امن وعقابه لمن كفر **افغير الله تتقون**
وهو الاله الحق اى ينبغى ان لا تتقوا غير الله فلا ضار سواه كما
لا نافع غيره كما قال **وما بكم من نعمة فمن الله** اى واى شى اتصل بكم
من نعمة فهو من الله وما شرطيه او موصولة متضمنة معنى الشرط
باعتبار الاخبار دون الحصول فان استقرار النعمة بهم يكون سببا
للاخبار بانها من الله لا لحصولها منه تعالى **ثم اذا مسكم** اصابكم
الضر اى السقم والبلا والقحط **فاليه تجارون** اى تضجون بالدعا
فما تتضرعون الا اليه والجوار رفع الصوت فى الدعا والاستغاثة
ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم وهم كفاركم **بربهم يشركون**
بعبادة غيره بعد ازالة البلا وبعد الجوار هذا اذا كان
عاما فان كان خاصا بالمشركين كان من للبيان كانه قال فاذا
فريق وهم انتم ومعنى الكلام التعجيب من الاشراك بعد النجاة
من الهلاك **ليكفروا بما اتيناهم** من نعمة الكشف عنهم كانهم
قصدوا بشركهم كفران النعمة او انكار كونها من الله **فتمتعوا** امر
تهديد **فسوف تعلمون** عاقبة امركم اغلظ الوعيد **ويجعلون**
لما لا يعلمون اى لالهتهم التى لا علم لها لانها جماد فيكون الضمير
لما وجرى بالواو والنون مجرى من يعقل او التى لا يعلمونها
فيعتقدون فيها جهالات مثل انها تنفعهم وتشفع لهم على ان

العايد

العايد الى ما محذوف والمعنى انهم يجعلون للاصنام التى
لا تعقل شيا من اموالهم يتقربون به اليها قاله مجاهد وغيره
فيكون الضمير فى يعلمون للمشركين او لالهتهم على ان ما مصدرية
والمجعول له محذوف للعلم به **نصيبا مما رزقناهم** من الزرع
والانعام بقولهم هذا لله وهذا لشركائنا **تالله لتسالن عما**
كنتم تفترون على الله من انه امركم بذلك او من انها الهة حقيقة
بالتقرب اليها وهو وعيد لهم عليه وهو رجوع من الخبر الى الخطاب
والسوال للتوبيخ والتقريع **ويجعلون لله البنات** نزلت فى خزاعة
وكنانة زعموا ان الملايكة بنات الله فكانوا يقولون الحقوا البنات
بالبنات **سبحانه** تنزيه له من قولهم او تعجب منه وهو اعتراض
بجملة لانه مصدر بتقدير الفعل **ولهم ما يشتهون** يعنى البنين
وموضع ما رفع بالابتدا والخبر لهم وتم الكلام عند قوله سبحانه
واجاز الفرا كونها نصبا على تقدير ويجعلون لهم ما يشتهون
وهو وان افضى الى ان يكون ضمير الفاعل والمفعول لشى واحد
لكنه لا يبعد تجويزه فى المعطوف وانكره الزجاج **واذا بشر احدهم**
بالانثى اى اذا اخبر بولادتها له **ظل وجهه** اى صار ودام النهار
كله **مسودا** من الكاابة والحيا من الناس واسوداد الوجه كناية
عن الاغتمام والتشويه والعرب تقول لكل من لقى مكروها قد اسود
وجهه وحكى الماوردى ان المراد سواد اللون **وهو كظيم**
اى ممتلى غما من المراة ابن عباس حزين وقال الاخفش هو الذى
يكظم غيظه فلا يظهره وقيل غير ذلك فكيف تنسبا البنات

اليه تعالى يتوارى من القوم اى قومه اى يستخفى منهم من سوء ما بشر به
اى من سوء الحزن والعار والحيا الذى يلحقه بسبب البنت
ايمسكه اى يحدث نفسه متفكرا فى ان يتركه على هون اى ذل
الكساى الهوان بلاء والمشقه ثم قيل يرجع الهوان الى البنت
اى يمسكها وهى مهانه عنده وقيل يرجع الى المولود له اى يمسكه
على رغم انفه ام يدسه فى التراب اى يخفيه فيه وهو ما كانوا
يفعلونه من دفن البنت حيه وقال قتاده كان مضر وخزاعة
يدفنون البنات احيا واشدهم فى هذا تميم زعموا خوفا القهر
عليهم وطمع غير الاكفا فيهن وقيل دسها اخفاوها عن الناس
حتى لا تعرف كالمدسوس فى التراب لاخفايه عن الابصار وتذكير
الضمير للفظ ما الا سا ما يحكمون حكمهم هذا حيث يجعلون
لمن تعالى عن الولد ما هذا محله عندهم للذين لا يومنون بالاخرة
اى هولا الواصفين لله البنات مثل السوء اى صفه السوء من
الجهل والكفر وهو وصفهم لله تعالى بالصاحبة والولد او صفه
السوء بمعنى القبيحه وهى وادهم البنات مع احتياجهم اليهن
للنكاح وقيل العذاب والنار ولله المثل الاعلى وهو الوجوب
الذاتى والغنا المطلق والنزاهة عن صفة المخلوقين قتادة المثل
الاعلى الوصف الاعلى من الاخلاص والتوحيد وقيل الصفة العليا
بانه خالق رازق قادر ومجازى ابن عباس المثل الاعلى شهادة
ان لا اله الا الله وقيل المثل الاعلى كقوله الله نور السموات
والارض الايه فان قيل كيف اضاف المثل الى نفسه هنا وقد
قال

قال فلا تضربوا لله الامثال اى الامثال التى توجب الاشباه
والنقايص والمثل الاعلى وصفه بما لا شبيه له ولا نظير جل وعز
وهو العزيز الحكيم المنفرد بكمال القدرة والحكمة ولو يواخذ الله
الناس بظلمهم اى بكفرهم ومعاصيهم وعاجلهم ما ترك عليها
اى على الارض وانما اضمرها من غير ذكر لدلالة الناس والدابه
لان الدابة لا تكون الا على الارض من دابة قط بشوم ظلمهم قيل
المراد من دابة كافره فهو خاص والمعنى انه لو اهلك الآبا بكفرهم
لم تكن الابنا وقيل المراد بالاية العموم اى لو واخذ الله الناس
بما كسبوا ما ترك على هذه الارض من نبي ولا غيره وقال ابن مسعود
وقرا هذه الاية لو يواخذ الله الخلق بذنوب المذنبين لاصاب
العذاب جميع الخلق حتى الجعلان فى جحرها ولامسك الامطار
من السما والنبات من الارض فمات الدواب ولكن الله ياخذ
بالعفو والفضل كما قال ويعفو عن كثير وفى رواية عنه كاد
الجعل يهلك فى جحره بذنب ابن ادم ولكن يوخرهم الى اجل مسمى
سماه لاعمارهم او لعذابهم كى يتوالدوا فاذا جا اجلهم لا يستاخرون
عنه ساعة ولا يستقدمون عليه بل هلكوا او عذبوا حينيذ
لا محالة ولا يلزم من عموم الناس واضافة الظلم اليهم ان يكونوا
كلهم ظالمين لجواز ان يضاف اليهم ما شاع فيهم وصدر عن اكثرهم
فان قيل كيف يعمهم بالهلاك مع ان فيهم مومنين ليسوا بظالمين
قيل يكون هلاك الظالم انتقاما وجزا وهلاك المومن معوضا
بثواب الاخرة وفى صحيح مسلم اذا اراد الله بقوم عذابا اصاب العذاب

من كان فيهم ثم يعثوا على ثباتهم ويجعلون لله ما يكرهون اي ما يكرهونه لانفسهم من البنات والشرك في الرياسه والاستخفاف بالرسل واراذل الاموال وتصف تقول السنتهم الكذب مع ذلك وهو ان لهم الحسنى الجنه اي عند الله كقوله ولين رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى لا جرم ان لهم النار رد لكلامهم واثبات لضده وقيل لا رد لقولهم وتم الكلام اي ليس كما يزعمون جرم ان لهم النار اي حقا لهم النار وانهم مفرطون اي مقدمون الى النار من فرطته في طلب الما اي قدمته ومنه الحديث انا فرطكم الى الحوض وقيل المعنى منسيون متروكون في النار وقري بكسر الرا في الافراط في المعاصي ومعناه مسرفون فيها متجاوزون الحد تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك رسلا فزين لهم الشيطان اعمالهم السيه فاصروا على قبايحها وكفروا بالمرسلين فهو وليهم اليوم اي في الدنيا وعبر باليوم عن زمانها او فهو وليهم حين كان يزين لهم او يوم القيمة على انه حكاية حال ماضية او اتية ويجوز ان يقدر مضاف اي فهو ولي امثالهم اليوم والولي القرين او الناصر ولهم عذاب اليم في القيمه وقيل فهو قرينهم في النار واطلق على يوم القيمة اسم اليوم لشهرته وقيل يقال لهم يوم القيمة هذا وليكم فاستنصروا به لينجيكم على جهة التوبيخ لهم وما انزلنا عليك يا محمد الكتاب القران الا لتبين لهم اي الناس الذي اختلفوا فيه من التوحيد والقدر واحكام المعاد واحكام الافعال فتقوم الحجة عليهم ببيانات وهدى ورحمة ولحوال

لقوم يومنون معطوفان على محل لتبين فانهما فعلا المنزل بخلاف التبيين ومجاز الكلام وما انزلنا عليك الكتاب الا تبيانا وهدى اي رشدا ورحمة للمومنين والله انزل من السما ما فاحيى به الارض بعد موتها اي انبت فيها انواع النبات بعد يبسها واعاد الكلام الى تعديد النعم وبيان كمال القدره ان في ذلك المذكور لاية اي دلالة على البعث وعلى وحدانيته لقوم يسمعون عن الله تعالى بالقلوب سماع تدبر لا بالاذان وان لكم في الانعام لعبرة اي دلالة تعبرون بها من الجهل الى العلم واصل العبرة تمثيل الشي بالشي ليعرف حقيقته من طريق المشاكله ومنه فاعتبروا والانعام هنا الاصناف الاربعه الابل والبقر والضان والمعز قال ابو بكر الوراق العبرة في الانعام تسخيرها لاربابها وطاعتها لهم وتمردك على ربك وخلافك له ومن اعظم العبر بري يحمل مذنبا نسقيكم قرى بضم النون وبفتحها من اسقى وسقى قيل هما لغتان وقيل يقال لما كان من يدك الى فيه سقيته فاذا جعلته له شرابا او عرضته لان يشرب بفيه او لزرعه قلت اسقيته مما في بطونه لما ذكر الضمير ووحده هنا وانثه في المومنين للمعنى فان الانعام اسم جمع ولذلك عده سيبويه في المفردات المبنية على افعال كاخلاق واكياس قال سيبويه والعرب تخبر عن الانعام بخبر الواحد قال ابن العربي وما اراه عول عليه الا من هذه الايه وهذا لا يشبه منصبه ولا يليق بادراكه وقيل لما كان لفظ الجمع وهو اسم الجنس يذكر ويونث فيقال هو الانعام الفطام

وهي الانعام جاز عود الضمير بالتذكير وقال الكساى معناه
مما في بطون ما ذكرنا فهو عايد على المذكور قال تعالى ان هذه
تذكرة فمن شا ذكره وقال الكساى ايضا المعنى مما في بطون بعضه
اذ الذكور لا البان لها وقال ابن العربي انما يرجع التذكير الى
معنى الجمع والتانيث الى معنى الجماعة **من بين فرث ودم لبنا** الفرث
الزبل الذي ينزل الى الكرش فاذا اخرج منه لم يسم فرثا وعن ابن عباس
ان البهيمة اذا اعتلفت وانطبخ العلف في كرشها كان اسفله فرثا
واوسطه لبنا واعلاه دما ولعله ان صح فالمراد ان اوسطه
يكون مادة اللبن واعلاه مادة الدم الذي يغذي البدن ه
لانهما لا يتكونان في الكرش بل الكبد يجذب صفاوة الطعام ه
المنهضم في الكرش ويبقى ثفله وهو الفرث ثم يمسكها ريثما يهضمها
هضما ثانيا فيحدث اخلاط اربعة معها مائية فتميز القوة المميزة
تلك المائية بما زاد على قدر من المرتين وتدفعها الى الكليه والمرارة
والطحال ثم توزع الباقي على الاعضا بحسبها فتجري الى كل حقه
على ما يليق به بتقدير الحكيم العليم ثم ان كان الحيوان انثى زاد
اخلاطها على قدر غذايها لاستيلا البرد والرطوبة على مزاجها
فيندفع الزايد الى الرحم لاجل الجنين فاذا انفصل انصب ذلك
الزايد او بعضه الى الضروع فيبيض لمجاورة لحمها الغدديه
فيصير لبنا حكمة بالغة فمن تدبر صنع الله تعالى في احداث
الاخلاط والالبان والاسباب المولدة لها والقوى المتصرفه
فيها كل وقت على ما يليق به اضطر الى الاقرار بكمال حكمته

وتناهي

وتناهي رحمته ومن الاولى تبعيضيه لان اللبن بعض ما في بطونها
والثانيه ابتدائيه كقولك سقيته من الحوض لان بين الفرث
والدم المحل الذي يبتدا منه الاسقا وهي متعلقة بنسقيكم
او حال من لبنا قدم عليه لتنكيره وللتنبيه على انه موضع
العبره **خالصا** صافيا لا يستصحبه لون الدم ولا رايحة الفرث
او مصفى مما يصحبه من الاجزا الكثيفه **سايغا للشاربين** سهل
المرور في حلقهم لا يغص به من شربه وروي ان اللبن لم يشرق به
احد قط وقيل لذيذا هنيا **ومن ثمرات النخيل والاعناب**
متعلق بمحذوف اي ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب اي من
عصيرهما وقوله **تتخذون منه سكرا** استيناف لبيان الاسقا
وقال الطبري التقدير ومن ثمرات النخيل والاعناب ما تتخذون
فحذف ما ودل على الحذف قوله منه او المعنى ومن ثمرات النخيل
والاعناب ثمر وقيل معنى منه من المذكور فلا يكون في الكلام
حذف وهو اولى ويجوز ان يكون عطفا على الانعام اي ولكم في
ثمرات النخيل والاعناب عبرة وتتخذون مستانف وقيل غير ذلك
والسكر مصدر سمي به الخمر قال ابن عباس نزلت هذه الايه قبل
تحريم الخمر وقيل السكر الخل بلغة الحبشه **ورزقا حسنا** كالتمر
والزبيب والدبس والخل والايه ان كانت سابقه على تحريم الخمر
فدالة على كراهتها والا فجامعة بين العتاب والمنه وقيل السكر
النبيذ وقيل الطعم كما قال جعلت اعراض الكرام سكرا اي تنقلب
باعراضهم وقيل غير ذلك **ان في ذلك لاية لقوم يعقلون** ه

يستعملون عقولهم بالنظر والتامل في الايات واوحى ربك الى
النحل الوحي يكون بمعنى الالهام وهو ما يخلقه الله تعالى في
القلب ابتدا من غير سبب ظاهر قال تعالى ونفس وما سواها
فالهمها فجورها وتقواها ومن ذلك الهام البهايم وما يخلق
الله فيها من درك منافعها واجتناب مضارها وتدبير معاشها
فمعنى اوحى هنا الهمها وقذف في قلوبها وسمي نحلا لان الله
تعالى نحله العسل يخرج منه قال الجوهري والنحل والنحلة
الدبر تقع على الذكر والانثى حتى يقال يعسوب وهو سيد النحل
اذا وقف وقفت واذا سار سارت ان اتخذي اي بان اتخذي ويجوز
ان تكون مفسرة لان في الايحا معنى القول وتانيث الضمير على المعنى
فان النحل مذكر من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ذكر بحرف
التبعيض لانها لا تبني في كل شجر ولا كل جبل وسمي ما تبنيه
تستعسل فيه بيتا تشبيها ببيت الانسان لما فيه من حسن
الصنعة وصحة القسمة الاتي لا يقوى عليها حذاق
المهندسين الا بالالات وانظار دقيقة فجعل الله بيوت النحل
في هذه الثلاثة اما في الجبال وكواها واما في متجوف الاشجار
واما في ما يعرش ابن ادم من الخلايا والحيطان وعرش معناه
هيا قال ابن العربي ومن عجيب ما خلق الله في النحل ان الهمها
اتخاذ بيوتها مسدسة فبذلك اتصلت حتى صارت كالقطعة
الواحدة وذلك ان الاشكال من الثلاث الى العشر اذا جمع كل
واحد منها الى امثاله لم يتصل وجات بينها فروج الا الشكل

المسدس

المسدس فانه اذا جمع الى امثاله اتصل كانه القطعة الواحدة
انتهى ولعل ذكر النحل للتنبيه على ذلك ثم كلي من كل الثمرات
اي من كل ثمرة تشتهيها مرها وحلوها فليست على العموم فهي
كقوله تدمر كل شيء وذلك انها انما تاكل النوار من الاشجار فاسلكي
ما اكلت سبل ربك في مسالكه التي تحيل فيها بقدرته النوار
المر عسلا من اجوافك او المعنى فاسلكي الطرق التي الهمك في عمل
العسل او فاسلكي راجعة الى بيوتك سبل ربك لا يتوعر عليك
ولا يلتبس وقيل المعنى ادخلي طرق ربك لطلب الرزق في الجبال
وخلال الاشجار ذللا جمع ذلول وهي حال من السبل اي مذللة
ذللها الله وسهلها لك او من الضمير في اسلكي اي وانت ذلل
منقادة يخرج من بطونها عدل به عن خطاب النحل الى خطاب
الناس لانه محل الانعام عليهم والمقصود من خلق النحل والهامه
لاجلهم شراب يعني العسل لانه مما يشرب واحتج به من زعم ان
النحل باكل الازهار والاوراق العطرة فيستحيل في باطنها عسلا
ثم تلقيه ادخارا للشتا ومن زعم انها تلتقط بافواهها اجزا طلية
حلوة صغيرة متفرقة على الاوراق والازهار وتضعها في
بيوتها ادخارا فاذا اجتمع في بيوتها شي كثير منها كان العسل
فسر البطون بالافواه وجمهور الناس على انه يخرج من افواه
النحل وروي عن علي رضي الله عنه انه قال في تحقير الدنيا اشرف
لباس ابن ادم فيها لعاب دودة واشرف شرابه رجيع نحلة
فظاهر هذا انه من غير الفم وبالجملة فانه يخرج ولا يدري

امن فيها او اسفلها والله اعلم مختلف الوانه ابيض واصفر واحمر
واسود والام واحدة اما السبب اختلاف من النحل او للفصل
فيه شفآ للناس اما بنفسه كالامراض البلغميه او مع غيره
كما في ساير الامراض اذ قل ما يكون معجون الا والعسل جزء منه
مع ان التنكير فيه مشعر بالتبعيض ويجوز ان يكون للتعظيم
وقيل الضمير للقران روي عن ابن عباس ومجاهد والحسن وغيرهم
وقيل لما بين الله من احوال النحل ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون
اي يعتبرون فان من تدبر اختصاص النحل بتلك العلوم التي فيها
والافعال العجيبه حق التدبر علم قطعا انه لا بد له من قادر حكيم
يلهمها ذلك فيحملها عليه والله خلقكم ولم تكونوا شيا ثم
يتوفاكم باجال مختلفه ومنكم من يرد اي يعاد الى ارذل العمر
اخسه وارداه يعني الهرم الذي يشابه الطفوليه في نقصان القوه
والعقل قيل هو خمس وتسعون سنه وقيل خمس وسبعون ٥
فايدة روي عن عكرمه من قرا القران لم يرد الى ارذل العمر
اي لم يصر بهذه الحاله لكيلا يعلم بعد علم شيا اي ليصير الى
حالة شبيهة بحالة الطفولية في النسيان وسوء الفهم ٥
وقد قيل ان هذا لا يكون للمومن لانه لا ينزع عنه علمه والمعنى
المقصود الاحتجاج على منكري البعث اي الذي رده الى هذه
الحالة قادر على ان يميته ثم يحييه وشيا منصوب على المصدر
عند البصريين وبيعلم عند الكوفيين ان الله عليم بمقادير
اعمالهم قدير يميت الشاب النشيط ويبقي الهرم الفاني وفيه

تنبيه

تنبيه على ان تفاوت آجال الخلايق ليس الا بتقدير قادر حكيم
ركب ابنيتهم وعدل امزجتهم على قدر معلوم ولو كان ذلك
بمقتضى الطباع لم يبلغ التفاوت هذا المبلغ والله فضل بعضكم
على بعض في الرزق فمنكم غني ومنكم فقير ومنكم موالي يتولون
رزقهم ورزق غيرهم ومنكم مماليك خلاف ذلك فما الذين
فضلوا برادي رزقهم اي بمعطي رزقهم على ما ملكت ايمانهم اي
على مماليكهم فان ما يردون عليهم رزقهم الذي جعله الله في
ايديهم فهم فيه سواء اي فالموالي والمماليك سوا في ان الله
رزقهم فالجملة لازمة للجملة المنفية او مقررة لها ويجوز ان تكون
واقعة موقع الجواب كانه قيل فما الذين فضلوا برادي رزقهم
على ما ملكت ايمانهم فيستووا في الرزق على انه رد وانكار على
المشركين فانهم يشركون بالله بعض مخلوقاته في الالوهيه
ولا يرضون ان يشاركهم عبيدهم فيما انعم الله عليهم فيساووهم
فيه والمعنى ليس لهم شركا من مماليكهم في اموالهم فكيف يجعلون
بعض مماليك الله شركا له ودل هذا على ان العبد لا يملك افبنعمة
الله يجحدون حيث يتخذون له شركا او حيث انكروا امثال
هذه الحجج بعدما انعم الله عليهم بايضاحها والبا لتضمن الجحود
معنى الكفر وقري بالتا لقوله خلقكم وفضل بعضكم والله جعل
لكم من انفسكم ازواجا جعل بمعنى خلق اي خلق لكم من جنسكم
ازواجا لتانسوا بها ولتكون اولادكم مثلكم وقيل هو حوا من
ادم وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة اي واولادا او اولادا او

بنات فان الحافد هو المسرع فی الخدمة ومنه قولهم والیك نسعی
ونحفد والبنات یخدمن فی البیوت اتم خدمة وقیل هم الاختان
علی البنات قال الاصمعی الختن ما كان من قبل المراه مثل ابیها
واخیها والاصهار منهما جمیعا وقیل الربائب وروی ابن القاسم
عن مالك الحفده الخدم والاعوان وعن ابن عباس هم الاعوان
القرطبی الحفده اولاد الاولاد وهو ظاهر القران بل نصه الا تری
انه قال وجعل لكم من ازواجكم بنین وحفدة فجعل البنین والحفدة
منهن انتهی ووجود الابنا یكون من الزوجین معا ولكنه لما كان
خلق المولود من الزوجة وانفصاله عنها اضیف الیها ولذلك
تبعها فی الرق والحریه قال ابن العربی سمعت امام الحنابله بمدینة
السلام ابا الوفا علی بن عقیل یقول انما تبع الولد الام فی المالیه
وصار حكمها فی الرق والحریة لانه انفصل عن الاب نطفة لا قیمة
له ولا مالیة فیه ولا منفعة وانما اكتسب ما اكتسب بها ومنها
فلاجل ذلك تبعها كما لو اكل رجل تمرا فی ارض رجل وسقطت
منه نواة فی الارض من ید الآكل فصارت نخله فانها ملك صاحب
الارض دون الآكل باجماع من الامة لانها انفصلت عن الآكل
ولا قیمة لها **ورزقكم من الطیبات** ای من اللذائذ من الحبوب
والثمار والحیوان وقیل من الحلالات **افبالباطل یومنون**
وهو ان الاصنام تنفعهم او ان من الطیبات ما یحرم علیهم
كالبحائر والسوائب **وبنعمة الله هم یكفرون** حیث اضافوا
نعمه الی الاصنام او حرموا ما احل الله لهم وتقدیم الصله علی

الفعل

الفعل اما للاهتمام او لایهام التخصیص مبالغة او للمحافظة
علی الفواصل **ویعبدون من دون الله** ای غیره **ما لا یملك لهم
رزقا من السموات والارض شیا** من مطر ونبات ورزقا ان جعلته
مصدرا فشیا منصوب به والا فبدل عنه والاول للفرا والثانی للاخفش
والمعنی یعبدون ما لا یملك ان یرزقهم شیا **ولا یستطیعون** ان
یتملكوه او لا استطاعة لهم اصلا وجمع الضمیر فیه وتوحیده فی
لا یملك لان ما مفرد فی الالهة ویجوز ان یعود الی الكفار ای ولا
یستطیع هولا مع انهم احیاء متصرفون شیا من ذلك فكیف بالجماد
فلا تضربوا لله الامثال ای فلا تجعلوا لله مثلا تشركون به او
تقیسونه علیه فان ضرب المثل تشبیه حال بحال **ان الله یعلم**
فساد ما تقولونه علیه من القیاس علی ان عبادة عبید الملك
ادخل فی التعظیم من عبادته او عظم جرمكم فیما تفعلون او یعلم
ان لا مثل له **وانتم لا تعلمون** ذلك ولو علمتموه لما جرأتم علیه
فهو تعلیل للنهی او المعنی انه یعلم كنه الاشیا وانتم لا تعلمونه
ویجوز ان یراد فلا تضربوا لله الامثال فانه یعلم كیف تضرب
الامثال وانتم لا تعلمون ثم علمهم كیف تضرب فضرب مثلا
لنفسه ولمن عبد دونه فقال **ضرب الله مثلا عبدا** بدل من مثلا
**مملوكا لا یقدر علی شیء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو
ینفق منه سرا وجهرا هل یستوون** مثل ما یشرك بالمملوك العاجز
عن التصرف راسا ومثل نفسه بالحر المالك الذی رزقه الله مالا
كثیرا فهو یتصرف وینفق منه كیف یشا واحتج بامتناع الاشتراك

والتسوية بينهما مع تشاركهما في الجنسية والمخلوقية على امتناع
التسوية بين الاصنام التي هي اعجز المخلوقات وبين الله الغني
القادر على الاطلاق وقيل تمثيل للكافر المخذول والمومن
الموفق قاله قتادة والاول قول الجمهور وتقييد العبد بالمملوك
للتمييز عن الحر فانه ايضا عبد الله وبسلب القدرة للتمييز عن
المكاتب والماذون وجعله قسيما للمالك المتصرف يدل على ان
المملوك لا يملك والاظهر ان من موصوفة اي حرا ليطابق عبدا
وجمع الضمير في يستوون لانه للجنسين فان المعنى هل يستوى
الاحرار والعبيد لا **الحمد لله** اي كل الحمد له لا يستحقه غيره
بل اكثرهم لا يعلمون اي اكثر المشركين لا يعلمون ان الحمد لله وجميع
النعمة منه وذكر الاكثر والمراد الجميع فهو خاص اريد به العموم
وقيل المعنى بل اكثر الخلق لا يعلمون وذلك لان اكثرهم المشركون
وضرب الله مثلا رجلين بدل **احدهما ابكم** ولد اخرس لا يفهم
ولا يفهم **لا يقدر على شي** من الصنايع والتدابير لنقصان عقله
وهو كل على مولاه اي عيال وثقيل على من يلي امره **اينما يوجهه**
اي حيثما يرسله مولاه **لا يات بخير** اي بنجح وكفاية مهم **هل**
يستوي هو اي الابكم المذكور **ومن يامر بالعدل** ومن هو فهيم
منطيق ذو كفاية ورشد ينفع الناس بحثهم على العدل الجامع
الفضايل **وهو على صراط مستقيم** اي وهو في نفسه على طريق
مستقيم لا يتوجه الى مطلب الا ويبلغه باقرب سعي وانما قابل
تلك الصفات بهذين الوصفين لانهما كمال ما يقابلهما وهذا
تمثيل

تمثيل ثان ضربه الله لنفسه وللاصنام لابطال المشاركة بينه وبينها
او للمومن والكافر **ولله غيب السموات والارض** يختص به علمه لا يعلمه
غيره وهو ما غاب فيهما عن العباد بان لم يكن محسوسا ولم يدل
عليه محسوس وقيل هو يوم القيمة فان علمه غايب عن اهل السموات
والارض **وما امر الساعة** اي وما امر قيام الساعة في سرعته
وسهولته **الا كلمح البصر** اي كرجع الطرف من اعلى الحدقة الى اسفلها
او هو اقرب اي وامرها اقرب منه بان يكون في زمان نصف
تلك الحركة بل في الآن الذي يبتدا فيه فانه يحيي الخلايق دفعه وما
يوجد دفعة كان في آن واو للتخيير وقيل بمعنى بل وقيل المعنى
ان قيام الساعة وان تراخى فهو عند الله كالشي الذي يقولون فيه
هو كلمح البصر او هو اقرب مبالغة في استقرابه وقال الزجاج لم
يرد ان الساعة تاتي في لمح البصر وانما وصف سرعة القدرة
على الاتيان بها وسميت القيمة ساعة لانها تفجاء الناس في ساعة
فيموت الخلق بصيحة **ان الله على كل شي قدير** فيقدر ان يحيي
الخلايق دفعة كما قدر ان احياهم متدرجا ثم دل على قدرته
فقال **والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيا** الجملة
حال اي جهالا مستصحبين جهل الجادية فلا تعلمون شيا من
منافعكم وقيل لا تعلمون شيا مما اخذ عليكم من الميثاق في
اصلاب ابايكم وقيل مما قضى عليكم من السعادة والشقاوة
وجعل لكم السمع والابصار والافيدة اداة تتعلمون بها
فتحسون بمشاعركم جزئيات الاشيا فتدركونها ثم تتنبهون

نقلوبكم لمشاركات ومباينات بتبينها بتكرر الاحساس حتى تتحصل
لكم العلوم البديهيه وتتمكنوا من تحصيل المعالم الكسبيه بالنظر
فيها وقيل جعل لكم السمع لتسمعوا به الامر والنهى والابصار
لتنظروا بها اثار صنعه والافئدة لتصلوا بها الى معرفته وقد
قيل ان فى ضمن قوله وجعل لكم السمع اثبات النطق لان من لم يسمع
لم يتكلم فاذا وجدت حاسة السمع وجد النطق واصل امهات
امات فزيدت الهاء تاكيدا كما زيدت فى اهراق لعلكم تشكرون
اى كى تعرفوا ما انعم الله عليكم طورا بعد طور فتشكروه الم
يروا قرئ بالتاء على الخطاب وبالياء على الخبر الى الطير مسخرات
اى مذللات للطيران بما خلق الله لها من الاجنحة والاسباب
المواتية له وقيل مسخرات لمنافعكم فى جو السماء اى فى الهواء
المتباعد من الارض واضاف الجو الى السماء لارتفاعه عن الارض
ما يمسكهن فيه الا الله فان ثقل جسدها يقتضى سقوطها ولا
علاقة فوقها ولا دعامة تحتها ان فى ذلك اى فى تسخير الطير
للطيران بان خلقها خلقة يمكن معها الطيران وخلق الجو بحيث
يمكن الطيران فيه وامساكها فى الهوا على خلاف طبعها لايات
اى علامات وعبر ودلالات لقوم يومنون لانهم المنتفعون
بها والله جعل لكم من بيوتكم سكنا اى موضعا تسكنون فيه
وقت اقامتكم كالبيوت المتخذة من الحجر والمدر فعل بمعنى مفعول
وكل ما علاك فهو سقف وكل ما اقلك فهو ارض وكل ما سترك
من جهاتك الاربع فهو جدار فاذا انتظمت واتصلت فهو بيت

و

وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا هى القباب المتخذة من الادم
ويجوز ان تتناول المتخذة من الوبر والصوف والشعر فانها من
حيث انها نابتة على جلودها يصدق عليها انها من جلودها
تستخفونها اى تجدونها خفيفة يخف عليكم نقلها وحملها يوم
ظعنكم اى وقت ترحالكم ويوم اقامتكم وقت الحضر او النزول
والظعن سير البادية فى الانتجاع والتحول من موضع الى موضع
ومن اصوافها واوبارها واشعارها الصوف للضانية
والوبر للابل والشعر للمعز واضافتها الى ضمير الانعام لانها
من جملتها اثاثا وهو ما يلبس ويفرش كالاكسية والبسط وقال
الخليل اثاثا متاعا منضما بعضه الى بعض من اثّ اذا كثر
ومتاعا الى حين الى مدة من الزمان فانها لصلابتها تبقى مدة
مديدة الى ان تبلى او الى حين مماتكم او الى ان تقضوا منها اوطاركم
ولم يذكر القطن والكتان لانه لم يكن فى بلاد العرب المخاطبين
والله جعل لكم مما خلق من الشجر والجبال والابنية وغيرها
ظلالا تتقون به حر الشمس وجعل لكم من الجبال اكنانا مواضع
تسكنون بها من الكهوف والبيوت المنحوتة فيها جمع كن وهو
الحافظ من المطر والريح وجعل لكم سرابيل ثيابا من الصوف والكتان
والقطن وغيرها تقيكم الحر اى والبرد وذكر الجبال ولم يذكر السهل
وذكر الحر ولم يذكر البرد لان القوم كانوا اصحاب جبال ولم
يكونوا اصحاب سهل وكانوا اهل حر ولم يكونوا اهل برد وقيل
لان وقاية الحر كانت اهم عندهم وقيل لان البرد تقدم ذكره

الامتنان بوقايته صريحا في قوله ومن اصوافها الاية وفي قوله
والانعام خلقها لكم فيها دفء وقيل اكتفا باحد الضدين عن
الاخر فانه يدل عليه وسرابيل تقيكم باسكم يعني الدروع
والجواشن والسربال يعم كلما يلبس والباس الحرب كذلك اي
كاتمام هذه النعم التي تقدمت يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون
اي تنظرون في نعمه فتؤمنون به او تنقادون لحكمه فان تولوا
اي اعرضوا ولم يقبلوا منك فانما عليك البلاغ المبين اي فلا
يضرك فانما عليك الابلاغ وقد بلغت وهذا من اقامة السبب
مقام المسبب وهذا قبل الامر بالقتال يعرفون نعمة الله اي
يعرف المشركون نعمة الله التي عددها عليهم وغيرها حيث
يعترفون بها وبانها من الله ثم ينكرونها بعبادتهم غير المنعم بها
او قولهم انها بشفاعة الهتنا او بسبب كذا او باعراضهم عن اداء
حقوقها وقيل يعرفونها في الشدة وينكرونها في الرخا وقيل
نعمة الله نبوة محمد صلى الله عليه وسلم عرفوها بالمعجزات ثم
انكروها عنادا ومعنى ثم استبعاد للانكار بعد المعرفة
واكثرهم الكافرون الجاحدون عنادا وذكر الاكثر اما لان
بعضهم لم يعرف الحق لنقصان العقل او لتفريط في النظر او لم
تقم عليه الحجة لانه لم يبلغ حد التكليف واما لانه يقام مقام
الكل كما في قوله بل اكثرهم لا يعلمون ويوم نبعث من كل امة
شهيدا وهو نبيها يشهد لهم وعليهم بالايمان والكفر ثم
لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار اذ لا عذر لهم وقيل في الرجوع
ال

الى الدنيا وثم لزيادة ما يحيق بهم من شدة المنع عن الاعتذار لما فيه
من الاقناط الكلي ولا هم يستعتبون يعني ولا هم يرضون من العتبى
وهي الرضى ويوم منصوب باذكر او خوفهم او يحيق وكذا قوله
واذا راى الذين ظلموا العذاب اي عذاب جهنم بالدخول فيها
فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون اي يمهلون واذا
راى الذين اشركوا شركاءهم اي اوثانهم التي دعوها شركاء
او الشياطين الذين شاركوهم في الكفر بالحمل عليه قالوا ربنا
هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك اي نعبدهم او
نطيعهم وهو اعتراف بانهم كانوا مخطئين في ذلك او التماس
لان يشطر عذابهم فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون اي اجابوهم
بالتكذيب في انهم شركاء الله او انهم عبدوهم حقيقة وانما عبدوا
اهواءهم لقوله تعالى كلا سيكفرون بعبادتهم ولا يمتنع انطاق
الاصنام حينئذ او في انهم حملوهم على الكفر والزموهم اياه لقوله
تعالى حكاية وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم
فاستجبتم لي والقوا اي والقى الذين ظلموا الى الله يومئذ السلم
اي الاستسلام لحكمه بعد الاستكبار في الدنيا وقيل
استسلم العابد والمعبود وضل عنهم اي وذهب وضاع
ما كانوا يفترون من ان الهتهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين
كذبوهم وتبرؤا منهم الذين كفروا وصدوا الناس عن سبيل الله
بالمنع عن الاسلام والحمل على الكفر زدناهم عذابا لصدهم فوق
العذاب المستحق بكفرهم بما كانوا يفسدون اي بكونهم مفسدين

بصدهم قال ابن مسعود عقارب انيابها كالنخل الطوال وحيات مثل اعناق الابل وافاعي كانها البخاتي تضربهم فتلك الزيادة وقيل يخرجون من النار الى الزمهرير فيبادرون من شدة برده الى جهنم **ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم** يعني نبيهم فان نبي كل امة بعث منهم وقيل وفي كل زمان شهيد وان لم يكن نبيا وفيه قولان احدهما انهم ايمة الهدى الذين هم خلفا الانبيا والثاني هم العلما الذين حفظ الله بهم شرايع انبيايه القرطبي فعلى هذا لم تكن فترة الا وفيها من يوحد الله كقس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل فهولا ومن كان مثلهم حجة على اهل زمانهم وشهدا عليهم **وجينا بك** يا محمد **شهيدا على هولا** اي على امتك **ونزلنا عليك الكتاب** القران استينافا وحال باضمار قد **تبيانا** اي بيانا بليغا **لكل شي** يحتاج اليه من امور الدين على التفصيل والاجمال بالاحالة على السنة او القياس وقال مجاهد للحلال والحرام **وهدى** من الضلالة **ورحمة** للجميع وانما حرمان المحروم لتفريطه **وبشرى** بالجنة **للمسلمين** خاصة **ان الله يامر بالعدل** اي بالتوسط في الامور اعتقادا كالتوحيد المتوسط بين التعطيل والتشريك والقول في الامور بالكسب المتوسط بين محض الجبر والقدر وعملا كالتعبد باداء الواجبات المتوسط بين البطالة والترهب وخلقا المتوسط بين البخل والتبذير **والاحسان** احسان الطاعات وهو اما بحسب الجمية كالتطوع بالنوافل

او

او بحسب الكيفية كما قال عليه افضل الصلاة والسلام الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وعن عثمان ابن مظعون قال لما نزلت هذه قراتها على ابي طالب فعجب فقال يا ال غالب اتبعوه تفلحوا فوالله ان الله ارسله ليامركم بمكارم الاخلاق وفي حديث اخر ان ابا طالب لما قيل له ان ابن اخيك زعم ان الله انزل عليه ان الله يامر بالعدل والاحسان الاية فقال اتبعوا ابن اخي فوالله لا يامر الا بمحاسن الاخلاق وقال عكرمة قرا النبي صلى الله عليه وسلم على الوليد بن المغيرة ان الله يامر بالعدل والاحسان الى اخرها فقال يا ابن اخي اعد فاعاد عليه فقال والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمورق وان اعلاه لمثمر وما هو بقول بشر وقال مقاتل ابن مسعود هذه اجمع اية في القران لخير يمتثل اوشر يجتنب وقال مقاتل زكاة العدل الاحسان وزكاة القدرة العفو وزكاة الغنى المعروف وزكاة الجاه كتب الرجل الى اخوانه قال ابن عباس العدل لا اله الا الله والاحسان اداء الفرايض وقيل العدل الفرض والاحسان النافلة وقال سفيان بن عيينة العدل ها هنا استوا السريرة والعلانية والاحسان ان تكون السريرة افضل وعن علي رضي الله عنه العدل الانصاف والاحسان التفضل وقال ابن العربي العدل بين العبد وبين ربه ايثار حقه تعالى عن حظ نفسه وتقديم رضاه على هواه والاجتناب للزواجر والامتثال للاوامر واما العدل بينه

وبين نفسه فمنعها مما فيه هلاكها وعزوفا لاطماع عن الاتباع
ولزوم القناعة في كل حال واما العدل بينه وبين الخلق فبذل
النصيحة وترك الخيانة فيما قل وكثر والانصاف من نفسك لهم
بكل وجه ولا يكون منك اساة الى احد بقول ولا فعل لا في سر
ولا علن والصبر على ما يصيبك منهم من البلوى واقل ذلك
ترك الاذى واما الاحسان فقال العلما ان الله سبحانه
وتعالى يحب من خلقه احسان بعضهم الى بعض حتى الطاير
في سجنك والسنور في دارك فلا ينبغي ان تقصر في تعهده
باحسانك وهو تعالى غني عن احسانهم ومنه الاحسان والنعم
والفضل والمنن وفي حديث جبريل السابق والاحسان ان
تعبد الله الى اخره وارباب القلوب في هذه المراقبه على حالين
احدهما غالب عليه مشاهدة الحق فكانه يراه ولعل النبي
صلى الله عليه وسلم اشار الى هذه الحاله بقوله وجعلت قرة
عيني في الصلاة وثانيهما لا ينتهي الى هذا لكن يغلب عليه ان
الحق مطلع عليه ومشاهد له واليه الاشارة بقوله الذي يراك
حين تقوم وايتاي ذي القربى اي واعطا القرابة ما يحتاجون اليه
وهو تخصيص بعد تعميم وهو من باب عطف المندوب على الواجب
وانما خصهم لان حقوقهم اوكد وصلتهم اوجب لتاكيد حق
الرحم وينهى عن الفحشا اي عن الافراط في متابعة القوة
الشهوانية كالزنا فانه اقبح احوال الانسان واشنعها والفحش
كل قبيح من قول وفعل والمنكر هو ما ينكر على متعاطيه في اثارة

القوه

القوة الغضبية وهو ما انكره الشرع بالنهي عنه ويعم جميع المعاصي
والرذايل والدناآت على اختلاف انواعها وقيل هو الشرك
والبغي اي الاستعلا والاستيلا على الناس والتجبر عليهم فانها
الشيطنه التي هي مقتضى القوة الوهميه وحقيقة البغي تجاوز
الحد وهو داخل تحت المنكر لكن يقال خصه بالذكر اهتماما به
لشدة ضرره وفي الحديث لا ذنب اسرع عقوبة من بغي وفي حديث
اخر الباغي مصروع وقال بعض اهل العلم لا شي كالبغي اكثر
عمله في مخيلة الباغي باحث عن حديه حتفه بظلفه وقلت
ما اجتمع الملك والبغي على سرير الا خلا ولا يوجد من الانسان
شر الا وهو مندرج في هذه الاقسام صادر بتوسط احدى
هذه القوى الثلاث ولو لم يكن في القران غير هذه الايه
لصدق عليه انه تبيان لكل شي وهدى ورحمة للعالمين ولعل
ايرادها عقيب قوله ونزلنا عليك الكتاب التنبيه عليه
يعظكم بالامر والنهي والميز بين الخير والشر لعلكم تذكرون
اي تتعظون واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم يعني البيعة لرسول الله
صلى الله عليه وسلم على الاسلام لقوله ان الذين يبايعونك
انما يبايعون الله وقيل كل امر يجب الوفا به وقيل النذر
وقيل الايمان بالله والعهد لفظ عام لجميع ما يعقد
باللسان ويلتزمه الانسان من بيع او صلة او موافقة في امر
موافق للديانه ولا تنقضوا الايمان اي ايمان البيعة او مطلق الايمان
بعد توكيدها اي توثيقها بذكر الله وقد جعلتم الله عليكم كفيلا

وبين نفسه فمنعها مما فيه هلاكها وعزوفا لاطماع عن الاتباع
ولزوم القناعة في كل حال واما العدل بينه وبين الخلق فبذل
النصيحة وترك الخيانة فيما قل وكثر والانصاف من نفسك لهم
بكل وجه ولا يكون منك اساءة الى احد بقول ولا فعل لا في سر
ولا علن والصبر على ما يصيبك منهم من البلوى واقل ذلك
ترك الاذى واما الاحسان فقال العلما ان الله سبحانه
وتعالى يحب من خلقه احسان بعضهم الى بعض حتى الطاير
في سجنك والسنور في دارك فلا ينبغي ان تقصر في تعهده
باحسانك وهو تعالى غني عن احسانهم ومنه الاحسان والنعم
والفضل والمنن وفي حديث جبريل السابق والاحسان ان
تعبد الله الى اخره وارباب القلوب في هذه المراقبة على حالين
احدهما غالب عليه مشاهدة الحق فكانه يراه ولعل النبي
صلى الله عليه وسلم اشار الى هذه الحالة بقوله وجعلت قرة
عيني في الصلاة وثانيهما لا ينتهي الى هذا لكن يغلب عليه ان
الحق مطلع عليه ومشاهد له واليه الاشارة بقوله الذي يراك
حين تقوم وايتاء ذي القربى اي واعطا القرابة ما يحتاجون اليه
وهو تخصيص بعد تعميم وهو من باب عطف المندوب على الواجب
وانما خصهم لان حقوقهم اوكد وصلتهم اوجب لتاكيد حق
الرحم وينهى عن الفحشا اي عن الافراط في متابعة القوة
الشهوانية كالزنا فانه اقبح احوال الانسان واشنعها والفحش
كل قبيح من قول وفعل والمنكر هو ما ينكر على متعاطيه في اثارة

القوه

القوة الغضبية وهو ما انكره الشرع بالنهي عنه ويعم جميع المعاصي
والرذايل والدناات على اختلاف انواعها وقيل هو الشرك
والبغي اي الاستعلا والاستيلا على الناس والتجبر عليهم فانها
الشيطنة التي هي مقتضى القوة الوهمية وحقيقة البغي تجاوز
الحد وهو داخل تحت المنكر لكن يقال خصه بالذكر اهتماما به
لشدة ضرره وفي الحديث لا ذنب اسرع عقوبة من بغي وفي حديث
اخر الباغي مصروع وقال بعض اهل العلم لا شي كالبغي اكثر
عمله في متحمله الباغي باحث عن مدية حتفه بظلفه وقلت
ما اجتمع الملك والبغي على سرير الا اخلا ولا يوجد من الانسان
شر الا وهو مندرج في هذه الاقسام صادر بتوسط احدى
هذه القوى الثلاث ولو لم يكن في القران غير هذه الاية
لصدق عليه انه تبيان لكل شي وهدى ورحمة للعالمين ولعل
ايرادها عقيب قوله ونزلنا عليك الكتاب التنبيه عليه
يعظكم بالامر والنهي والميز بين الخير والشر لعلكم تذكرون
اي تتعظون واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم يعني البيعة لرسول الله
صلى الله عليه وسلم على الاسلام لقوله ان الذين يبايعونك
انما يبايعون الله وقيل كل امر يجب الوفاء به وقيل النذر
وقيل الايمان بالله والعهد لفظ عام لجميع ما يعقد
باللسان ويلتزمه الانسان من بيع او صلة او موافقة في امر
موافق للديانة ولا تنقضوا الايمان اي ايمان البيعة او مطلق الايمان
بعد توكيدها اي توثيقها بذكر الله وقد جعلتم الله عليكم كفيلا

شاهدا بتلك البيعة حيث حلفتم به فان الكفيل مراع لحال
المكفول به رقيب عليه وهو تهديد ان الله يعلم ما تفعلون
في نقض الايمان والعهود والجملة حال ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها
اي ما غزلته مصدر بمعنى المفعول من بعد قوة متعلق بنقضت
اي نقضت غزلها من بعد ابرام واحكام انكاثا طاقات اي
نكثت فتلها جمع نكث والاسم النكث والنقض وانتصاب
انكاثا على الحال من غزلها او المفعول الثاني لنقضت فانه
بمعنى صيرت والمراد به تشبيه الناقض بمن هذا شانه
ويروى ان امراة حمقى كانت بمكة تسمى ريطة بنت عمرو بن
كعب بن سعد بن تيم بن مره من قريش كانت تفعل ذلك فكانت
تغزل طول يومها ثم تنقضه فيها وقع التشبيه تتخذون
ايمانكم دخلا بينكم حال من الضمير في ولا تكونوا او في الجار
الواقع موقع الخبر اي ولا تكونوا متشبهين بامراة هذا شانها
متخذي ايمانكم مفسدة ودخلا بينكم واصل الدخل ما يدخل
الشي ولم يكن منه وقيل الدخل الخديعة والغش وقال
ابو عبيدة كل امر لم يكن صحيحا فهو دخل ان تكون امة هي اربى
من امة اي بان تكون جماعة ازيد عددا واوفر مالا من جماعة
والمعنى لا تغدروا بقوم لكثرتكم وقلتهم او لكثرة منابذتهم
وقوتهم كقريش فانهم كانوا اذا راوا شوكة في اعادي حلفايهم
نقضوا عهدهم وحالفوا اعداهم انما يبلوكم الله به الضمير
لان تكون امة لانه بمعنى المصدر اي يختبركم بكونهم اربى لينظر
اتمسكون

انتمسكون بحبل الوفا بعهد الله وبيعة رسوله ام تغترون بكثرة
قريش وشوكتهم وقلة المومنين وضعفهم وقيل الضمير للربا
وقيل للامر بالوفا وبيانا لان الله تعالى ابتلى عباده بالتحاسد
وطلب بعضهم الظهور على بعض واختبرهم بذلك ليرى من
يجاهد نفسه فيخالفها ممن يتبعها ويعمل بمقتضى هواها ۵
وليبينن لكم يوم القيمة ما كنتم فيه تختلفون اذا جازاكم
على اعمالكم بالثواب والعقاب ولو شا الله لجعلكم امة واحدة
متفقة على الاسلام او على ملة واحدة ولكن يضل من يشا بالخذلان
عدلا منه فيهم ويهدي من يشا بالتوفيق فضلا منه عليهم لا يسال
عما يفعل ولتسالن عما كنتم تعملون سوال تبكيت ومجازاة
ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم تصريح بالنهي عنه بعد التضمين
تاكيدا ومبالغة في قبح المنهي لعظم موقعه في الدين فتزل قدم
عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها والمراد اقدامهم وانما وحد
ونكر للدلالة على ان زلل قدم واحدة عظيم فكيف باقدام كثيرة
وهذه استعارة للمستقيم الحال يقع في شر عظيم ويسقط فيه
لان القدم اذا زلت بقلب الانسان ثم توعد تعالى بعذاب
في الدنيا وعذاب عظيم في الاخرة بقوله وتذوقوا السوء هو
العذاب في الدنيا بما صددتم عن سبيل الله اي بصدودكم عن
الوفا وصدكم غيركم عنه فان من نقض البيعة وارتد جعل ذلك
سنة لغيره ولكم عذاب عظيم في الاخرة وهذا الوعيد فيمن
نقض عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فان من عاهده ثم

نقض عهده خرج من الايمان وذوق السوء في الدنيا هو ما يحل بهم من المكروه **ولا تشتروا بعهد الله** اي ولا تستبدلوا عهد الله وبيعة رسوله **ثمنا قليلا** اي عرضا يسيرا وهو ما كانت قريش يعدون به ضعاف المسلمين ويشترطون لهم على الارتداد وفيه النهي عن الرشا واخذ الاموال على نقض العهد وانما كان قليلا وان كثر لانه مما يزول كما نبه عليه بقوله ما عندكم ينفد **انما عند الله** من النصر والنعيم في الدنيا والثواب في الاخرة **هو خير لكم** مما يعدونكم **ان كنتم تعلمون** اي ان كنتم من اهل العلم والتمييز **ما عندكم** من اعراض الدنيا **ينفد** ينقضي ويفنى **وما عند الله** من مواهب فضله ونعيم جنته **باق** لا ينفد ثابت لا يزول **وليجزين الذين صبروا اجرهم** على الفاقة واذى الكفار وعلى مشاق التكليف وقرئ بالنون **باحسن ما كانوا يعملون** اي بجزاء احسن من اعمالهم **من عمل صالحا من ذكر او انثى** بينه بالنوعين دفعا للتخصيص **وهو مؤمن** اذ لا اعتداد باعمال الكفرة في استحقاق الثواب وانما المتوقع عليها تخفيف العذاب **فلنحيينه حياة طيبة** في الدنيا يعيش عيشا طيبا فانه ان كان موسرا فظاهر وان كان معسرا يطيب عيشه بالقناعة والرضى بالقسمة وتوقع الاجر العظيم في الاخرة بخلاف الكافر فانه ان كان معسرا فظاهر وان كان موسرا لم يدعه حرصه وخوف الفوات ان يتهنا بعيشه وقيل الحياة الطيبة الرزق الحلال قاله ابن عباس وغيره الحسن هي القناعة وفي الحديث القناعة كنز لا يفنى

وفي

وفي حديث ابي هريرة كن ورعا تكن اعبد الناس وكن قنعا تكن اشكر الناس ومن كلام الحكمة من كانت قناعته سمينة طاب له كل مرقة وقيل هي التوفيق الى الطاعات فانها تؤدي به الى رضوان الله وقيل الحياة الطيبة في الاخرة قال الحسن لا تطيب الحياة لاحد الا في الجنة وقال ابو بكر الوراق هي حلاوة الطاعة وقال سهل بن عبد الله هو ان ينزع عن العبد تدبيره ويرد تدبيره الى تدبير الحق وقيل هي الاستغناء عن الخلق والافتقار الى الحق وقال جعفر الصادق هي المعرفة بالله وصدق المقام بين يديه وقيل غير ذلك **ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون** من الطاعة وقال فلنحيينه ثم قال ولنجزينهم لان من يصلح للواحد والجمع فذكر مرة على اللفظ واعاده مرة على المعنى **فاذا قرات القران** اي فاذا اردت قراءته كقوله اذا قمتم الى الصلاة وفي الحديث اذا اكلت فقل بسم الله وقولهم اذا اقبلت فاصدق **فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم** اي فاسال الله ان يعيذك من وساوسه لئلا يوسوسك في القراءة والجمهور على ان الامر للندب وفيه دليل على ان المصلي يستعيذ في كل ركعة لان الحكم المترتب على شرط يتكرر بتكرره وتعقيبه لذكر العمل الصالح والوعد عليه ايذان بان الاستعاذة عند القراءة من هذا القبيل وعن ابن مسعود قرات على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرانيه جبريل عليه السلام السميع العليم من الشيطان الرجيم فقال قل اعوذ بالله من الشيطان

الرجيم هكذا اقرانيه جبريل عليه السلام عن اللوح المحفوظ
وتقدم معنى الاستعاذه انه ليس له سلطان اي تسلط وولايه
على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون اي على اوليا الله المومنين
به المتوكلين عليه فانهم لا يطيعون اوامره ولا يقبلون وسواسه
الا فيما يحتقرون على ندور وغفله ولذلك امروا بالاستعاذه
فذكر السلطنة بعد الامر بالاستعاذه لئلا يتوهم منه ان له
سلطانا وقال سفيان المعنى ليس له قدرة على ان يحملهم على
ذنب لا يغفر وقال مجاهد لا حجة له على ما يدعوهم اليه من
المعاصي انما سلطانه على الذين يتولونه اي يحبونه ويطيعونه
والذين هم به اي بالله او بسبب الشيطان مشركون وقيل المعنى
من اجله يشركون واذا بدلنا اية مكان اية بالنسخ فجعلنا الاية
الناسخة مكان المنسوخة لفظا او حكما والنسخ رفع الشي من موضع
غيره مكانه وقال ابن بحر المعنى اذا بدلنا شريعة متقدمة بشريعة
متتابعة وقال الجمهور اذا نسخنا اية باية اشد منها عليهم
والله اعلم بما ينزل من المصالح فلعل ما يكون مصلحة في وقت
يصير مفسدة بعده فينسخه والجملة فاصله بين اذا وجوابها
اعتراضا لتوبيخ الكفار على قولهم والتنبيه على فساد مستندهم
ويجوز ان تكون حالا قالوا جواب اذا اي قال الكفرة انما انت مفتر
اي متقول على الله تامر بشي ثم يبدو لك فتنهى عنه بل اكثرهم
لا يعلمون حكمة الاحكام وفايدة النسخ ولا يميزون الخطا من
الصواب قل نزله روح القدس يعني جبريل نزل القران كله

ناسخه

ناسخه ومنسوخه وروي عن الشعبي باسناد صحيح قال وكل اسرافيل
بمحمد صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين فكان ياتيه بالكلمة
والكلمة ثم نزل عليه جبريل بالقران وفي صحيح مسلم انه نزل عليه
بسورة الحمد ملك لم ينزل الى الارض قط واضافه الروح الى
القدس وهو المطهر كقولهم حاتم الجود من ربك بالحق اي متلبسا
بالحكمة ليثبت الذين امنوا على الايمان بانه من كلامه اذا سمعوا
الناسخ وتدبروا ما فيه من رعاية الصلاح والحكمة رسخت
عقايدهم واطمانت قلوبهم وهدى وبشرى للمسلمين اي المنقادين
لحكمه وهما معطوفان على محل ليثبت اي تثبيتا وهداية
وبشارة وفيه تعريض بحصول اضداد ذلك لغيرهم ولقد للتحقيق
نعلم انهم يقولون انما يعلمه القران بشر يعنون جبرا الرومي
غلام عامر بن الحضرمي وقال ابن اسحق كان النبي صلى الله عليه
وسلم فيما بلغني كثيرا ما يجلس عند المروه الى غلام نصراني يقال
له جبر عبد بني الحضرمي وكان يقرا الكتب فقال المشركون والله
ما يعلم محمدا ما ياتي به الا جبر النصراني وقيل جبرا ويسارا
كانا يصنعان السوق بمكة ويقران التوراة والانجيل وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يمر عليهما ويسمع ما يقرانه
وقيل عنوا سلمان الفارسي قاله الضحاك القرطبي وفيه بعد
لان سلمان انما اتى النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينه والاية مكيه
وقيل اسمه ابو ميسره وقيل غير ذلك فالله اعلم لسان الذي
يلحدون اليه اعجمي اي لغة الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة

اليه ماخوذ من لحد القبر لسان اعجمي غير بين **وهذا** اى وهذا
القران **لسان عربي مبين** اى ذو بيان وفصاحة والجملتان
مستانفتان لابطال طعنهم وتقريره يحتمل وجهين احدهما انه
مايسمعه منه كلام اعجمي لايفهمه هو ولا انتم والقران عربي
تفهمونه بادنى تامل فكيف يكون ما تلقفه منه والثانى هب
انه تعلم منه المعنى باستماع كلامه لكن لم يتلقف منه اللفظ
لان ذلك اعجمي وهذا عربي والقران كما هو معجز باعتبار المعنى
فهو معجز من حيث اللفظ مع ان العلوم الكثيره التى فى القران لا
لايمكن تعلمها الا بملازمة معلم فايق فى تلك العلوم مدة متطاو
فكيف يعلم ذلك جميعه من غلام سوقي سمع منه بعض اوقات
مروره عليه كلمات اعجميه لعلهما لم يعرفا معانيها والعجمة
الاخفا وضد البيان والعرب تسمى كل من لم يعرف لغتهم ولا
يتكلم بكلامهم اعجميا وقال الفرا الاعجم الذى فى لسانه عجمه
وان كان من العرب وطعنهم فى القران بامثال هذه الركيكه
دليل على غاية عجزهم **ان الذين لا يومنون بايات الله** اى
لايصدقون انها من عند الله **لا يهديهم الله** الى الحق او الى سبيل
النجاة وقيل الى الجنه **ولهم عذاب اليم** فى الاخرة جزاهم على
كفرهم بالقران ثم قلب الامر عليهم فقال **انما يفترى الكذب
الذين لا يومنون بايات الله** القران لانهم لا يخافون عقابا
يردعهم عنه **واوليك** اشارة الى الذين كفروا او الى قريش **هم
الكاذبون** اى الكاذبون على الحقيقة او الكاملون فى الكذب
لان

لان تكذيب الايات والطعن فيها بهذه الخرافات اعظم الكذب والذين
عادتهم الكذب لايصرفهم عنه دين ولا مروة او الكاذبون فى قولهم
انما انت مفتر انما يعلمه بشر وقيل المعنى ان كل كذب قليل
بالنسبة الى كذبهم **من كفر بالله من بعد ايمانه** بدل من الذين لا يومنون
ومابينهما اعتراض او من اوليك او من الكاذبون او مبتدا خبره
محذوف دل عليه قوله فعليهم غضب او ذم مرفوع او منصوب
او شرط محذوف الجواب اى لهم وعيد شديد **الا من اكره** على
الافترا او كلمة الكفر استثنا متصل لان الكفر لغة يعم القول
والعقد كالايمان **وقلبه مطمين بالايمان** لم تتغير عقيدته
وفيه دليل على ان الايمان هو التصديق بالقلب **ولكن من شرح
بالكفر صدرا** له اى فتحه ووسعه بمعنى اعتقده وطاب به نفسا
فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم اى عذاب جهنم اذ لا اعظم
من جرمهم ونزلت الاية فى عمار بن ياسر لانه قارب بعض ما ندبه
الكفار اليه روى ان قريشا اكرهوا عمارا وابويه ياسرا وسميه
على الارتداد فربطوا سمية بين بعيرين ووجى بحربة فى قبلها وقالوا
انك اسلمت من اجل الرجال فقتلت وقتلوا ياسرا وهما اول
قتيلين فى الاسلام واما عمار فاعطاهم بلسانه ما ارادوا مكرها
فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملى ايمانا من
قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو يبكى فجعل رسول الله صلى الله عليه
وسلم يمسح عينيه وقال مالك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت

وفي رواية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تجد
قلبك قال مطمين بالايمان فقال صلى الله عليه وسلم فان عادوا
فعد وهو دليل على جواز التكلم بالكفر عند الاكراه وان كان الافضل
ان يتجنب عنه اعزازا للدين كما فعل ابواه ولما روي ان مسيلمة
اخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول في محمد فقال رسول الله فقال
ما تقول في فقال انت ايضا فخلاه وقال للاخر ما تقول في محمد
قال رسول الله قال فما تقول في قال انا اصم فاعاد عليه ثلاثا
فاعاد جوابه فقتله فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
اما الاول فقد اخذ برخصة الله واما الثاني فقد صدع بالحق
فهنيا له واجمع اهل العلم على ان من اكره على الكفر حتى خشي
على نفسه القتل فلا اثم عليه اذا تلفظ بالكفر وقلبه مطمين
بالايمان ولا تبين منه زوجته ولا يحكم عليه بحكم الكفر وان من
اكره على الكفر فاختار القتل انه اعظم اجرا عند الله ممن اختار
الرخصة ذلك اشارة الى الغضب والوعيد بانهم اي بسبب انهم
استحبوا الحياة الدنيا اي اثروها واختاروها على الاخرة
وان الله لا يهدي القوم الكافرين اي الكافرين في علمه الى ما يوجب
ثبات الايمان ولا يعصمهم عن الزيغ ثم وصفهم فقال اوليك الذين
طبع الله على قلوبهم اي عن فهم المواعظ وسمعهم عن كلام الله
وابصارهم عن النظر في الايات فابت عن ادراك الحق والتامل
فيه واوليك هم الغافلون اي الكاملون في الغفلة عما يراد بهم
لا جرم حقا انهم في الاخرة هم الخاسرون اذ ضيعوا اعمارهم
وصرفوها

وصرفوها فيما افضى بهم الى العذاب المخلد ثم ان ربك للذين
هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا على الجهاد وما
اصابهم من المشاق ان ربك من بعدها اي من بعد الهجرة والجهاد
والصبر او بعد الفتنة لغفور لما فعلوا قبل رحيم ينعم عليهم
مجازاة على ما صنعوا بعد قيل هذا كله في عمار والمعنى وصبروا
على الجهاد وقيل نزلت في قوم خرجوا مهاجرين الى المدينة بعد
ان فتنهم المشركون وذلك ان ناسا من اهل مكة امنوا فكتب
اليهم بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة ان هاجروا
فانا لا نراكم منا حتى تهاجروا الينا فخرجوا يريدون المدينة
فادركهم قريش بالطريق ففتنوهم فكفروا مكرهين ففيهم نزلت
قاله مجاهد وقرى فتنوا بالبنا للمفعول اي فتنهم المشركون كما
تقدم وقرى بالبنا للفاعل على ان الاية نزلت بسبب الذين عذبوا
المومنين على الكفر ثم اسلموا وهاجروا كعكرمة بن ابي جهل
وسهيل بن عمرو وكرر من بعد لطول الكلام وخشية تناسي الاول
ونظريته وتجديد العهد وخبر ان الاولى دل عليه خبر الثانية
يوم تاتي كل نفس منصوب برحيم او باذكر تجادل عن نفسها اي
تحاج وتخاصم عن ذاتها وتسعى في خلاصها لا يهمها شان غيرها
كما جا في الخبر ان كل احد يقول يوم القيمة نفسي نفسي من شدة
هول يوم القيمة سوى محمد صلى الله عليه وسلم يسال في امته
وتوفى كل نفس ما عملت اي جزاء ما عملت وهم لا يظلمون اي
لا ينقصون اجورهم وضرب الله مثلا قرية اي جعلها مثلا

لكل قوم انعم الله عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا فانزل الله بهم نقمته
او ضربه لمكة كانت آمنة اي ذات امن مطمئنة لا يزعج اهلها خوف
يأتيها رزقها اي اقواتها رغدا واسعا من كل مكان من نواحيها من
البر والبحر كما قال يجبى اليه ثمرات كل شئ فكفرت بانعم الله اي بنعمه
جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبؤس
وابؤس وهذا الكفران تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وروى
ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا على مشركي قريش وقال اللهم
اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنين يوسف
فابتلوا بالقحط حتى اكلوا العظام ووجه اليهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم طعاما ففرق فيهم على ما يأتي فاذاقها الله لباس الجوع
والخوف استعار الذوق لادراك اثر الضرر واللباس لما غشيهم
واشتمل عليه من الجوع والخوف واوقع الاذاقة عليه بالنظر
الى المستعار له وسماه لباسا لانه يظهر عليهم من الهزال وشحوبة
اللون وسوء الحال ما هو كاللباس وهي استعارة مجردة لانها
قرنت بما يلائم المستعار له وهو الاذاقة ولو اراد الترشيح
لقال فكساها لكن المجردة هنا ابلغ لما في لفظ الاذاقة من المبالغة
في الالم باطنا بما كانوا يصنعون اي بصنعهم وضرب بمكة مثلا
لغيرها من البلاد اي انها مع جوار بيت الله وعمارة مسجده لما
كفر اهلها اصابهم القحط فكيف بغيرها من القرى وقيل انها
المدينة امنت برسول الله صلى الله عليه وسلم ثم كفرت
بانعم الله بقتل عثمان وما حدث بها بعد رسول الله صلى الله عليه

وسلم

وسلم وهذا قول عائشة وحفصة ولقد جاءهم رسول منهم يعني
محمدا صلى الله عليه وسلم والضمير لاهل مكة عاد الى ذكرهم بعد
ما ذكر مثلهم فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون اي حال
التباسهم بالظلم والعذاب ما اصابهم من الجدب الشديد
او وقعة بدر وهذا يدل على انها مكة وهو قول ابن عباس فكلوا
مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمت الله امرهم باكل
ما احل لهم وشكروا ما انعم عليهم بعد ما زجرهم عن الكفر وهددهم
بما ذكر من التمثيل والعذاب الذي حل بهم صدا لهم عن صنيع
الجاهلية ومذاهبها الفاسدة وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم
بعث الى اهل مكة طعاما رقة عليهم بعد ما ابتلوا بالجوع سبع
سنين وقطعت العرب عنهم الميرة بامر النبي صلى الله عليه وسلم
حتى اكلوا العظام المحرقة والجيف والكلاب الميتة والجلود
والعلهز وهو الوبر يلطخ بالدم ويشوى ثم ان رؤساء مكة كلموا
رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جهدوا وقالوا هذا
عذاب الرجال فما بال النساء والصبيان وقال ابو سفيان يا محمد
انك جئت تامر بصلة الرحم والعفو وان قومك قد هلكوا
فادع الله لهم فدعا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واذن
للناس بحمل الطعام اليهم وهم بعد مشركون وقيل الامر للمسلمين
اي فكلوا يا معشر المسلمين من غنائمهم ان كنتم اياه تعبدون
اي تطيعون انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما
اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم

لما امرهم بتناول ما احل لهم عدد عليهم محرماته ثم اكد ذلك بالنهى
عن التحريم والتحليل بافواههم فقال **ولا تقولوا لما تصف السنتكم**
الكذب هذا حلال وهذا حرام كما قالوا ما فى بطون هذه الانعام
خالصة لذكورنا الايه وانتصاب الكذب بلا تقولوا وهذا حلال
وهذا حرام بدل منه او متعلق بتصف على ارادة القول اى ولا
تقولوا الكذب لما تصفه السنتكم فتقولوا هذا حلال وهذا
حرام والمعنى لا تحلوا ولا تحرموا بمجرد قول تنطق به السنتكم من غير
دليل ووصف السنتهم الكذب مبالغة فى وصف كلامهم
بالكذب كان حقيقة الكذب كانت مجهولة والسنتهم تصفها
بكلامهم وهذا عد من فصيح الكلام كقولهم وجهها يصف الجمال
وعينها تصف السحر **لتفتروا على الله الكذب** بنسبة ذلك اليه
وهو تعليل يتضمن الغرض **ان الذين يفترون على الله الكذب**
لا يفلحون لما كان المفترى يفترى لتحصيل مطلوب نفى عنهم الفلاح
متاع قليل ولهم عذاب اليم اى ما يفترون لاجله او ما هم فيه
منفعة قليلة تنقطع عن قريب الزجاج اى متاعهم متاع
قليل ثم يردون الى عذاب اليم **وعلى الذين هادوا** اليهود
حرمنا ما قصصنا عليك من قبل اى فى سورة الانعام فى
قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الايه وقوله
من قبل متعلق بقصصنا او بحرمنا **وما ظلمناهم** بالتحريم
ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث فعلوا ما عوقبوا به
عليه وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم فى التحريم

وانه

وانه كما يكون للمضرة يكون للعقوبة لان الله تعالى حرم عليهم
تلك الاشيا عقوبة لهم لاجل ظلمهم كما قال فبظلم من الذين هادوا
حرمنا عليهم طيبات احلت لهم **ثم ان ربك للذين عملوا السوء**
بجهالة اى بسببها متلبسين بها ليعم الجهل بالله وبعقابه وعدم
التدبر فى العواقب لغلبة الشهوة والسوء يعم الافترا على الله
وغيره ابن عباس السوء الشرك **ثم تابوا** رجعوا **من بعد ذلك**
واصلحوا عملهم **ان ربك من بعدها** اى من بعد التوبة **لغفور رحيم**
لمن يثبت على الانابة **ان ابرهيم كان امة** لكماله واستجماعه
فضايل لا تكاد توجد الا مفرقة فى اشخاص كثيرة كقوله
وليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم فى واحد وهو
رئيس الموحدين وقدوة المحققين الذى جادل فرق المشركين
وابطل مذاهبهم الزايغة بالحجج الدامغة وقيل امة فعلة
بمعنى مفعول كالرحلة والنخبة من امه اذا قصده او اقتدى به
فان الناس كانوا يومونه للاستفادة ويقتدون بسيرته
قانتا لله اى مطيعا قايما باوامره **حنيفا** مايلا عن الباطل
الى الدين القيم **ولم يك من المشركين** كما زعموا فان قريشا
كانوا يزعمون انهم على ملة ابرهيم **شاكرا لانعمه** ذكر بلفظ
القلة للتنبيه على انه كان لا يخل بشكر النعم القليلة فكيف
بالكثيرة **اجتباه** اى اختاره للنبوة **وهداه الى صراط مستقيم**
فى الدعوة الى الله **واتيناه فى الدنيا حسنة** فيه التفات
عن الغيبة اى حببه الى الناس حتى ان ارباب الملل يدعونه

ويثنون عليه او رزقه اولادا طيبة وعمرا طويلا في السعه
والطاعه وقيل بقاء ضيافته وزيارة قبره وقيل غير ذلك
وكل ذلك اعطاه الله وانه في الاخره لمن الصالحين الذين لهم
الدرجات العلى او لمن اهل الجنه كما سال بقوله والحقني بالصالحين
وقيل من بمعنى مع اي مع الصالحين لانه كان في الدنيا ايضا
من الصالحين ثم اوحينا اليك يا محمد وثم اما للتعظيم والتنبيه
على ان اجل ما اوتي ابراهيم عليه السلام اتباع الرسول
صلى الله عليه وسلم ملته او للتراخي ايامه ان اتبع ملة ابرهيم
حنيفا في التوحيد والدعوة اليه بالرفق وايراد الدلايل مرة
بعد اخرى والمجادلة مع كل احد على حسب فهمه وقال
ابن عمر امر باتباعه في مناسك الحج وقال الطبري امر باتباعه
في التبري من الاوثان والتزين بالاسلام ومن ملته الختان
قال البيهقي وهذا احسن ما يحتج به على الختان قال الخطابي
وكان واجبا عليه وما كان من المشركين بل كان قدوة الموحدين
كرر ذلك ردا على زعم اليهود والنصارى انهم على دينه انما
جعل السبت اي تعظيم السبت والتخلي فيه للعبادة على الذين
اختلفوا فيه اي على نبيهم وهم اليهود امرهم موسى ان
يتفرغوا للعبادة يوم الجمعة فابوا وقالوا نريد يوم السبت
لان الله فرغ فيه من خلق السموات والارض وروي انهم ناظروه في
ان السبت افضل فقال الله تعالى له دعهم وما اختاروا
لانفسهم فالزمهم الله السبت وشدد الامر عليهم والمعنى

لم

لم يكن في شرع ابرهيم ولا من دينه بل كان سمحا لا تغليظ فيه
وكان السبت تغليظا على اليهود وروي ان الله تعالى لم
يعينه لهم وانما امرهم بتعظيم يوم في الجمعه فاختلف اجتهادهم
في تعيينه فعينت اليهود السبت وعينت النصارى الاحد
وقالوا هو يوم بدا الله فيه بخلق السموات والارض فالزم كل
ما ادى اليه اجتهاده وعين الله لهذه الامة يوم الجمعة من غير
ان يكلهم الى اجتهادهم فضلا منه وقيل المعنى انما جعل
وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه فاحلوا الصيد
فيه تارة وحرموه اخرى واحتالوا له الحيل على ما تقدم في
الاعراف وذكرهم هنا لتهديد المشركين كذكر القرية التي
كفرت بانعم الله وان ربك ليحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا
فيه يختلفون بالمجازاة على الاختلاف وبمجازاة كل فريق بما
يستحقه ادع يا محمد من بعثت اليه الى سبيل ربك اي
الى الاسلام بالحكمة اي بالمقالة المحكمه وهو الدليل الموضح
للحق المزيح للشبهة والموعظة الحسنه اي الخطابات المقنعه
والعبر النافعه وقيل بتلطف ولين دون مخاشنة وتعنيف
والاولى لدعوة خواص الامه والثانيه لدعوة عوامهم وهكذا
ينبغي ان يوعظ المسلمون الى يوم القيمه فهي محكمة في جهة العصاه
من الموحدين ومنسوخة بالقتال في حق الكافرين وجادلهم
اي جادل معانديهم بالتي هي احسن اي بالطريقة التي هي
احسن طرق المجادله من الرفق واللين وايثار الوجه الايسر

والمقدمات التي هي اشهر فان ذلك انفع في تسكين لهيبهم وتبيين
شبههم **ان ربك هو اعلم** اي عالم **بمن ضل عن سبيله وهو اعلم
بالمهتدين** اي انما عليك البلاغ والدعوة واما حصول الهداية
والضلال والمجازاة عليهما فلا اليك بل الله اعلم بالضالين
والمهتدين وهو المجازي **وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به**
لما امره بالدعوة وبين طرقها اشار اليه والى من يتابعه بترك
المخالفة ومراعاة العدل وجمهور المفسرين ان هذه الايه
مدنيه نزلت في شان التمثيل بحمزة في يوم احد كما في صحيح البخاري
وروى الدارقطني عن ابن عباس قال لما انصرف المشركون عن قتلى
احد انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فراى منظرا ساءه
وراى حمزة قد شق بطنه واصطلم انفه وجزعت اذناه فقال
لولا ان يحزن النسا او يكون سنة من بعدي لتركته حتى يبعثه
الله من بطون السباع والطير لامثلن مكانه بسبعين رجلا ثم
دعا ببردة وغطى بها وجهه فخرجت رجلاه فجعل على رجليه
من الاذخر ثم قدمه فكبر عليه عشرا ثم جعل يجاء بالرجل فيوضع
وحمزة مكانه حتى صلى عليه سبعين صلاة وكان القتلى سبعين
فلما دفنوا وفرغ منهم نزلت هذه الاية ادع الى سبيل ربك الى
قوله واصبر وما صبرك الا بالله فصبر رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولم يمثل باحد وكفر عن يمينه كما رواه البزار وحكى الطبري
عن فرقة انما نزلت فيمن اصيب بظلامة ان لا ينال من ظالمه
اذا تمكن الا مثل ظلامته لا يتعداه الى غيره وسمى الله الاذايات
في

في هذه الاية عقوبه والعقوبة حقيقة انما هي الثانيه وانما
فعل ذلك ليستوي اللفظان وهو بعكس ومكروا ومكر الله فان الثاني
هو المجاز والاول هو الحقيقة قاله ابن عطية **ولين صبرتم لهو**
اي الصبر **خير للصابرين** من الانتقام للمتقين ثم صرح بالامر به
لرسوله صلى الله عليه وسلم لانه اولى الناس لزيادة علمه بالله
فقال **واصبر وما صبرك الا بالله** اي بتوفيقه وتثبيته **ولا
تحزن عليهم** اي على الكافرين او على قتلى احد وما فعل بهم فانهم
صاروا الى رحمة الله **ولا تك في ضيق مما يمكرون** اي في ضيق
صدر من مكرهم وقرئ بالكسر هنا وفي النمل وهما لغتان كالقول
والقيل وقال الفرا الضيق ما ضاق عنه صدرك والضيق ما يكون
في الذي يتسع ويضيق كالدار والثوب **ان الله مع الذين اتقوا**
المعاصي **والذين هم محسنون** في اعمالهم بالولاية والفضل او مع
الذين اتقوا بتعظيم امره والذين هم محسنون بالشفقه على
خلقه قيل لهرم بن حيان عند موته اوصنا قال اوصيكم
باخر سورة النحل **سورة الاسرا مكيه** الا وان كادوا ليستفزونك
وقوله وقل رب ادخلني مدخل صدق وقوله ان ربك احاط بالناس
**بسم الله الرحمن الرحيم سبحان الذي اسرى بعبده
ليلا** سبحان اسم موضوع موضع المصدر بمعنى التسبيح وهو
غير متمكن لانه لا يجري بوجوه الاعراب ولا يدخل عليه الالف
واللام ولم يجي منه فعل ولم ينصرف لان في اخره زايدتين
والعامل فيه على مذهب سيبويه الفعل الذي من معناه لا من

لفظه وذلك مثل قعد القرفصا واشتمل الصما فالتقدير عنده
انزه الله تنزيها ومعناه البرآة من كل نقص فهو ذكر عظيم لله تعالى
لا يصلح لغيره وتصدير الكلام به للتنزيه عن العجز عما ذكر بعد
واسرى وسرى بمعنى وقيل اسرى سار من اول الليل وسرى
سار من اخره وقوله بعبده قال العلما لو كان للنبي صلى الله عليه
وسلم اسم اشرف منه لسماه به في هذه الحالة العليه وليلاً
نصب على الظرف وتنكيره للدلالة على تقليل مدة الاسرا
من المسجد الحرام بعينه لما روي انه عليه الصلاة والسلام
قال بينا انا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النايم
واليقظان اذ اتاني جبريل بالبراق وقيل المعنى من الحرم
وسماه المسجد الحرام لانه كله مسجد ولانه محيط به وقيل غير ذلك
وروي في الصحيح عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال اتيت بالبراق وهو دابة ابيض فوق الحمار ودون
البغل يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبته حتى اتيت
بيت المقدس فربطته بالحلقة التي تربط بها الانبيا ثم دخلت
المسجد فصليت ركعتين ثم خرجت فجاني جبريل باناء من خمر
واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت الفطره قال
ثم عرج بي الى السما وذكر الحديث وفي رواية انه صلى الله عليه
وسلم كان نايما في بيت ام هاني بعد صلاة العشا فاسري به
ورجع من ليلته وقص القصة عليها وقال مثل لي النبيون
فصليت بهم ثم خرج الى المسجد واخبر به قريشا فتعجبوا منه

استحالة

استحالة وارتد ناس ممن آمن به وسعى رجال الى ابي بكر فقال ان
كان قال لقد صدق فقالوا انصدقه على ذلك قال اني لاصدقه
على ابعد من ذلك فسمي الصديق واستنعته طايفة سافروا الى
بيت المقدس فرفع له وجعل ينظر اليه وينعته لهم فقالوا اخبرنا
عن عيرنا اين لقيتها فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال
لقيتها بمكان كذا قالوا فاخبرنا متى تاتينا العير قال تاتيكم يوم
كذا قالوا اية ساعة قال ما ادري طلوع الشمس من هاهنا اسرع
ام طلوع العير من هاهنا فقال رجل يوم ذلك هذه الشمس قد
طلعت وقال رجل هذه عيركم قد اقبلت ثم لم يومنوا وقالوا
ما هذا الا سحر مبين واختلف هل كان الاسرا بروحه او جسده
فذهبت طايفة الى انه اسراء بالروح ولم يفارق شخصه مضجعه
وانها كانت رويا راى فيها الحقايق وذهب الى هذا معاويه وعايشه
وحكي عن الحسن وابن اسحق وقالت طايفه كان الاسرا بالجسد
يقظة الى بيت المقدس والى السما بالروح واحتجوا بقوله سبحان
الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى
فجعل الاقصى غاية الاسرا قالوا ولو كان الاسرا بجسده الى
زايد على المسجد الاقصى لذكره فانه كان يكون ابلغ في المدح وذهب
معظم السلف الى انه كان اسرا بالجسد وفي اليقظة وانه ركب
البراق بمكة ووصل الى بيت المقدس وصلى فيه ثم اسري بجسده
وعلى هذا تدل الاخبار والايه وليس في الاسرا بجسده وحال
يقظته استحالة ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة الى التاويل الا

عند الاستحالة ولو كان مناما لقال بروح عبده وقوله مازاغ
البصر وما طغى يدل على ذلك ولو كان مناما لما كانت فيه
اية ولا معجزة ولما قالت له ام هاني لا تحدث الناس فيكذبوك
ولا فضل ابو بكر بالتصديق ولا امكن قريش التشنيع والتكذيب
وقد كذبه قريش فيما اخبر به ولو كان بالرويا لم تستنكر
والاستحالة مدفوعة بما ثبت في الهندسة ان ما بين طرفي
قرص الشمس ضعف ما بين كرة الارض مائة ونيفا وستين
مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل موقع طرفها الاعلى في اقل
من ثانيه وقد برهن في الكلام ان الاجسام متساوية في قبول
الاعراض وان الله تعالى قادر على كل الممكنات فيقدر ان يخلق
مثل هذه الحركة السريعة في بدن النبي صلى الله عليه وسلم
او فيما يحمله والتعجب من لوازم المعجزات واذا ورد الخبر بشيء
هو مجوز في العقل في قدرة الله فلا طريق الى الانكار لا سيما في
زمن خرق العوايد وقد كان للنبي صلى الله عليه وسلم معاريج
فلا يبعد ان يكون البعض بالرويا وعليه يحمل قوله في الصحيح بينا
انا عند البيت بين النايم واليقظان الى اخره وروى كعب ان
المعراج مرقاة من فضة ومرقاة من ذهب وروى ابن سعد انه
منضد باللولو واما تاريخ الاسرا فروي انه اسري به الى بيت
المقدس قبل خروجه الى المدينة بسنه وروي انه بعد مبعث
النبي صلى الله عليه وسلم بسبعة اعوام وقيل بخمس سنين
وقيل اسري به ليلة سبعة وعشرين من ربيع الاخر قبل الهجرة
بسنه

بسنه وقيل غير ذلك ولم يختلفوا في ان جبريل هبط صبيحة
ليلة الاسرا عند الزوال فعلم النبي صلى الله عليه وسلم
الصلاة ومواقيتها الى المسجد الاقصى بيت المقدس لانه لم يكن
حينيذ وراه مسجد وقيل سمي الاقصى لبعد ما بينه وبين المسجد
الحرام وتقدم ان اول مسجد وضع في الارض المسجد الحرام ثم
المسجد الاقصى وان بينهما اربعين سنه الذي باركنا حوله
ببركات الدين والدنيا لانه مهبط الوحي ومتعبد الانبيا من
لدن موسى عليه السلام ومحفوف بالانهار والاشجار وقيل بمن
دفن حوله من الانبيا والصالحين وفي الحديث يقول الله تعالى يا شام
انت صفوتي من بلادي وانا سايق اليك صفوتي من عبادي لنريه
من اياتنا العجيبة كذهابه في برهة من الليل مسيرة شهر ومشاهدته
بيت المقدس وعروجه الى السما وتمثل الانبيا له ووقوفه على
مقاماتهم وصرف الكلام من الغيبة الى التكلم لتعظيم تلك
البركات والايات وقري ليريه باليا انه هو السميع لاقوال
محمد صلى الله عليه وسلم البصير لافعاله فيكرمه ويقربه
على حسب ذلك فالها على هذا لله تعالى وقيل للنبي صلى الله عليه
وسلم اي انه السميع البصير لاياتنا وحديث الاسرا رواه الشيخان
واتينا موسى الكتاب اي كرمنا محمدا صلى الله عليه وسلم بالمعراج
واكرمنا موسى بالكتاب وهو التوراه وجعلناه هدى لبني اسرايل
اي ذلك وقيل موسى الا يتخذوا قري باليا على الغيبه والتقدير
جعلناه هدى لان لا يتخذوا او اتينا موسى الكتاب لان لا يتخذوا

وبالتا على الخطاب وفيه اوجه احدها ان ان بمعنى اى فهى مفسرة
لما تضمنه الكتاب من الامر والنهى والثانى ان ان زايده وتقدير
القول اى قلنا لا تتخذوا والثالث لا زايده والتقدير كراهة
ان تتخذوا من دونى وكيلا اى شريكا عن مجاهد وقيل ربا
تكلون اليه اموركم غيرى وقال الفرا كافيا ذرية من حملنا
مع نوح نصب على الاختصاص او النّدا والمراد بالذرية كل من
احتج عليه بالقران وهم جميع من على الارض وقال الماوردى
يعنى موسى وقومه من بنى اسرايل والمعنى يا ذرية من حملنا مع نوح
لا تشركوا وذكر نوحا ليذكرهم نعمة الانجا من الغرق لا بايهم بحملهم
مع نوح فى السفينة انه اى نوحا عليه السلام كان عبدا شكورا
كثير الشكر يحمد الله على مجامع حالاته وفيه ايماء بان انجاه ومن
معه كان ببركة شكره وحث للذرية على الاقتدا به وقيل
الضمير لموسى عليه السلام وقضينا الى بنى اسرايل فى الكتاب
اى اوحينا اليهم وحيا مقضيا مبتوتا فى التوراة وقيل المعنى
قضينا وحكمنا قاله قتادة فالى بمعنى على ومعنى فى الكتاب
فى اللوح المحفوظ لتفسدن فى الارض جواب قسم محذوف او
قضينا على اجرا القضا المبتوت مجرى القسم والمراد بالفساد
مخالفة احكام التوراة والارض ارض الشام وبيت المقدس وما
والاهما وقيل ارض مصر مرتين اى افسادتين اولاهما مخالفة
احكام التوراة وقتل شعيا وقيل ارميا وثانيهما قتل زكريا
ويحيى وقصد قتل عيسى عليه السلام ولتعلن علوا كبيرا اى

و

ولتستكبرن عن طاعة الله او لتظلمن الناس بالاستطالة والغلبة
والعدوان فاذا جا وعد اولاهما اى اول بدء الفسادين او وعد
عقاب اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا بخت نصر عامل على بابل
وجنوده فى المرة الاولى حين كذبوا ارميا وحبسوه قاله ابن عباس
وغيره وقال قتادة ارسل الله عليهم جالوت فقتلهم وقال
مجاهد هم جند من فارس وقيل سنحاريب من اهل نينوى اولى
باس شديد اى ذى قوة وبطش فى الحرب شديد فجاسوا اى ترددوا
لطلبكم وقيل عاثوا وقتلوا وكذلك حاسوا وهاسوا وداسوا
وقال ابن زيد الجوس والحوس والهوس والعوس الطوف بالليل
وقال الطبرى طافوا بين الديار يطلبونهم ويقتلونهم ذاهبين
وجائين وقال ابن عباس مشوا وترددوا بين الدور والمساكن
خلال الديار وسطها للقتل والغارة قتلوا كبارهم وسبوا
صغارهم وحرقوا التوراة وخربوا المسجد وعن مجاهد بعث الله
عليهم جندا من فارس يتجسسون اخبارهم ومعهم بخت نصر فوعى
حديثهم من بين اصحابه ثم رجعوا الى فارس ولم يكن قتال وهذا
فى المرة الاولى فكان منهم جوس خلال الديار وروى ان بخت نصر
جاهم فهزموه ثم جاهم ثانية فقتلهم ودمرهم تدميرا وكان
وعدا مفعولا اى كان وعد عقابهم لا بد ان يفعل ثم رددنا لكم
الكرة عليهم اى الدولة والغلبة على الذين بعثوا عليكم بعد مايه
سنه وذلك بان القى الله فى قلب بهمن بن اسفنديار لما ورث
الملك من جده كستاسف بن لهراسف شفقة عليهم فرد اسراهم

الى الشام وملك دانيال عليهم فاستولوا على من كان فيها من اتباع
بخت نصر او بان سلط الله داود عليه السلام على جالوت
فقتله وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا عشيرة
مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل هم المجتمعون
للذهاب الى العدو والمعنى انهم صاروا بعد هذه الوقعة الاولى
اكثر انضماما واصلح احوالا جزاء من الله تعالى على عودهم الى
الطاعة وقلنا ان احسنتم بالطاعه احسنتم لانفسكم لان ثوابها
لها فنفع الاحسان عايد اليكم وان اساتم بالفساد فلها اساتم
فان وباله عليها وانما ذكرها باللام ازدواجا وقال الطبرى
اللام بمعنى الى اى فاليها ترجع الاساة وقال الحسن بن الفضل
فلها رب يغفر الاساة ثم يحتمل ان يكون هذا خطابا لبنى اسرايل
فى اول الامر اى اساتم فحل بكم القتل والتخريب ثم احسنتم فعاد
اليكم الملك وانتظام الحال ويحتمل انه خوطب به بنوا اسرايل فى
زمن محمد صلى الله عليه وسلم اى عرفتم استحقاق اسلافكم العقوبة
على العصيان فارتقبوا امثاله ويكون خطابا لمشركى قريش فاذا جا
وعد الاخرة اى وعد عقوبة المرة الاخرة من المرتين ليسوءوا وجوهكم
اى بعثناكم ليسوءوا وجوهكم اى ليجعلوها بادية اثار المساءة
فيها حذف لدلالة ذكره اولا عليه وقرى ليسوء على التوحيد
والضمير فيه للوعد او للبعث او لله ويعضده قراة الكسائى بالنون
وليدخلوا المسجد فيخربوه متعلق بمحذوف هو بعثناهم كما
دخلوه وخربوه اول مرة وليتبروا اى وليهلكوا ما علوا اى

ماغلبوه واستولوا عليه او مدة علوهم تتبيرا وذلك بان سلط
الله عليهم الفرس مرة اخرى فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوايف
وروى انهم لما قتلوا يحيى بن زكريا عليهما قتله ملك من بنى اسرايل
يقال له لاخت وقال الطبرى اسمه هيردوس حمله على قتله امراة
اسمها ازبيل وقال السدى كان ملك بنى اسرايل يكرم يحيى بن زكريا
ويستشيره فى الامور فاستشاره الملك ان يتزوج بنت امراة
له فنهاه عنها وقال لا تحل لك فحقدت امها على يحيى ثم البست
ابنتها ثيابا رقاقا حمرا وطيبتها وارسلتها الى الملك وهو على
شرابه وامرتها ان تتعرض له وان ارادها ابت حتى يعطيها
ما تساله فاذا اجاب سالته ان يوتى براس يحيى ففعلت حتى
اتى براس يحيى والراس يتكلم حتى وضع بين يدى الملك وهو
يقول لا تحل لا تحل فلما اصبح اذا دمه يغلى فالقى عليه التراب
فعلى فوقه فلم يزل يلقى عليه التراب حتى بلغ سور المدينه
وهو فى ذلك يغلى ذكره الثعلبى وغيره وروى ان الدم لم يزل
يغلى حتى بعث الله عليهم بخت نصر فالقى فى نفسه ان يقتل
على ذلك الدم منهم حتى يسكن فقتل عليه منهم سبعين الفا
وفى رواية خمسة وسبعين الفا قال سعيد بن المسيب هى دية
كل نبى وروى ان صاحب الجيش دخل مذبح قربانهم فوجد
فيه دما يغلى فسالهم عنه فقالوا دم قربان لم يقبل منا
فقال ما صدقتمونى فقتل عليه الوفا منهم فلم يهدا الدم ثم
قال ان لم تصدقونى ما تركت منكم احدا فقالوا انه دم يحيى

عليه السلام فقال لمثل هذا ينتقم ربكم منكم ثم قال يا يحيى قد
علم ربي وربك ما اصاب قومك من اجلك فاهدا باذن الله
قبل ان لا نبقي منهم احدا فهدا الدم وعن زيد بن واقد قال
رايت راس يحيى عليه السلام حيث ارادوا ابنا مسجد دمشق
اخرج من تحت ركن من اركان القبة فكانت البشرة والشعر على
حاله لم يتغير واختلف فيمن كان المبعوث عليهم في المرة الاخرة
فقيل بخت نصر قاله القشيري قال السهيلي وهذا لا يصح لان
قتل يحيى كان بعد رفع عيسى وبخت نصر كان قبل عيسى بزمن
طويل وقيل الاسكندر وبين الاسكندر وعيسى نحو من ثلثمايه
ولكنه ان اريد بالمرة الاخرة حين قتلوا شعيا فقد كان بخت نصر
اذ ذاك حيا فهو الذي قتلهم وخرب بيت المقدس واتبعهم الى
مصر واخرجهم منها وقيل في خبرهم فالله اعلم وقلنا في
الكتاب عسى ربكم ان يرحمكم بعد المرة الاخرى ان تبتم وعسى
من الله واجبة وكذلك كان فكثر عددهم وجعل منهم الملوك
وان عدتم توبة اخرى الى الفساد عدنا مرة ثالثة الى عقوبتكم
وقد عادوا بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وقصد قتله
فعاد الله بتسليطه عليهم بقتل قريظة واجلا بني النضير ه
وضرب الجزية على الباقين هذا لهم في الدنيا وجعلنا جهنم
للكافرين حصيرا اي سجنا ومحبسا لا يقدرون على الخروج
منها ابد الاباد من الحصر وهو الحبس يقال حصره ضيق عليه
واحاط به وقال الحسن فراشا ومهادا وقيل بساطا كما تبسط

الحصير

الحصير ولم يونثه لان فعيلا هنا بمعنى فاعل وقيل التذكير
بمعنى الحبس وقيل ذكر لان تانيث جهنم غير حقيقي ان هذا
القران يهدي للتي هي اقوم اي للحالة او الطريقة التي هي اقوم
الحالات او الطرق ومعنى اقوم اسد واعدل واصوب وهي
توحيد الله والايمان برسله ويبشر المومنين الذين يعملون
الصالحات ان لهم اي بان لهم اجرا كبيرا اي الجنة وان الذين
لا يومنون بالاخرة اعتدنا لهم عذابا اليما عطف على ان لهم
اجرا كبيرا والمعنى انه يبشر المومنين ببشارتين ثوابهم وعقاب
اعدايهم او على يبشر باضمار يخبر ويدع الانسان بالشر قال
ابن عباس هو دعا الرجل على نفسه وولده عند الضجر بما لا يحب
ان يستجاب له اللهم اهلكه ونحوه وقيل يدعو بما يحسبه
خيرا وهو شر دعاءه بالخير اي مثل دعايه بالخير وكان الانسان
الجنس عجولا طبعه العجلة يسارع الى كل ما يخطر بباله لا ينظر
عاقبته وقيل ادم عليه السلام فانه لما انتهى الروح الى
سرته ذهب لينهض فسقط ويجوز ان يريد بالانسان الكافر
وبالدعا استعجاله العذاب استهزاء كقول النضر بن الحارث
اللهم انصر خير الحزبين اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك
الاية فاجيب له وضربت عنقه يوم بدر صبرا وحذفت الواو
من ويدع في اللفظ والخط ولم تحذف في المعنى لان موضعها
رفع حذفت لاستقبالها اللام الساكنة كقوله سندع
الزبانية ويمح الله الباطل وسوف يوت الله فما تغن النذر ونحوه

وجعلنا الليل والنهار ايتين يدلان على القادر الحكيم بتعاقبهما
على نسق واحد والاية فيهما اقبال كل واحد منهما من حيث
لا يعلم وادباره الى حيث لا يعلم ونقصان احدهما بزيادة الاخر
وبالعكس وضوء النهار وظلمة الليل فمحونا اية الليل اى طمسنا
نورها لتسكنوا فيه والاضافة للتبيين كاضافة العدد
الى المعدود وجعلنا اية النهار مبصرة اى مضيئة او مبصرة
للناس وقيل الايتان القمر والشمس وتقدير الكلام وجعلنا
نيرى الليل والنهار ايتين او جعلنا الليل والنهار ذوى ايتين
ومحو اية الليل التى هى القمر جعلها مظلمة وجعل اية النهار
التى هى الشمس مبصرة جعلها ذات شعاع تبصر الاشيا بضوئها
وفى الخبر ان الله تعالى امر جبريل فامر جناحه على وجه القمر
فطمس عنه الضوء وكان كالشمس فى النور والسواد الذى
يرى فى القمر اثار المحو قال ابن عباس جعل الله الشمس سبعين
جزا والقمر سبعين جزا فمحى من نور القمر تسعة وستين جزا
فجعله مع نور الشمس فالشمس على ماية وتسعة وثلاثين جزا
والقمر على جزء واحد وقال على وقتاده يريد بالمحو اللطخة
السودا التى فى القمر ليكون ضوء القمر اقل من ضوء الشمس فيتميز
به الليل من النهار لتبتغوا فضلا من ربكم اى لتطلبوا فى بياض
النهار اسباب معاشكم وتتوصلوا به الى استبانة اعمالكم ولم
يذكر السكون فى الليل اكتفا بما ذكر فى النهار وقد قال فى اية
اخرى وهو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا

و

ولتعلموا باختلافهما او بحركتهما عدد السنين والحساب
جنس الحساب فلو لم يفعل ذلك لما عرف الليل من النهار ولا
كان يعرف الحساب والعدد وكل شئ تفتقرون اليه فى امور
الدين والدنيا فصلناه تفصيلا بيناه بيانا غير ملتبس ٥
وفى الحديث لما ابرم الله خلقه فلم يبق من خلقه غير ادم خلق
شمسا من نور عرشه وقمرا فكانا جميعا شمسين فاما ما كان فى
سابق علمه ان يدعها شمسا خلقها مثل الدنيا ما بين مشارقها
ومغاربها واما ما كان فى علمه ان يخلقه قمرا فخلقه دون الشمس
فى العظم ولكن انما يرى صغرهما من شدة ارتفاع السما وبعدهما
من الارض فلو ترك الله الشمس والقمر كما خلقهما لم يعرف الليل
من النهار ولا كان الاجير يدرى الى متى يعمل ولا الصايم الى
متى يصوم ولا المراة كيف تعتد ولا يدرى اوقات الصلاة
والحج ولا محل الديون ولا حين تزرعون ولا متى تسكنون للراحة
فكان الله تعالى انظر لعباده وهو ارحم بهم من انفسهم فارسل
جبريل فامر جناحه على وجه القمر ثلاث مرات وهو يوميذ
شمس فطمس عنه الضوء وبقى فيه النور الى اخره وكل انسان
الزمناه طايره اى عمله وما قدر له كانه طير اليه من عش الغيب
ووكر القدر لما كانوا يتيمنون ويتشاومون بسنوح الطاير ٥
وبروحه استعير لما هو سبب الخير والشر من قدر الله وعمل
العبد وقال مجاهد عمله ورزقه وعنه ما من مولود يولد الا
وفى عنقه ورقة فيها مكتوب شقى او سعيد الحسن سعادته

وشقاوته وماكتب له من خير وشر وما طار له اى صار له عند
القسمة فى الازل وقيل اراد به التكليف اى قلدناه التزام الشرع
فى عنقه لزوم الطوق فى عنقه وقال الزجاج ذكر العنق عبارة
عن اللزوم كلزوم القلادة للعنق ونخرج له يوم القيمة كتابا
هى صحيفة عمله يلقاه منشورا اى يراه منشورا وقال منشورا
تعجيلا للبشرى بالحسنة والتوبيخ بالسيئة وقال ابو السوار
العدوى وقرا هذه الاية هما نشرتان وطيه اما ما حييت
يا ابن ادم فصحيفتك منشورة فامل فيها ما شيت فاذا مت
طويت فاذا بعثت نشرت اقرا كتابك على ارادة القول قال
الحسن يقرا الانسان كتابه اميا كان او غيره كفى بنفسك اليوم
عليك حسيبا محاسبا اى كفى نفسك والبا مزيده وحسيبا
تمييز وعلى صلته لانه اما بمعنى الحاسب كالصريم بمعنى الصارم
او بمعنى الكافى فوضع موضع الشهيد لانه يكفى المدعى ما اهمه
وتذكيره على ان الحساب والشهادة مما يتولاه الرجال
او على تاويل النفس بالشخص قال بعض الصالحين هذا كتاب
لسانك قلمه وريقك مداده واعضاوك قرطاسه انت
كنت المملى على حفظتك ما زيد فيه ولا نقص منه ومتى
انكرت منه شيا يكون فيه الشاهد منه عليك من اهتدى
فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها لا ينجى اهتداوه
غيره ولا يردى ضلاله سواه ولا تزر وازرة وزر اخرى اى
ولا تحمل نفس حاملة وزرا وزر اخرى بل انما تحمل وزرها
وقال

وقال ابن عباس نزلت فى الوليد بن المغيرة قال لاهل مكة اتبعونى
واكفروا بمحمد وعلى اوزاركم وما كنا معذبين احدا حتى
نبعث رسولا يبين الحجج ويمهد الشرايع فتلزمهم الحجة وفيه دليل
على ان الاحكام لا تثبت الا بالشرع خلافا للمعتزلة القايلين بان
العقل يحسن ويقبح ويبيح ويحظر والجمهور على ان هذا فى حكم
الدنيا اى ان الله لا يهلك امة بعذاب الا بعد الرسالة اليهم
والانذار وقالت فرقة هذا عام فى الدنيا والاخرة لقوله تعالى
كلما القى فيها فوج الاية قال ابن عطية والذى يعطيه النظر
ان بعثة ادم عليه السلام بالتوحيد وبث المعتقدات فى
بنيه مع نصب الادلة الدالة على الصانع مع سلامة النظر
توجب على كل احد من العالم الايمان واتباع شريعة الله ثم
تجدد ذلك فى زمن نوح عليه السلام بعد غرق الكفار وهذه
الاية ايضا تعطى لاحتمال الفاظها نحو هذا فى الذين لم تصلهم
رسالة وهم اهل الفترات الذين قد قدر وجودهم بعض اهل
العلم واما ما روى ان الله تعالى يبعث اليهم يوم القيمة
والى المجانين والاطفال فحديث لم يصح ولا يقتضى ما تعطيه
الشريعة من ان الاخرة ليست دار تكليف القرطبى وقد
استدل قوم فى ان اهل الجزاير اذا سمعوا بالاسلام وامنوا فلا
تكليف عليهم فيما مضى وهذا صحيح ومن لم تبلغه الدعوة فهو
غير مستحق للعذاب من جهة العقل واذا اردنا ان نهلك قرية
اى واذا تعلقت ارادتنا باهلاك قوم لانفاذ قضاينا السابق

اودنا وقته المقدر **امرنا مترفيها** اى متنعميها بمعنى رؤسايها
بالطاعة على لسان رسول بعثناه اليهم ويدل على ذلك ماقبله
وما بعده فان الفسق هو الخروج عن الطاعه والتمرد فى العصيان
فيدل على الطاعة من طريق المقابلة وقيل امرناهم بالفسق لقوله
ففسقوا فيها كقولك امرته فقرا فانه لا يفهم منه الا الامر
بالقراة على ان الامر مجاز عن الحمل عليه اى حملناهم على الفسق
التسبيب له بان صب عليهم من النعم ما ابطرهم وافضى بهم
الى الفسق ويحتمل ان لا يكون له مفعول منوى كقولهم امرته
فعصانى وقيل المعنى كثرنا وفى الحديث خير المال سكة
مابورة ومهرة مامورة اى كثيرة النتاج ويحتمل ان يكون
من امر بالضم امارة اى جعلناهم امرا وتخصيص المترفين
لان غيرهم يتبعهم ولانهم اسرع الى الحماقة واقدر على الفجور
فحق عليها القول يعنى كلمة العذاب السابقة بحلوله او بظهور
معاصيهم او بانهماكهم فى المعاصى **فدمرناها تدميرا** اى
اهلكناها باهلاك اهلها وتخريب ديارها **وكم اهلكنا** اى
وكثيرا اهلكنا **من القرون** الامم بيان لكم وتمييز له **من بعد
نوح** كعاد وثمود يخوف بذلك كفار مكة **وكفى بربك بذنوب
عباده خبيرا بصيرا** يدرك بواطنها وظواهرها فيعاقب
عليها وتقديم الخبير لتقدم متعلقه **من كان يريد** بعمله **العاجلة**
مقصورا عليها همه والمراد الدار العاجلة وهى الدنيا **عجلنا له
فيها ما نشاء لمن نريد** التعجيل له بدل من له باعادة الجار وقيد

المعجل

المعجل والمعجل له بالمشيئة والارادة لانه لا يجد كل متمن ما يتمناه
ولا كل واحد جميع هواه قيل الاية فى المنافقين كانوا يراؤن
المسلمين ويغزون معهم ولم يكن غرضهم الا مساهمتهم فى الغنايم
ونحوها **ثم جعلنا له** فى الاخرة **جهنم يصلاها** يدخلها **مذموما
مدحورا** اى مطرودا من رحمة الله وهذه صفة المنافقين فلا
يقبل ذلك العمل منهم فى الاخرة ولا يعطون فى الدنيا الا ما قسم
لهم **ومن اراد الاخرة** اى الدار الاخرة **وسعى لها سعيها** حقها
من السعى وهو الاتيان بما امر به والانتها عما نهى عنه لا التقرب
بما يخترعون باراييهم وفايدة اللام اعتبار النية والاخلاص
وهو مؤمن ايمانا صحيحا لا شك معه ولا تكذيب فانه العمدة
لان الطاعات لا تقبل الا من مؤمن والجملة حال **فاولئك** اى
الجامعون للشرايط الثلاثة **كان سعيهم مشكورا** من الله اى
مقبولا عنده مثابا عليه فان شكر الله الثواب على الطاعة
وقيل مشكورا مضاعفا **كلا** اى واحد من الفريقين والتنوين
بدل من المضاف اليه **نمد** بالعطاء مرة بعد اخرى **هؤلاء وهؤلاء**
بدل من كلا **من عطاء ربك** اى معطاه والمعنى يرزق المؤمنين
والكافرين فى الدنيا **وما كان عطاء ربك محظورا** ممنوعا لا يمنعه
فيها من مؤمن ولا كافر تفضلا **انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض**
فى الرزق والجاه والعمل من مقل ومكثر وانتصاب كيف بفضلنا
على الحال **وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا** اى التفاوت بينهما
فى الاخرة اكبر لان التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها والنار ودركا

فينبغي الاعتنا بالاخرة دون الدنيا لا تجعل مع الله الها اخر
الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والمراد امته او لكل احد
فتقعد اي فتصير او فتعجز من قولهم قعد عن الشي اذا عجز عنه
مذموما مخذولا اي جامعا على نفسك الذم من الملايكة
والمومنين والخذلان من الله ومفهومه ان الموحد يكون ممدوحا
منصورا وقضى ربك اي وامر مقطوعا به ان لا تعبدوا اي بان
لا تعبدوا الا اياه لان غاية التعظيم لا تحق الا لمن له غاية
العظمة ونهاية الانعام والقضا يستعمل بمعنى الامر كما في هذه
الايه وبمعنى الخلق فقضاهن سبع سموات وبمعنى الحكم فاقض
ما انت قاض وبمعنى الفراغ قضي الامر الذي فيه تستفتيان
فاذا قضيتم مناسككم وبمعنى الاراده واذا قضى امرا فانما
يقول له كن فيكون وبمعنى العهد اذ قضينا الى موسى الامر وغير
ذلك وبالوالدين احسانا اي وبان تحسنوا او واحسنوا بالوالدين
احسانا ان تبروهما جعل الله بر الوالدين مقرونا بالامر بعبادته
وتوحيده لانهما السبب الظاهر للوجود والتعيش وفي صحيح
البخاري عن عبد الله قال سالت النبي صلى الله عليه وسلم اي
الاعمال احب الى الله عز وجل قال الصلاة على وقتها قال ثم قلت
اي قال بر الوالدين الى اخره فاخبر ان بر الوالدين افضل الاعمال
بعد الصلاة التي هي اعظم دعايم الاسلام اما يبلغن عندك
الكبر احدهما او كلاهما اما ان الشرطيه زيدت عليها ما
تاكيدا ولذلك صح لحوقها النون الموكدة للفعل واحدهما فاعل

يبلغن

يبلغن او بدل على قراة حمزة والكسائي من الف يبلغان الراجع
الى الوالدين وكلاهما عطف على احدهما ومعنى عندك ان يكونا
في كنفك وكفالتك وخص حالة الكبر لانها الحالة التي يحتاجان
فيها الى بره لتغير الحال عليهما بالضعف والكبر فالزم في هذه
الحالة من مراعاة احوالهما اكثر مما الزمه من قبل لانهما في هذه
الحالة قد صارا كلا عليه فلذلك خص هذه الحالة بالذكر وايضا
فطول المكث للمرء يوجب الاستثقال عادة ويحصل الملل ويكثر
الضجر فيظهر غضبه على ابويه ويستطيل عليهما بدالة البنوة
وقلة الديانه واقل المكروه ما يظهر بتنفسه المتردد من الضجر
وقد امر ان يقابلهما بالقول الموصوف بالكرامة وهو السالم
عن كل عيب فقال فلا تقل لهما اف اي فلا تضجر مما يستقذر منهما
وتستثقل من مونتهما وهو صوت يدل على تضجر وقيل انه اسم
لفعل الامر اي كفا واتركا وقيل اسم لفعل ماض اي كرهت
وتضجرت وقيل اسم لفعل مضارع اي اتضجر منكما وهو مبني
على الكسر لالتقا الساكنين وتنوينه في قراة نافع وحفص للتنكير
وقرئ بالفتح على التخفيف والاف والتف وسخ الاظفار وقال
ابو عمرو بن العلا الاف وسخ بين الاظفار والتف قلامتها
وقال الزجاج معنى اف النتن وقال الاصمعي الاف وسخ الاذن
والتف وسخ الاظفار وكثر استعماله حتى ذكر في كل ما يتاذى به
والنهي عن ذلك يدل على المنع من ساير انواع الايذا قياسا
بطريق الاولى وقيل عرفا كقولك فلان لا يملك النقير

والقطمير ولذلك منع رسول الله صلى الله عليه وسلم حذيفة
من قتل ابيه وهو من المشركين وفي الحديث لو علم الله من العقوق
شيا ادنى من اف لذكره فليعمل البار ما شا ان يعمل وليعمل العاق
ما شا ان يعمل فلن يدخل الجنة قال العلما وانما صار قول اف
للابوين اردى شي لانه رفضهما رفض كفر النعمة وجحد التربية
ورد الوصية التي اوصاه في التنزيل فاف كلمة مقولة لكل
شي مرفوض ولذلك قال ابرهيم عليه السلام اف لكم ولما
تعبدون من دون الله اي رفض لكم ولهذه الاصنام معكم
ولا تنهرهما اي ولا تزجرهما عما لا يعجبك باغلاظ وقيل النهي
والنهر والنهم اخوان وقل لهما بدل النهر والتافيف قولا
كريما اي لينا جميلا لا شراسة فيه مثل يا ابتاه ويا اماه
واخفض لهما جناح الذل اي تذلل لهما وتواضع في حقهما
وهذه استعارة في الشفقة والرحمة بهما وضرب خفض الجناح
مثلا بجناح الطاير حين ينتصب بجناحه لولده فامره
بخفضهما مبالغة او اراد جناحه كقوله واخفض جناحك
للمومنين واضافته الى الذل للبيان والمبالغة كما اضيف
حاتم الى الجود والمعنى واخفض لهما جناحك الذليل من الرحمة
اي من فرط رحمتك عليهما لافتقارهما الى من كان افقر خلق الله
اليهما والخطاب في هذه الاية للنبي صلى الله عليه وسلم
والمراد به امته اذ لم يكن له عليه الصلاة والسلام في ذلك
الوقت ابوان ومن لبيان الجنس اي ان هذا الخفض يكون من

الرحمة

الرحمة المستكنة في النفس وقل رب ارحمهما اي ادع الله ان يرحمهما
برحمته الباقية ولا تكتف برحمتك الفانية وان كانا كافرين
لان من الرحمة ان يهديهما الله كما رحماك اذ ولياك صغيرا
جاهلا محتاجا فاثراك على انفسهما واسهرا ليلهما وجاعا
واشبعاك وتعريا وكسياك كما ربياني صغيرا اي ارحمهما رحمة
مثل رحمتهما علي وتربيتهما لي في صغري وفاء بعهدك للراحمين
وخص التربية بالذكر ليتذكر العبد شفقة الابوين وتعبهما
في التربية وهذا في الابوين المومنين او الكافرين الحيين اما
الاموات من المشركين فقد نهي عن الاستغفار لهم ولو كانوا اولي
قربى كما تقدم في سورة التوبة فاذا كان والدا المسلم ذميين
استعمل معهما ما امره الله به هاهنا الا الترحم بعد موتهما
على الكفر وروي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا ابواي بلغا من الكبر اني الي منهما ما وليا في الصغر
فهل قضيتهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان
بقاءك وانت تفعل ذلك وانت تريد موتهما ربكم اعلم بما في
نفوسكم من قصد البر اليهما واعتقاد ما يجب لهما من التوقير
وكانه تهديد على ان يضمر لهما كراهة واستثقالا ان تكونوا
صالحين اي قاصدين الصلاح او طايعين لله او صادقين في
نية البر بالوالدين فانه كان للاوابين اي للتايبين غفورا
ما فرط منهم عند حرج الصدر من اذية او تقصير ابن جبير
البادرة التي تبدر كالفلتة والزلة تكون من الرجل الى ابويه

اواحدهما لايريد بذلك باسا ويجوز ان يكون عاما لكل تايب
ويندرج فيه الجاني على ابويه وقال سعيد بن جبير هو العبد
يتوب ثم يذنب ثم يتوب ابن عباس الاواب الذى اذا ذكر
خطاياه استغفر منها وقيل هم الذين يصلون صلاة الضحى
وفي الصحيح صلاة الاوابين اذا رمضت الفصال وحقيقة اللفظ
من آب يؤوب اذا رجع **وات ذا القربى حقه** من صلة
الرحم وحسن المعاشرة والبر عليهم وسد خلتهم ومواساتهم
عند الحاجة بالمال والمعونة بكل وجه وقال ابو حنيفة حقهم
اذا كانوا فقراء ان ينفق عليهم وقيل المراد بذى القربى اقارب
الرسول صلى الله عليه وسلم امر باعطايهم حقوقهم من بيت المال
والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا بصرف المال فيما لا ينبغي
وانفاقه على وجه الاسراف قال الشافعي التبذير انفاق المال
في غير حقه فلا تبذير في عمل الخير وهو قول الجمهور واصل
التبذير التفريق وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لسعد
وهو يتوضا ما هذا السرف فقال او في الوضوء سرف قال
نعم وان كنت على نهر جار **ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين**
يعني انهم في حكمهم اذ المبذر ساع في فساد كالشياطين او انهم
يفعلون ما تسوله لهم فيطيعونهم في الاسراف والصرف في المعاصي
او انهم يقرنون بهم غدا في النار **وكان الشيطان لربه كفورا** اى
مبالغا في الكفر به فكذلك اخوه المبذر فينبغي ان لا يطاع ٥
والشيطان اسم الجنس **واما تعرضن عنهم** اى وان اعرضت عن

ذى

ذى القربى والمساكين وابن السبيل فلم تعطهم **ابتغاء رحمة
من ربك ترجوها** لانتظار رزق من الله ترجوه ان ياتيك
فتعطيهم منه وقيل المعنى لفقد رزق من ربك ترجوه ان يفتح
لك وفي هذا تاديب عجيب وقول لطيف بديع اى لا تعرض
عنهم اعراض مستهين عن ظهر الغنى والقدرة فتحرمهم وانما يجوز
ان تعرض عنهم عند عجز يعرض وعايق يصرف وانت عند ذلك ترجو
من الله فتح باب الخير لتتوصل به الى مواساة السايل فان قعد
بك الحال **فقل لهم قولا ميسورا** اى لينا طيبا مفعول بمعنى فاعل
كالميمون او فقل لهم قولا بليغا ابتغاء رحمة الله برحمتك عليهم
باجمال القول لهم وقيل هو الدعاء لهم بالميسور وهو اليسر
مثل اغناكم الله رزقنا الله واياكم وابسط العذر واحسن
القول وقل اذا وجدت فعلت واكرمت فان ذلك يعمل في مسرة
انفسهم عمل المواساة وكان صلى الله عليه وسلم اذا سيل
وليس عنده ما يعطي سكت انتظارا للرزق ياتي من الله كراهة الرد
فنزلت هذه الاية فكان اذا سيل وليس عنده ما يعطي قال
يرزقنا الله واياكم من فضله فالرحمة على هذا التاويل الرزق
المنتظر وهذا قول ابن عباس وغيره وقال ابن زيد سبب نزول الاية
ان قوما كانوا يسالون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيابى
ان يعطيهم لانه كان يعلم منهم نفقة المال في فساد فكان
يعرض عنهم رغبة في الاجر في منعهم لئلا يعينهم على فساد
وقيل نزلت في ناس من مزينة سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم

ان يستحلوه فقال لا اجد ما احملكم عليه الاية فالرحمة الغنا
ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط هذا
تمثيل لمنع الشحيح واسراف المبذر نهى عنهما آمرًا بالاقتصاد
بينهما الذي هو الكرم فهو مجاز عن البخيل الذي لا يقدر من قلبه
على اخراج شي من ماله كالغل الذي يمنع من التصرف باليد وجعل
بسط اليد مثلا لذهاب المال فان قبض الكف يحبس ما فيها
وبسطها يذهب ما فيها وهذا كله خطاب للنبي صلى الله عليه
وسلم والمراد امته وهو كثير في القران فانه صلى الله عليه وسلم
لما كان سيدهم وواسطتهم الى ربهم عبر به عنهم على عادة العرب
في ذلك وايضا فانه صلى الله عليه وسلم لم يكن يدخر شيا
لغد وكان كثير من فضلا الصحابة ينفقون في سبيل الله جميع
اموالهم فلم ينههم صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليهم لصحة
يقينهم وشدة بصايرهم وانما نهى الله تعالى عن الافراط في الانفا
واخراج ما حوته اليد من المال من خيف عليه الحسرة على ما خرج
من يده فاما من وثق بموعود الله وجزيل ثوابه فيما انفقه فغير
مراد بالاية وقيل انه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم في
خاصة نفسه علمه كيف الانفاق وامره بالاقتصاد قال جابر
وابن مسعود جا غلام الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
ان امي تسالك كذا وكذا فقال ما عندنا اليوم شي قال فتقول
لك اكسني قميصك فخلع قميصه فدفعه اليه وجلس في البيت
عريانا وفي رواية جابر فاذن بلال بالصلاة فانتظروا رسول الله
صر

صلى الله عليه وسلم يخرج واشتغلت القلوب فدخل بعضهم
فاذا هو عار فنزلت وهذا كله في انفاق الخير واما انفاق الفسا
فقليله وكثيره حرام فتقعد ملوما اي فتصير ملوما عند الله
وعند الناس بالاسراف محسورا نادما فهو من الحسرة او منقطعا
بك لا شي عندك من حسره السفر اذا بلغ منه وملوما راجع للاول
ومحسورا راجع للثاني ان ربك يبسط الرزق لمن يشا ويقدر
يوسعه ويضيقه بمشيته انه كان بعباده خبيرا بصيرا ٥
يعلم سرهم وعلنهم فيعلم من مصالحهم ما يخفى عليهم ويجوز
ان يريد ان القبض والبسط من امر الله العالم بالسراير
والظواهر واما العباد فعليهم ان يقتصدوا وانه تعالى
يبسط الرزق تارة ويقبض اخرى فاستنوا بسنته ولا تقبضوا
كل القبض ولا تبسطوا كل البسط فايده نهت هذه الاية عن
استفراغ الوجد فيما يطرا ولا من سوال المومنين لئلا يبقى من
ياتي بعد ذلك لا شي له او لئلا يضيع المتنفق عياله ونحوه ومن
كلام الحكمة ما رايت ذا سرف الا ومعه حق مضيع وهذه
من ايات فقه الحال ولا يتعين حكمها الا باعتبار شخص من الناس
وفي الاية لف ونشر مرتب لان اللوم راجع الى البخل والحسر الى
الاسراف وتقدم ويجوز ان يكون تمهيدا لقوله ولا تقتلوا
اولادكم خشية املاق اي مخافة فقر قال الشاعر
واني على الاملاق يا قوم ماجد ٥ اعد لاضيافي الشوا المصهبا
ويقال املق الرجل لم يبق له الا الملقات وهي الحجارة العظام الملس

واملق اذا افتقر وقتلهم اولادهم هو وأدهم بناتهم مخافة الفقر
فنهاهم عنه وضمن لهم ارزاقهم فقال نحن نرزقهم واياكم ان
قتلهم كان خطأ كبيرا اي ذنبا عظيما لما فيه من قطع التناسل
وانقطاع النوع والخطأ الاثم يقال خَطِئ خطأ كأثم اثما وقرئ
خطأ من اخطأ وقيل لغة فيه كمثْل ومثَل وقرئ خطاء بالمد
والكسر وهو اما لغة او مصدر خاطأ ولا تقربوا الزنا بالعزم
والاتيان بالمقدمات فضلا ان تباشروه قال العلماء فقوله
ولا تقربوا الزنا ابلغ من ولا تزنوا لان المعنى لا تدنوا منه انه
كان فاحشة اي فعلة ظاهرة القبح زائدته وساء سبيلا
اي وبئس طريقا طريقه وهو الغصب على الابضاع المودي الى
قطع الانساب وهَيْج الفتن وهو من الكباير واجمع اهل الملل
على تحريمه ولهذا كان حده اشد الحدود لانه جناية على الاعراض
والانساب ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق الا باحدى
ثلاث كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل مومن معصوم
عمدا ومن قتل مظلوما اي غير مستوجب للقتل فقد جعلنا
لوليه اي للذي يلي امره بعد وفاته وهو الوارث سلطانا
اي تسلطا بالمواخذة بمقتضى القتل على من عليه او بالقصاص
على القاتل فان قوله مظلوما يدل على ان القتل عمد عدوان
فان الخطأ لا يسمى ظلما وقال ابن عباس ان شاء قتل وان شاء عفى
وان شاء اخذ الدية وقال مالك السلطان امر الله فلا يسرف
في القتل فلا يقتل غير قاتله قاله الحسن وغيره وقيل لا يقتل به

ولية

وليه اثنين كما كانت العرب تفعله وقيل لا يمثل بالقاتل
وكله مراد لانه منهي عنه وقرئ يسرف بالياء يعني الولي وقرئ
بالتاء من فوق قال مجاهد هو للقاتل الاول والمعنى لا تسرف
ايها القاتل بان تقتل من لا يحق قتله فان العاقل لا يفعل من
ما يعود عليه بالهلاك انه كان منصورا علة النهي على الاستينا
والضمير اما للمقتول فانه منصور في الدنيا بثبوت القصاص
بقتله وفي الاخرة بالثواب واما لوليه فان نصره حيث وجب
القصاص له وامر الولاة بمعونته فان قيل كم من ولي مخذول
لا يصل الى حقه قلنا المعونة تكون بظهور الحجة تارة
وباستيفائها اخرى وبمجموعهما ثالثة فايهما كان فهو نصر
من الله سبحانه ولا تقربوا مال اليتيم فضلا ان تتصرفوا فيه
الا بالتي هي احسن اي الا بالطريقة التي هي احسن حتى يبلغ اشده
غاية لجواز التصرف الذي دل عليه الاستثنا واوفوا بالعهد
اي بما عاهدكم الله من تكاليفه وقال الزجاج كل ما امر الله به
ونهى عنه فهو من العهد او عاهدتم الله او الناس ان العهد كان
مسئولا اي مطلوبا يطلب من المعاهد ان لا يضيعه ويفي به
او مسئولا عنه يسال الناكث ويعاقب عليه او يسال العهد
لم نكثت تبكيتا للناكث كما يقال للموءودة باي ذنب قتلت
ويجوز ان يكون المراد ان صاحب العهد مسئولا عن الوفاء به
واوفوا الكيل اذا كلتم اي ولا تبخسوا فيه وزنوا بالقسطاس
المستقيم اي بالميزان السوي وهو رومي معرب ولا يقدح ذلك

في عربية القران لان العجمي اذا استعملته العرب واجرته مجرى كلامهم
في الاعراب والتعريف والتنكير ونحوها صار عربيا ذلك خير
واحسن تاويلا اي واحسن عاقبة تفعيل من آل اذا رجع ولا تقف
اي ولا تتبع ما ليس لك به علم اي ما لم يتعلق به علمك تقليدا
او رجما بالغيب وقال قتادة لا تقل رايت وانت لم تر وسمعت
وانت لم تسمع وعلمت وانت لم تعلم واحتج به من منع اتباع
الظن وجوابه ان المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد من
سند سواء كان قطعا او ظنا واستعماله لهذا المعنى سايغ شايع
وقيل انه مخصوص بالعقايد وقيل بالرمي وشهادة الزور

قال الكميت

ولا اقفو البري بغير ذنب ... ولا اقفو الحواصن ان قفينا

ان السمع والبصر والفواد كل اولئك اي كل هذه الاعضا
فاجراها مجرى العقلا لما كانت مسئولة عن احوالها شاهدة
على صاحبها هذا وان اولا وان غلب في العقلا لكنه من حيث
انه اسم جمع لذا وهو يعم القبيلين جا لغيرهم كقوله

ذم المنازل بعد منزلة اللوى ... والعيش بعد اولئك الايام

كان عنه مسئولا في ثلاثتها ضمير كل واحد منها مسئولا عن
نفسه يعني عما فعل به صاحبه فالفواد يسال عما افتكر فيه
واعتقده والسمع عما سمع والبصر عما راى ويجوز ان يكون
الضمير في عنه لمصدر ولا تقف او لصاحب السمع والبصر والفواد
وقيل مسئولا مسند الى عنه كقوله تعالى المغضوب عليهم

وفيه

وفيه نظر لان الفاعل وما يقوم مقامه لا يتقدم وفيه دليل
على ان العبد مواخذ بعزمه على المعصية ولا تمش في الارض
مرحا اي ذا مرح وهو الاختيال وشدة الفرح وقيل التكبر
في المشي وقيل تجاوز الانسان قدره وقيل البطر والاشر قال
العلما اقبال الانسان على الصيد ونحوه تنزها دون حاجة
الى ذلك داخل في هذه الاية وفيه تعذيب الحيوان والجوارح
لغير معنى ومرحا مصدر في موضع الحال انك لن تخرق الارض
اي لن تجعل فيها خرقا بشدة وطاتك فتبلغ اخرها ولن تبلغ
الجبال طولا اي ولن تتطاول فتساوي الجبال بطولك وهو تهكم
بالمختال وتعليل للنهي بان الاختيال حماقة مجردة لا تعود
بجدوى والمعنى انك لا تبلغ هذا المبلغ فكيف تختال كل ذلك
اشارة الى الخصال الخمسة والعشرين المذكورة من قوله ولا تجعل
مع الله الها اخر كان سيئه على اضافة سي الى الضمير ولذلك
قال مكروها على خبر كان يعني المنهي عنه فان المذكور مامورات
ومناهي وقرئ سيئة بالتنوين على انه خبر كان والاسم
ضمير كل وذلك اشارة الى ما نهي عنه خاصة اي كل ما نهى الله عنه
سيئة وقوله عند ربك مكروها بدل من سيئة او صفة لها
محمولة على المعنى فانها بمعنى سيئا والمراد به المبغوض المقابل
للمرضي لا ما يقابل المراد لقيام القاطع على ان الحوادث كلها
واقعة بارادته تعالى ذلك اشارة الى الاحكام المتقدمة
وهو يصلح للواحد والجمع والمذكر والمونث مما اوحى اليك ربك

من الحكمة التي هي معرفة الحق لذاته والخير للعمل به ولا تجعل مع الله
الها اخر كرره للتنبيه على ان التوحيد مبدا الامر ومنتهاه
فان من لا قصد له بطل عمله ومن قصد بفعله وتركه غيره ضاع
سعيه وانه راس الحكمة وملاكها ورتب عليه اولا ما هو غاية
الشرك في الدنيا وثانيا ما هو نتيجته في العقبى فقال فتلقى في
جهنم ملوما تلوم نفسك مدحورا مبعدا من رحمة الله تعالى
والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد كل من سمع من البشر
افاصفاكم ربكم بالبنين خطاب لمن قالوا الملائكة بنات الله
والهمزة للانكار اي افخصكم ربكم بافضل الاولاد وهم البنون
واتخذ من الملائكة اناثا اي بنات لنفسه هذا خلاف ما عليه
معقولكم وعادتكم وكان لكم ايضا بنات مع البنين ولكنه
اراد فاخلص لكم البنين دونه وجعل البنات مشتركة بينكم
وبينه انكم لتقولون قولا عظيما في الاثم عند الله حيث تضيفون
الاولاد اليه ثم تفضلون انفسكم عليه حيث تجعلون له
ما تكرهون وغير ذلك فان قيل ان القاعدة ان المنكر يجب ان
يلي الهمزة وهنا الذي يليها هو الاصفا بالبنين وليس هو المنكر
انما المنكر قولهم اتخذ من الملائكة اناثا اجيب بان لفظ الاصفا
يشعر بزعم ان البنات لغيرهم او بان المراد مجموع الجملتين ه
وينحل منهما كلام واحد والتقدير اجمع بين الاصفا بالبنين
واتخاذ البنات ولقد صرفنا اي كررنا وقيل بينا هذا
المعنى بوجوه من التقرير في هذا القرآن في مواضع منه وقيل
في

في زايدة كما قال واصلح لي في ذريتي وقيل المفعول محذوف اي
صرفنا المواعظ ونحوها ليذكروا اي ليتذكروا ويعتبروا ه
وما يزيدهم ذلك الا نفورا اي تباعدا عن الحق وقلة طمانينة
اليه وذلك انهم اعتقدوا في القران انه سحر وكهانة وشعر قل لو
كان معه اي الله الهة كما تقولون ايها المشركون وقرئ بالتا
فيه وفيما بعده على ان الكلام مع الرسول صلى الله عليه وسلم
وقرئ بالتا في الثانية فقط على ان الاولى مما امر الرسول صلى الله
عليه وسلم ان يخاطب المشركين والثانية مما نزه به نفسه
عن مقالهم اذا لابتغوا يعني لالهة الى ذي العرش اي الله سبيلا
جواب عن قولهم وجزا للو والمعنى لطلبوا الى من هو مالك الملوك
سبيلا بالمغالبة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض قال ابن عباس
المعنى لطلبوا مع الله منازعة وقتالا وقال ابن جبير المعنى لطلبوا
طريقا للوصول اليه ليزيلوا ملكه لانهم شركاوه وقال قتادة
لطلبوا التقرب اليه والطاعة والتمسوا الزلفى عنده لعلمهم
بقدرته وعجزهم كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى
ربهم الوسيلة والقوم اعتقدوا ان الاصنام تقربهم الى الله
زلفى فاذا اعتقد في الاصنام انها محتاجة الى الله فقد بطل انها
الهة سبحانه تنزه تنزيها وتعالى عما يقولون علوا تعاليا
كبيرا متباعدا غاية البعد عما يقولون فانه في اعلا مراتب
الوجود وهو كونه واجب الوجود والبقا لذاته واتخاذ الولد
من ادنى مراتبه فانه من خواص ما يمتنع بقاوه تسبح له السموات

السبع والارض ومن فيهن اى من الملايكة والانس والجن ثم عمم
بعد ذلك الاشيا كلها فقال وان من شى الا يسبح بحمده اى يقولون
سبحان الله وبحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم لانه ليس بلغتكم او
المعنى ينزهه مما هو من لوازم الامكان وتوابع الحدوث بلسان
الحال حيث تدل بامكانها وحدوثها على الصانع القديم الواجب
لذاته واختلف فى هذا العموم هل هو مخصص ام لا فقالت فرقة
ليس مخصوصا والمراد به تسبيح الدلالة فكل محدث يشهد على نفسه
بان الله خالق قادر وقالت طايفة هذا التسبيح حقيقة ٥
وكل شى على العموم يسبح تسبيحا لا يسمعه البشر ولا يفقهه ولو كان
ما قاله الاولون من انه اثر الصنعة والدلالة لكان امرا مفهوما
والاية تنطق بان هذا التسبيح لا يفقه واجيب عنه
بان المراد بقوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم الكفار الذين يعرضون
عن الاعتبار فلا يفقهون حكمة الله فى الاشيا وقالت فرقة
هو عموم ومعناه الخصوص فى كل حى نام وليس ذلك فى الجمادات
ومن هذا قول عكرمة الشجرة تسبح والاسطوانة لا تسبح ٥
القرطبى ويستدل لهذا القول بحديث القبرين وفيه فدعا
بعسيب رطب فشقه ثم قال لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا
اشارة الى انهما ما داما رطبين يسبحان واذا يبسا صارا جمادا
ويستدل للقول الاخر بحديث لا يسمع صوت الموذن جن ولا
انس ولا شجر ولا حجر ولا مدر ولا شى الا شهد له يوم القيمة
وخرج البخارى كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يوكل وحديث مسلم
انى

انى لاعرف حجرا بمكة كان يسلم على قبل ان ابعث وخبر الجذع
مشهور واذا ثبت ذلك فى جماد واحد جاز فى جميع الجمادات
وقد قال النخعى وغيره هو عام فيما فيه روح وفيما لا روح فيه
حتى صرير الباب انه كان حليما فلا يعاجل بالعقوبة على غفلتكم
وشرككم غفورا لمن تاب منكم واذا قرات القران جعلنا بينك
وبين الذين لا يومنون بالاخرة حجابا يحجبهم عن فهم ما تقراه عليهم
مستورا ذا ستر كقوله تعالى وعده ماتيا وقولهم سيل مفعم
اى ممتلى او ساترا لك عليهم فلا يرونك ونزل فيمن اراد الفتك به
صلى الله عليه وسلم وعن اسما بنت ابى بكر قالت لما نزلت سورة
تبت يدا ابى لهب اقبلت العورا ام جميل بنت حرب ولها ولولة
وفى يدها فهر وهى تقول مذمما هجونا وامره ابينا ودينه
قلينا والنبى صلى الله عليه وسلم قاعد فى المسجد ومعه
ابو بكر فلما راها ابو بكر قال يا رسول الله قد اقبلت وانا اخاف
ان تراك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها لن ترانى
وقرا قرانا فاعتصم به فوقفت على ابى بكر ولم تر رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقالت يا ابا بكر اخبرت ان صاحبك هجانى
ثم ولت تقول قد علمت قريش انى ابنت سيدها وقال كعب
فى هذه الاية كان النبى صلى الله عليه وسلم يستتر من المشركين
بثلاث ايات الاية التى فى الكهف انا جعلنا على قلوبهم اكنة
ان يفقهوه الاية والتى فى النحل اولئك الذين طبع الله على قلوبهم
الاية والتى فى الشريعة افرايت من اتخذ الهه هواه الاية فكان

النبي صلى الله عليه وسلم اذا قراهن يستتر من المشركين القرطبي
ويزاد الى هذه الاي اول سورة يس الى قوله فهم لا يبصرون فان
في السيرة في هجرة النبي صلى الله عليه وسلم ومقام علي في فراشه
وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ حفنة من تراب
في يده واخذ الله على ابصارهم فجعل ينثر ذلك التراب على
روسهم وهو يتلو هذه الايات من يس وجعلنا على قلوبهم
اكنة تكنها وتحول دونها عن ادراك الحق وقوله ان يفقهوه
اي كراهة ان يفقهوه ويجوز ان يكون مفعولا لما دل عليه
قوله وجعلنا على قلوبهم اكنة اي منعناهم ان يفقهوه
والاكنة جمع كنان وهو ما يستر الشي وفي اذانهم وقرا اي
صمما وثقلا يمنعهم عن استماعه واذا ذكرت ربك في القران
وحده اي واحدا غير مشفوع به الهتهم وهو مصدر وقع
موقع الحال وقيل معناه قلت لا اله الا الله وقال علي بن
الحسين هو قوله بسم الله الرحمن الرحيم ولوا على ادبارهم نفورا
عنه اي هربا من استماع التوحيد وقيل نفورا جمع نافر
مثل شهود وشاهد وقعود وقاعد فهو منصوب على الحال
ويجوز ان يكون مصدرا على غير الصدر اذ معنى قوله ولوا
نفروا نحن اعلم بما يستمعون به اي بسببه ولاجله من الهزء
بك وبالقران وقيل الباء زايدة اي يستمعونه من النبي
صلى الله عليه وسلم القران ثم ينفرون فيقولون هو ساحر
ومسحور مما اخبر الله تعالى به عنهم قاله قتادة اذ يستمعون

اليك ظرف لاعلم وكذا واذ هم نجوى اي نحن اعلم بغرضهم من الاستماع
حين هم يستمعون اليك مضمرون له وحين هم ذو نجوى يتناجون
به ونجوى مصدر وقال قتادة كان نجواهم قولهم انه مجنون
انه ساحر انه ياتي باساطير الاولين وقيل نزلت حين دعا عقبة
اشراف قريش الى طعام صنعه لهم فدخل عليهم النبي صلى الله
عليه وسلم وقرا عليهم القران ودعاهم الى الله تعالى فتناجوا
يقولون ساحر ومجنون وقيل امر النبي صلى الله عليه وسلم
عليا ان يتخذ طعاما ويدعو اليه اشراف قريش من المشركين
ففعل ذلك علي ودخل عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقرا عليهم القران ودعاهم الى التوحيد وقال قولوا لا اله الا
الله لتطيعكم العرب وتدين لكم العجم فابوا وكانوا يستمعون من
النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون بينهم متناجين هو ساحر
هو مسحور فنزلت اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا
مقدر باذكر او بدل من اذ هم نجوى على وضع الظالمين موضع الضمير
للدلالة على ان تناجيهم بقولهم هذا ظلم والمسحور معناه
المطبوب الذي قد خبله السحر فاختلط عليه امره وقيل معناه
المخدوع قاله مجاهد وقيل الذي له سحر وهو الرية اي الا رجلا
يتنفس وياكل ويشرب مثلكم وفي الحديث عن عايشة قالت من
هذه الذي تساميني من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم وقد
توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سحري ونحري انظر كيف
ضربوا لك الامثال تعجيب من صنعهم اي انظر كيف مثلوك

بالشاعر والساحر والكاهن والمجنون فضلوا عن الحق في جميع ذلك
فلا يستطيعون سبيلا الى طعن فيك بوجه فيتهافتون ويخبطون
كالمتحير في امره لا يدري ما يصنع او فلا يستطيعون طريقا الى
الرشاد وقيل لا يستطيعون مخرجا لتناقض كلامهم في قولهم
شاعر ساحر مجنون وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا اي قالوا
وهم يتناجون لما سمعوا القران وسمعوا امر البعث لو لم يكن
مسحورا مخدوعا لما قال هذا قال ابن عباس والرفات الغبار
وقال مجاهد الرفات ما تكسر وبلي من كل شي كالفتات والحطام
والرضاض ائنا لمبعوثون خلقا جديدا على الانكار والاستبعاد
لما بين غضاضة الحي ويبوسة الرميم من المباعدة والمنافاه
والعامل في اذا ما دل عليه لمبعوثون لا نفسه لان ما بعد الا
لا يعمل فيما قبلها وخلقا مصدرا وحال قل جوابا لهم كونوا حجارة
او حديدا او خلقا مما يكبر في صدوركم اي مما يعظم عندكم
عن قبول الحياة لكونه ابعد شي منها فضلا عن العظام والرفات
فلا بد من ايجاد الروح فيكم فان قدرته تعالى لا تقصر عن احيائكم
لاشتراك الاجسام في قبول الاعراض فكيف اذا كنتم عظاما مرفوتة
وقد كانت غضة موصوفة بالحياة قبل والشي اقبل لما عهد
فيه مما لم يعهد وقال الطبري المعنى انكم لو كنتم حجارة او حديدا
لم تفوتوا الله عز وجل اذا اراد كم الا انه خرج مخرج الامر
لانه ابلغ في الالزام وقال مجاهد كونوا ما كنتم فستعادون
وقيل مما يكبر في صدوركم يعني السموات والارض والجبال
لعظمها

لعظمها في النفوس وقال ابن عباس وغيره يعني الموت لانه لا شي
اكبر في نفس ابن ادم منه يقول انكم لو خلقتم من حجارة او حديد
او كنتم الموت لاميتنكم ولابعثنكم لان القدرة التي بها انشاكم
بها يعيدكم وهو معنى قوله فسيقولون من يعيدنا الى الحياة
قل الذي فطركم اول مرة ولم تكونوا شيا يعيدكم فسينغضون
اليك رؤسهم اي يحركونها استهزاء وتعجبا قال الشاعر
انتغض لي يوم الفخار وقد ترى ۝ خيولا عليها كالاسود ضواريا
ويقولون متى هو اي البعث والاعادة او هذا الوعد قل عسى ان
يكون قريبا اي هو قريب اذ عسى للوجوب ولان كل ما هو ات قريب
يوم يدعوكم من القبور على لسان اسرافيل فتستجيبون او يوم
يبعثكم فتنبعثون استعار لهما الدعا والاستجابة للتنبيه
على سرعتهما وتيسر امرهما وان المقصود منهما الاحضار للمحاسبة
والجزا بحمده حال منهم اي حامدين لله على كمال قدرته كما روي
انهم ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم
وبحمدك وقيل بحمده بامره وقال قتادة بمعرفته وطاعته وقيل
بقدرته وقيل المعنى منقادين لبعثه انقياد الحامدين عليه
وقيل يدعابه ابا كم قال العلما وهو الصحيح فان النفخ في الصور
انما هو لاخراج اهل القبور وبالحقيقة انما خروج الخلق بدعوة
الحق والدعا الندا الى المحشر بكلام يسمعه كل الخلائق ويدعوهم
الله فيه بالخروج وقيل بالصيحة فتكون داعية لهم الى الاجتماع
في ارض القيمة وفي الحديث انكم تدعون يوم القيمة باسمائكم

واسمآ اباىكم فاحسنوا اسماكم **وتظنون ان لبثتم الا قليلا**
اى وتستقصرون مدة لبثكم فى القبور كالذى مر على قرية او مدة
حياتكم لما ترون من الاهوال وقيل يعنى بين النفختين وذلك
ان العذاب يرفع عن المعذبين بينهما وهو اربعون سنة فينامون
وذلك قوله من بعثنا من مرقدنا وقال مجاهد للكافرين هجعة
قبل يوم القيمة يجدون فيها طعم النوم فاذا صيح باهل القبور
قاموا مذعورين **وقل لعبادى** يعنى المومنين **يقولوا التى
هى احسن** ولا تخاشنوا المشركين وقيل نزلت فى عمر بن الخطاب
وذلك ان رجلا من العرب شتمه فسبه عمر وهم بقتله فكاد
يثير فتنة وقيل نزلت لما قال المسلمون ايذن لنا يا رسول الله
فى قتالهم فقد طال ايذاوهم لنا فقال لم اومر بعد بالقتال
وقال الحسن هو ان يقال للكافر اذا اشتطط هداك الله
وقيل المعنى قل لهم يامروا بما امر الله وينهوا عما نهى الله وعلى
هذا فالاية عامة فى المومن والكافر اى قل للجميع **ان الشيطان
ينزغ بينهم** اى يهيج بينهم المرا والشر فلعل المخاشنة بهم تفضى
الى العناد وازدياد الفساد **ان الشيطان كان للانسان
عدوا مبينا** اى ظاهر العداوة وقيل امر الله تعالى فى هذه
الاية المومنين فيما بينهم خاصة بحسن الادب والانة القول
وخفض الجناح واطراح نزغات الشيطان وفى الحديث كونوا
عباد الله اخوانا **ربكم اعلم بكم ان يشا يرحمكم او ان يشا يعذبكم**
تفسير للتى هى احسن وما بينهما اعتراض اى قولوا لهم هذه الكلمة
ونحوها

ونحوها ولا تصرحوا بانهم من اهل النار فانه يهيجهم على الشر مع
ان ختام امرهم غيب لا يعلمه الا الله والمعنى ان يشا يوفقكم
للاسلام فيرحمكم او يميتكم على الشرك فيعذبكم واعلم بمعنى
عليم وقيل المعنى ان يشا يرحمكم ايها المومنين بان يحفظكم من
كفار مكة او ان يشا يعذبكم بتسلطهم عليكم **وما ارسلناك عليهم
وكيلا** اى موكولا اليك امرهم تقسرهم على الايمان وانما ارسلناك
مبشرا ونذيرا فدارهم ومر اصحابك بالاحتمال منهم وهذا قبل
الامر بالقتال وقيل ما جعلناك كفيلا توخذ بهم **وربك اعلم
بمن فى السموات والارض** واحوالهم فيختار منهم لنبوته وولايته
من يشا وهو رد لاستبعاد قريش ان يكون يتيم ابى طالب نبيا
وان يكونوا العراة الجياع اصحابه **ولقد فضلنا بعض النبيين
على بعض** كتخصيص موسى بالكلام وابراهيم بالخلة ومحمد بالاسرا
وذلك بالفضايل النفسانية والتبرى عن العلايق الجسمانية
لا بكثرة الاموال والاتباع حتى داود عليه السلام فان شرفه
بما اوحى اليه من الكتاب لا بما اوتى من الملك وقيل هو اشارة
الى تفضيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله **واتينا داود
زبورا** تنبيها على وجه تفضيله صلى الله عليه وسلم وهو انه
خاتم النبيين وامته خير الامم المدلول عليه بما كتب فى الزبور
من ان الارض يرثها عبادى الصالحون وتنكيره هاهنا وتعريفه
فى قوله ولقد كتبنا فى الزبور لان فى الاصل فعول للمفعول
كالحلوب او المصدر كالقبول ولان المراد واتينا داود بعض

الزبور او بعضا من الزبور فيه ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم
والزبور كتاب ليس فيه حلال ولا حرام ولا فرايض ولا حدود وانما
هو دعا وتمجيد وتحميد اى فكما اتينا داود الزبور فلا تنكروا
ان يوتى محمد القران قل ادعوا الذين زعمتم انها الهة من دونه
كالملايكة والمسيح وعزير فلا يملكون اى فلا يستطيعون كشف
الضر عنكم كالمرض والفقر والقحط ولا تحويلا اى ولا تحويل ذلك
عنكم الى غيركم وقيل نزلت لما ابتليت قريش بالقحط وشكواه
الى النبى صلى الله عليه وسلم فقيل لهم ادعوا الذين تعبدون
من دونه وزعمتم انها الهة اولئك الذين يدعون اى يدعونهم
الهة يبتغون الى ربهم الوسيلة اى هولاء الالهة يبتغون الى
الله القربة بالطاعة ايهم اقرب بدل من واو يبتغون اى يبتغى
من هو اقرب منهم الى الله الوسيلة فكيف بغير الاقرب وقيل
اولئك مبتدا والذين يدعون خبر اى يدعون اليه عباده او
عباده الى عبادته وروى انها نزلت فى نفر من العرب كانوا
يعبدون نفرا من الجن فاسلم الجنيون والذين كانوا يعبدونهم
لا يشعرون وقيل غير ذلك ويرجون رحمته ويخافون عذابه
كساير العباد فكيف يزعمون انهم الهة ان عذاب ربك كان محذورا
اى حقيقا بان يحذره كل احد حتى الرسل والملايكة وان ما من
قرية اريد اهلها الا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة بالموت
والاستيصال او معذبوها عذابا شديدا بالقتل وانواع البليه
وقال مقاتل اما الصالحة فبالموت واما الطالحة فبالعذاب
وقال

وقال ابن مسعود اذا ظهر الزنا والربا فى قرية اذن الله فى هلاكها
وقيل المعنى وان من قرية ظالمة يدل على ذلك قوله وما كنا
مهلكى القرى الا واهلها ظالمون كان ذلك فى الكتاب اى فى اللوح
المحفوظ مسطورا مكتوبا وما منعنا ان نرسل بالايات اى وما
صرفنا عن ارسال الايات التى اقترحتها قريش الا ان كذب بها
الاولون ان الاولى فى محل نصب بوقوع المنع عليه وان الثانية
فى محل رفع اى الا تكذيب الاولين الذين هم امثالهم فى الطبع كعاد
وثمود وانها لو ارسلت لكذبوا بها تكذيب اولئك واستوجبوا
الاستيصال على ما مضت سنتنا وقد قضينا ان لا نستاصلهم
لان فيهم من يومن او يلد من يومن وقد روى انهم طلبوا ان يحول
الله لهم الصفا ذهبا وتنحى الجبال عنهم فنزل جبريل فقال ان
شئت كان ما سال قومك ولكنهم ان لم يومنوا لم يمهلوا وان
شئت استانيت بهم فقال لا بل استان بهم والله تعالى لا يكون
ممنوعا من شى وانما المعنى المبالغة فى انه لا يفعل فكانه قد منع
منه ثم ذكر بعض الامم المهلكة بتكذيب الايات المقترحة فقال
واتينا ثمود الناقة بسوالهم مبصرة اى بينة ذات ابصار او
جاعلتهم ذوى ابصار فظلموا بها اى فكفروا بها او فظلموا انفسهم
بسبب عقرها وقيل جحدوا انها من عند الله فاستاصلهم الله
بالعذاب وما نرسل بالايات اى بالايات المقترحة الا تخويفا من
نزول العذاب المستاصل فان لم يخافوا نزل والمراد بغير المقترحة
كالمعجزات وايات القران الا تخويفا بعذاب الاخرة فان امر من

بُعثت اليهم موخرا الى يوم القيمة والبا مزيدة او في موضع الحال
والمفعول محذوف وقيل الايات تقلب الاحوال من صغر الى
شباب ثم الى مشيب لتعتبر بتقلب حوالك فتخاف عاقبة امرك
وهذا قول احمد بن حنبل وقيل الموت الذريع قاله الحسن واذ قلنا
لك اي واذكر اذ اوحينا اليك ان ربك احاط بالناس فهم في
قبضة قدرته لا يقدرون على الخروج من مشيته او احاط بقريش
بمعنى اهلكهم من احاط بهم العدو فهو بشارة بوقعة بدر والتعبير
بلفظ الماضي لتحقيق وقوعه وقيل احاط علمه بالناس والمعنى عصمته
صلى الله عليه وسلم من الناس حتى يبلغ رسالة ربه اي امض لما
امرت به من تبليغ الرسالة فقدرتنا محيطة بالكل وما جعلنا
الرويا التي اريناك ليلة المعراج عيانا الا فتنة للناس لاهل
مكة اذ كذبوا بها وارتد بعضهم لما اخبرهم به وتعلق به من قال
انه كان في المنام ومن قال انه كان في اليقظة فسر الرويا بالروية
او المراد الرويا عام الحديبية حين راى انه دخل مكة فَرُدَّ فافتتن
بعض السامعين لذلك فنزلت فلما كان العام المقبل دخلها
وانزل الله لقد صدق الله رسوله الرويا بالحق وفي هذا التاويل
ضعف لان السورة مكية وتلك الرويا كانت بالمدينة الا ان
يقال راها بمكة وحكاها حينئذ او رويا راها في وقعة بدر
لقوله تعالى اذ يريكهم الله في منامك قليلا ولما روي انه لما
ورد ماءه قال لكاني انظر الى مصارع القوم هذا مصرع فلان
هذا مصرع فلان فتسامعت به قريش واستسخروا منه وقيل
رأى

راى قوما من بني امية يرقون منبره وينزون عليه نزو القردة
فساءه ذلك فقيل هو حظهم من الدنيا يعطونه باسلامهم
وقرا الحسن بن علي في خطبته في شان بيعته لمعاوية وان ادري
لعله فتنة لكم ومتاع الى حين قال ابن عطية وفي هذا التاويل
نظر ولا يدخل في هذه الرويا عثمان ولا معاوية ولا عمر بن عبد العزيز
وعلى هذا كان المراد بقوله الا فتنة للناس ما حدث في ايامهم والشجرة
الملعونة في القران عطف على الرويا وهي شجرة الزقوم لما سمع
المشركون ذكرها قالوا ان محمدا يزعم ان الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول
ينبت فيها الشجر والنار تاكل الشجر وما نعرف الزقوم الا التمر
والزبد ثم امر ابو جهل جارية فاحضرت تمرا وزبدا وقال
لاصحابه تزقموا فافتتن ايضا بهذه المقالة بعض الضعفا ولم
يعلموا ان من قدر ان يحمي وبر السمندل من ان تاكله النار واحشا
النعامة من اذى الجمر وقطع الحديد المحماة الحمر التي تبتلعها قدر
ان يخلق في النار شجرة لا تحرقها فاخبر الله تعالى نبيه انما جعل
الاسرا وذكر شجرة الزقوم فتنة واختبارا ليكفر من سبق عليه الكفر
ويصدق من سبق له الايمان ولعنها في القران لفرط غمها او وصفت
به على المجاز للمبالغة او وصفها بانها في اصل الجحيم فانه ابعد
مكان من الرحمة او بانها مكروهة موذية من قول العرب طعام ملعون
لما كان ضارا وقيل المعنى والشجرة الملعونة اكلوها وعن ابن عباس
الشجرة الملعونة هي هذه الشجرة التي تلتوي على الشجر فتقتلها
يعني الكشوت وقد اولت بالشيطان وبابي جهل والحكم بن العاص

ونخوفهم بانواع التخويف **فما يزيدهم** التخويف **الا طغيانا كبيرا**
اى الا عتوا متجاوز الحد **واذ قلنا للملايكة اسجدوا لادم** سجود
تحية اى اذكر بتمادى هولآ المشركين وعتوهم على زنهم قصة ابليس
حين عصى ربه وابى السجود وقال ما قال **فسجدوا الا ابليس قال**
ااسجد لمن خلقت طينا اى لمن خلقته من طين او وهو طين وهو
استفهام انكار اى اسجد له واصله طين **قال ارايتك هذا الذى**
كرمت على الكاف لتاكيد الخطاب لا محل له من الاعراب وهذا
مفعول اول والذى صفته والمفعول الثانى محذوف لدلالة
صلته عليه والمعنى اخبرنى عن هذا الذى فضلته على بامرنى
بالسجود له لم كرمته على وقد خلقتنى من نار وخلقته من طين
راى جوهر النار خيرا من جوهر الطين ولم يعرف ان الجواهر
متماثلة والاكرام اسم جامع لكل ما يحمد **لين اخرتنى الى يوم القيمه**
كلام مبتدا واللام موطية للقسم وجوابه **لاحتنكن ذريته**
الا قليلا اى لاستاصلنهم بالاغوآ الا قليلا لا اقدر ان اقاوم
شكيمتهم من احتنك الجراد الارض اذا جرد ما عليها اكلا ماخوذ
من الحنك ابن عباس لاحتنكن لاستولين عليهم وقيل المعنى لاسوقنهم
حيث شيت واقودنهم حيث اردت وانما اعلم ان ذلك يتسهل
له اما استنباطا من قول الملايكة اتجعل فيها من يفسد فيها
او تفرسا من خلقه ذا وهم شهوة وغضب **قال** له تعالى **اذهب**
اى امض لما قصدته وهو طرد وتخلية بينه وبين ما سولت له نفسه
فمن تبعك منهم اى اطاعك من ذرية ادم **فان جهنم جزاوكم** اى
جزاوكم

جزآوك وجزاوهم فغلب المخاطب على الغايب ويجوز ان يكون
الخطاب للتابعين على الالتفات **جزاء موفورا** اى مكملا وانتصابه
على المصدر باضمار فعله او بما فى جزاوكم من معنى تجازون او
حال موطية لقوله موفورا **واستفزز** اى استخف **من استطعت**
منهم ان تستفزه **بصوتك** اى بدعايك الى الفساد ابن عباس
ومجاهد هو الغنا والمزامير واللهو وقيل بوسوستك **واجلب**
عليهم اى وصح عليهم من الجلبة وهى الصياح **بخيلك ورجلك** اى
باغوايك من راكب وراجل والخيل الخياله ومنه قوله عليه الصلاة
والسلام يا خيل الله اركبى والرجل اسم جمع للراجل كالصحب والركب
وقيل اصل الاجلاب لسوق واجلب على العدو اجلابا اى جمع
عليهم فالمعنى اجمع عليهم كل ما تقدر عليه من مكايدك وقال ابن عبا
وغيره ان له خيلا ورجلا من الجن والانس فما كان من راكب وماش
فى معصية الله فهو من خيل ابليس ورجله **وشاركهم فى الاموال** اى
بحملهم على كسبها من الحرام كالربا والغصب والتصرف فيها على ما لا ينبغى
وقال ابن عباس هو ما كانوا تحرمونه من البحاير والسوايب والوصيله
والحام وقال الضحاك هو ما كانوا يذبحونه لالهتهم **والاولاد** قيل
هم اولاد الزنا قاله مجاهد وغيره وقيل ما قتلوا من اولادهم
واتوا فيهم من الجرايم وقيل تسميتهم عبد الحارث وعبد العزى
ونحوه وقيل انه صبغتهم اولادهم فى الكفر حتى هودوهم ونصروهم
كصبغ النصارى اولادهم بالغسل فى مايهم وعن مجاهد اذا جامع
الرجل ولم يسم انطوى الجان على احليله فجامع معه **وعدهم** اى

منهم الاماني الكاذبة وانه لا قيامة ولا حساب وانه ان كان حساب
وجنة ونار فانتم اولى بالجنة من غيركم وقيل عدهم النصرة على
من ارادهم بسوء وقيل عدهم بشفاعة الالهة والاتكال على
كرامة الاباء وتاخير التوبة بطول الامل **وما يعدهم الشيطان**
الا غرورا اعتراض لبيان مواعيده والغرور تزيين الخطا بما يوهم
انه صواب وهذا امر تهديد للشيطان ووعيد له وقيل استخفاف
به وبمن اتبعه **ان عبادي** يعني المومنين وقيل المخلصين وتعظيم
الاضافة والتقييد في قوله الا عبادك منهم المخلصين تخصصهم
ليس لك عليهم سلطان اي على اغوايهم تسليط وقدرة **وكفى**
بربك وكيلا يتوكلون به في الاستعاذة منك **هو الذي يزجي**
اي هو الذي يجري **لكم الفلك في البحر** واصل الازجا السوق ومنه
البر تران الله يزجي سحابا وازجا الفلك سوقه بالريح اللينة والبحر
الما الكثير عذبا كان او مالحا **لتبتغوا من فضله** اي الربح في التجارة
وانواع الامتعة التي لا تكون عندكم **انه كان بكم رحيما** حيث هيا
لكم ما تحتاجون اليه وسهل عليكم ما تعسر من اسبابه **واذا مسكم**
الضر في البحر اي الشدة وخوف الغرق **ضل من تدعون** اي ذهب
عن خواطركم من تدعونه في حوادثكم **الا اياه** وحده فانكم حينيذ
لا يخطر ببالكم سواه ولا تدعون لكشفه الا اياه او ضل كل من تعبدونه
عن اغاثتكم الا الله وقيل معنى ضل تلف وفقد وهي عبارة تحقير
لمن يدعى الها من دون الله والمعنى في هذه الاية ان الكفار انما
يعتقدون في اصنامهم انها شافعة وان لها فضلا وكل واحد
منهم

منهم بالفطرة يعلم علما لا يقدر على مدافعته ان الاصنام
لا فعل لها في الشدايد فوقفهم الله من ذلك على حالة البحر حيث
تنقطع الحيل **فلما نجاكم** من الغرق واوصلكم **الى البر اعرضتم**
عن التوحيد وقيل اتسعتم في كفران النعم كقول ذي الرمة ●
عطاء فتى تمكن في المعالي ● فاعرض في المكارم واستطالا
وكان الانسان كفورا الانسان هنا الكافر وقيل وطبع الانسان
كفور للنعم الا من عصمه الله فالانسان للجنس **افامنتم ان نخسف**
بكم جانب البر اي يقلبه الله وانتم عليه او يقلبه بسببكم فبكم
حال او صلة نخسف والهمزة للانكار والفا للعطف على محذوف
تقديره انجوتم فامنتم فحملكم ذلك على الاعراض فان من قدر ان
يهلككم في البحر بالغرق قدر ان يهلككم في البر بالخسف وغيره وقرى
بالنون فيه وفي الاربعة بعده والخسف ان تنهار الارض بالشي
وجانب البر ناحية الارض وسماه جانبا لانه يصير بعد الخسف
جانبا قيل وفي ذكر الجانب تنبيه على انهم لما وصلوا الساحل
كفروا واعرضوا وان الجانب والجهات في قدرته سوا لا معقل يومن
فيه اسباب الهلاك **او نرسل عليكم حاصبا** اي ريحا تحصب
اي ترمي بالحصبا وهي الحصى الصغار وقال قتادة حجارة من السما
تحصبهم كما فعل بقوم لوط **ثم لا تجدوا لكم وكيلا** يحفظكم من ذلك
فانه لا راد لفعله **ام امنتم ان نعيدكم فيه** اي في البحر **تارة اخرى**
بخلق دواعي تلجيكم الى ان ترجعوا فتركبوه **فنرسل عليكم قاصفا**
من الريح لا تمر بشي الا قصفته والقصف الكسر **فنغرقكم بما كفرتم** اي

بسبب شراكركم او كفرانكم نعمة الانجا **ثم لا تجدوا لكم علينا به**
تبيعا اي من يطالبنا بدمايكم او مطالبا يتبعنا بانتصار او
صرف النحاس هو من الثار ولذلك يقال لكل من طلب بثار او
غيره تبيع **ولقد كرمنا بني ادم** اي جعلناهم كرما وشرفا وفضلا
وهذا كرم نفي النقصان لا كرم المال وهذه الكرامة يدخل فيها
حسن الصوره والمجاز الاعدل واعتدال القامه والتمييز بالعقل
والافهام بالنطق والاشارة والخط والتهدي الى اسباب المعايش
والمعاد والتسلط على ما في الارض والتمكن من الصناعات وانسياق
الاسباب والمسببات العلويه والسفليه الى ما يعود عليهم بالمنافع
وحملهم في البر والبحر وغير ذلك مما يقف الحصر دون احصايه
ومن ذلك ما ذكره ابن عباس وهو ان كل حيوان يتناول طعامه بفيه
الا الانسان فانه يرفعه اليه بيده وتخصيصه بما خصه به من المطاعم
والمشارب والملابس وهذا لا يتسع فيه حيوان اتساع بني ادم
لانهم يكسبون المال دون الحيوان ويلبسون الثياب وياكلون
المركبات من الاطعمة وغاية كل حيوان انما ياكل لحما نيا او طعاما
غير مركب وقال محمد بن كعب كرامتهم بان جعل محمدا صلى الله عليه
وسلم منهم والصحيح ان التفضيل بالعقل الذي هو عمدة التكليف
وبه يعرف الله ويفهم كلامه ويوصل الى نعيمه وتصديق رسله
الا انه لما لم ينهض بكل المراد من العبد بعث الله الرسل وانزل
الكتب فمثال الشرع الشمس ومثال العقل العين فاذا انفتحت
وكانت سليمة رات الشمس وادركت تفاصيل الاشيا وقد
جعل

جعل الله في بعض الحيوان خصالا لا يفضل بها ابن ادم كجري الفرس
وسمعه وابصاره وشجاعة الاسد وكرم الديك وانما التكريم
والتفضيل بالعقل **وحملناهم في البر والبحر** على الدواب
والسفن من حملته حملا اذا جعلت له ما يركبه او حملناهم فيهما
حتى لم تخسف بهم الارض ولم يغرقهم الما **ورزقناهم من الطيبات**
اي المستلذات مما يحصل بفعلهم وبغير فعلهم مثل السمن والعسل
والزبد والتمر والحلوى وجعل رزق غيرهم ما لا يخفى عليكم من
التبن والعظام وغيرهما **وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا**
بالغلبة والاستيلا والثواب والجزا او بالشرف والكرامة ولا
يلزم من عدم تفضيل الجنس عدم تفضيل بعض افراده **يوم ندعو**
نصب باضمار اذكر او ظرف لما دل عليه ولا يظلمون **كل اناس بامامهم**
اي بمن ائتموا به من نبي او مقدم في الدين ابن عباس بكتابهم اي بكتاب
كل انسان منهم الذي فيه عمله وقال ابن زيد بالكتاب المنزل عليهم
فيدعى اهل التوراة بالتوراة واهل القران بالقران وقال مجاهد
بنبيهم فيقال هاتوا متبعي ابرهيم هاتوا متبعي موسى هاتوا متبعي
الشيطان هاتوا متبعي الاصنام وقال علي بامام عصرهم وقال
الحسن وابو العاليه باعمالهم فيقال اين الراضون اين الصابرون
وقيل بمذاهبهم فيدعون بمن كانوا ياتمون به في الدنيا يا حنفي
يا شافعي يا معتزلي يا قدري **فمن اوتي** من المدعوين **كتابه بيمينه**
اي كتاب عمله وهذا يقوي قول من قال بامامهم بكتابهم وهم السعدا
اولوا البصاير في الدنيا **فاولئك يقرون كتابهم** ابتهاجا وتبجحا بما

يرون فيه **ولا يظلمون فتيلا** اى ولا ينقصون من اجورهم ادنى شى وجمع
اسم الاشارة والضمير لان من اوتى فى معنى الجمع وتعليق القراة
بايتا الكتاب باليمين يدل على ان من اوتى كتابه بشماله اذا اطلع
على ما فيه غشيهم من الخجل والحيرة ما يحبس السنتهم عن القراة ولذلك
لم يذكرهم مع ان قوله **ومن كان فى هذه اعمى فهو فى الاخرة اعمى** ايضا
مشعر بذلك فان المعنى لا يقرا الكتاب والمعنى ومن كان فى هذه
الدنيا اعمى القلب لا يبصر رشده كان فى الاخرة لا يرى طريق النجاة
وقيل المعنى من عمى عن النعم التى انعم الله بها عليه فى الدنيا فهو عن
نعم الاخرة اعمى وقيل من كان فى هذه الدنيا اعمى عن حجج الله يبعثه
الله يوم القيمة اعمى وقيل فى قوله فهو فى الاخرة اعمى فى جميع الاقوال
اشد عمى لانه من عمى القلب ولا يقال مثله فى عمى العين قال الخليل
وسيبويه لانه خلقه بمنزلة اليد والرجل فلا يقال ما اعماه كما
لا يقال ما ايداه واما ل ابو عمرو الاولى دون الثانيه لانه راى ان
الثانية تقتضى من فكان الالف وسط الكلمه مثل اعمالهم بخلاف
النعت فان الفه واقعة فى الطرف لفظا وحكما فكانت معرضه
للاماله من حيث انها تصير ياء فى التثنية **واضل سبيلا** اى ابعد
طريقا منه فى الدنيا لزوال الاستعداد وفقدان الالة والمهلة
وان كادوا ليفتنونك نزلت فى ثقيف قال ابن عباس ان وفد ثقيف
النبى صلى الله عليه وسلم وقالوا امتعنا باللهتنا سنة حتى ناخذ
ما يهدى لها فاذا اخذنا كسرناه واسلمنا وحرم وادينا كما حرمت
مكة حتى تعرف العرب فضلنا عليهم فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

ان

ان يعطيهم ذلك فنزلت وقيل نزلت فى قريش قال ابن جبير كان
النبى صلى الله عليه وسلم يستلم الحجر الاسود فى طوافه فمنعه قريش
وقالوا لا ندعك تستلم حتى تلم باللهتنا فحدث نفسه وقال ما على
ان المّ بها بعد ان يدعونى استلم الحجر والله يعلم انى لها كاره فابى الله
ذلك وان هى المخففه واللام هى الفارقه والمعنى ان الشان قاربوا
بمبالغتهم ان يوقعوك فى الفتنة او يزيلونك او يصرفونك **عن الذى
اوحينا اليك** من احكام القران لان فى اعطايهم ما سالوا مخالفة
لحكم القران **لتفترى علينا غيره** اى لتختلق علينا غير ما اوحينا
اليك **واذا لاتخذوك خليلا** اى ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك خليلا
اى والوك وصافوك ماخوذ من الخلة بالضم وهى الصداقه وقيل
خليلا فقيرا ماخوذ من الخلة بالفتح وهى الفقر لحاجتك اليهم
ولولا ان ثبتناك على الحق بالعصمة اى ولولا تثبيتنا اياك **لقد كدت
تركن اليهم شيا قليلا** اى لقاربت ان تميل الى اتباع مرادهم والمعنى
انك كنت على صدد الركون اليهم لقوة خدعهم وشدة احتيالهم
لكن ادركتك عصمتنا فمنعت ان تقرب من الركون فضلا من ان تركن
اليه وهو صريح فى انه عليه الصلاة والسلام ما هم باجابتهم مع قوة
الداعى اليها ودليل على ان العصمة بتوفيق الله وحفظه قال قتادة
لما نزلت هذه الاية قال عليه الصلاة والسلام لا تكلنى الى
نفسى طرفة عين وقال ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم معصوما ولكن هذا تعريف للامة لئلا يركن احد منهم الى
المشركين فى شى من احكام الله تعالى وشرايعه **اذا** لو ركنت **لاذقناك**

وملايكة النهار كما جا في الحديث ولهذا المعنى يبكر لهذه الصلاة
فمن لم يبكر لم يشهد صلاته الا لاحد الفئتين من الملايكة او شواهد
القدرة من تبدل الظلمة بالضيا والنوم الذي هو اخو الموت بالانتبا
او كثير من المصلين او من حقه ان يشهد الجم الغفير والاية
جامعة للصلوات الخمس ان فسر الدلوك بالزوال ولصلوات الليل
وحدها ان فسر بالغروب وقيل المراد بالصلاة صلاة المغرب
وقوله لدلوك الشمس الى غسق الليل بيان لمبدا الوقت ومنتهاه
واستدل به على ان الوقت يمتد الى غروب الشفق **ومن الليل**
فتهجد به من للتبعيض والفا في فتهجد ناسقه على مضمر اي قم فتهجد
والتهجد من الهجود وهو من الاضداد يقال هجد سهر وهجد نام ومعنى
الايه وبعض الليل فاترك الهجود للصلاة والضمير للقران **نافلة**
لك اي فريضة زايده لك على الصلوات المفروضة على الامة
او فضيلة لك لاختصاص وجوبه بك القرطبي وفيه بعد لوجهين
احدهما تسمية الفرض بالنفل وذلك مجاز لا حقيقة الثاني قوله
عليه الصلاة والسلام خمس صلوات فرضهن الله تعالى على العباد
وهذا نص فكيف يقال افترض عليه صلاة زايدة وقيل كانت
صلاة الليل تطوعا منه وكانت في الابتدا واجبة على الكل
ثم نسخ الوجوب وعلى هذا يكون الامر بالتنفل على جهة الندب
ويكون الخطاب له صلى الله عليه وسلم لانه مغفور له فهو
اذا تطوع كان زيادة في الدرجات وغيره من الامة تطوعهم
كفارات وتدارك للخلل يقع في الارض ولهذا قال الحسن ليس لاحد نافلة

الا النبي صلى الله عليه وسلم وعن المغيرة بن شعبه قال قام
النبي صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه فقيل له اتتكلف
هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال افلا اكون
عبدا شكورا وقيل معنى نافلة عطيه لان العبد لا ينال من
السعادة عطا افضل من التوفيق في العباده **عسى ان يبعثك**
ربك مقاما محمودا اي مقاما يحمده القايم فيه وكل من عرفه
وهو مطلق في كل مقام يتضمن كرامة والمشهور انه مقام
الشفاعه للناس يوم القيمه وقيل هو اعطاوه لوا الحمد يوم
القيمه القرطبي ولا تنافي بين هذا والقول الاول فانه يكون بيده
لوا الحمد ويشفع وانما كان قيام الليل سببا للمقام المحمود لان
فيه الخلوة بالباري تعالى والمناجاه دون الناس فاعطي الخلوة
به ومناجاته في القيمة وتتفاضل فيه الخلق بحسب درجاتهم
فاجلهم فيه محمد صلى الله عليه وسلم وعسى من الله واجبه
وانتصاب مقاما على الظرف اي في مقام او المصدر باضمار
فعله اي فيقيمك مقاما او بتضمين يبعثك معناه او الحال
بمعنى ان يبعثك ذا مقام **وقل رب ادخلني** اي في القبر **مدخل**
صدق اي ادخالا مرضيا **واخرجني** منه عند البعث **مخرج صدق**
اي اخراجا ملقى بالكرامه وقيل المراد ادخال المدينة والاخراج
من مكة وقيل ادخاله مكة ظاهرا عليها واخراجه منها امنا
من المشركين وقيل ادخاله الغار واخراجه منه مودياحقه
واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا اي حجة تنصرني على من

خالفني او ملكا ينصر الاسلام على الكفر فاستجاب له بقوله
فان حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم
في الارض وقل جاء الحق اي الاسلام وزهق الباطل اي وذهب
وهلك الشرك من زهق روحه اذا خرج ان الباطل كان زهوقا
اي مضمحلا غير ثابت وروى البخاري وغيره عن ابن مسعود قال
دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة عام الفتح وحول الكعبة
ثلثمائة وستون نصبا فجعل يطعنها بمخصرة في يده وربما قال
بعود ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا
ويقال انها كانت مثبتة بالرصاص وانه كلما طعن منها صنما
في وجهه خر لقفاه او في قفاه خر لوجهه ثم امر بها فكسرت
وفي رواية فجعل ينكث في عين واحد واحد منها فينكب لوجهه
حتى القى جميعها وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من صفر فقال
يا علي ارم به فصعد فرمى به فكسره وننزل من القران ما هو شفاء
اي ما هو في تقويم دينهم واستصلاح نفوسهم كالدواء الشافي
للمرضى ومن للبيان فانه كله كذلك وقيل للتبعيض والمعنى ان منه
ما يشفي من المرض كالفاتحة وايات الشفاء فشفاء القران على قولين
احدهما انه شفاء للقلوب بزوال الجهل عنها وازالة الريب
وكشف مرض القلب من الجهل لفهم المعجزات والامور الدالة على الله
تعالى الثاني شفاء من الامراض الظاهرة بالرقى والتعوذ وفي
الخبر من لم يستشف بالقران فلا شفاه الله ورحمة للمؤمنين بتفريج
الكروب وتطهير العيوب وتكفير الذنوب مع ما تفضل الله
به

به من الثواب في تلاوته ولا يزيد الظالمين الا خسارا لتكذيبهم
وكفرهم به وقال قتادة ما جالس احد القران الا قام عنه بزيادة
او نقصان ثم قرا وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين
الاية واذا انعمنا على الانسان الكافر بالصحة والسعة اعرض
عن ذكر الله والشكر ونأى بجانبه اي لوى عطفه وبعد بنفسه عنه
كانه مستغن مستبد بامره ويجوز ان يكون كناية عن الاستكبار
لانه من عادة المستكبرين وقرئ ناء بهمزة بعد الالف وفيه وجهان
احدهما انه مقلوب نأى والثاني انه بمعنى نهض اي ارتفع عن قبول
الطاعة او نهض في المعصية والكبر واذا مسه الشر من مرض او فقر
كان يؤوسا اي شديد الياس من روح الله لانه لا يثق بفضل الله
قل كل يعمل على شاكلته اي قل كل احد منا ومنكم يعمل على طريقته
التي تشاكل حاله من الهدى والضلال او جوهر روحه واحواله
التابعة لمزاج بدنه واخلاقه التي الفها ابن عباس على ناحيته
ابن زيد على دينه مجاهد والضحاك على طبيعته الحسن وقتادة
على نيته وقيل كل يعمل على ما هو اشكل عنده واولى بالصواب
في اعتقاده وهذا ذم للكافر ومدح للمؤمن وقيل ان الاية
نزلت في الوليد بن المغيرة فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا اي
اسد طريقا وابين منهجا وقيل اسرع قبولا وقيل احسن دينا
فيثيبه ويسالونك عن الروح الذي يحيى به بدن الانسان ويدبره
قل الروح من امر ربي اي من الابداعيات الكائنة بكن من مادة وتولد
من اعضاء جسده او وجد بامره وحدث بتكوينه على ان السؤال

عن قدمه وحدوثه وقيل هو مما استاثر الله بعلمه لما روي ان
اليهود قالوا لقريش سلوه عن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن
الروح فان اجاب عنها او سكت فليس بنبي وان اجاب عن بعض
وسكت عن بعض فهو نبي فبين القصتين وابهم امر الروح وهو
مبهم في التوراة وقيل الروح جبريل وقيل خلق من اعظم الملايكة
وقيل القران وقيل عيسى وذهب الى الاول الاكثر قال اهل النظر
انما سالوه عن كيفية الروح ومسلكه في بدن الانسان وكيف
امتزاجه بالجسم واتصال الحياة به وهذا شي لا يعلمه الا الله ه
والصحيح الابهام لقوله قل الروح من امر ربي اي هو امر عظيم وشان
كبير من امر الله تعالى مبهما له وتاركا تفصيله وحكمة ذلك تعجيز
العقل عن ادراك معرفة مخلوق مجاور له دلالة على انه عن ادراك
خالقه اعجز ليعرف الانسان على القطع عجزه عن علم حقيقة نفسه
مع العلم بوجودها ولم يتكلم عليها رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقد سيل عنها لعدم نزول الامر ببيانها فينبغي الامساك
عنها ولا يعبر عنها باكثر من موجود كما قال الجنيد وغيره والخايضون
فيها اختلفوا فقال جمهور المتكلمين ونقله النووي في شرح مسلم
عن تصحيح المتكلمين انها جسم لطيف مشتبك بالبدن اشتباك
الما بالعود الاخضر وقال كثير منهم انها عرض وهي الحياة التي صار
البدن بوجودها حيا وقال الفلاسفة وكثير من الصوفية
انها ليست بجسم ولا عرض بل جوهر مجرد قايم بنفسه غير
متحيز متعلق بالبدن للتدبير والتحريك غير داخل فيه ولا خارج

عن

عنه وقال صاحب الافصاح انما سال اليهود النبي صلى الله عليه وسلم
تعجيزا وتغليطا اذ كان الروح يقال بالاشتراك على روح الانسان
وعيسى والقران وجبريل وغير ذلك فقصد اليهود ان يسالوه
فباي مسمى اجابهم قالوا ليس هو فجاءهم الجواب مجملا وكان
هذا الاجمال كيدا يرد كيدهم **وما اوتيتم من العلم الا قليلا**
تستفيدونه بتوسط حواسكم فان اكتساب العقل للمعارف
النظرية انما هو من الضروريات المستفادة من احساس الجزئيات
ولذلك قيل من فقد حسا فقد علما ولعل اكثر الاشيا لا يدركه
الحس ولا شيا من احوال المعرفة لذاته وهو اشارة الى ان الروح
مما لا يمكن معرفة ذاته الا بعوارض تميزه عما يلتبس به فلذلك
اقتصر على هذا الجواب كما اقتصر موسى عليه السلام في جواب
وما رب العالمين بذكر بعض صفاته وروي انه عليه الصلاة
والسلام لما قال لهم ذلك قالوا نحن مختصون بهذا الخطاب
فقال بل نحن وانتم فقالوا ما اعجب شانك ساعة تقول ومن يوت
الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزل ولو ان ما في
الارض من شجرة اقلام الايه وما قالوه لسوء فهمهم لان الحكمة
الانسانية ان يعلم من الحق والخير ما تسعه القوة البشرية
على ما ينتظم به معاشه ومعاده وهو بالاضافة الى معلومات
الله تعالى التي لا نهاية لها قليل ينال به خير الدارين وهو بالاضافة
اليه كثير **ولين شينا لنذهبن بالذي اوحينا اليك** اللام الاولى
موطية للقسم ولنذهبن جوابه النايب مناب جزا الشرط

والمعنى ان شينا ذهبنا بالقران ومحوناه من المصاحف والصدور
فكما قدرنا على انزاله نقدر على اذهابه حتى ينساه الخلق ثم لا تجد
لك به علينا وكيلا اى من يتوكل علينا استرداده مسطورا محفوظا
وقيل ناصرا برده عليه الا رحمة من ربك فانها ان نالتك فلعلها
سترده عليك ويجوز ان يكون استثنا منقطعا معنى ولكن رحمة
من ربك تركته غير مذهوب به فيكون امتنانا بابقايه بعد المنة
فى تنزيله ان فضله كان عليك كبيرا كارساله وانزال الكتاب عليه
وابقايه فى حفظه وقيل اذ جعلك سيد ولد ادم واعطاك المقام
المحمود وغير ذلك قل لين اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا
القران فى البلاغة وحسن النظم وكمال المعنى لا ياتون بمثله وفيهم
العرب العربا وارباب البيان واهل التحقيق ولا ياتون ليس بجواب الشرط
بل هو جواب قسم محذوف دل عليه اللام الموطيه وقيل هو جواب
الشرط ولم يجزم لان فعل الشرط ماض كقول زهير
وان اتاه خليل يوم مسغبه يقول لا غايب مالى ولا حرم
ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا اى ولو تظاهروا واعانوا على الاتيان به
ونزلت ردا لقولهم لو نشا لقلنا مثل هذا ولعله لم يذكر الملايكه
لان اتيانهم بمثله لا يخرجه عن كونه معجزة ولانهم كانوا وسايط فى
اتيانه ويجوز ان تكون الاية تقريرا لقوله ثم لا تجد لك به علينا
وكيلا ولقد صرفنا اى كررنا بوجوه مختلفة زيادة فى التقرير والبيان
للناس فى هذا القران من كل مثل اى من كل معنى هو كالمثل فى غرابته
ووقوعه موقعا فى الانفس يجب به الاعتبار من الايات والعبر

والترغيب والترهيب واقاصيص الاولين والجنة والنار والقيمة
واحوالها ليتعظوا فابى اكثر الناس الا كفورا اى الا جحودا وانما جاز
ذلك ولم يجز ضربت الا زيدا لانه متاول بالنفى وقالوا لن نؤمن لك
حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا تعنتا واقتراحا بعدما الزمهم الحجة
ببيان اعجاز القران وانضمام غيره من المعجزات اليه وقرى تفجر
بالتخفيف والارض ارض مكة والينبوع عين لا ينضب ماوها يفعول
من نبع الما كيعبوب من عب الما اذا زخر او تكون لك جنة من نخيل
وعنب فتفجر الانهار خلالها وسطها تفجيرا اى او يكون لك بستان
يشتمل على ذلك او تسقط السما كما زعمت علينا كسفا يعنون قوله
تعالى او نسقط عليهم كسفا من السما وهو كقطع لفظا ومعنى الجوهرى
والكسفة القطعة من الشى وقرى بتسكينه وهو اما مخفف من المفتوح
او فعل بمعنى مفعول كالطحن او تاتى بالله والملايكة قبيلا كفيلا بما
تدعيه اى شاهدا على صحته ضامنا لدركه او مقابلا كالعشير بمعنى
المعاشر وهو حال من الله وحال الملايكة محذوف لدلالتها عليه
كما حذف الخبر فى قوله فانى وقيار بها لغريب او قبيلا جماعة
فيكون حالا من الملايكة وقال قتادة قبيلا معاينة مجاهد هو جمع
القبيله اى باصناف الملايكة قبيله قبيله او يكون لك بيت من زخرف
اى من ذهب واصله الزينة والمزخرف المزين اى نحن لا نتقاد لك مع
هذا الفقر الذى نرى او ترقى فى السما اى تصعد فى معارجها ولن نؤمن
لرقيك وحده لو رقيت فيها حتى تنزل علينا كتابا منها نقروه وكان
فيه تصديقك اى كتابا من الله الى كل رجل منا كما قال بل يريد

كل امرء منهم ان يوتى صحفا منشرة قل لهم سبحان ربى تعجبا من اقتراحاتهم
او تنزيها لله من ان ياتى او يتحكم عليه او يشاركه احد فى القدرة
وقرئ قال سبحان ربى اى قال الرسول هل ما كنت الا بشرا كساير الناس
رسولا كساير الرسل وكانوا لا ياتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم
على ما يلايم حال قومهم ولم يكن امر الايات اليهم ولا لهم ان يتحكموا على
الله حتى يتخيروها والاية نزلت فى روسا قريش مثل عتبة وشيبة
ابنى ربيعه وابى سفيان والنضر بن الحارث وابى جهل وعبد الله بن
امية وامية بن خلف وابى البخترى والوليد بن المغيرة وغيرهم وذلك
انهم لما عجزوا عن معارضة القران ولم يرضوا به معجزة اجتمعوا
فيما ذكر ابن اسحق وغيره بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة وقال
بعضهم لبعض ابعثوا الى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه
فبعثوا اليه ان اشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك فاتاهم فجاهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يظن انه قد بدا لهم فيما كلمهم فيه
وكان صلى الله عليه وسلم حريصا يحب رشدهم فجلسوا اليه
فقالوا يا محمد ما نعلم والله رجلا من العرب دخل على قومه ما ادخلت
لقد شتمت الاباء وعبت الدين وسفهت الاحلام وفرقت الجماعه
فان كنت انما جيت بهذا الحديث تطلب مالا جمعنا لك من
اموالنا حتى تكون اكثرنا مالا وان كنت انما تطلب به الشرف فينا
فنحن نسودك علينا وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا وان كان
هذا الذى ياتيك رئيا تراه قد غلبك وكانوا يسمون التابع من
الجن رئيا بذلنا اموالنا فى طلب الطب لك حتى نبريك منه

فقال صلى الله عليه وسلم ما بى ما تقولون ولكن الله بعثنى اليكم
رسولا وانزل على كتابا وامرنى ان اكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم
رسالات ربى ونصحت لكم فان تقبلوا منى ما جيتكم به فهو حظكم
فى الدنيا والاخرة وان تردوه على اصبر حتى يحكم الله بينى وبينكم او
كما قال عليه الصلاة والسلام قالوا يا محمد فان كنت غير قابل منا
شيا عرضناه عليك فانك قد علمت انه ليس من الناس احد اضيق
بلدا ولا اقل مالا ولا اشد عيشا منا فسل لنا ربك فليسير عنا
هذه الجبال وليبسط لنا بلادنا وليخرق لنا فيها انهارا كانهار الشام
وليبعث لنا من مضى من ابائنا وليكن فيمن يبعث لنا منهم قصى بن كلاب
فانه كان شيخ صدق فنسالهم عما تقول احق هو ام باطل فان صدقوك
وصنعت ما سالناك صدقناك فقال لهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما بهذا بعثت قالوا فان لم تفعل هذا لنا فسل ربك
له ان يبعث معك ملكا يصدقك بما تقول ويراجعنا عنك واساله
فليجعل لنا جنات وقصورا وكنوزا من ذهب وفضه يغنيك به
عما نراك تبتغى فانك تقوم بالاسواق وتلتمس المعاش كما نلتمسه
حتى نعرف فضلك فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انا
بفاعل وما انا بالذى يسال ربه هذا وما بعثت بهذا اليكم قالوا
فاسقط السما علينا كسفا كما زعمت ان ربك ان شا فعل فانا لن
نومن لك الا ان تفعل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك
الى الله عز وجل ان شا ان يفعل بكم فعل قالوا يا محمد افما علم ربك
انا سنجلس معك ونسالك عما سالناك عنه ونطلب منك

مانطلب فيتقدم اليك فيحملك ما نراجعنا به وتخبرك ما هو
صانع في ذلك بنا اذا لم نقبل منك ما جيتنا به انه قد بلغنا انك انما
يعلمك هذا رجل من اليمامة يقال له الرحمن وانا والله لا نومن بالرحمن
ابدا فقد اعذرنا اليك وانا لا نترك وما بلغت منا حتى نهلكك
او تهلكنا وقال قايلهم نحن نعبد الملايكه وهي بنات الله ولن نومن
لك حتى تاتي بالله والملايكة قبيلا فلما قالوا ذلك قام رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقام معه عبد الله بن امية بن المغيرة بن عمته
فقال له يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبل منهم ثم
سالوك لانفسهم امورا ليعرفوا بها منزلتك من الله كما تقول ويصدقو
ويتبعوك فلم تفعل ثم سالوك ان تاخذ لنفسك ما يعرفون به فضلك
عليهم ومنزلتك من الله فلم تفعل ثم سالوك ان تعجل لهم بعض ما تخوفهم
به من العذاب فلم تفعل فوالله لا اومن بك ابدا حتى تتخذ الى السما سلما
ثم ترقى فيه وانا انظر حتى تاتيها ثم تاتي بصك معه اربعة من الملايكة
يشهدون لك انك كما تقول وايم الله لو فعلت ذلك ما ظننت اني
اصدقك ثم انصرف وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حزينا
لما فاته مما كان يطمع به قومه فانزل الله الايات وما منع الناس
ان يومنوا اذ جاهم الهدى اي وما منعهم الايمان بعد نزول الوحي
وظهور الحق الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا اي الا قولهم هذا
والمعنى انه لم يبق لهم شبهة تمنعهم عن الايمان بمحمد والقران الا انكارهم
ان يرسل الله بشرا واستشكلت هذه الاية مع قوله تعالى في سورة
الكهف وما منع الناس ان يومنوا اذ جاهم الهدى ويستغفروا ربهم

الا ان تاتيهم سنة الاولين او ياتيهم العذاب قبلا فانه يدل على
حصر المانع في احد هذين الشيئين وفي اية هذه السوره حصر اخر في غيرهما
اجاب ابن عبد السلام بان معنى الايه وما منع الناس ان يومنوا الا
ارادة ان تاتيهم سنة الاولين من الخسف وغيره او ياتيهم العذاب قبلا
في الاخره فانه اراد ان يصيبهم احد الامرين ولا شك ان ارادة الله مانعة
من وقوع ما ينافي المراد فهذا حصر في السبب الحقيقي لان الله هو المانع
في الحقيقة ومعنى الاية الاخرى وما منع الناس ان يومنوا الا استغراب
بعثه بشرا رسولا لان قولهم ليس مانعا من الايمان لانه لا يصلح لذلك وهو
يدل على الاستغراب بالالتزام وهو المناسب للمانعيه واستغرابهم ليس
مانعا حقيقيا بل عاديا لجواز وجود الايمان معه بخلاف ارادة الله فهذا
حصر من المانع العادي والاول حصر في المانع الحقيقي فلا تنافي انتهى قل
لهم جوابا لشبهتهم لو كان في الارض بدل البشر ملايكة يمشون كما
يمشي بنو ادم مطمينين ساكنين فيها لنزلنا عليهم من السما ملكا رسولا
اذ لا يرسل الى قوم رسول الا من جنسهم لتمكنهم من الاجتماع به والتلقي منه
والفهم عنه واما الانس فعامتهم عماة عن ادراك الملك والتلقف منه
فان ذلك مشروط بنوع من التناسب والتجانس وملكا يحتمل ان يكون حالا
من رسول وان يكون موصوفا به وكذلك بشرا فاعلم الله تعالى ان الملك
انما يرسل الى الملايكه لانه لو ارسل ملكا الى الادميين لم يقدروا ان يروه
على الهيئة التي خلق عليها وانما اقدر الانبيا على ذلك وخلق فيهم ما يقدرو
به ليكون ذلك اية لهم ومعجزة قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم على اني رسول
اليكم باظهار المعجزة على وفق دعواي وعلى اني بلغت ما ارسلت به اليكم

وانكم عاند ثم وبروى ان كفار قريش قالوا حين سمعوا قوله هل كنت الا
بشرا فمن يشهد لك انك رسول فنزلت والاسم الكريم فاعل وشهيدا
نصب على الحال او التمييز والبا زايدة دخلت لتوكيد الاتصال
لان الاسم في قوله كفى بالله يتصل بالفعل اتصال الفاعل قال ابن الشجري
وفعل ذلك ايذانا بان الكفاية من الله ليست كالكفاية من غيره
في عظم المنزلة فضوعف لفظها لتضاعف معناها وقال الزجاج
دخلت البا لتضمن كفى معنى اكتفا انه كان بعباده خبيرا بصيرا
يعلم احوالهم الباطنة منها والظاهرة فيجازيهم عليه وفيه تسلية
للنبي صلى الله عليه وسلم وتهديد للكفار ومن يهد الله فهو
المهتدي اي لو هداهم الله لاهتدوا ومن يضلل الله فلن تجد لهم
اوليا يهدونه من دونه ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم
يسحبون عليها كما يفعل في الدنيا بمن يبالغ في هوانه وتعذيبه او
يمشون بها روي انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف
يمشون على وجوههم قال ان الذي امشاهم على اقدامهم قادر ان
يمشيهم على وجوههم ويحتمل ان يكون ذلك عبارة على الاسراع بهم
الى جهنم من قول العرب قدم القوم على وجوههم اذا اسرعوا عميا
وبكما وصما لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم
ولا ينطقون بما يقبل منهم لانهم في دنياهم لم يتبصروا بالايات
والعبر وتصاموا عن سماع الحق وابوا ان ينطقوا بالصدق وعلى هذا
القول حواسهم باقية على ما كانوا عليه ويجوز ان نحشروا بعد
الحساب في الموقف على الصفة المذكورة ليكون ذلك زيادة في
عذابهم

نخ يستبصروا

عذابهم ثم يخلق لهم ذلك في النار فابصروا وتكلموا وسمعوا لقوله
تعالى وراى المجرمون النار وقوله دعوا هنالك ثبورا وقوله
سمعوا لها شهيقا وقال مقاتل اذا قيل لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون
صاروا عميا لا يبصرون وصما لا يسمعون بكما لا ينطقون ماواهم جهنم
اي مستقرهم ومقامهم كلما خبت طفيت عن مجاهد وقيل سكنت
بان اكلت جلودهم ولحومهم زدناهم اي نارا تتلهب بان تبدل جلودهم
ولحومهم فتعود ملتهبة مستعرة بهم كانهم لما كذبوا بالاعادة بعد
الافنا جزاهم الله بان لا يزالوا على الاعادة والافنا واليه الاشارة
بقوله ذلك اي ذلك العذاب جزاوهم بانهم كفروا باياتنا وقالوا
منكرين للبعث ايذا كنا عظاما ورفاتا اينا لمبعوثون خلقا جديدا
لان الاشارة الى ما تقدم من عذابهم اولم يروا اي اولم يعلموا ان الله الذي
خلق السموات والارض مع عظمها قادر على ان يخلق مثلهم اي الاناسي
في الصغر فانهم ليسوا اشد خلقا منهن ولا الاعادة اصعب عليه من
الابتدا وجعل لهم اجلا لا ريب فيه هو الموت والقيمة قيل وفي الكلام
تقديم وتاخير اي ولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض وجعل
لهم اجلا لا ريب فيه قادر على ان يخلق مثلهم وقيل هو جواب قولهم
او تسقط السما كما زعمت علينا كسفا فابى الظالمون اي المشركون
مع وضوح الحق الا كفورا الا جحودا بذلك الاجل وبايات الله قل لو انتم
تملكون خزاين رحمة ربي اي خزاين رزقه وساير نعمه وانتم مرفوع
بفعل يفسره ما بعده لان لو تقتضي الفعل كما تقتضيه ان الشرطيه
وفايدة هذا الحذف والتفسير المبالغة مع الايجاز والدلالة على

وانكم عاندتم ويروى ان كفار قريش قالوا حين سمعوا قوله هل كنت الا
بشرا فمن يشهد لك انك رسول فنزلت والاسم الكريم فاعل وشهيدا
نصب على الحال او التمييز والبا زايدة دخلت لتوكيد الاتصال
لان الاسم في قوله كفى بالله يتصل بالفعل اتصال الفاعل قال ابن الشجرى
وفعل ذلك ايذانا بان الكفاية من الله ليست كالكفاية من غيره
في عظم المنزلة فضوعف لفظها لتضاعف معناها وقال الزجاج
دخلت البا لتضمن كفى معنى اكتف انه كان بعباده خبيرا بصيرا
يعلم احوالهم الباطنة منها والظاهرة فيجازيهم عليه وفيه تسلية
للنبي صلى الله عليه وسلم وتهديد للكفار ومن يهد الله فهو
المهتدى اى لو هداهم الله لاهتدوا ومن يضلل الله فلن تجد لهم
اوليا يهدونه من دونه ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم
يسحبون عليها كما يفعل في الدنيا بمن يبالغ في هوانه وتعذيبه او
يمشون بها روى انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف
يمشون على وجوههم قال ان الذى امشاهم على اقدامهم قادر ان
يمشيهم على وجوههم ويحتمل ان يكون ذلك عبارة عن الاسراع بهم
الى جهنم من قول العرب قدم القوم على وجوههم اذا اسرعوا عميا
وبكما وصما لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم
ولا ينطقون بما يقبل منهم لانهم في دنياهم لم يتبصروا بالايات
والعبر وتصامموا عن سماع الحق وابوا ان ينطقوا بالصدق وعلى هذا
القول حواسهم باقية على ما كانوا عليه ويجوز ان يحشروا بعد
الحساب في الموقف على الصفة المذكورة ليكون ذلك زيادة في
عذابهم

نسخ: يستبصروا

عذابهم ثم يخلق لهم ذلك في النار فابصروا وتكلموا وسمعوا لقوله
تعالى وراى المجرمون النار وقوله دعوا هنالك ثبورا وقوله
سمعوا لها شهيقا وقال مقاتل اذا قيل لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون
صاروا عميا لا يبصرون صما لا يسمعون بكما لا ينطقون ماواهم جهنم
اى مستقرهم ومقامهم كلما خبت اى طفيت عن مجاهد وقيل سكنت
بان اكلت جلودهم ولحومهم زدناهم اى نارا تتلهب بان تبدل جلودهم
ولحومهم فتعود ملتهبة مستعرة بهم كانهم لما كذبوا بالاعادة بعد
الافنا جزاهم الله بان لا يزالوا على الاعادة والافنا واليه الاشارة
بقوله ذلك اى ذلك العذاب جزاوهم بانهم كفروا باياتنا وقالوا
منكرين للبعث ايذا كنا عظاما ورفاتا اينا لمبعوثون خلقا جديدا
لان الاشارة الى ما تقدم من عذابهم اولم يروا اى اولم يعلموا ان الله الذى
خلق السموات والارض مع عظمها قادر على ان يخلق مثلهم اى الاناسى
في الصغر فانهم ليسوا اشد خلقا منهن ولا الاعادة اصعب عليه من
الابتدا وجعل لهم اجلا لا ريب فيه هو الموت او القيمة قيل وفي الكلام
تقديم وتاخير اى ولم يروا ان الله الذى خلق السموات والارض وجعل
لهم اجلا لا ريب فيه قادر على ان يخلق مثلهم وقيل هو جواب قولهم
او تسقط السما كما زعمت علينا كسفا فابى الظالمون اى المشركون
مع وضوح الحق الا كفورا الا جحودا بذلك الاجل وبايات الله قل لو انتم
تملكون خزاين رحمة ربى اى خزاين رزقه وساير نعمه وانتم مرفوع
بفعل يفسره ما بعده لان لو تقتضى الفعل كما تقتضيه ان الشرطية
وفايدة هذا الحذف والتفسير المبالغة مع الايجاز والدلالة على

الاختصاص اذا لامسكتم خشية الانفاق اى لبخلتم مخافة النفاد
بالانفاق وهو جواب قولهم لن نومن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا
حتى نتوسع في المعيشة اى لو توسعتم لبخلتم ايضا وقيل المعنى لو ملك
احد المخلوقين خزاين الله لما جاد بها لامرين احدهما انه لابد ان
يمسك منها لنفقته وما يعود بمنفعته والثاني انه يخاف الفقر
ويخشى العدم والله تعالى في وجوده عن هذين الحالتين وكان الانسان
قتورا اى بخيلا لان بنا امره على الحاجة والضنة بما يحتاج اليه
وملاحظة العوض فيما يبذل ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات
هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم وانفجار الما من الحجر
وانفلاق البحر ونتق الطور على بني اسرايل وقيل الطوفان والسنون
ونقص الثمرات مكان الثلاثة الاخيرة وعن صفوان ان يهوديا سال
النبي صلى الله عليه وسلم عنها فقال ان لا تشركوا بالله شيا ولا
تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسحروا
ولا تاكلوا الربا ولا تمشوا ببرى الى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا
المحصنة ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة ايها اليهود ان لا تعدوا
في السبت فقبل اليهودي يده ورجله فعلى هذا المراد بالايات
الاحكام العامة في كل الشرايع سميت بذلك لانها تدل على حال من
يتعاطى متعلقها في الاخرة من السعادة والشقاوة فاسال بني اسرايل
اذ جاهم بهذه الايات وهذا سوال استفهام ليعرف اليهود صحة
ما يقول محمد او فاسال يا محمد بني اسرايل عما جرى بين موسى وفرعون اذ
جاهم ليظهر للمشركين صدقك او لتتسلى نفسك او لتعلم انه تعالى

لو اتى بما اقترحوا لاصروا على العناد والمكابرة كمن قبلهم ليزداد يقينك
لان تظاهر الادلة يوجب قوة اليقين وطمانينة القلب وعلى هذا
كان اذ نصبا باتينا او باضمار تخبروك على جواب الامر او باضمار
اذكر على الاستيناف فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا
سحرت فتخبط عقلك او مخدوعا وقيل ساحرا لغرايب افعالك
فوضع المفعول موضع الفاعل كما تقول هذا مشوم وميمون قال لقد
علمت يا فرعون وقرى بالضم على اخباره عن نفسه ما انزل هولا يعني
الايات وانزل بمعنى اوجد الا رب السموات والارض بصاير بينات
يبصرو تصدقى ولكنك تعاند وانتصابه على الحال قيل وانما اضاف
موسى الى فرعون العلم بهذه المعجزات لان فرعون قد علم مقدار
ما يتهيا للسحرة فعله وان مثل ما فعل موسى لا يتهيا لساحر وانه
لا يقدر على ما فعله الا من يفعل الاجسام ويملك السموات والارض
واني لاظنك يا فرعون مثبورا اى مصروفا عن الخير ومطبوعا على الشر
من قولهم ما ثبرك عن كذا اى ما صرفك او هالكا وخاسرا وقيل
ملعونا وقارع ظنه بظنه وشتان ما بين الظنين فان ظن فرعون
كذب وظن موسى عليه السلام يحوم حول اليقين فاراد فرعون ان يستفزهم
اى يستخف موسى وقومه او ينفيهم من الارض اى ارض مصر او الارض
مطلقا بالقتل والاستيصال فاغرقناه ومن معه جميعا اى فعكسنا
عليه مكره فاستفززناه وقومه بالاغراق وقلنا من بعده اى من بعد
فرعون واغراقه لبني اسرايل اسكنوا الارض التي اراد ان يستفزكم منها
وقيل ارض الشام فاذا جا وعد الاخرة اى الكرة او الحياة او الساعة

او الدار الاخره يعني القيمه جينا بكم لفيفا اي جينا بكم من قبوركم
مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم بينكم ونميز سعدايكم من اشقيايكم
واللفيف الجماعة من قبايل شتى وبالحق انزلناه وبالحق نزل اي وما انزلنا
القران الا ملتبسا بالحق الذي اشتمل عليه وقيل وما انزلناه من السما
الا محفوظا بالرصد من الملايكة وما نزل على الرسول الا محفوظا بهم من
تخليط الشياطين ولعله اراد به نفي اعترا البطلان له اول الامر
واخره وقيل الباء في وبالحق الاول بمعنى مع اي مع الحق وبالحق نزل اي
بمحمد كما تقول نزلت بزيد وما ارسلناك يا محمد الا مبشرا ونذيرا للمطيع
بالثواب وللعاصي من العقاب فلا عليك الا التبشير والانذار وقرانا
منصوب بفعل يفسره فرقناه اي نزلناه مفرقا منجما في عشرين سنه
او ثلاث وقيل فرقنا فيه الحق من الباطل فحذف الجار كما في قوله
ويوم شهدناه لتقراه على الناس على مكث على مهل وتوءدة فانه
ايسر للحفظ واعون في الفهم ونزلناه تنزيلا شيا بعد شي على حسب الحوادث
قل لكفار مكة تهديدا لهم امنوا به او لا تومنوا فان ايمانكم بالقران لا يزيده
كمالا وامتناعكم عنه لا يورثكم نقصانا وقوله ان الذين اوتوا العلم
من قبله تعليل له اي ان لم تومنوا به فقد امن به من هو خير منكم وهم
العلما الذين قروا الكتب السابقه وعرفوا حقيقة الوحي وامارات
النبوة وتمكنوا من الميز بين المحق والمبطل اورأوا نعتك وصفة
ما انزل اليك في تلك الكتب اذا يتلى عليهم القران يخرون للاذقان
سجدا اي يسقطون على وجوههم تعظيما لامر الله او شكرا لانجازه
وعده في تلك الكتب ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم على فترة
من

من الرسل وانزال القران عليه ويقولون سبحان ربنا عن خلف الوعد
ان كان وعد ربنا لمفعولا اي انه كان وعده بنزوله وبعث النبي كاينا
لا محاله ويخرون للاذقان جمع ذقن وهو مجتمع اللحيين يبكون
لاختلاف الحال او السبب فان الاول للشكر عند انجاز الوعد والثاني
لما اثر فيه من مواعظ القران حال كونهم باكين من خشية الله تعالى
وذكر الذقن لانه اول ما يلقى الارض من وجه الساجد واللام فيه
لاختصاص الخرور به وقيل اللام بمعنى على تقول سقط لوجهه اي
على وجهه وتقدم ويزيدهم سماع القران خشوعا لما يزيدهم يقينا
وعلما بالله تعالى وقال الحسن الاذقان عبارة عن اللحا اي يضعونها
على الارض في حال السجود وهو غاية التواضع وقيل هم قوم من ولد
اسمعيل تمسكوا بدينهم الى ان بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم منهم
زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وعلى هذا فالمراد بالعلم علم الدين
لا الكتاب وقال الحسن هم امة محمد صلى الله عليه وسلم وقال
مجاهد هم ناس من اليهود كانوا اذا سمعوا ما انزل الله تعالى من
القران يسجدوا وقالوا هذا هو المذكور في التوراه وقيل الضمير
في قبله وفي به يعود لمحمد صلى الله عليه وسلم واستيناف ذكر القران
في قوله اذا يتلى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن نزل حين سمع المشركون
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن فقالوا انه ينهانا
ان نعبد الهين وهو يدعو الها اخر وقالت اليهود انك لتقل ذكر الرحمن
وقد اكثره الله في التوراة فالمراد على الاول هو التسوية بين اللفظين
فانهما يطلقان على ذات واحده وان اختلفا اعتبارا اطلاقهما

والتوحيد انما هو للذات الذى هو المعبود والثانى انهما سيان فى حسن
الاطلاق والامضا الى المقصود ايا ما تدعو فله الاسما الحسنى ٥
وهى التسعة والتسعون وهذان منها والدعا فى الاية بمعنى التسمية
وهو يتعدى الى مفعولين حذف اولهما استغنا عنه واو للتخيير
والتنوين فى ايا عوض عن المضاف اليه وما صلة لتاكيد ما فى اى
من الابهام والضمير فى له للمسمى لان التسمية له لا للاسم وكان اصل
الكلام وايا ما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه فله الاسما الحسنى
للمبالغة والدلالة على ما هو الدليل عليه وكونها حسنى لدلالتها
على صفات الجلال والاكرام وايا منصوب بتدعوا وتدعوا المجزوم
باى وحسن الاسما بتوجه بتحسين الشرع لاطلاقها والنص عليها
وانضاف الى ذلك انها تقتضى معانا حسانا وهى توقيف لا يصح وضع
اسم الله الا بتوقيف من القران او السنة او الاجماع قال بعضهم فى هذه
الاية قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن كانه قال سبحانه ان لم تدعونى
بى فادعونى بتفضيلى ورحمتى ولا تجهر بصلاتك اى بقراة صلاتك
حتى تسمع المشركين فان ذلك يحملهم السب واللغو فيها ولا تخافت
بها حتى لا يسمع من خلفك من المومنين وابتغ بين ذلك سبيلا ٥
بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا فان الاقتصاد فى جميع الامور
محبوب وروى ان ابا بكر رضى الله عنه كان يخفت ويقول انا جى
ربى وهو يعلم حاجتى وكان عمر يجهر ويقول اطرد الشيطان واوقظ
الوسنان فلما نزلت امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر
ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا والمخافتة خفض الصوت
والكون

والسكون وروى مسلم عن عايشة قالت انزل هذا فى الدعا وقال
ابن سيرين كان الاعراب يجهرون بتشهدهم فنزلت ولا تجهر بصلاتك
كلها ولا تخافت بها باسرها وابتغ بين ذلك سبيلا بالاخفات نهارا
والجهر ليلا وقيل غير ذلك وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له
شريك فى الملك فى الالوهية ولم يكن له ولى يواليه من الذل من اجل مذلة
به ليدفعها بموالاته نفى عنه سبحانه ان يكون له ما يشاركه اختيارا
واضطرارا وما يعاونه ويقويه ورتب الحمد عليه للدلالة على انه
الذى يستحق جنس الحمد لانه كامل الذات المنفرد بالايجاد المنعم على الاطلاق
وما عداه ناقص مملوك منعم عليه وقال مجاهد لم يكن له ولى من الذل
لم يحالف احدا ولا ابتغى نصر احد اى لم يكن له ناصر يجيره من الذل ٥
فيكون مدافعا وقال مقاتل لم يكن له ولى من اليهود والنصارى لانهم
اذل الناس ردا لقولهم نحن ابناء الله واحباوه وقيل المعنى لم يذل
فيحتاج الى ولى ولا ناصر لعزته وكبريايه وكبره تكبيرا اى عظمه عظمة
تامة ويقال ابلغ لفظ للعرب فى معنى التعظيم والاجلال الله اكبر
اى صفه بانه اكبر من كل شى قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه قول العبد
الله اكبر خير من الدنيا وما فيها وفيه تنبيه على ان العبد وان بالغ
فى التنزيه والتمجيد واجتهد فى العبادة والتحميد ينبغى ان يعترف
بالقصور عن حقه فى ذلك وروى انه عليه الصلاة والسلام
كان اذا افصح الغلام من بنى عبد المطلب علمه هذه الاية واخرج
احمد من حديث معاذ بن انس اية العز وقل الحمد لله الذى لم يتخذ
ولدا الاية تم الكتاب بحمد الله وعونه وحسن توفيقه والحمد لله
وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده

حسبي الله وحده
من الكتب التي وقفها الفقير
الى الله ربه ذي المواهب
محمد المدعو بين الصدور عثمان زاده
١٧٥ عفي عنه